المسلمين الى الشام بأهليهم وما لهم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم أنبأني بذلك قبل موته وقال زويت لى الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها فما قولكم فى ذلك فقالوا يا خليفة رسول الله مرنا بأمرك ووجهنا حيث شئت فان الله تعالى فرض علينا طاعتك فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم ففرح أبو بكر رضى الله عنه ونزل عن المنبر وكتب الكتب الى ملوك اليمن وأهل مكة وكانت الكتب فيها نسخة واحدة وهى بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليكم فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد عزمت أن أوجهكم الى بلاد الشام لتأخذوها من أيدى الكفار والطغاة فمن عول منكم على الجهاد والصدام فليبادر الى طاعة الملك العلام ثم كتب انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله الآية ثم بعث الكتب اليهم وأقام ينتظر جوابهم وقدومهم وكان الذى بعثه بالكتب التى لليمن أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما مرّت الايام حتى قدم أنس رضى الله عنه يبشره بقدوم أهل اليمن وقال يا خليفة رسول الله وحقك على الله ما قرأت كتابك على أحد الا وبادر الى طاعة الله ورسوله وأجابوا دعوتك وقد تجهزوا فى العدد والعديد والزرد النضيد وقد أقبلت اليك يا خليفة رسول الله مبشرا بقدوم الرجال وأى رجال وقد أجابوك شعثا غبرا وهم أبطال اليمن وشجعانها وقد ساروا اليك بالذرارى والاموال والنساء والاطفال وكأنك بهم وقد أشرفوا عليك ووصلوا اليك فتأهب الى لقائهم قال فسر أبو بكر رضى الله عنه بقوله سرورا عظيما وأقام يومه ذلك حتى اذا كان من الغد أقبلوا الى الصديق رضى الله عنه وقد لاحت غبرة القوم لاهل المدينة قال فأخبروه فركب المسلمون من أهل المدينة وغيرهم وأظهروا زينتهم وعددهم ونشروا الاعلام الاسلامية ورفعوا الالوية المحمدية فما كان الا قليل حتى أشرفت الكتائب والمواكب يتلو بعضها بعضا قوم فى أثر قوم وقبيلة فى أثر قبيلة فكان أوّل قبيلة ظهرت من قبائل اليمن حمير وهم بالدروع الداودية والبيض العادية والسيوف الهندية وأمامهم ذو الكلاع الحميرى رضى الله عنه فلما قرب من الصديق رضى الله عنه أحب أن يعرفه بمكانه وقومه وأشار بالسلام وجعل ينشد ويقول

أتتك حمير بالاهلين والولد ※ أهل السوابق والعالون بالرتب
أسد غطارفة شوس عمالقة ※ يردوا الكماة غدا فى الحرب بالقضب
الحرب عادتنا والضرب همتنا ※ وذو الكلاع دعا فى الاهل والنسب
دمشق لى دون كل الناس أجمعهم ※ وساكنيها سأهويهم الى العطب

قال فتبسم أبو بكر الصديق رضي الله عنه من قوله ثم قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يا أبا الحسن أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا أقبلت حمير ومعها نساؤها تحمل أولادها فابشر بنصر الله على أهل الشرك أجمعين فقال الامام علي صدقت وأنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنس رضي الله عنه وسارت حمير بكتائبها وأموالها وأقبلت من بعدها كتائب مذحج أهل الخيل العتاق والرماح الدقاق وأمامهم سيدهم قيس بن هبيرة المرادي رضي الله عنه فلما وصل الى الصديق رضي الله عنه حمل يقول صلوا على طه الرسول

أتتك كتائب منا سراعا ✽ ذوو التيجان أعني من مرادي

فقدمنا امامك كي ترانا ✽ نبيد القوم بالسيف النجاد

قال فجزاه أبو بكر رضي الله عنه خيرا وتقدم بكتائبه وسواليه وتقدمت من بعده قبائل طي يقدمها حابس بن سعد الطائي رضي الله عنه فلما وصل هم أن يترجل فأقسم عليه أبو بكر رضي الله عنه بالله تعالى أن لا تفعل فدنا منه وصافحه وسلم عليه وأقبلت الازد في جموع كثيرة يقدمها جندب بن عمرو الدوسي رضي الله عنه وجاءت من بعدهم بنو عبس يقدمهم الامير ميسرة بن مسروق العبسي رضي الله عنه وأقبلت من بعدهم بنو كنانة يقدمهم عنثم بن أسلم الكناني وتتابعت قبائل اليمن يتلو بعضها بعضا ومعهم نساؤهم وأموالهم فلما نظر أبو بكر رضي الله عنه الى نصرتهم سر بذلك وشكر الله تعالى ونزل القوم من حول المدينة كل قبيلة متفرقة عن صاحبها واستمروا فأضر بهم المقام من قلة الزاد وعلف الخيل وجدوبة الارض فاجتمع أكابرهم واجتمعوا عند الصديق رضي الله عنه وقالوا يا خليفة رسول الله انك أمرتنا بأمر فأسرعنا لله ولك رغبة في الجهاد وقد تكامل جيشنا وفرغنا من أهبتنا والمقام قد أضر بنا لان بلدك ليست بلد جيش ولا حافر ولا عيش والعسكر نازل فان كان قد بدلك فيما عزمت عليه فأمرنا بالرجوع الى بلادنا وأقبلوا الجميع وخاطبوه بذلك فلما فرغوا من كلامهم قال أبو بكر رضي الله عنه يا أهل اليمن ومن حضر من غيرهم أما والله ما أريد لكم الاضرار وانما أردنا تكاملكم قالوا انه لم يبق من ورائنا أحد فاعزم على بركة الله تعالى (قال المؤلف رحمه الله تعالى) لقد بلغني أن أبا بكر رضي الله عنه قام من ساعته يمشي على قدميه وحوله جماعة من الاصحاب منهم عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين وخرجوا الى ظاهر المدينة ووقع النداء في الناس وكبروا بأجمعهم فرحا لخروجهم وأجابتهم الجبال لدوي أصواتهم وعلا أبو بكر على راحلته حتى أشرف على الجيش فنظر اليهم قد ملؤا الارض فتهلل وجهه وقال اللهم أنزل عليهم الصبر وأيدهم ولا تسلمهم الى

عدوهم انك على كل شئ قدير وكان أول من دعاه أبو بكر يزيد بن أبي سفيان وعقد
له راية وأمره على ألف فارس من سائر الناس ودعا بعده رجلا من بني عامر بن لؤي
يقال له ربيعة بن عامر وكان فارس مشهورا في الحجاز فعقد له راية وأمره على ألف فارس
ثم أقبل أبو بكر على يزيد بن أبي سفيان وقال له هذا ربيعة بن عامر من ذوي العلا
والمفاخر قد علمت صولته وقد ضممته اليك وأمرتك عليه فاجعله في مقدمك وشاوره
في أمرك ولا تخالفه فقال يزيد حبا وكرامة وأسرعت الفرسان الى لبس السلاح
واجتمع الجند وركب يزيد بن أبي سفيان وربيعة بن عامر وأقبلا بقومهما الى أبي بكر
رضي الله عنه فأقبل يمشي مع القوم فقال يزيد يا خليفة رسول الله الناجي من غضب
الله من رضيت عنه لاننا على ظهور خيولنا وأنت تمشي فاما أن تركب واما أن تنزل
فقال ما أنا براكب وما أنتم بنازلين وسار الى أن وصل الى ثنية الوداع فوقف هناك
فتقدم اليه يزيد فقال يا خليفة رسول الله أوصنا فقال اذا سرت فلا تضيق على نفسك
ولا على أصحابك في مسيرك ولا تغضب على قومك ولا على أصحابك وشاورهم في الامر
واستعمل العدل وباعد عنك الظلم والجور فانه لا أفلح قوم ظلموا ولا نصروا على عدوهم
واذا لقيتم القوم فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة
فقد باء بغضب من الله ومأواهم جهنم وبئس المصير واذا نصرتم على عدوكم فلا تقتلوا ولدا
ولا شيخا ولا امرأة ولا طفلا ولا تعقروا بهيمة الا بهيمة المأكول ولا تغدروا اذا عاهدتم
ولا تنقضوا اذا صالحتم وستمرون على قوم في الصوامع رهبان يزعمون أنهم ترهبوا في الله
فدعوهم ولا تهدموا صوامعهم وستجدون قوما آخرين من حزب الشيطان وعبدة
الصلبان قد حلقوا أوساط رؤسهم حتى كأنها أفاحيص القطا فاعلوهم بسيوفكم
حتى يرجعوا الى الاسلام أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وقد استودعتكم الله
ثم عانقه وصافحه وصالح ربيعة بن عامر وقال يا عامر اظهر شجاعتك على بني الاصفر
بلغكم الله آمالكم وغفر لنا ولكم قال وسار القوم ورجع أبو بكر رضي الله عنه ومن معه
الى المدينة قال فجدوا القوم في السير فقال ربيعة بن عامر ما هذا السير يا يزيد وقد أمرك
أبو بكر أن ترفق بالناس في سيرك فقال يزيد يا عامر ان أبا بكر رضي الله عنه سيعقد
العقود ويرسل الجيوش فأردت أن أسبق الناس الى الشام فلعلنا أن نفتح فتحا قبل
تلاحق الناس بنا فيجتمع بذلك ثلاث خصال رضي الله عز وجل ورضي خليفتنا
وغنيمة نأخذها فقال ربيعة فسر الآن ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قال
فأخذ القوم في السير على وادي القرى ليخرجوا على تبوك ثم على الجابية الى دمشق
قال واتصل الخبر للملك هرقل من قوم من عرب اليمن المتنصرة كانوا في المدينة فلما صح

عبد الملك ذلك جمع بطارقته فى عسكره وقال لهم يا بنى الاصفران دولتكم قد عزمت على الانهزام ولقد كنتم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتقيمون الصلاة وتؤتون الزكاة التى أمركم بها الآباء والاجداد والقسوس والرهبان وتقيمون حدود الله الذى أمركم بها فى الانجيل لا جرم أنكم ما قصدتم ملكا من ملوك الوشاة وثار عكم على الشام الا وقهرتموه ولقد قصدكم كسرى بجنود فارس فانكسروا على أعقابهم والآن قد بدلتم وغيرتم فظلمتم وجرتم وقد بعث اليكم ربكم قوما لم يكن فى الامم أضعف منهم عندنا وقد رماهم شدة الجوع الينا وأتى بهم الى بلادنا وبعثهم صاحب نبيهم ليأخذوا ملكنا من أيدينا ويخرجونا من بلادنا ثم انه حدثهم بالذى سمعه من طرسيسه. فقالوا أيها الملك نردهم عن مرادهم ونصل الى مدينتهم ونخرب كعبتهم قال فلما سمع مقالتهم وتبين اغتياظهم جرد منهم ثمانية آلاف من أشجع فرسانهم وأمر عليهم خمسة من بطارقتهم وهم البطاريق وأخوه جرجيس وصاحب شرطية ولوقا بن سمعان وصليب ابن حما صاحب غزة وكانت هذه الخمسة البطارقة يضرب بهم المثل فى الشجاعة والبراعة ثم تدرعوا وأظهروا زينتهم وصلت عليهم الائمة صلاة النصر فقالوا اللهم انصر من كان منا على الحق وبخروهم ببخور الكنائس ثم رشوا عليهم من ماء المعمودية وودعوا الملك وساروا وأمامهم العرب المتنصرة يدلوهم على الطريق (قال حدثنى رفاعة عن ياسر بن الحصين) قال بلغنى أن أول من وصل الى تبوك كان يزيد بن أبى سفيان وربيعة بن عامر ومن معهما من المسلمين قبل وصول الروم بثلاثة أيام فلما كان فى اليوم الرابع والمسلمون قد هموا على الرحيل الى الشام اذ أقبل جيش الروم فلما رأوه المسلمون أخذوا على أنفسهم وا كمن ربيعة بأصحابه الالف وأقبل يزيد بأصحابه الالف ووعظهم وذكر الله تعالى وقال لهم اعلموا أن الله وعدكم النصر وأيدكم بالملائكة وقال الله تعالى فى كتابه العزيز كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وقد قال صلى الله عليه وسلم الجنة تحت ظلال السيوف وأنتم أول جند دخل الشام وتوجه لقتال بنى الاصفر فكأنكم بجنود الشام واياكم أن تطمعوا العدو فيكم وانصروا الله ينصركم فبينما يزيد يعظ الناس واذا بطلائع الروم قد أقبلت وجيوشها قد ظهرت فلما رأوا قلة العرب طمعوا فيهم وظنوا أنه ليس وراءهم أحد فبربر بعضهم على بعض بالرومية وقالوا دونكم ومن يريد وا أخذ بلادكم وانصروا بالصليب فانه ينصركم ثم حملوا والتقاهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بهمم عالية وقلوب غير دانية ودار القتال بينهم وتكاثرت الروم عليهم وظنوا أنهم فى قبضتهم اذ خرج عليهم ربيعة بن عامر رضى الله عنه بالكمين وقد أعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير

وحملوا على الروم حملة صادقة فلما عاينت الروم من خرج عليهم انكسروا وألقى الله الرعب فى قلوبهم فتقهقروا الى ورائهم ونظر ربيعة بن عامر الى البطاليق وهو يحرض قومه على القتال فعلم أنه طاغية الروم فحمل عليه وطعنه طعنة صادقة فوقعت فى خاصرته وطلعت من الناحية الاخرى فلما نظرت الروم الى ذلك ولوا الادبار وركنوا الى الفرار ونزل النصر على طائفة محمد المختار (حدثنا سعد بن أوس عن السرية التى أنفذها أبو بكر الصديق رضى الله عنه مع يزيد بن أبى سفيان وربيعة بن عامر) قال قد اجتمعنا بعساكر الروم فى أرض تبوك مع البطاليق فهزمهم الله تعالى على أيدينا وكان جملة من قتل منهم ألف ومائتين وقتل من المسلمين مائة وعشرين رجلا قال وان القوم لما انهزموا قال لهم جرجيس وهو أخو المقتول ياويلكم بأى وجه ترجعون الى الملك وقد عملوا فينا أعمالا ذريعا وملؤا الارض من قتلانا ولا أرجع حتى آخذ بثار أخى أو الحق به قال واجتمع القوم وسمعوا منه ورجع بعضهم الى بعض وعادوا الى القتال فلما استقروا فى خيامهم بعثوا رجلا من العرب المتنصرة اسمه القداح وقالوا له امض الى بنى عمك وقل لهم يبعثوا الينا رجلا من كبارهم وعقلائهم حتى ننظر ما يريدون منا قال فركب القداح جواده وأقبل نحو جيش المسلمين فلما رأوه مقبلا اليهم استقبله رجال من الاوس وقالوا له ماذا تريد قال لهم ان البطارقة يريدون رجلا من عقلائكم ليخاطبوهم فيما يريد الله به صلاح شأن الجمعين قال فأخبروا يزيد وربيعة بما قال المتنصر فقال ربيعة بن عامر أنا أسير الى القوم فقال يزيد يا ربيعة أنا أخاف عليك من القوم لانك قد قتلت كبيرهم بالامس فقال ربيعة قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون وانى أوصيك والمسلمين أن تكون همتكم عندى فاذا رأيتم القوم غدروا بى فاحملوا عليهم ثم ركب جواده وسار حتى أتى جيش الروم وقرب من سرادق أميرهم فقال القداح عظم جيش الملك وانزل عن جوادك فقال ربيعة رضى الله عنه ما كنت بالذى أنتقل من العز الى الذل ولست أسلم جوادى لغيرى وما أنا نازل الا على باب السرادق والا رجعت من حيث جئت لاننا ما بعثنا اليكم بل أنتم بعثتم الينا قال فأعلم القداح الروم بما تكلم به ربيعة بن عامر فقال بعضهم لبعض صدق العربى فى قوله دعوه ينزل حيث أراد قال فنزل ربيعة على باب السرادق وجثى على ركبته ومسك عنان جواده بيده وسلاحه معه فقال له جرجيس يا أخا العرب لم تكن أمة أضعف منكم عندنا وما كنا نحدث أنفسنا أنكم تغزونا وما الذى تريدون منا فقال ربيعة نريد منكم أن تدخلوا فى ديننا وأن تقولوا بقولنا وان أبيتم تعطونا الجزية عن يد وأنتم صاغرون والا فالسيف بيننا وبينكم فقال جرجيس فما منعكم أن تقصدوا

الفرس وتدعوا الصداقة بيننا وبينكم فقال ربيعة بدأنا بكم لانكم أقرب الينا من الفرس وان الله تعالى أمرنا فى كتابه بذلك قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة قال جرجيس فهل لك أن تعقد الصلح بيننا وبينكم وأن نعطى كل رجل منكم دينارا من ذهب وعشرة أوسق من الطعام وتكتبوا بيننا وبينكم كتاب الصلح لا تغزونا ولا نغزوا اليكم قال ربيعة لا سبيل على ذلك وما بيننا وبينكم الا السيف أو أداء الجزية أو الاسلام قال جرجيس أما ما ذكرت من دخولنا فى دينكم فلا سبيل الى ذلك ولو هلكنا عن آخرنا لأنا لا نرى لديننا بدلا وأما اعطاء الجزية فان القتل عندنا أيسر من ذلك وما أنتم بأشهى منا الى القتال والحرب والنزال لان فينا البطارقة وأولاد الملوك رجال الحرب وأرباب الطعن والضرب قال جرجيس لاصحابه على بأنفس مقالية حتى يناظر هذا البدوى فى كلامه قال وكان الملك هرقل قد بعث معهم قسيسا اعظيما عارفا بدينهم مجادلا عن شرعهم قال فأتى الحاجب به فلما استقر به الجلوس قال له جرجيس يا أبانا استخبر من هذا الرجل عن شريعتهم وعن دينهم فقال القسيس يا أخا العرب انا نجد فى علمنا أن الله تعالى يبعث من الحجاز نبيا عربيا هاشميا قرشيا علامته أن الله تعالى يسرى به الى السماء أكان ذلك أم لا قال نعم أسرى به وقد ذكر ربنا فى كتابه العزيز بقوله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا قال القسيس انا نجد فى كتابنا ان ربنا يفرض على هذا النبى وأمته شهرا يصومونه يقال له شهر رمضان قال ربيعة نعم وقد رأينا فى القرآن العظيم شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فقال القسيس انا وجدنا فى كتابنا ان من أحسن حسنة تكتب بعشرة قال ربيعة نعم قال الله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون قال القسيس انا نجد فى كتابنا ان الله يأمر أمته بالصلاة عليه قال ربيعة نعم وقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قال فعجب القسيس من كلامه وقال للبطارقة ان الحق مع هؤلاء القوم فقال بعض الحجاب ان هذا هو الذى قتل أخاك فلما سمع ذلك ازورت عيناه وغضب غضبا شديدا وهم أن يثب على ربيعة ففهم ربيعة ذلك منه فوثب من مكانه أسرع من البرق وضرب بيده الى قائم سيفه وعاجل جرجيس بضربة فجدله صريعا قتيلا ووثب على فرسه فركبها واسرعت البطارقة اليه وهو راكب فحمل فيهم ونظر يزيد بن أبى سفيان الى ذلك فقال للمسلمين ان أعداء الله قد غدروا بصاحب

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم فدونكم واياهم فحمل المسلمون على المشركين واختلط الجيش بالجيش وعبرت الروم لقتال العرب فبينماهم في القتال اذ أشرفت جيوش المسلمين مع شرحبيل بن حسنة كاتب وحي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نظر المسلمون الى اخوانهم في القتال حملوا على القوم حملة صادقة وحكمت سيوفهم في قمم الروم (قال الواقدي) لقد بلغني أن الثمانية آلاف المذكورة من الروم لم ينج منهم أحد لان العرب التقطوهم بسبق الخيل وبعد الشام من تبوك ثم ان المسلمين أخذوا أموالهم وخيامهم ثم سلموا على شرحبيل ومن معه وجمعوا المال والغنائم فقالوا نبعث الجميع الى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فاسترضوا بذلك وبعثوا الجميع الا العدة والسلاح وبعثوا مع الغنائم والاموال شداد بن أوس رضي الله عنه في خمسمائة فارس ولما أن وصل بالمال الى المدينة المنورة وعاين المسلمون أموال المشركين رفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير محمد صلى الله عليه وسلم وسمع الصديق بقدوم شداد بن أوس رضي الله عنه ومن معه من المسلمين ففرح بذلك فرحا شديدا ثم أقبلوا الى الصديق وأعلموه بالفتح بعد أن سلموا عليه فسجد لله عز وجل ثم كتب كتابا الى أهل مكة يستدعيهم الى الجهاد مضمونه بسم الله الرحمن الرحيم من أبي بكر الى أهل مكة وسائر المؤمنين فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم * أما بعد فاني قد استنفرت المسلمين الى الجهاد وفتح بلاد الشام وقد كتبت اليكم والى المسلمين أن تسرعوا الى ما أمركم ربكم تبارك وتعالى اذ يقول الله عز وجل انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون وهذه الآية فيكم وأنتم أحق بها وأهلها وأول من صدق وقام بحكمها من نصر دين الله فالله ناصره ومن بخل استغنى الله عنه والله غني حميد فسارعوا الى جنة عالية قطوفها دانية أعدها الله للمجاهدين والانصار فمن اتبع سبيلهم من الاولياء الاخيار وحسبنا الله ونعم الوكيل قال وختم الكتاب ودفعه الى عبد الله بن حذافة فأخذه وسار حتى وصل مكة وصرخ في أهلها فاجتمعوا اليه فدفع اليهم الكتاب فقرؤه على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمعوه قام سهل بن عمرو والحارث بن هشام وعكرمة ابن أبي جهل وقالوا أجبنا داعي الله وصدقنا قول نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فأما عكرمة فانه قال الى متى نبسط لا انفسنا وقد سبقنا القوم الى المواطن وقد فاز من فاز بالصدق وان كنا تأخرنا عن السبق فاللحاق اللحاق فلعلنا نكتب في الحال ثم خرج عكرمة بن أبي جهل في بني مخزوم وخرج الحارث بن هشام معهم وتلاحق أهل مكة خمسمائة رجل وكتب أبو بكر لاطائف فخرجوا في أربعمائة رجل (قال الواقدي)

حدثنا عبد الله بن سعيد عن أبي عامر الهوازني قال كنا بالطائف مجتمعين اذ قدم علينا كتاب أبي بكر رضي الله عنه فقرئ علينا فأجاب منا أربعمائة رجل من هوازن وثقيف فسرنا حتى لحقنا ودمشق وكان جملتنا تسعمائة فارس ماما الامين يقول انه يلقى تسعمائة من الروم وسرنا حتى أتينا المدينة فنزلنا بالبقيع فأخبر أبو بكر بقدومنا فبعث الينا رسوله يقول انتقلوا الى مواضع اخوانكم بالجرف فأقمنا هناك عشرين يوما والوفود تقدم علينا قال شداد بن أوس ثم خرج الينا أبو بكر رضي الله عنه في جمع من المهاجرين والانصار يمشي بين القبائل ثم قال يا أيها الناس ان الله قد كتب على المؤمنين الجهاد فريضة من فرائض الله عز وجل والثواب عند الله عظيم فأحسنوا نياتكم وسارعوا عباد الله الى فريضة ربكم وسنة نبيكم وانما هي احدى الحسنيين اما الشهادة أو الغنيمة ومن مات أو قتل فقد وقع أجره على الله قال الواقدي رحمة الله عليه قلت لابي عامر صف لي أبا بكر الصديق قال كان رجلا أسمر خفيفا طويلا خفيف اللحية قال وقدم من حضرموت أربعمائة رجل وكتب أبو بكر الى الاصيل بن مسلمة والى بني كلاب يدعوهم الى غزو الروم فقام فيهم الضحاك وابن عوف فقال يا معشر بني كلاب اتقوا الله وانظروا الى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصروا هذا الدين الذي بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم قال فقام رجل من بني كلاب وكان شيخا كبيرا وقد دخل الشام مرارا فقال يا ضحاك أتدعونا الى قوم لهم عزم وقوة وجلد وعدد وأين للعرب قوة تلقاهم مع قلة عددهم فقال الضحاك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينصر بعدد ولا سلاح ولكن ينصر بدين الله الذي بعثه وقد شهد بدرا في ثلاثمائة وثلاثة عشر نفرا فاتى قريشا في عددها وخيلها وسلاحها فلم تزل رايته تعلو حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أمر بالامر خليفته أبو بكر الصديق رضي الله عنه وقد رأيتم اقدامه على أهل الردة وكيف قهرهم بالسيف قال فلما سمع بنو كلاب كلامه انبعثت بصائرهم وسمحوا بالخروج وعادوا الخيل ثم انهم وردوا الى المدينة فهما لبسوا السلاح وركبوا الخيل ودخلوا المدينة ووجدوا الصديق قد خرج ليوجه الناس الى الشام فلما رآهم سر بقدومهم وأمرهم أن يلحقوا بعساكر المسلمين وعقد لهم راية وسلمها الى الضحاك وكان قد قدم بخيل وابل فدفع ذلك الى أبي بكر ليستعين بذلك على غزو الروم ونظر أبو بكر الى خيله وكلها شقر ففرح بذلك فرحا شديدا وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خيل اليمن محجلة طلقة قال وتكامل الناس بالجرف وقد عزم أبو بكر أن يقدم على جيوشهم أمين هذه الامة أبا عبيدة ابن الجراح رضي الله عنه وأراد أن يقدم على طوائع جيشه أميرا وعزم ان يعقد الراية

لسعيد بن خالد بن سعيد بن العاص وكان غلاما نجيبا وذلك ان سعيد بن خالد أتى الى
الصديق رضى الله عنه فقال يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم انك أردت
ان تعقد لابى خالد راية ويكون قائدا من قوائد جيشك فتكلم فيه المتكلمون فعزلته
حين رجع من بعثتك وقد حبس نفسه فى سبيل الله عز وجل ولم أزل نجيبا دعوتك
فى بعثتك فذلك أن تقدمنى على هذا الجيش فوالله لا يرانى الله وانيا أبدا ولا عاجزا
عن الحرب قال وكان سعيد بن خالد غلاما نجيبا أنجب من أبيه وأفرس فعقد له أبو بكر
راية ودفعها اليه وأمره على ألفين من العرب قال فلما سمع عمر بن الخطاب كلام سعيد
ابن خالد وانه خير من أن يكون أميرا كره له ذلك وأقبل على الصديق رضى الله عنه
وقال يا خليفة رسول الله عقدت هذه الراية لسعيد بن خالد على من هو خير منه ولقد
سمعته يقول عند ما عقدتها على رغم الاعادى والله لتعلم انه ما يريد بالقول غيرى والله
ما تكلمت فى أبيه قال الواقدى فثقل ذلك على أبى بكر وكره أن يعقد له وكره أيضا
ان يخالف عمر لمحبته له ونصحه ومنزلته عند النبى صلى الله عليه وسلم ووثب قائما ودخل
على عائشة رضى الله عنها وأخبرها بخبر عمر بن الخطاب رضى الله عنه وما كان من
كلامه فقالت عائشة قد علمت ان عمر ينصر الدين ويريد النصر لرب العالمين
وما فى قلب عمر بغضا للمسلمين قال فقبل قول عائشة رضى الله عنها ثم دعا أبا زد الدوسى
وقال له امض الى سعيد بن خالد وقل له رد علينا رايتك قال فردها وقال والله لاقتلن
تحت راية أبى بكر حيث كان فانى قد حبست نفسى فى سبيل الله قال الواقدى ولقد
بلغنى ان الصديق حال تفكره فيمن يقدم طليعة الجيش قال فتقدم اليه سعيد بن عمر
وعكرمة بن أبى جهل وهشام بن الحارث وقالوا اشهدوا أننا قد حبسنا أنفسنا
فى سبيل الله فلا نرجع عن القتال أبدا فقال أبو بكر اللهم بلغهم أفضل ما يؤملون ثم ان
أبا بكر دعا عمرو بن العاص فسلم اليه الراية وقال قد وليتك على هذا الجيش يعنى أهل
مكة والطائف وهوازن وبنى كلاب فانصرف الى أرض فلسطين وكاتب أبا عبيدة
وانجده اذا أرادك ولا تقطع أمرا الا بمشورته امض بارك الله فيك وفيهم قال فاقبل عمرو
بن العاص على عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال له يا أبا حفص أنت تعلم شدتى على
العدو وصبرى على الحرب فلو كلمت الخليفة ان يجعلنى أميرا على أبى عبيدة وقد رأيت
منزلتى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وانى أرجو أن يفتح الله على يدى البلاد ويهلك
الاعداء قال عمر رضى الله عنه ما كنت بالذى أكذبك وما كنت بالذى أكلمه فى ذلك
فانه ليس على أبى عبيدة أمير ولأبو عبيدة عندنا أفضل منزلة منك وأقدم سابقة منك
والنبى صلى الله عليه وسلم قال فيه أبو عبيدة أمين الامة قال عمرو وما ينقص من منزلته

اذا كنت والياعليه قال عمر بن الخطاب وانك يا عمرو انك ماتطلب بقولك هذا الا الرياسة والشرف فاتق الله ولا تطلب الا شرف الآخرة ووجه الله تعالى فقال عمرو بن العاص ان الامر كما ذكرت ثم أمر الناس بالمسير تحت رايته فساروا وتقدم أهل مكة وتبعها بنو كلاب وطي وهوازن وثقيف وتخلف المهاجرون والانصار ليسيروا مع أبي عبيدة بن الجراح وتقدم عمرو بن العاص وسار قال أبو الدرداء كنت مع عمرو بن العاص في جيشه فسمعت أبابكر يقول وهو يوصيه ويقول اتق الله في سرك وعلانيتك واستحيه في خلواتك فانه يراك في عملك وقد رأيت تقدمتي لك على من هو أقدم منك سابقة وأقدم حرمة فكن من عمال الآخرة وأرد بعملك وجه الله وكن والدالمن معك وارفق بهم في السير فان فيهم أهل ضعف والله ناصر دينه ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون واذا سرت بجيشك فلا تسر الا في الطريق التى سار فيها يزيد وربيعة وشرحبيل بل اسلك طريق ايلة حتى تنتهى الى أرض فلسطين وابعث عيونك يأتوك بأخبار أبي عبيدة فان كان ظافرا بعدوه فكن أنت لقتال من في فلسطين وان كان يريد عسكرا أمدا اليه جيشا في اثر جيش وقدم سهل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل والحارث بن هشام وسعيد بن خالد واياك ان تكون وانيا لما ندبتك اليه واياك والوهن أن تقول ابن أبي قحافة في نحر العدو ولا قوة لى به وقد رأيت يا عمرو ونحن في مواطن كثيرة ونحن نلاقى مانلاقى من جموع المشركين ونحن في قلة من عدونا ثم رأيت يوم حنين وما نصرالله عليهم واعلم يا عمرو أن معك المهاجرين والانصار من أهل بدر فأكرمهم واعرف حقهم ولا تتطاول عليهم بسلطانك ولا يداخلك نجدة الشيطان فتقول أنا ولانى أبو بكر لانى خيرهم واياك وخداع النفس وكن كاحدهم وشاورهم فيما تريد من أمرك والصلاة ثم الصلاة أذن بها اذا دخل وقتها ولا تصل صلاة الا بأذان يسمعه أهل العسكر ثم ابرزوه لمن رغب في الصلاة معك فذلك أفضل له ومن صلاها وحده اجزأته صلاته واحذر من عدوك وأمر أصحابك بالحرس ولتكن أنت بعد ذلك مطلعا عليهم وأطل الجلوس بالليل على أصحابك وأقم بينهم واجلس معهم ولا تكشف أستار الناس واتق الله اذا لاقيت العدو واذا وعظت أصحابك فاوجز وأصلح نفسك تصلح لك رعيتك فالامام منفرد الى الله تعالى فيما يعمله وما يفعله في رعيته وانى قد وليتك على ماقد مررت من العرب فاجعل كل قبيلة على حيتها وكن عليهم كالوالد الشفيق الرفيق وتعاهد عسكرك في سيرك وقدم قبلك طلائعك فيكونون أمامك وخلف على الناس من ترضاه واذا رأيت عدوك فاصبر ولا تتأخر فيكون ذلك منك فخرا والزم أصحابك قراءة القرآن وانههم عن ذكر الجاهلية وما كان منها فان ذلك

يورث العداوة بينهم واعرض عن زهرة الدنيا حتى تلتقي بمن مضى من سلفك وكن من الائمة الممدوحة في القرآن اذ يقول الله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين قال فكان أبو بكر رضي الله عنه يوصي عمرو بن العاص وأبو عبيدة حاضر ثم قال سيروا على بركة الله تعالى وقاتلوا أعداء الله وأوصيكم بتقوى الله فان الله ناصر من ينصره قال فسلم المسلمون عليه وودعوه وساروا في تسعة آلاف مع من ذكرنا يريدون أخذ فلسطين فلما كان بعدهم بيوم واحد عقد العقود والرايات الى أبي عبيدة بن الجراح وأمره بأن يقصد بمن معه أرض الجابية وقال يا أمين الامة قد سمعت ما أوصيت به عمرو بن العاص وودعوه المسلمون فلما عاد أبو بكر والمسلمون ادعا بخالد بن الوليد وعقد له راية وكانت راية النبي صلى الله عليه وسلم وأمره على لخم وجزام وضم له جيش الزحف وكانوا شجعانا مامنهم الا من شهد الوقائع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له يا أبا سليمان قد وليتك على هذا الجيش فاقصد به أرض العراق وفارس وارجو الله أن ينصركم ثم انه ودعه وسار خالد بمن معه يطلب العراق قال حدثني ربيعة بن قيس قال كنت في الجيش الذي وجهه أبو بكر الصديق مع عمرو بن العاص الى فلسطين وايلة وكان صاحب رايته سعد بن خالد قال وبعث أبو بكر مع جيش أمير وهو يدعو لهم بالنصر وأخذه القلق على المسلمين حتى عرف ذلك في وجهه فقال له عثمان بن عفان رضي الله عنه ماهذا الغم الذي نزل بك فقال اغتممت على جيوش المسلمين وأرجو الله ينصرهم على عدوهم فقال عثمان والله ماخرج جيش سررت به الا هذا الجيش الذي سار الى الشام وهذا الذي أوصى الله نبيه به وليس في قوله خلف وانا سنظهر على الروم وفارس ولكن ماندري متى يكون في هذا البعث أو غيره فقال عثمان أما هذا فلا أدري ولكن أحسن الظن بالله قال وبات الصديق فرأى في منامه كأن عمرو بن العاص في وجهه طريقه هو وأصحابه ثم قصد عمرو أرضا خضرة سهلة وفرجة فجال فرسه ثم أتبعه أصحابه فاذاهم في أرض واسعة فنزلوا واستراحوا قال وانتبه أبو بكر من منامه فرحا بما رأى فقال عثمان يدل على فتح الا انه يوشك أن يلقى عمرو في قتال المشركين مشقة عظيمة ثم يخلص منها قال الواقدي كانت الساقطة تنزل المدينة في الجاهلية والاسلام يقدمون بالبر والشعير والزيت والتين والقماش ومايكون في الشام فقدم بعض الساقطة الى المدينة وأبو بكر ينفذ الجيوش وسمعوا كلام أبي بكر لعمرو بن العاص وهو يقول عليك بفلسطين وايلية قال فساروا بالخبر الى الملك هرقل فلما سمع ذلك جمع أرباب دولته وبطارقته وأعلمهم بالحديث الذي جرى وقال يا بني الاصفر هذا

الذى كنت حذرتكم منه قديما وان أصحاب هذا النبى لابد ما تملك ما تحت سريرى هذا وقد قرب الوعد وان خليفة محمد قد أنفذ لكم الجيوش وكأنكم بهم وقد أتوكم وقصدوا نحوكم فحذروا أنفسكم وقاتلوا عن دينكم وعن حريمكم فان تهاونتم ملكت العرب بلادكم وأموالكم قال فبكى القوم فقال لهم دعوا عنكم البكاء ثم قال له وزيره أيها الملك قد اشتهينا أن تدعو بعض من قدم بهذا الخبر عليك فأمر هرقل لبعض حجابه أن يأتى برجل من المتنصرة ممن قدم عليه بالاخبار فأتى برجل منهم فقال له الملك كم عهدك قال منذ خمسة وعشرون يوما قال فمن المتولى عليهم قال له رجل يقال له أبو بكر الصديق وجه جيوشه الى بلدك قال هل رأيت أبو بكر قال نعم وانه أخذ منى شملة بأربعة دراهم وحملها على كتفه وهو كواحد منهم وهو يمشى فى ثوبين ويطوف بالاسواق ويدور على الناس بأخذ الحق من القوى قال هرقل صفه لى قال هو رجل أدم اللون خفيف العارضين فقال هرقل وحق دينى هو صاحب أحمد الذى كنا نجده فى كتبنا انه يقوم بالامر من بعده ونجد فى كتبنا أيضا أن بعد هذا الرجل رجل آخر طويل كالاسد الوثاب يكون على يديه الدمدمة والجلاء قال فشهق المتنصر من قول هرقل وقال ان هذا الذى وصفته لى رأيته معه لا يفارقه قال هرقل هذا الامر والله قد صح وقد دعوت الروم الى الرشد والصلاح فأبوا أن يطيعونى وان ملكى سوف ينهدم ثم عقد صليب من الجوهر وأعطاه الى قائد جيوشه روبيس وقال له قد وليتك على الجيوش فسيروا لمنع العرب من فلسطين فانها بلد خصب كثيرة الخير وهى عزنا وجاهنا وتاجنا فتسلم روبيس الصليب وسار من يومه الى اجنادين واتبعه جيش الروم (قال الواقدى) لقد بلغنى أن عمرو بن العاص توجه الى ايلية حتى وصل الى أرض فلسطين هو ومن معه قال ولما نزل المسلمون بفلسطين جمع عمرو المسلمين المهاجرين والانصار وشاورهم فى أمرهم فبينما هم فى المشورة اذ أقبل عليهم عدى ابن عامر وكان من خيار المسلمين وكان كثيرا يتوجه بلاد الشام وداس أرضهم وعرف مساكنها ومسالكها فلما أشرف على المؤمنين دار دابه وأوقفه بين يدى عمرو بن العاص فقال له عمرو بن العاص ما الذى وراءك يا ابن عامر قال ورائى المتنصرة وجنودها مثل النمل فقال له عمرو يا هذا لقد ملأت قلوب المسلمين رعبا وانا نستعين بالله عليهم فقال له فكم حررت القوم فقال أيها الامير انى قد علوت على شرف من الجبال عال فرأيت من الصلبان والرماح والاعلام ما قدمه لأ الاجم وهو أعظم جبل بأرض فلسطين وهم زيادة عن مائة ألف فارس وهذا ما عندى من الخبر قال فلما سمع عمرو ذلك قال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم أقبل على من حضر

من

من كبار المسلمين وقال أيها الناس انى واياكم فى هذا الامر بالسواء فاستعينوا بالله على الاعداء وقاتلوا عن دينكم وشرعكم فمن قتل كان شهيدا ومن عاش كان سعيدا فماذا أنتم قائلون قال فتكلم كل رجل بما حضر عنده من الرأى فقالت طائفة منهم أيها الامير ارجع بنا الى البرية حتى نكون فى بطن البيدا فانهم لا يقدرون على فراق القرى والحصون فاذا جاءهم الخبر اننا توسطنا البرية تتفرق جمعهم وبعد ذلك نعطف عليهم وهم على غفلة فنهزمهم ان شاء الله تعالى فقال سهل بن عمرو ان هذه مشورة رجل عاجز فقال رجل من المهاجرين لقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نهزم الجمع الكثير بالجمع القليل وقد وعدكم الله النصر وما وعد الصابرين الا خيرا وقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة قال سهل بن عمرو أما أنا لا رجعت عن قتال الكفرة ولا رددت سيفى عنهم فمن شاء فلينهض ومن شاء فليرجع ومن نكص على عقبيه فأماوراءه بالمرصاد قال فلما سمع المسلمون ووافقه على ذلك عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقالوا أحسنت يا أبا الفاروق قال ثم ان عمرو بن العاص عقد راية وأعطاها الى عبد الله بن عمر بن الخطاب وضم اليه ألف فارس فيهم رجال من الطائف ومن ثقيف وأمرهم بالمسير فسار عبد الله وجعل يجد السير بقية يومه الى الصباح واذا بغبرة القوم قد لاحت فقال عبد الله بن عمر هذه غبرة عسكر وأظنها طليعة القوم ثم وقف ووقف أمامه أصحابه فقال قوم من البادية اتركنا نرى ما هذه الغبرة فقال لا تتفرقوا من بعضكم حتى نرى ما هى فوقف الناس واذا بالغبرة قد قربت وانكشفت عن عشرة آلاف من الروم وقد بعث معهم روبيس بطريق من أصحابه وكانوا قد ساروا يكشفون خبر المسلمين فلما نظرهم عبد الله بن عمر قال لاصحابه لا تمهلوهم لانهم لا بد لهم منكم والله ينصركم عليهم واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف قال فأعلن القوم بقول لا اله الا الله محمد رسول الله فلما جهروا بها أجابهم الشجر والمدر والدواب والحجر وكان أول من حمل عكرمة بن أبى جهل واتبعه سهل بن عمرو والضحاك أيضا بالجملة وصاح فى رجاله وحمل المهاجرون والانصار معهم والتقت الجمعان وعمل السيف فى الفريقين قال عبد الله بن عمر بينما أنا فى الوقعة اذ نظرت من القوم بطريقا عظيم الخلقة وهو كالحائر البليد وهو يركض يمينا وشمالا فقلت ان يكن لهذا الجيش عين فهذا عين الجيش وصاحب الطلائع وهو مرعوب من الحرب فلما حملت عليه ومددت قناتى اليه فنفر فرسه من الرمح فتقربت اليه وأوهمته أنى أريد الانهزام ثم عطفت عليه وطعنته فوالله لقد خيل لى أنى ضربت بسيفى حجرا وسمعت طنين السيف حتى حسبت أن

سيفي انفصل واذاه وصريع ثم عانقت عليه وأخذت لامته فلما رأت المشركون صاحبهم مجندلا داخلهم الفزع والهلع وصدمهم المسلمون في الضرب والقتال فلله در الضحاك والحارث بن هشام لقد قاتلوا قتالا شديدا ما عليه من مزيد بما كان غير قليل حتى انهزم الكفار من بين أيديهم هاربين قال ورجع المسلمون واجتمع بعضهم على بعض وجمعوا الغنائم والاموال وقال بعضهم لبعض مافعل الله بعبد الله بن عمر قال قائل منهم خبير بحسن زهده وعبادته وقال آخرون قد أم بنا ابن عمر فما كان يسوى بهذا الفتح شعرة من رأسه قال عبد الله بن عمر وأنا اسمع ذلك أسمع كلامهم خلف الراية فأعلنت بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وهززت الراية فلما نظر المسلمون الراية سارعوا الى وقالوا أين كنت وقلت اشتغلت بقتال صاحبهم فقالوا أفلح الله وجهك فهذا والله فتح قد رزقنا الله اياه ببركتك قال عبد الله وبوجوهكم ثم حازوا الاموال والغنائم والخيل وستمائة أسير وقتل من المسلمين سبعة نفر فواروهم وصلى عليهم ابن عمر وانعطف الجيش الى عمرو بن العاص وحدثوه بما جرى ففرح وحمد الله تعالى ثم دعا بالاسرا واستنطق منهم بالعربية فما كان فيهم غير ثلاثة نفر من أنباط الشام فسألهم عن خبرهم وخبر أصحابهم فقال يا معشر العرب ان هذا روبيس قد أقبل في مائة ألف فارس وقد أمره الملك أن لا يدع أحدا من العرب يصل الى ايلة وانه بعث بهذا البطريق طليعة وقد قتل وكأنكم به فقال عمرو ان الله يقتله كما قتل صاحبكم ثم أعرض عليهم الاسلام فما أحد منهم أسلم فقال عمرو للمسلمين كأنكم بصاحبهم وقد أتى يأخذ ثارهم وهؤلاء تركهم علينا بلاء ثم أمر بضرب أعناقهم وصاح للمسلمين استعدوا فاني أظن أن القوم سائرون فان أتوا الينا فهم في شدة وقوة وسنلقى منهم تعبا في القتال وان سرنا اليهم نرجو من الله النصر والظفر بهم كما ظفرنا بغيرهم وما عودنا الله الا خيرا قال أبو الدرداء وبتنا مكاننا فلما أصبح الله بالصباح رحلنا فما بعدنا غير قليل حتى أشرفت علينا عشرة صلبان تحت كل صليب عشرة آلاف فارس فلما أشرف الجيش على الجيش وأقبل عمرو ورتب أصحابه وجعل في الميمنة الضحاك وفي الميسرة سعيدا وأقام على الساقة أبا الدرداء وثبت عمرو في القلب ومعه أهل مكة وأمر الناس يقرؤن القرآن وقال لهم اصبروا على قضاء الله وارغبوا في ثواب الله ورحمته ثم انه جعل يصفهم ويعبيهم تعبية الحرب ونظر روبيس بطريق الروم الى عسكر المسلمين وقد صفهم عمرو بن العاص لا يخرج سنان عن سنان ولا عنان عن عنان ولا ركاب عن ركاب وهم كأنهم بنيان مرصوص وهم يقرؤن القرآن والنور يلمع من نواصي خيولهم فشم منهم رائحة النصر وتبين من نفسه الجزع وعلم أن كل ما معه كذلك ووقف ينظر ما يكون من المسلمين

وانكسرت حميته قال وكان أول من برز من جيش المسلمين سعيد بن خالد رضي الله عنه وهو أخو عمرو بن العاص من أمه فلما برز نادى برفيع صوته ابرزوا يا أهل الشرك ثم حمل على الميمنة فألجأها الى الميسرة وحمل على الميسرة فألجأها الى الميمنة وقتل رجالا وجندل أبطالا ثم اقتحم فيهم فشوشهم وزعزع جيشهم قال فاجتمعوا عليه فقتلوه رحمة الله عليه قال فحزنت المسلمون على قتله حزنا عظيما وأكثرهم عمرو بن العاص وقال واسعيداه لقد اشترى نفسه من الله عز وجل ثم قال يا فتيان من يحمل معي هذه الحملة حتى ننظر ما يكون من أمرها وأنظر حال سعيد قال فأسرع بالاجابة ذو الكلاع الحميري وعكرمة بن أبي جهل والضحاك والحارث بن هشام ومعاذ بن جبل وأبو الدرداء وعبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم أجمعين قال عبد الله وكنا سبعين رجلا وحملنا حتى دنونا من القوم وهم لا يفكرون من حملتنا الا انهم جبال من حديد (قال الواقدي) رحمة الله عليه فلما رأى المسلمون ثبات الروم صاح بعض البعض أبجعوا دوابهم فما هلا لهم غير ذلك قال فبجعنا دوابهم بالاسنة فتنكثوا فبعدا نتكاثهم تفرق بعضهم على بعض وحملوا علينا وحملنا عليهم وكنا فيهم كالشامة البيضاء في جلد البعير الاسود وكان شعارنا يوم فلسطين لا اله الا الله محمد رسول الله يا رب انصر أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال أبو الدرداء ولقد أشغلني الحرب عن مناشدة الاشعار ولقد كان أحدنا لا يدري اذ هو يضرب أخاه أو عدوه من كثرة الغثام قال فثبت المسلمون مع قلتهم وفوضوا أمرهم الى الله عز وجل وما كان أحد من المسلمين يضرب الا وظهره ناطق بالدعاء يقول اللهم انصرنا على من يتخذ معك شريكا قال عبد الله بن عمر بن الخطاب فلم يزل الحرب بيننا الى وقت الزوال وهبت الرياح والناس في الغثام اذ نظرت الى السماء وقد انفرج فيها فرج وخرجت منها خيول شهب تحمل رايات خضر أسنتها تلمع ومنادي ينادي بالنصر أبشروا يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقد أتاكم الله بالنصر قال فما كان غير قليل اذ نظرت الى الروم منهزمين والمسلمون في أعقابهم لان خيل العرب أسبق من خيل الروم قال ابن عمر فقتلنا في هذه الوقعة قريبا من خمسة عشر ألف فارس وأكثر ولم نزل في آثارهم الى الليل وعمرو بن العاص قد فرح بالنصر وقلبه متعلق على المسلمين لاسراعهم وراء العدو وقال عمر بن غياث فنظرت الى عمرو ابن العاص والراية في يده وقد أرخا القناة على عاتقه وهو يفركها بيده ويقول من يرد الناس على رد الله عليه ضالته اذ نظرت الكرب وقد عطفت راجعة كعطفة الام على ولدها فاستقبلهم عمرو وهو يقول هنيئا لهذه الوجوه التي تعبت في رضاء الله تعالى أما كان لكم كفاية في أن حولكم الله حتى اتبعتم العدو فقالوا ما أردنا الغنيمة بل القتال

والجهاد قال ولما رجع المسلمون لم يكن لهم همة الا افتقاد بعضهم بعضا فقتل من المسلمين مائة وثلاثون رجلا ختم الله لهم بالسعادة منهم سيف بن عباد ونوفل بن دارم ابن شداد والباقي من اليمن ووادي المدينة قال فاغتم عمرو لفقدهم ثم راجع نفسه وقال قد نزل بهم خير وأنت يا عمرو تأبى ذلك ثم ندب الناس الى الصلاة كما أمره أبو بكر الصديق رضي الله عنه فصلى ما فاته كل صلاة بأذان واقامة قال ابن عمر ان كان صلى خلفه الا قليلا بل صلى الناس في رحالهم من تعبهم ولم يجمعوا من الغنائم الا القليل وبات الناس فلما أصبح عمرو أذن وصلى بهم وأمر الناس بجمع الغنائم وان يخرجوا اخوانهم المؤمنين من الروم فجعلوا يلتقطونهم قال فأخرجوا مائة وثلاثين رجلا ووجدوا سعيد بن خالد فلما نظر عمرو الى ما نزل به بكى وقال رحمك الله فلقد نصحت لدين الله وأديت النصيحة ثم جعله في جملة المسلمين وصلى عليهم وأمر بدفنهم وذلك قبل أن تخمس شيأ من الغنائم ثم بعد ذلك جمعها اليه وكتب الى أبي عبيدة كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عمرو ابن العاص الى أمين الامة ✻ أما بعد فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم واني قد وصلت الى أرض فلسطين ولقينا عساكر الروم مع بطريق يقال له روبيس في مائة ألف فارس فمن الله علينا بالنصر وقتل من الروم خمسة عشر ألف فارس وفتح الله على يدي فلسطين بعد أن قتل من المسلمين مائة وثلاثون رجلا قال احتمت الى سرت اليك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ودفع الكتاب الى أبي عامر الدوسي وأمره أن يسير الى أبي عبيدة قال فأسرع أبو عامر بالكتاب فوجد أبا عبيدة وقد نازل بأرض الشام وهاجر بالدخول اليها غير أنه أمره كما أمره أبو بكر قال فلما وصل أبو عامر قال له أبو عبيدة ما وراءك قال خير هذا كتاب من عند عمرو بن العاص يخبرك بما فتح الله على يديه ثم سلم اليه الكتاب فلما قرأه خر ساجدا وفرحا بنصر الله ثم قال والله قتل من المسلمين رجال أخيار منهم سعيد بن خالد قال أبو عامر فكان خالد ابن سعيد والده جالسا فلما سمع بأن ولده قد قتل قال واابناه وجعل يبكيه حتى بكى المسلمون لبكائه ثم ان خالدا أسرع الى فرسه فركبها وعزم الى أرض فلسطين لينظر الى قبر ولده فقال أبو عبيدة كيف تسير وتدعنا فقال انما أنظر قبر ولدي وأرجو الله أن يلحقني به قال وكتب أبو عبيدة كتابا لعمرو بن العاص يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم انما أنت مأمور فان كان أبو بكر أمرك أن تكون معنا فسر الينا وان كان أمرك بالثبات في موضعك فاثبت والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وطوى الكتاب وسلمه الى خالد ابن سعيد وسار مع أبي عامر الى أن أتيا الى جيش عمرو بن العاص فدفع له الكتاب وهو يبكي فوثب عمرو وصافح خالدا ورفع منزلته وعزاه في ولده سعيد وعزوه المسلمون

فقال خالد يا أيها الناس هل أروى سعيد رمحه وسيفه فى الكفار قالوا نعم فلقد قاتل وماقصر ولقد جاهد فى الدين ونصر فقال أرونى قبره قال فأروه اياه فأقام على القبر وقال ياولدى رزقنى الله الصبر عليك وألحقنى بك وانا لله وانا اليه راجعون والله ان مكننى الله لآخذن بثارك ياولدى عند الله احتسبتك ثم قال لعمرو بن العاص انى أريد أن اسرى بسرية فى طلب القوم فلعلى أن أجد فيهم فرصة أو غنيمة وأكون قد أخذت بثار ولدى فقال عمرو ان الحرب أمامك يا ابن الام فاذا رأيت الروم فلا تبق عليهم فقال خالد والله لأسيرن اليهم ثم أخذ خالد أهبته للسير وعزم أن يسير وحده فركب معه ثلثمائة فارس من فتيان حمير فساروا يومهم ذلك أجمع وأرادوا النزول فى الاودية ليعلقوا على دوابهم ويسيروا فى ليلتهم اذ نظر خالد بن سعيد الى اشباح على ذروة جبل هناك عالى منيع فقال لاصحابه انى أرى اشباحا على ذروة هذا الجبل ونحن فى هذا الوادى ثم قال كونوا فى أماكنكم ثم نزل عن فرسه وتقلد بسيفه والتصف بازاره وقال اعلموا ان القوم ما علموا بنا ولو نظروا الينا ما ثبتوا فى أماكنهم فمن منكم يبذل نفسه ويصنع كما أصنع قالوا كلنا لك قال فطافوا فى الجبل حتى اشرفوا على القوم وهم فى أماكنهم فعند ذلك قال خذوهم بارك الله فيكم فاسرع اليهم المسلمون فقتلوا منهم ثلاثين وأسروا أربعة فسألهم خالد بن سعيد واذا هم من انباط الشام فسألهم عن حالهم فقالوا نحن من أهل هذا البقيع والجامعه وكفر القرية وقد عظم علينا دخول العرب الى بلادنا وقد فزعنا منهم فزعا عظيما وقد هرب أكثرنا الى الحصون والقلاع وقد اعتصمنا نحن بهذا الجبل لان ما فى الرستاق أحصن منه فعلوتا عليه وأنتم كبستونا قال خالد فما بلغكم جيش الروم قالوا باجنادوهذا البطريق أقبل الينا ليأخذ الميره والعلوفة وقد جمعوا له الدواب والبغال والحمير تحمل الميرة وهم مع ذلك خائفين أن تلحقهم خيل العرب وهذا خبر قومنا ولا شك انهم رحلوا من يومهم قال فلما سمع خالد بن سعيد مقالاتهم قال غنيمة للمسلمين ورب الكعبة ثم قال اللهم انصرنا عليهم ثم سأل على أى طريق القوم ساروا قالوا هذا الطريق الذى أنتم عليها لانها أوسع الطرق كلها واما الميرة فانها مجموعة من حول البلاد فلما سمع خالد كلامهم قال لهم اسلموا فقالوا والله ما نعرف الا دين الصليب ونحن فلاحون قال فهم خالد بقتلهم فقال رجل من أصحابه دعهم يدلونا على الطريق الى ميرة القوم فأجابوهم الى ذلك وساروا وهم يدلون بهم الى تل عظيم قال فتواقعوا القوم وهم يحملون دوابهم حول التل ومعهم ستمائة لابس من القوم فلما نظر خالد الى ذلك قال لاصحابه اعلموا ان الله تعالى قد وعدكم بالنصر على عدوكم وفرض عليكم الجهاد وهذا جيش العدو امامكم فارغبوا فى ثواب

الله تعالى واسمعوا ما قال الله عز وجل ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا
كأنهم بنيان مرصوص وها أنا أحمل فاحملوا ولا يخرج أحد عن صاحبه ثم ان خالدا
حمل وحمل أصحابه قال فلما رأونا استقبلونا وانهزم من كان مع الدواب من الفلاحين
وصبرت الخيل لقتالنا ساعة من النهار قال فبينما ذو الكلاع الحميرى يغني أصحابه
ويقول يا أهل حمير أبواب الجنة قد فتحت والحور العين قد تزخرفت واذا بصاحب القوم
قد لقيه خالد فعرفه بلامته وحسن ذيه قال فاستقبله وصرخ فيه أرعبه ثم قال
يا لثارات ولدي سعيد وطعنه طعنة صادقة فجدله صريعا كأنه برج من حديد وما
بقي أحد الا قتل من الروم قال فلما رأوا الروم ذلك ولوا الادبار وركنوا الى الفرار وقتل
منهم ثلثمائة وعشرين فارسا وولى الباقون منهزمين وتركوا الاثقال والبغال والميرة
وأخذوا المسلمون الجميع بعون الله تعالى قال وأطلق سبيل الفلاحين وعاد خالد ومن
معه من الغنائم والميرة الى عمرو بن العاص ففرح بسلامتهم وشكر فعلهم وكتب
كتابا الى أبى بكر الصديق وذكر له ما جرى مع الروم وبعث الكتاب مع أبى عامر
الدوسي رضى الله عنه فأخذه وقدم به المدينة وأعطاه الى أبى بكر الصديق رضى الله
عنه فلما قرأه على المسلمين فرحوا وضجوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير
ثم ان أبا بكر استخبر عن أبى عبيدة فقال له عامر انه قد أشرف على أوائل الشام ولم يجسر
على الدخول اليها وانه سمع أن جيوش الالف قد اجتمعت من حول أجنادين أمم لا تحصى
وقد خاف على المسلمين أن يتوسط بهم عدوهم ولما سمع أبو بكر ذلك علم أن أبا عبيدة
بين العربكة ودونه لا يصلح لقتال الروم وعول أن يكتب الى خالد بن الوليد يوليه على
جيوش المسلمين وقتال الروم قال واستشار المسلمين فى ذلك قالوا الرأى ما تراه وكتب
كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عتيق بن أبى قحافة الى خالد بن
الوليد سلام عليك فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه
وسلم وانى قد وليتك على جيوش المسلمين وأمرتك بقتال الروم وان تسارع الى مرضات
الله عز وجل وقتال أعداء الله وكن ممن يجاهد فى الله حق جهاده ثم كتب يا أيها
الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم الآية وقد جعلتك الأمير على
أبى عبيدة ومن معه وبعث الكتاب مع نجم بن مقدم الكنانى فركب على مطيته
وتوجه الى العراق ورأى خالدا رضى الله عنه قد أشرف على فتح القادسية فدفع اليه
الكتاب ولما قرأه قال السمع والطاعة لله ولخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
ارتحل ليلا وأخذ طريقه عن اليمين وكتب كتابا الى أبى عبيدة يخبره بعزله وبسيره
الى الشام وقد ولانى أبو بكر على جيوش المسلمين فلا تبرح من مكانك حتى أقدم

عليك والسلام وبعث الكتاب مع عامر بن الطفيل رضى الله عنه وكان أحد أبطال المسلمين فأخذه وتوجه يطلب الشام وأما خالد لما وصل الى ارض السماوه قال أيها الناس ان هذه الارض لا تدخلوها الا بالماء الكثير لانها قليلة الماء ونحن فى جيش عظيم والماء عليكم قليل فكيف يكون الامر فقال له رافع بن عميرة الطاءى رضى الله عنه أيها الامير انى أشير عليك بما تصنع فقال يا رافع أرشدك الله بما نصنع وفقك الله للخير مولانا جل وعلا قال فأخذ رافع ثلاثين جملا وعطشها سبعة أيام ثم أوردها الماء فلما رويت حزم أفواهها ثم ركبوا المطايا وجنبوا الخيول وساروا فكانوا كلما نزلوا منزلا يأخذون عشرة من الابل يشقون بطونهم ويأخذون ما يجدون من الماء فى بطونها فيجعلون فى أحواض الادم فاذا برد سقوه للخيل وأكلوا اللحم ولم يزالوا كذلك حتى تمت الابل وفرغ الماء وقطعوا مرحلتين بلا ماء وأشرف خالد ومن معه على الهلاك فقال خالد لرافع بن عميرة يا رافع قد أشرفنا على الهلاك والتلف أتعرف لنا ماء ننزل عليه (قال الواقدى) وكان رافع رمدت عيناه فقال أيها الامير أنا رمد كما ترى ولكن اذا أشرفتم على أرض سهلة فأعلمونى قال فلما أشرفوا عليها أعلموا رافعا بذلك قال فرفع طرف عمامته عن عينيه وسار على راحلته يضرب يمينا وشمالا والناس من ورائه الى ان اقبل على شجرة من الاراك فكبر وكبر المسلمون ثم قال احفروا هنا قال فحفره العرب واذا الماء قد طلع كالبحر فنزل الناس عليه وشكروا الله تعالى وأثنوا عليه وعلى رافع خيرا ثم وردوا الماء وأسقوا خيلهم وابلهم ثم جدوا فى طلب من انقطع من المسلمين ومعهم القرب بالماء قال فسقوهم فارتجعت قوتهم ثم لحقوا بالجيش وأراحوا أنفسهم ثم فى ثانى يوم جدوا فى المسير الى أن بقى بينهم وبين أركة مرحلة واحدة فبينما هم كذلك اذ أشرفوا على حلة عامرة وأغنام وابل قد سدوا الفضاء والمستوى فاسرع المسلمون الى الحلة واذا براع يشرب الخمر والى جانبه رجل من العرب مشدود قال فتبينه المسلمون واذا هو عامر بن الطفيل الذى أرسله خالد قال فأقبل خالد بن الوليد مسرعا حتى وقف عليه فلما رآه تبسم وقال يا ابن الطفيل كيف كان سبب أسرك قال عامر أيها الملك الامير انى أشرفت على هؤلاء القوم فى هذه الحلة وقد أصابنى الحر والعطش فملت الى هذا الراعى ليسقينى من اللبن فوجدته يشرب خمرا فقلت له يا عدو الله تشرب الخمر وهى محرمة فقال لى يا مولاى انها ليست بخمر وانما هى ماء زلال فانزل كى تراه واستنشق فى الجفنة فان كانت خمرة فافعل ما بدا لك فلما سمعت كلامه انخت المطية ونزلت عن كورها وجلست على ركبتى فى الجفنة واذا أنا بالعبد قد دعانى بعصاة كانت الى جانبه وضربنى على رأسى فشجنى شجة موضحة فانقلبت على جانبى فاسرع العبد الى

وشدني كتافا وأوثقني رباطا وقال لي أطلب من أصحاب محمد بن عبد الله واست أو علك من بين يدي أو يقدم سيدي من عند الملك يقلب له ومن سيدك من العرب فقال القداح ابن وائلة وانى عند هذا السيد كما ترى مشربا بالخمر أحضرني كما ترى والتي على فضله من كأسه قال فلما سمع خالد بن الوليد كلام عامر بن الطفيل اشتد به الغضب ومال على العبد وضربه ضربة هائلة فتجدل صريعا ونهب المسلمون المال والاغنام والابل وقاموا الحلة بما فيها واطلق عامرا وقال له أين رسالتي يا عامر فقال يا مولاي هي في طرف عمامتي لم يعلم بها العبد فقال خالد انطلق بها يا عامر على بركة الله تعالى قال فركب عامر وسار يطلب الشام وارتحل خالد من موضعه ذلك فنزل بارك وهي رأس الامانة لمن يخرج من العراق وكانت الروم تملك بها القوافل وكان عليها بطريق من قبل الملك فنزل خالد عليها وأخذ ما كان فيها وتحصن أهلها بحصنها وكان يسكن فيها حكيم من حكماء الروم وقد طالع الكتب القديمة والملاحم فلما رأى المسلمين وجيشهم انخطف لونه وقال اقترب الوقت وحق ديني فقال أهل اركة وكيف ذلك قال إن عندي ملحمة فيها ذكر هؤلاء القوم وان أول راية تشرف من خيلهم هي الراية المنصورة وفيها هلاك الروم فانظروا ان كانت رايتهم سوداء وأميرهم عريض اللحية طويل ضخم بعيد ما بين المنكبين واسع الهيكل في وجهه أثر جدري فهو صاحب جيشهم في الشام وعلى يديه يكون الفتح قال فنظروا القوم واذا الراية على رأس خالد وهي كما قال حكيمهم قال واجتمعوا على بطريقهم وقالوا له أنت تعلم أن الحكيم سمعان لا ينطق الا بالحق والحكمة وقد قال كذا وكذا والذي وصفه لنا رأيناه عيانا ونرى من الرأى أن نعقد بيننا وبين العرب صلحا ونأمن على حريمنا وأنفسنا فلما سمع ذلك بطريقهم قال أخروني الى غد لأرى من الرأى قال فانصرفوا من عنده وبات البطريق يحدث نفسه ويدبر أمره وكان عارفا عاقلا خبيرا بالامور وقال ان أنا خالفتهم خفت أن يسلموني للعرب وقد تحقق أن روبيس صار بجيش عظيم فهزمهم العرب ولم يزل يراود نفسه الى أن أصبح الصباح فدعا قومه وقال على ماذا عولتم قالوا عولنا على ان نقيم الصلح بيننا وبين العرب فقال البطريق انا واحد منكم مهما فعلتم لا اخالفكم قال فخرج مشايخ اركة الى خالد وكلموه في الصلح فأجابهم الى الصلح وألان الكلام لهم وتلقاهم بالرحب والسعة فسمع ذلك أهل السخنة وبلغ الخبر لاهل تدمر وكان الوالي عليهم بطريق اسمه كوكب فجمع رعيته وقال لهم بلغني عن هؤلاء العرب انهم قصدوا اركة والسخنة وان قومنا يتحدثون بعدلهم وحسن سيرتهم وانهم لا يطلبون الفساد وهذا حصن مانع لا سبيل لاحد علينا ولكن نخاف على نخلنا وزرعنا وما يضرنا ان نصالح العرب فان كانوا

قومنا لهم الغالبون فسخناصحيحهم وان كانوا العرب ظافرين كنا آمنين قال ففرح قومه بذلك وهيئوا العلوفة والضيافة حتى خرج خالد رضي الله عنه من امرك ونزل عليهم فخرجوا اليه بالخدمة وصالحهم على ثلثمائة أوقية من الذهب وكتب لهم كتابا بالصلح ثم ارتحل عنها الى حوران وبلغ عامر بن الطفيل كتاب خالد الى أبي عبيدة فلما قرأه تبسم وقال السمع والطاعة لله تعالى وللخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اعلم المسلمين بعزله وولاية خالد بن الوليد وكان أبو عبيدة وجه شرحبيل بن حسنة كاتب وحي رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بصرى في أربعة ألف فارس قال فسار على فنائها وكان على بصرى بطريق عظيم الشان والقدر عند الملك وعند الروم اسمه روماس وكان قرأ الكتب السالفة والاخبار الماضية وكان يجتمع اليه الروم من أقصى بلادها ينظرون الى عظيم خلقته ويسمعون ألفاظ حكمته وكانت أهله بالخلق عامرة بالناس وكان فيها الف فارس وكانت العرب يقصدونهم ببضائعهم وتجاراتهم من أقصى اليمن وبلاد الحجاز فاذا كان في أيام الموسم ينصب لبطريقهم كرسي ليجلس عليه ويجتمع الناس اليه ويستفيدون من علمه وحكمته فبيناهم قد اجتمعت اليه واذا وقعت الضجة بقدوم شرحبيل بن حسنة وعسكره فبادر الى جواده فركبه وصاح في قومه فأجابوه وقال لا تفندوا حتى نسمع كلام القوم وما عندهم ثم سار حتى قرب من شرحبيل بن حسنة وجيشه ونادى يامعاشر المسلمين أنا روماس واني أريد صاحبكم قال فخرج اليه شرحبيل فلما اقرب منه قال البطريق من أنتم قال شرحبيل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم النبي الامي القرشي الهاشمي المبعوث في التوراة والانجيل فقال روماس مافعل الله به فقال شرحبيل قبضه الله اليه فقال البطريق فمن ولى الامر بعده قال عتيق بن أبي قحافة بن بكر بن تيم بن مرة فقال روماس وحق ديني لقد أعلم لانكم على الحق ولا بدلكم أن تملكوا الشام والعراق وانا أشفق عليكم اذ أنتم في جمع يسير ونحن في جمع كثير ولكن ارجعوا الى بلادكم فانا لا نتعرض لكم واعلم ياأخا العرب ان أبابكر هو صاحبي ورفيقي ولو كان حاضرا ماقاتلني فقال شرحبيل لو كان ولده أو ابن عمه لماعفى عنه الا أن يكون من أهل ملته وليس له من الامر شئ لانه مكلف وقد أمره الله أن يجاهدكم ولسنا نبرح عنكم الا باحدى ثلاث اما أن تدخلوا في ديننا أو تؤدوا الجزية أو السيف فقال روماس وحق ما أعتقده من ديني لو كان الامر الى ماأقاتلكم لاني أعلم لانكم على الحق وهؤلاء طواغية الروم وقوم مجتمعة واني أريد أن أرجع اليهم وأنظر ماعندهم فقال شرحبيل ارجع اليهم فلا بدلكم مما ذكرت قال فعاد روماس الى قومه وجمعهم وقال ياأهل دين النصرانية وبني ماء المعمودية ان

الذى كنتم تعتقدونه فى كتبكم من الخروج من بلادكم ودياركم ونهب أموالكم قد قرب وهذا وقته وزمانه واستم باعظم جيش من روبيس سار الى شرذمة من العرب بارض فلسطين فقتل وقتل من معه وانهزم الباقون ولقد بلغنى ان رجلا منهم خرج من أرض السماوة صوب العراق اسمه خالد بن الوليد وقد فتح اركة والسخنة وتدمر وحوران وهو عن قريب يحصر اليكم والصواب ان تؤدوا الجزية عن يد الى هؤلاء العرب وينصرفون عنكم قال فلما سمع اقومه ذلك غضبوا وشوشوا وهموا بقتله فقال روماس يا قوم انما أردت ان اختبركم وارى حمية دينكم والآن دونكم والقوم وأنا فى أولكم قال فرجعت الروم الى عددها وعديدها وتظاهروا بالدروع البيض وقادوا الجنائب وتهيؤا للحملة فلما رأى شرحبيل بن حسنة ذلك وعظ أصحابه وقال اعلموا رحمكم الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجنة تحت ظل السيوف وأحب ما تقرب الى الله قطرة دم فى سبيل الله أو دمعة جرت فى جوف الليل من خشية الله قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون ثم حمل وحمل المسلمون على جيش بصرى قال عبد الله ابن هدى واجتمع علينا العدو وطمعوا فينا وحملوا علينا فى اثنى عشر ألف فارس من الروم ونحن فيهم كالشامة البيضاء فى جلد البعير الاسود وصبرنا لهم صبر الكرام ولم يزل القتال بيننا وبينهم الى ان توسطت الشمس فى قبة الفلك وقد طمع العدو فينا فرأيت شرحبيل بن حسنة قد رفع يده الى السماء وهو يقول يا حى يا قيوم يا بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام اللهم انصرنا على القوم الكافرين قال فوالله ما استتم شرحبيل كلامه ودعاءه حتى جاء النصر من عند الله العزيز الحكيم وذلك ان القوم داروا بنا اذ رأينا غبرة قد أشرفت علينا من صوب حوران فلما قربت منا رأينا تحتها سوابق الخيل ولاحت لنا الاعلام الاسلامية والرايات المحمدية وقد سبق الينا فارسان أحدهما يقول ويزعق يا شرحبيل يا ابن حسنة أبشر بالنصر لدين الله أنا الفارس الصنديد والبطل المجيد أنا خالد بن الوليد والآخر يزعق ويقول أنا عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وأشرفت العساكر من كل جانب قال وأشرفت راية العقاب يحملها رافع بن عميرة الطائى قال حدثنا سالم بن عدى عن ورقاء بن حسان العامرى عن ميسرة بن مسروق العبسى قال والله لقد خمدت أصوات الروم عند زعقة خالد رضى الله عنه وأقبل المسلمون يسلم بعضهم على بعض وأقبل شرحبيل بن حسنة الى خالد بن الوليد وسلم عليه فقال خالد يا شرحبيل أما علمت ان هذه مدينة الشام والعراق وفيها عساكر الروم وبطارقهم فكيف غررت بنفسك وبمن معك من المسلمين قال كله بأمر أبى عبيدة فقال خالد أما أبو عبيدة فانه

رجل خالص النية وليس عنده غائلة الحرب ولا يعلم بعواقبها ثم أمر الناس بالراحة فنزلوا وارتحلوا من أزوارهم فلما كان في اليوم الثاني زحفت جيوش بصرى على المسلمين فقال خالد ان الروم زحفوا علينا بتعبنا وتعب خيولنا فاركبوا بارك الله فيكم واحملوا على بركة الله تعالى قال فركب المسلمون وأخذوا أهبتهم للحرب فجعل في الميمنة رافع بن عمير الطائي وجعل في الميسرة ضرار بن الازور وكان غلاما فاتكا في الحرب وجعل على الدرك عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ثم قسم جيش الزحف فجعل على شطره المسيب بن نجبة الفزاري وعلى الشطر الآخر مذعور بن غانم الاشعري وأمرهم ان يزفوا الخيل اذا حملت قال وبقي خالد في الوسط وهو يعظ الناس ويوصيهم وقد عزموا على الحملة واذا بصفوف الروم قد انشقت وخرج من وسطها فارس عظيم الخلقة كثير الزينة يلمع ما عليه من الذهب الاحمر واليا قوت فلما توسط الجمعان نادى بلسان عربي كأنه بدوي يا معاشر العرب لا يبرز لي الا أميركم فأنا صاحب بصرى قال فخرج اليه خالد رضي الله عنه كالاسد الضرغام وقرب منه فقال له البطريق أنت أمير القوم قال كذلك يزعمون أني أميرهم مادمت على طاعة الله ورسوله فان عصيته فلا امارة لي عليهم قال البطريق اني رجل عاقل من عقلاء الروم وملوكهم وان الحق لا يخفى على ذي بصيرة واعلم اني قرأت الكتب السابقة والاخبار الماضية فوجدت ان الله تعالى يبعث نبيا قرشيا اسمه محمد بن عبد الله قال خالد والله نبينا قال أنزل عليه الكتاب قال نعم القرآن قال روماس البطريق أحرم عليكم فيه الخمر قال خالد نعم من شربها حددناه ومن زنى جلدناه وان كان محصنا رجمناه قال أفرضت عليكم الصلوات قال نعم خمس صلوات في اليوم والليلة قال أفرض عليكم الجهاد قال خالد ولولا ذلك ماجئنا كم نبغي قتالكم قال روماس والله اني لاعلم انكم على الحق واني أحبكم وقد حذرت قومي منكم فأبوا واني خائف منكم فقال خالد فقل أشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله يكون لك مالنا وعليك ماعلينا فقال اني أسلمت وأخاف أن يعلموا هؤلاء بقتلي وسبي حريمي ولكن أنا اسير الى قومي وأرغبهم فلعل الله ان يهديهم فقال خالد ان رجعت الى قومك بغير قتال يكون بيني وبينك خفت عليك ولكن احمل علي حتى لا يتهموك وبعد ذلك اطلب قومك فقال فحمل بعضهم على بعض وأرى الفريقين ابوابا من الحرب حتى ابهر روماس فقال لخالد شد على الحملة حتى يرى الله الدريجان فاني خائف عليك من بطريق بعث به الملك يقال له الدريجان فقال خالد ينصرنا الله عليه ثم شد على روماس الحملة حتى انه انهزم من بين يديه الى قومه فلما وصل الى قومه قال ما الذي رأيت من العرب قال ان العرب أجلاد مالكم بقتالهم

طاقة ولابد لهم أن يملكوا الشام وما تحت سرير هذا فادخلوا تحت طاعتهم وكونوا مثل
الركة والسفنة قال فلما سمعوا كلامه زجروه وأرادوا قتله وقالوا له ادخل المدينة والزم
قصرك ودعنا لقتال العرب فانصرف روماس وقال لعل الله ينصر خالدا ثم أن أهل
بصرى ولوا عليهم الدريجان وقالوا اذا فرغنا من المسلمين سرنا معك الى الملك ونسأله
أن ينزع روماس ويوليك علينا قال الدريجان وما الذى تريدون قالوا نحمل ونطلب قتال
العرب قال فخرج الدريجان وطلب خالدا فقال عبد الرحمن لخالد يا أمير أنا أخرج اليه
فقال دونك يا ابن الصديق فخرج عبد الرحمن وحمل على الدريجان فما لبثوا غير ساعة
وقد أحس الدريجان من نفسه التقصير فولى منهزما وراح الى قومه فلما رأوا ذلك منه
نزل الرعب فى قلوبهم وعلم خالد ما عند القوم من الفزع فحمل وحمل عبد الرحمن بن
أبى بكر الصديق وحمل المسلمون فلما نظر أهل بصرى الى حملة المسلمين حملوا وتلاقت
الفريقان وضجت الرهبان بكلمة كفرهم فقال شرحبيل بن حسنة اللهم ان هؤلاء
الانجاس يتهالون بكلمة كفرهم ويدعون معك اله آخر لا اله الا أنت ونحن نبتهل
اليك بلا اله الا أنت وأن محمدا عبدك ورسولك الا ما نصرت هذا الدين على أعدائك
المشركين ثم حملوا حملة واحدة فلم يكن للروم ثبات مع العرب فولى المشركون ثم حملوا
حملة واحدة فلم يكن للروم ثبات مع العرب فولى المشركون الادبار وركنوا الى الفرار
فلما حصلوا داخل المدينة اغلقوا الابواب وتحصنوا بالاسوار ورفعوا الصلبان وعولوا
أن يكتبوا للملك ليمدهم بالخيل والرجال قال عبد الله بن رافع فلما تحصنوا القوم رجعنا
عنهم وافتقدنا أصحابنا فوجدناه قد قتل منا مائة وثلاثون فارسا وقتل من الاعيان
بدر بن قال وغنم المسلمون الاموال وصلى خالد على الشهداء وأمر بدفنهم فلما كان الليل
تولى الحرس عبد الرحمن بن أبى بكر ومعمر بن راشد ومائة من جيش الزحف
فبيناهم يدورون حول العسكر واذا بروماس صاحب بصرى قد أقبل عليهم وقال لهم
أين خالد بن الوليد فاخذوه وأتوا به الى خالد فلما رآه رحب به فقال أيها الامير مذ أن
فارقتك طردونى قومى وقالوا الزم قصرك والا قتلناك فلزمت قصرى وهو ملاصق
للسور ولما وقع لهم ما وقع وانهزموا وتحصنوا فلما جن الليل أمرت غلمانى بحفر السور
وفتحوا فيه بابا فأتيتك فأرسل معى من تعتمد عليه من أصحابك تستلمون المدينة فلما سمع
خالد هذا الكلام أمر عبد الرحمن بن ابى بكر أن يأخذ مائة من المسلمين ويسيرون مع
روماس قال ضرار بن الازور وكنت ممن دخل المدينة فلما صرنا فى قصر روماس فتح لنا
خزانة السلاح فلبسنا من سلاحهم وقسمنا أربعة أقسام كل جانب خمسة وعشرون
رجلا وقال لنا عبد الرحمن اذا سمعتم التكبير فكبروا فلما صرنا حيث أمرنا أخذ اعلى

أنفسنا بالحملة على القوم (قال الواقدى) بلغنى ممن أثق به من الرواة أن عبد الرحمن لما فارق أصحابه لبس سلاحه وسار هو وروماس يطلبون الدرج الذى عليه الديرجان وسار معهم ضرار ورافع وشرحبيل بن حسنة فلما قرب عبد الرحمن من الدرج الذى فيه الديرجان فقال الديرجان من أنتم فقال أنا روماس فقال لا أهلا ولا مرحبا بك ومن الذى معك قال معى صديق لك ومشتاق الى رؤيتك قال ويحك ومن هو يا روماس قال هذا ابن أبى بكر الصديق فلما سمع الديرجان ذلك هم أن يقتله فلم تطاوعه نفسه فحمل عليه عبد الرحمن وهز سيفه فى وجهه وضربه على عاتقه فتجندل صريعا يخور فى دمه وعجل الله بروحه الى النار قال وكبر عبد الرحمن فأجابه روماس وسمعوا أصحابه التكبير فكبروا من جوانب بصرى قال وأجابتهم الاحجار والاشجار قال وكبر المسلمون من جوانب بصرى ووضعوا السيف فى الروم وسمع خالد التكبير فصرخوا واذا بغلمان روماس وأولاده قد فتحوا لهم الابواب فعبر خالد ومن معه من المسلمين فلما نظر أهل بصرى الى الابواب وقد فتحت بالسيف قهرا ضجوا بأجمعهم يقولون الامان الامان فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه ارفعوا السيف عنهم وأقام خالد الى الصباح واجتمع اليه أهلها وقالوا يا أيها الامير لو صالحناك ما جرى شىء من ذلك ولكن نسألك بالذى أيدك ونصرك ما الذى فتح لك أبواب مدينتنا فاستحى خالد رضى الله عنه أن يقول فوثب روماس وقال أنا فعلت ذلك يا أعداء الله وأعداء رسوله وما فعلته الا ابتغاء مرضات الله وجهادا فيكم فقالوا أولست منا فقال اللهم لا تجعلنى منهم رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبالكعبة قبلة وبالقرآن اماما وأنا أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قال ففرح خالد بذلك وأما أهل بصرى فغضبوا من كلامه وأضمروا له شرا وعلم بذلك روماس فقال لخالد أنا لا أريد المقام عندهم وانى أسير معك حيث سرت فاذا فتح الله على يديك الشام وصار لكم الامر ردونى اليها لان الوطن عزيز (قال الواقدى) حدثنى معمر بن سالم عن جده قال كان روماس يجاهد معنا جهادا حسنا حتى فتح الله على أيدينا الشام فكان أبو عبيدة يكاتب به عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى أيامه فولاه على بصرى فلم يلبث الا يسيرا حتى توفى رحمه الله وخلف عقبا يذكر به قال وأمر خالد رجالا يعينونه على اخراج رحله وماله من المدينة ففعلوا ذلك واذا بزوجته تخاصمه وتطلب فراقه فقال لها المسلمون ما الذى تريدين قالت أريد أمير جيشكم يحكم بيننا فجاؤا بها الى خالد فقالت له انا نستغيث بك من روماس فقال لها خالد وكيف ذلك فقالت انى كنت البارحة نائمة اذ رأيت شخصا ما رأيت أحسن منه وجها كان كالبدر يلمع من بين عينيه وكأنه يقول ان المدينة

فتحت على يد هؤلاء القوم والشام والعراق فقلت له ومن أنت ياسيدي قال أنا محمد رسول الله ثم دعاني الى الاسلام فأسلمت ثم علمني سورتين من القرآن قال فحدث الترجمان خالداً بما كان منها فقال خالد ان هذا العجيب ثم قال خالد للترجمان قل لها تقرأ السورتين فقرأت الفاتحة وقل هو الله أحد ثم جددت اسلامها على يد خالد ابن الوليد وقالت يا أيها الامير مارجع روماس الى هذا والا يتركني أعيش بين المسلمين قال فضحك خالد من قولها وقال سبحان الله الذي وفقهما جميعا ثم قال للترجمان قل لها ان روماس أسلم قبلها ففرحت بذلك ثم ان خالداً أحضر أهل بصرى وقررهم على أداء الجزية وولى عليهم من اتفق رأيه عليه ثم كتب الى أبي عبيدة كتابا يبشره بالفتح ويقول له ياصاحب رسول الله قد ارتحلنا الى دمشق فالحقنا اليها ثم كتب كتابا آخر الى أبي بكر الصديق يخبره برحيله ويوم كتبت اليك هذا الكتاب ارتحلت الى دمشق فادع لنا بالنصر والسلام عليك ومن معك ورحمة الله وبركاته ثم بعث الكتابين كلاهما ثم ارتحل خالد الى نحو دمشق حتى أشرف على موضع يقال له الثنية فوقف هناك وأركز راية العقاب فسميت بذلك ثنية العقاب ثم ارتحل منها الى الدير المعروف الآن بدير خالد وكان أهل السواد قد التجؤا الى دمشق وقد اجتمعت خلائق وأمم لا تحصى من الرجال وأما أصحاب الخيل فكانوا اثني عشر ألف وقد زينوا أسوارهم بالطوارق والبيارق والصلبان وأقام خالد على الدير ينتظر قدوم المسلمين (قال الواقدي) واتصلت الاخبار الى الملك هرقل وما فتح خالد من الشام وكيف قدم على دمشق فغضب وجمع البطارقة وقال يابني الاصفر قد قلت لكم وحذرتكم فأبيتم وهؤلاء العرب قد فتحوا أركة وتدمروا السخنة وبصرى وقد توجهوا الى الربوة يعني ففتحوها فواكرباه لان دمشق جنة الشام وقد سارت اليها الجيوش وهم أضعاف العرب ثم قال أيكم يتوجه الى قتال العرب ويكفيني أمرهم فان هزمهم أعطيته مافتحوه ملكا فقال بطريق من البطارقة اسمه كلوس ابن حنا وكان من فرسانهم وقد عرفت شجاعته في عسكر الروم والفرس فقال أيها الملك أنا أكفيك وأردهم على أعقابهم منهزمين قال فلما سمع الملك قوله سلم اليه صليبا من الذهب وقدمه على خمسة آلاف فارس وقال له قدم صليبك أمامك فانه ينصرك قال فأخذه كلوس وسار من يومه من انطاكية الى أن وصل حمص فوجدها مزينة بالسلاح فلما بلغ أهلها قدومه خرجوا الى لقائه وقد خرجت الاقسة والرهبان واستقبلوه ودعوا له بالنصر وأقام بحمص يوما وليلة ثم ارتحل الى مدينة بعلبك فخرج اليه النساء لاطمات الخدود وقالوا أيها السيد ان العرب فتحوا أركة وحوران وبصرى فقال لهم كيف قدرت العرب على حوران وبصرى فقالوا أيها السيد

ان

ان الذى ذكرتهم لم يبرحوا من أماكنهم وان هذا الرجل قد أقبل من العراق وهو الذى فتح اركة فقال وما اسمه قال خالد بن الوليد قال فى كم يكون معه من العساكر قال فى ألف وخمسمائة فارس فقال وحق المسيح لاجعلن رأسه على رأس سنانى ثم رحل فلم ينزل الا بدمشق وكان واليها بطريق من قبل الملك هرقل اسمه عزازير فلما قدم كاوس اجتمع عليه عزازير وأصحابه وقرؤا عليهم منشور الملك ثم قال لهم أتريدون أنى أقاتل عدوكم وأصد عن بلادكم قالوا نعم فقال أخرجوا عزازير عنكم حتى أكون وحدى فى هذا الامر فقالوا أيها السيد وكيف ينبغى أن يخرج صاحبنا من بلدنا وهذا العدو قاصد الينا قال فغضب عزازير فى قلب كاوس من كلامه وقد اتفق رأيهم على أن كل واحد يقاتل العرب يوم وقد ثبتت عداوة عزازير فى قلب كاوش (قال الواقدى) ولقد بلغنى أنهم كانوا يخرجون كل يوم من باب الجابية مقدار فرسخ ينظرون قدوم أبى عبيدة بن الجراح فلم يشعروا حتى قدم اليهم خالد بن الوليد من نحو الثنية *قال حدثنا يسار بن محمد قال أخبرنا رفاعة بن مسلم قال كنت فى جيش خالد بن الوليد لما نزل على الدير المعروف به واذا بجيش الروم قد زحف علينا وهو كالجراد المنتشر فلما نظر خالد ذلك تدرع بدرع مسلمة ثم صرخ فى وجه المسلمين وقال هذا يوم ما بعده وهذا العدو قد زحف بخيله فدونكم والجهاد فانصروا الله ينصركم وكونوا ممن باع نفسه لله عز وجل وكأنكم باخوانكم المسلمين وقد قدموا عليكم مع أبى عبيدة بن الجراح ثم بعد ذلك استقبل الجيش وصرخ بملء رأسه فارعب المشركين من صرخته وحمل شرحبيل بن حسنة وعبد الرحمن بن أبى بكر وضرار الازور وقد حمل ضرار ولم يول عنهم بل قتل من الميمنة خمسة فرسان ومن الميسرة كذلك ثم حمل ثانى مرة فقتل منهم ستة فرسان ولولا سهام القوم لما ردعن قتالهم فشكره خالد بن الوليد وقال لعبد الرحمن ابن أبى بكر رضى الله عنه احمل بارك الله فيك قال فحمل عبد الرحمن وفعل كما فعل ضرار بن الازور وقاتل قتالا شديدا ثم حمل من بعده خالد بن الوليد ورفع رمحه ووارى العسكر من أمور الحرب حتى انجزع الروم من شجاعته فلما نظر اليه البطريق كلوس علم أنه أمير الجيش وعلم أنه يقصده فتأخر كاوس الى ورائه من مخافته فلما نظر خالد الى قهقرة كاوس الى ورائه حمل عليه ليرده فوقعت عليه البطارقة ورموه بالسهام فلم يلتفت اليهم خالد ولم يعبأ بهم ولم يرجع حتى قتل عشرين من الروم ثم أثنى بجواده بين الصفين وجال بجواده بين الفريقين وطلب البراز فلم يجبه أحد فقال أخرجوا منكم فقال ويلكم ها أنا رجل واحد من العرب وكلنا فى الحرب سواء فما منهم من فهم كلامه فأقبل عزازير على كاوس وقال له أليس الملك قد قدمك على جيشه وبعثك الى قتال

هؤلاء العرب فدونك ماهي عن بلدك ورعيتك فقال كلوس أنت أحق مني بذلك لانك أقدم مني وقد عزمت انك لاتخرج الا باذن الملك هرقل وما بالك لاتخرج الى قتال أمير العرب وقد تشحا فقالوا لهم العسا كرتقارعا فمن وقعت عليه القرعة فلينزل الى قتال أمير العرب فقال كلوس لابل نحمل جميعا فهو أحب لنا قال وخاف كلوس أن يبلغ الملك ذلك فيطرده من عنده أو يقتله قال فتقارعا فوقعت القرعة على كلوس وقال عزازير أخرج وبين شجاعتك فقال كلوس لاصحابه أريد أن تكون هممكم عندي فان رأيتم مني تقصيرا احملوا وخلصوني فقال أصحابه هذا كلام عاجز لا يفلح أبدا فقال ياقوم ان الرجل بدوي ولغته غير لغتي فخرج معه رجل اسمه جرجيس وقال له أنا أترجم لك فسار معه فقال كلوس اعلم ياجرجيس ان هذا رجل أهل شجاعة فان رأيته غلبني فاحمل أنت عليه حتى نقضي يومنا معه ويخرج له غدا عزازير فيقتله ونستريح منه وأتخذك أنا صديقي فقال له ما أنا أهل حرب وانما أجزعه بالكلام قال فسكت وساروا حتى قربوا من خالد ونظر اليهما وهم اشاف قال فهم أن يخرج اليهما رافع بن عميرة فزعق فيه خالد وقال مكانك لاتبرح فاني كفؤلهما فلما دنوا من خالد قال كلوس لصاحبه قل له من أنت وما تريد وخوفه من سطواتنا فقرب جرجيس من خالد وقال له ياأخا العرب أنا أضرب لك مثلا ان مثلكم ومثلنا كمثل رجل له غنم فسلمها الى راعي وكان الراعي قليل الجراءة على الوحوش فأقبل عليه سبع عظيم فجعل يلتقط منه كل ليلة رأسا الى أن انقضت الاغنام والسبع ضريء عليها ولم يجد له مانعا عنها فلما نظر صاحب الغنم ماحل بغنمه علم أنه لم يؤت الا من الراعي فانتدب لغنمه غلاما صبيا فسلمه الغنم فكان كل ليلة يكثر الطوفان حول الغنم فبينما الغلام كذلك اذ أقبل السبع على عادته الاصلية واخترع الغنم فهجم الغلام على السبع وبيده مجدل فضربه فقتله ولم يقرب الغنم وحش بعدها وكذلك أنتم تهاونوا بأمركم لانه ما كان أضعف منكم لانكم جياع مساكين ضعفاء وتعودتم بأكل الذرة والشعير ومص النوى فلما خرجتم الى بلادنا وأكلتم طعامنا وفعلتم مافعلتم وقد بعث لكم الملك رجالا لاتقاس بالرجال ولا تكترث بالابطال ولاسيما هذا الرجل الذي بجانبي فاحذر منه أن ينزل بك ما أنزل الغلام بالاسد وقد سألني أن أخرج اليك وأتلطف بك في الكلام فاخبرني ما الذي تريد قبل أن يهجم عليك هذا الفارس فلما سمع خالد منه ذلك قال ياعدو الله والله لاتحسبكم عندنا في الحرب الا كقابض الطير بشبكه وقد قبضها عيا وشمالا فلم يخرج الامن افلت منهم وأما ماذكرت من بلادنا وأنها بلاد قحط وجوع فالامر كذلك الا أن الله تعالى أبدلنا ماهو خير منه والله أبدلنا بدل الذرة الحنطة والفواكه والسمن

والعسل وهذا كله قد رضيه النار بنا وعدنا بها على لسان نبيه وأما قولك ما الذى تريدون منا فنريد منكم احدى ثلاث خصال اما أن تدخلوا فى ديننا أو تؤدوا الجزية أو القتال وأما قولك ان هذا الرجل الذليل الذى هو عندكم مسكين فهو عندنا أقل القليل وان يكن هو ركن الملك فأنا ركن الاسلام أنا الفارس الصنديد أنا خالد بن الوليد أنا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال الواقدى) رحمه الله تعالى فلما سمع جرجيس كلام خالد تأخر الى ورائه وقد تغير لونه فقال له كلوس ياويلك رأيك فى بدايتك تهتم كالسبع فمالك قد تأخرت فقال وحق المسيح ما أعلم أنه الفارس الجحجاح وبطلهم الفصاح هذا صاحب القوم الذى ملأ الشام شرا فقال كلوس ياجرجيس اسأله أن يقطع الحرب بيننا الى غد فالتفت الى خالد وقال له ياسيد قومك هذا صاحبى يريد يرجع الى قومه ليشاورهم فقال خالد ويحك أتريد تخدعنى بالكلام وأقبل رمحه فى وجه جرجيس فلما نظر جرجيس ذلك انعقد لسانه وولى هاربا فلما رأى خالد ذلك طلب كلوس وحمل عليه وتطاعنا واحترز البطريق من طعنات خالد فلما نظر خالد احتراز البطريق حط يده فى أطواقه وجذبه اقتلعه من سرجه فلما نظر المسلمون فعل خالد كبروا بأجمعهم وتسابق الفرسان الى خالد فلما قربوا منه رمى لهم البطريق وقال أوثقوه كتافا فصار يبربر بلسانه فأتوا له المسلمون بروماس صاحب بصرى وقالوا له اسمع ماذا يقول فقال لهم يقول لكم لا تقتلونى فانى أجبت صاحبكم فى المال والجزية فقال خالد استوثقوا منه ثم نزل عن جواده وركب جواد أهداه له صاحب تدمر وعزم أن يهجم على الروم فقال ضرار بن الازور أيها الامير دعنى أنا أحمل على القوم حتى تستريح أنت فقال ياضرار الراحة فى الجنة غدا ثم عول خالد على الحملة فصاح به البطريق كلوس وقال وحق دينك ونبيك الا ما رجعت الى حتى أخاطبك فرجع خالد اليه وقال لروماس اسأله ما يريد فقال اعلمه انى صاحب الملك وقد بعثنى اليكم فى خمسة آلاف فارس لاردكم عن بلده وأهله ورعيته وقد تحاججت أنا وعزازير متولى دمشق وقدم الى معه كذا وكذا وأنا أسألك بحق دينك اذا خرج اليك فاقتله وان لم يخرج اليك فاستدعى به واقتله فانه رأس القوم فان قتلته فقد ملكت دمشق فقال خالد لروماس قل له انا لا نبقى عليك ولا عليه ولا على من أشرك بالله تعالى ثم انه بعد ذلك الكلام حمل وهو ينشد ويقول

لك الحمد مولانا على كل نعمة ❁ وشكرا لما أوليت من سابغ النعم
مننت علينا بعد كفر وظلمة ❁ وأجرتنا من حندس الظلم
وأكرمتنا بالهاشمى محمد ❁ وكشفت عنا ما نلاقى من الهمّ

فتمم اله العرش ماقدنرومه * ويجعل لاهل الشرك بالبؤس والنقم
والقيهم وارني سريعا بغيهم * بحق طه المصطفى سيد العرب والعجم

(قال الواقدي) لقد بلغني من أثق به أنه لما ولى جرجيس هاربا من بين يدي خالد الى أصحابه ورأوه يرتعد من الفزع فقالوا والله ما وراءك فقال يا قوم ورائي الموت الذي لا يقابل والليث الذي لا ينازل وهو أمير القوم وقد آل على نفسه أن يطلبنا أين ما كنا وما خلصت روحي الا بالجهد فصالحوا الرجل قبل أن يحمل عليكم بأصحابه فلا يبقى منكم أحدا فقالوا والله ما يكفيك انك انهزمت وقد هموا بقتله فبينما هم كذلك اذ أقبل أصحاب كلوس على عزازير وهم خمسة آلاف وصاحوا به وقالوا والله ما أنت عند الملك أعز من صاحبنا وقد كان بيننا وبينك شرط فاخرج أنت الى خالد واقتله أو اسره وخلص لنا صاحبنا والا وحق المسيح والمذبح والذبيح فلو شناك بالحرب فقال عزازير قد رجع الى مكره ودهاه يا ويلكم أتظنون أني جزعت من الخروج الى هذا البدوي من أول مرة ولكني لم أردت الخروج اليه وتقاعدت عن قتاله حتى يبان عجز صاحبكم وسوف ينظر الفريقان أينا أفرس وأشجع وأثبت في مقام القتال اذا نحن تشابكنا بالنصال ثم انه في الحال ترجل عن جواده ولبس لامته وركب جوادا يصلح للجولان وخرج الى قتال سيدنا خالد بن الوليد الفارس الصنديد رضي الله عنه فلما قرب منه قال يا أخا العرب أدن مني حتى أسألك وكان الملعون يعرف العربية فلما سمع خالد ذلك قال يا عدو الله أدن أنت على أم رأسك ثم هم أن يحمل عليه فقال على رسلك يا أخا العرب أنا أدنو منك فعلم خالد أن الخوف داخله فأمسك عنه حتى قرب منه فقال يا أخا العرب ما حملك أن تحمل أنت بنفسك أما تخشى الهلاك فلو قتلت بقيت أصحابك بلا مقدم فقال خالد يا عدو الله قد رأيت ما فعل الرجلان من أصحابي لو تركتهم لهزموا أصحابك بعون الله تعالى واعلم ان معي رجال وأي رجال يرون الموت مغنما والحياة مغرما ثم قال له خالد من أنت فقال أوما سمعت باسمي أنا فارس الشام أنا قاتل الروم والفرس أنا كاسر عساكر الترك فقال خالد ما اسمك فقال أنا الذي تسميت باسم ملك الموت اسمي عزرائيل (قال الواقدي) فضحك خالد من كلامه وقال يا عدو الله تخوفني ان الذي تسميت باسمه هو طالبك ومشتاق اليك ليرديك الى الهاوية فقال له البطريق ما فعلت بأسيرك كلوس فقال هو موثوق بالقيود والاغلال فقال له عزرائيل وما منعك من قتله وهو داهية من دواهي الروم فقال خالد منعني من ذلك حتى أقتلكما جميعا فقال عزرائيل هل لك أن تأخذ ألف مثقال من الذهب وعشرة أثواب من الديباج وخمسة رؤس من الخيل وتقتله وتأتيني برأسه فقال له خالد هذه دينه فما الذي

تعطيني أنت عن نفسك قال فغضب عدو الله من ذلك وقال . الذي تأخذ مني قال
الجزية وأنت صاغر ذليل فقال عزرائيل كلما زدنا في كرامتكم زدتم في اهانتنا فخذ
الآن لنفسك الحذر فاني قاتلك ولا أبالي فلما سمع خالد كلام عزرائيل حمل عليه حملة
عظيمة كأنه شعلة نار فاستقبله البطريق وقد أخذ حذره وكان عزرائيل ممن يعرف
بالشجاعة في بلاد الشام فلما نظر خالد الى عدو الله أظهر شجاعته وبراعته تبسم فقال له
عزرائيل وحق المسيح لو أردت الوصول اليك لقدرت على ذلك ولكنني بقيت عليك
لاني أريد أستيسرك ليعلم الناس أنك أسيري وبعد ذلك أطلق سبيلك على شرط انك
ترحل من بلادنا وتسلم لنا ما أخذت من بلاد الشام فلما سمع خالد كلام عزرائيل قال له
يا عدو الله قد داخلك الطمع فينا وهذه العصابة وتدمر وحوران وبصرى وهم ممن باعوا
أنفسهم بالجنة واختاروا دار البقاء على دار الفناء وستعلم أين منا من يملك صاحبه
ويذل جانبه ثم ان خالد أورى للبطريق أبواب الحرب قال فندم عزرائيل على من كان
منه من الكلام وقال يا أخا العرب أما تعرف الملاعبة فقال خالد ملاعبتي الضرب
في طاعة الرب ثم ان الملعون هاجم خالد ولوح اليه بسيفه وضربه به فلم يقطع شيأ
فاندهل عدو الله من جولان خالد وثباته وعلم أنه لا يقدر عليه ولا على ملاقاته فولى
هاربا وكان جواده أسبق من جواد خالد قال عامر بن الطفيل رضي الله عنه وكنت
يوم حرب دمشق في القلب وشاهدنا ما جرى بين خالد وعزرائيل لما ولى هاربا وقصر
جواد خالد عن طلبه فوقع في قلبه الطمع وقال كان اليدوي خاف مني ومالي الآن
أقف حتى يلحقني وآخذه أسيرا واهل المسيح ينصرني عليه فلما وقع ذلك في نفسه وقف
حتى لحق به خالد وقد حال فرسه العرق فلما قرب منه صاح عزرائيل وقال يا عربي
لا تظن أني هارب خوفا منك وانما أبقيت عليك وخوفا على شبابك فارحم نفسك وان
أردت الموت أسوقه اليك أنا قابض الارواح أنا ملك الموت فعند ذلك ترجل عن
جواده وسحب السيف وخطا اليه كأنه الاسد الضاري فلما نظر عزرائيل الى ذلك والى
ترجل خالد زاد طمعه فيه وحام حوله وهم اليه يريد أن يعلو رأسه بالسيف فزاغ خالد
عنها وصاح فيه وضرب قوائم فرسه بضربة عظيمة فقطعها فسقط عدو الله الى الارض
ثم ولى هاربا يريد أصحابه فسبقه خالد وقال يا عدو الله ان الذي سميت باسمه قد غضب
عليك ومشتاق اليك وها هو قد أقبل عليك يقبض روحك ليؤديك الى جهنم ثم هجم
عليه وهم أن يجلد به الارض ونظرت الروم الى صاحبه وهو في يد خالد فهموا أن يحملوا
على خالد ويخلصوه من يده واذا قد أقبلت جيوش المسلمين وأبطال الموحدين مع
الامير أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وكان قد صار من بصرى فوجده وقد أخذ

عزرائيل فى تلك الساعة فلما نظرت عساكر دمشق الى جيوش المسلمين قد أقبلت
داخلهم الجزع والفزع فوقفوا على الجملة قال حدثنى عمرو بن قيس عن شعيب عن
عبد الله عن هلال الاقشعم قال لما قدم الامير أبو عبيدة سأل عن خالد قالوا انه
فى ميدان الحرب وقد أسر بطاريق الروم فدنا أبو عبيدة اليه وهم أن يترجل فأقسم عليه
خالد أن لا يفعل وأقبل عليه وصافحه وكان أبو عبيدة يحب خالدا لمحبة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال أبو عبيدة لخالد يا أبا سليمان لقد فرحت بكتاب أبى بكر
الصديق حين قدمك على وأمرك على وما أخذت فى قلبى عليك لانى أعلم مواقفك
فى الحرب فقال خالد والله لا فعلت أمرا الا بمشورتك ووالله لولا أمر الامام طاعة لما
فعلت ذلك أبدا لانك أقدم منى فى دين الاسلام وأنا صاحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأنت قال فيك أبو عبيدة أمين هذه الامة فشكره أبو عبيدة وقدم لخالد
جواده فركبه وقال خالد لابى عبيدة اعلم أيها الامير أن القوم قد انخذلوا ووقع الرعب
فى قلوبهم وأهينوا بأخذ كلوس وعزرائيل قال وسار مع أبى عبيدة يحدثه بما صار
من البطاريق وكيف نصره الله عليهما الى أن أتيا الدير فنزلا هناك وأقبل المسلمون
يسلم بعضهم على بعض فلما كان من الغد ركب الناس وتزينت المواكب وزحف أهل
دمشق للقتال وقد أمروا عليهم قوما ظهر الملك هرقل ولما أقبلوا قال خالد لابى عبيدة
ان القوم قد انخذلوا ووقع الرعب فى قلوبهم فاحمل بنا على القوم قال أبو عبيدة افعل
قال فحمل خالد وحمل أبو عبيدة وحمل المسلمون على عساكر الروم حملة عظيمة وكبروا
بأجمعهم فارتجت الارض من تكبيرهم ووقع القتل فى الروم وجاهدوا أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم جهادا عظيما واندهلت منهم الكفار قال عامر بن
الطفيل لقد كان الواحد منا يهزم من الروم العشرة والمائة قال فما لبثوا معنا ساعة
واحدة حتى ولوا الادبار وركنوا الى الفرار وأقبلنا نقتل فيهم من الدير الى الباب
الشرقى فلما نظروا أهل دمشق الى انهزام جيشهم أغلقوا الابواب فى وجه من بقى منهم
قال قيس بن هبيرة رضى الله عنه فمنهم من قتلنا ومنهم من أسرناه فلما رجع خالد عنهم
قال لابى عبيدة ان من الرأى أن أنزل أنا على الباب الشرقى وتنزل أنت على باب الجابية
قال أبو عبيدة هذا هو الرأى السديد قال حدثنا سهل بن عبد الله عن أويس بن
الخطاب ان الذى قدم مع الامير أبى عبيدة من المسلمين من أهل الحجاز واليمن وحضرموت
وساحل عمان والطائف وما حول مكة كان سبعة وثلاثين ألف فارس من الشجعان
وكان مع عمرو بن العاص تسعة آلاف فارس والذى قدم بهم خالد بن الوليد رضى الله
عنه من العراق ألف وخمسمائة فارس فكان جملة ذلك سبعة وأربعين ألف

وخمسمائة غير ما جهز عمر بن الخطاب فى خلافته وسنذكر ذلك اذا وصلنا اليه ان شاء الله تعالى هذا وان خالدا نزل بنصف المسلمين على الباب الشرقى ونزل أبو عبيدة بالنصف الثانى على باب الجابية فلما نظر أهل دمشق الى ذلك نزل الرعب فى قلوبهم ثم ان خالدا أحضر البطريقين الى بين يديه وهم كلوس وعزرائيل فأعرض عليهم الاسلام فأبيا فأمر ضرار بن الازور أن يضرب رقابهما ففعل قال فلما نظر أهل دمشق ما فعلوا بالبطريقين كتبوا الى الملك كتابا يخبروه بما جرى على كلوس وعزرائيل وقد نزلت العرب على الباب الشرقى وباب الجابية وقد نزلوا بنسائهم وأولادهم وقد قطعوا أرض البلقا وأرض السواد ووصفوا له ما ملكوا العرب من البلاد فأدركنا والا سلمنا اليهم البلاد ثم سلموا الكتاب الى رجل منهم وأعدوه أو فى أجرة ودلوه بالحبل فى أعلا الاسوار فى ظلمة الاعتكار (قال الواقدى) وان الرجل وصل الى الملك هرقل وهو بأرض انطاكية فاستأذن اليه فأمر له بالدخول فلما دخل سلم الكتاب اليه فلما قرأه الملك رماه من يده وبكى ثم انه جمع البطارقة وقال لهم يا بنى الاصفر لقد حذرتكم من هؤلاء العرب وأخبرتكم أنهم سوف يملكون ما تحت سريرى هذا فاتخذتم كلامى هزؤا وأردتم قتلى وهؤلاء العرب خرجوا من بلاد الجدب والقحط وأكل الذرة والشعير الى بلاد خصبة كثيرة الاشجار والاثمار والفواكه فاستحسنوا ما نظروه من بلادنا وخصبنا وليس يزجرهم الى العزم والقوة وشدة الحرب ولولا أنه عار على لتركت الشأم وأرحل الى القسطنطينية العظمى ولكن ها أنا أخرج اليهم وأقاتلهم عن أهلى ودينى فقالوا أيها الملك ما بلغ من شأن العرب أن تخرج اليهم بنفسك ومقعادك أهيب قال هرقل نبعث اليهم قالوا عليك أيها الملك بوردان صاحب حمص لانه ليس فينا مثله فى القوة وملاقاة الرجال ولقد بين لنا فى عساكر الفرس لما قصدنا قال فأمر الملك باحضاره فلما حضر وردان قال له الملك انما قدمتك لانك سيفى القاطع وسندى المانع فاخرج من وقتك وساعتك ولا تتأخر فقد قدمتك على اثنى عشر ألفا فاذا وصلت الى بعلبك فأنفذ الى من باجنادين بأن يتفرقوا على أرض البلقا وجبال السواد فيكونوا هناك ولا تتركوا أحدا من العرب يلحق بأصحابه يعنى عمرو بن العاص رضى الله عنه فقال وردان السمع والطاعة لك أيها الملك وسوف يبلغك الخبر أنى لا أعود الا برأس خالد بن الوليد ومن معه أهزمهم جميعا وبعد ذلك أدخل الحجاز ولا أخرج حتى أهدم الكعبة ومكة والمدينة قال فلما سمع الملك هرقل قوله قال وحق الانجيل لان أنت فعلت ذلك ووفيت بقولك لأعطينك ما فتحوه حربا وخراجا وكتبت كتاب العهد أنك الملك من بعدى ثم سوره وتوجه وأعطاه صليبا من الذهب وفى جوانبه أربع يواقيت

لا قيمة لها وقال اذا لاقيت العرب تدمه أمامك فهو ينصرك قال فلما تسلم وردان الصليب من وقته دخل الكنيسة وانغمر في ماء العمودية وبخروه ببخور الكنائس وصلوا عليه الرهبان وخرج من وقته فضرب خيامه خارج المدينة قال وأخذت الروم على أنفسهم بالرحيل فلما تكاملوا ركب الملك هرقل وسار لوداعهم وصحبته أرباب دولته فوصل معهم الى جسر الحديد بها فودعه الملك وسار الى أن وصل الى حماه فنزل بها وأنفذ من وقته كتابا الى من بأجنادين من جيوش الروم يأمرهم ليتفرقوا على سائر الطرقات ليمنعوا عمرو بن العاص ومن معه أن يصلوا الى خالد فلما سار الرسول بالكتاب جمع وردان اليه البطارقة وقال لهم انى أريد أسير على حين غفلة على طريق مارس حتى أكبس على القوم ولا ينجو منهم أحد فلما كان الليل رحل على طريق وادى الحياة (قال حدثنى شداد بن أوس) قال لما دخل خالد بن الوليد رضى الله عنه بعد قتل البطريق بين أمر المسلمين ان يزحفوا الى دمشق قال فزحفت منا الرجال من العرب وبأيديهم الجحف يتلقون بها الحجارة والسهام فلما نظر أهل دمشق الينا ونحن قد زحفنا اليهم رمونا بالسهام والحجارة من أعلا الاسوار وضيقنا عليهم فى الحصار وأيقن القوم بالدمار قال شداد بن اوس فأقمنا على حصارهم عشرين يوما فلما كان بعد ذلك جاءنا ناوى بن مرة وأخبرنا عن جموع الروم بأجنادين وكثرة عددهم فركب خالد نحو باب الجابية الى أبى عبيدة يخبره بذلك ويستشيره وقال يا أمين الامة انى رأيت ان نرحل من دمشق الى اجنادين ونلقى من هناك من الروم فاذا نصرنا الله عليهم عدنا الى قتال هؤلاء القوم قال أبو عبيدة ليس هذا برأى قال خالد ولم ذلك قال أبو عبيدة اذا رحلنا يخرجون أهل المدينة فيملكون مواضعنا فلما سمع خالد ذلك من أبى عبيدة قال يا أمين الامة انى أعرف رجلا لا يخاف الموت خبيرا بلقاء الرجال قدمات أبوه وجده فى القتال قال ومن هو هذا الرجل يا أبا سليمان قال هو ضرار بن الازور بن طارق قال أبو عبيدة والله لقد صدقت ووصفت رجلا بأذلا مهروفا فافعل قال فرجع خالد الى بابه واستدعا بضرار بن الازور وجاء اليه وسلم عليه فقال يا ابن الازور انى أريد أن أقدمك على خمسة آلاف قد باعوا أنفسهم لله عز وجل واختاروا دار البقاء والآخرة على الاولى وتسيروا الى لقاء العدو هؤلاء القوم الذين وردوا علينا فان رأيت لك فيهم طمعا فقاتلهم وان رأيت انك لا تقدر عليهم فابعث الينا رسولك فقال ضرار بن الازور وافرحتاه والله يا ابن الوليد مادخلت قلبى مسرة أعظم من هذه فاتركنى أسير وحدى قال خالد لعمرى انك ضرار ولكن ان تلقى نفسك الى الهلاك وسر بما ندب معك من المسلمين قال فقام ضرار رضى الله عنه مسرعا فقال خالد أرفق بنفسك حتى يجتمع عليك الجيش فقال والله لا وقفت ومن علم

أنه

الله فيه خيرا ادركني ثم ركب ضرار وأسرع الى ان وصل الى بيت لهيا وهو الموضع الذى
كان يصنع فيه الاصنام فوقف هناك حتى لحق به أصحابه فلما تكاملوا انظر ضرار واذا
بجيوش الروم تنحدر كأنها الجراد المنتشر وهم متعكون بالدروع وقد أشرقت الشمس
على لامتهم وطوارقهم فلما نظروا اليهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا اضرار
أما والله ان هذا الجيش عرمرم والصواب اننا نرجع فقال ضرار والله لازلت أضرب
بسيفي فى سبيل الله وأتبع سبيل من أناب الى الله ولا يرانى الله منهزوما ولا أولى الدبر
لان الله تعالى يقول ولا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى
فئة فقد باء بغضب من الله وتكلم رافع بن عميرة الطائى وقال ياقوم وما الخيفة وما هؤلاء
العلوج انما نصركم الله فى مواطن كثيرة والنصر مقرون مع الصبر ولم تزل طائفتنا تلقى
الجموع الكثيرة والجموع اليسيرة فاتبعوا سبيل المؤمنين وتضرعوا الى رب العالمين
وقولوا كما قالت قوم طالوت عند لقائهم بجالوت ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا
وانصرنا على القوم الكافرين فلما سمعوا كلام رافع بن عميرة قالوا والله لا يرانا الله
منهزمين أبدا وانقتال أعداء الله الكافرين قال فلما سمع ضرار كلامهم وانهم اشتهروا
الآخرة على الاولى كمن بهم عند بيت لهيا واخفى أمره وجلس عارى الجسد بسراويله
على فرس له عربى بغير سلاح وبيده قناة كاملة الطول وهو يرمى القوم قال الواقدى
هكذا حدثنى تميم بن أوس عن جده عمرو بن دارم قال كنت يوم بيت لهيا من صحب
ضرار بن الازور رضى الله عنه وهو بهذه الصفة رغبة منه فى الشهادة فلما قارب العدو
كان أول من برز وكبر ضرار الازور قال فأجابه المسلمون بتكبيرة واحدة ارتعبت منها
قلوب المشركين وفاجؤهم بالحملة ونظر الى ضرار بن الازور وهو فى أول القوم وهو
فى حالته التى وصفناها فهالهم أمره وكان وردان فى المقدمة والاعلام الصلبان مشبكة
على رأسه قال فما طلب ضرار غيره لانه علم انه صاحبهم فحمل عليه غير مكترث به وطعن
فارسا كان فى يده العلم فتجندل من على فرسه قتيلا ثم انه طعن آخر فى الميمنة فأرداه
وحمل يريد القلب وكان قد عاين وردان والصليب على رأسه يحمله فارس من الروم
والجواهر تلمع من أربع جوانب فعارضه ضرار وطعن حامله طعنة عظيمة فخرج السنان
يلمع من خاصرته قال فسقط الصليب منكسا الى الارض فلما نظر وردان الى الصليب
أيقن بالهلاك وهم ان يترجل لاخذه أو يميل فى ركابه ليأخذه فما وجد لذلك سبيلا
لما قد أحدق به وترجل عليه قوم من المسلمين ليأخذوه وقد اشتغل كل عن نفسه ونظر
ضرار الى من ترجل لاخذ الصليب فقال معاشر المسلمين ان الصليب لى دونكم
وانا صاحبه فلا تطمعوا فانى اليه راجع اذا فرغت من كلب الروم قال فسمع ذلك

وردان وكان يعرف بالمرتية فعطف من القلب يريد الحرب فقالت البطارقة الى أين أيها السيد أتفزع من الشيطان فما رأيت أدنى من منظره ولا أهول من تحيره وبطر ضرار اليه وقد عطف راجعا فعلم انه قد عزم على الحرب فصاح بقومه ثم اقتحم في أثره ومد رمحه وهز جواده فتصارخت به الروم وعطفت عليه المواكب من كل جانب فانشد وجعل يقول

الموت حق أين لي منه المفر * وجنة الفردوس خير المستقر

هذا قتالي فاشهدوا يا من حضر * وكل هذا في رضى رب البشر

ثم اخترق القوم وحمل عليهم وحمل المسلمون في أثره فاحدقوا بهم من كل مكان ونظروا الى ضرار وقد قصده وردان صاحب حمص عندما علم انه اخترق القوم فقد اليه رمحه وقد أحدقت به بطارقة وضرار يدافع عن نفسه يمينا وشمالا فما يطمع أحدا الا أباده الى أن قتل من القوم خلقا كثيرا وهو يصرخ بقومه ويقول ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص قال وانكبت عليه جيوش الروم من كل جانب ومكان واشتعل الحرب بينهم ووصل همدان بن وردان الى ضرار بن الازور ورماه بسهم فأصاب عضده الايمن ووصل السهم اليه فأوهنه فحس ضرار بالالم فحمل على همدان وصمم عليه برمحه وطعنه فأصاب بالطعنة فؤاده ووصل السنان الى ظهره فجذب الرمح منه فلم يخرج واذا به قد اشتبك في عظم ظهره فخرج الرمح من غير سنان فطمعوا فيه وحملوا عليه وأخذوه أسيرا فنظر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ضرار وهو أسير فعظم الامر عليهم وقاتلوا قتالا شديدا ليخلصوه فما وجدوا الى ذلك سبيلا وأرادوا الهرب فقال رافع بن عميرة الطائي يا أهل القرآن الى أين تريدون أما علمتم ان من الوى ظهره لعدوه فقد باء بغضب من الله وان الجنة لها أبواب لا تفتح الا للمجاهدين الصبر الصبر الجنة الجنة يا أهل الكتاب كروا على الكفار عباد الصلبان وها أنا معكم في أوائلكم فان كان صاحبكم أسرا وقتل فان الله حي لا يموت وهو يراكم بعينه التي لا تنام فرجعوا وحملوا معه قال ووصل الخبر الى خالد ان ضرارا قد أسر بيد الروم وانه قتل من الروم خلقا كثيرا فعظم ذلك على خالد وقال في كم العدو قالوا في اثني عشر ألف فارسا فقال والله ما ظننت الا انهم في عدد يسير ولقد غررت بقومي ثم سأل عن مقدمهم من يكون قيل وردان صاحب حمص وقد قتل ضرار ولده همدان فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم أرسل الى أبي عبيدة يستشيره فبعث اليه أبو عبيدة يقول له اترك على الباب الشرقي من تثق به وسر اليهم فانك تطحنهم باذن الله تعالى ولما وصل الجواب الى خالد قال والله ما انا ممن يبخل بنفسه في سبيل الله ثم أوقف بالمكان

ميسرة بن مسروق العبسي رضي الله عنه ومعه ألف فارس وقال له احذر ان ينفذ من مكانك فقال ميسرة حباً وكرامة وعطف خالد بالناس وقال لهم أطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة فاذا أشرفتم على العدو فاحملوا حملة واحدة ليخلص فيهم اضرار ان شاء الله تعالى ان كانوا بقوا عليه والله ان كانوا عجلوا عليه لنأخذن بثاره ان شاء الله تعالى وأرجوان لا يجمعنا به ثم تقدم امام القوم وجعل يقول

اليوم يوم فاز فيه من صدق * لا جزع من الموت اذا الموت طرق
لأروين الرمح من ذوي الحدق * لاهتكن البيض هتكا والدرق
عسى أنال غدا مقام من صدق * في جنة الخلد أدعى منطلق

فبينما خالد يترنم بهذه الابيات اذ نظر الى فارس على فرس طويل وبيده رمح طويل وهو لا يبان منه الا الحدق والفروسية تبان من شمائله وعليه ثياب سود وقد تظاهر بها من فوق لامته وقد حزم وسطه بعمامة خضراء وسحبها على صدره ومن ورائه وقد سبق امام الناس كأنه نار فلما نظره خالد قال ليت شعري من هذا الفارس وايم الله انه لفارس شجاع ثم اتبعه خالد والناس وكان هذا الفارس أسبق الناس الى المشركين قال وكان رافع بن عميرة الطائي رضي الله عنه في قتال المشركين وقد صبر لهم هو ومن معه اذ نظر خالد وقد أنجده هو ومن معه من المسلمين ونظر الى الفارس الذي وصفناه وقد حمل على عساكر الروم كأنه النار المحرقة فزعزع كتائبهم وحطم مواكبهم ثم غاب في وسطهم فما كانت الا جولة الجائل حتى خرج وسنانه ملطخ بالدماء من الروم وقد قتل رجالا وجندل أبطالا وقد عرض نفسه للهلاك ثم اخترق القوم غير مكترث بهم ولا خائف وعطف على كراديس الروم في الناس وكثر قلقهم عليه فأما رافع بن عميرة ومن معه فما ظنوا الا انه خالد وقالوا ما هذه الحملات الا لخالد فهم على ذلك اذ اشرف عليهم خالد رضي الله عنه وهو في كبكبة من الخيل فقال رافع بن عميرة من الفارس الذي تقدم أمامك فلقد بذل نفسه ومهجته فقال خالد والله انني أشد انكارا منكم اليه ولقد أعجبني ما ظهر منه ومن شمائله فقال رافع أيها الامير انه منغمس في عسكر الروم يطعن يمينا وشمالا فقال خالد معاشر المسلمين احملوا بأجمعكم وساعدوا المحامي عن دين الله قال فأطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة والتصق بعضهم ببعض وخالد أمامهم اذ انظر الى الفارس وقد خرج من القلب كأنه شعلة نار والخيل في أثره وكلما لحقت به الروم ألوى عليهم وجندل فعند ذلك حمل خالد ومن معه ووصل الفارس الذي الى جيش المسلمين قال فتأملوه فرأوه قد تخضب بالدماء فصاح خالد والمسلمون لله درك من فارس بذل مهجته في سبيل الله وأظهر شجاعته على الاعداء اكشف لنا عن لثامك

قال فقال عنهم ولم يخالطهم وانغمس في الروم فتصايحت به الروم من كل جانب وكذلك المسلمون وقالوا أيها الرجل الكريم أميرك يخاطبك وأنت تعرض عنه اكشف عن اسمك وحسبك لتزداد تعظيما فلم يرد عليهم جوابا فلما بعد عن خالد سار اليه بنفسه وقال له ويحك لقد اشغلت قلوب الناس وقلبي بفعلك في أنت قال فلما ألح عليه خالد خاطبه الفارس من تحت لثامه بلسان التأنيث وقال اني يا أمير لم أعرض عنك الاحياء منك لانك أمير جليل وأنا من ذوات الخدور وبنات الستور وانما حملني على ذلك لاني محروقة الكبد زائدة الكمد فقال لها من أنت قالت أنا خولة بنت الازور والمأسور بيد المشركين هو أخي ضرار واني كنت مع بنات العرب وقد أتاني الساعي بان ضرارا أسير فركبت وفعلت ما فعلت قال خالد نحمل ما جمعنا ونرجو من الله ان نصل الى أخيك فنفكه قال عامر بن الطفيل كنت عن يمين خالد بن الوليد حين حملوا وحملت خولة أمامه وحمل المسلمون وعظم على الروم ما نزل بهم من خولة بنت الازور وقالوا ان كان القوم كلهم مثل هذا الفارس فما لنا بهم من طاقة ولما حمل خالد ومن معه واذا بالروم قد اضطربت جيوشهم ونظر وردان اليهم فقال لهم اثبتوا للقوم فاذا رأوا ثباتكم ولواءكم ويخرجون أهل دمشق يعينوكم على قتالكم قال فثبت المسلمون لقتال الروم وحمل خالد بالناس حملة منكرة وفرق القوم يمينا وشمالا وقصد خالد مكان صاحبهم وردان عند اشتباك الاعلام والصلبان واذا حوله أصحاب الحديد والزرد النضيد وهم محدقون به فحمل خالد عليهم حملة منكرة واشتبك المسلمون بقتال الروم وكل فرقة مشغولة بقتال صاحبها وأما خولة بنت الازور فانها جعلت تجول يمينا وشمالا وهي لا تطلب الا أخاها وهي لا ترى له أثرا ولا وقعت له على خبر الى وقت الظهر وافترق القوم عن بعضهم بعضا وقد أظهر الله المسلمين على الكافرين وقتلوا منهم مقتلة عظيمة قال وتراجعت كل فرقة الى مكانها وقد انكدت أفئدة الروم بما ظهر لهم من المسلمين وقد همّوا بالهزيمة وما مسكهم الا الخوف من صاحبهم وردان فلما رجع القوم الى مكانهم أقبلت خولة بنت الازور على المسلمين وجعلت تسألهم رجلا رجلا عن أخيها فلم ترى من المسلمين من يخبرها انه نظره أو رآه أسيرا أو قتيلا فلما أيست منه بكت بكاء شديدا وجعلت تقول يا ابن أمي ليت شعري في أي البيداء طرحوك أو بالسنان طعنوك أم بالحسام قتلوك ليت شعري يا أخي أختك لك الفداء ولو اني أراك أنقذتك من أيدي الاعداء أترى اني أراك بعدها أبدا فقد تركت يا ابن أمي في قلب أختك جمرة لا يخمد لهيبها ولا يطفى ليت شعري لحقت بابيك المقتول بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فعليك مني السلام الى يوم اللقاء قال فبكى الناس من قولها وبكى خالد وهم ان يعاود

بالجملة اذ نظر الى كردوس من الروم وقد خرج من ميمنة العقبات فناهب الناس لحربهم وتقدم خالد وحوله أبطال المسلمين فلما قربوا من القوم رموا رماحهم من أيديهم والسيوف وترجلوا ونادوا بالامان فقال خالد اقبلوا امانهم وائتونى بهم فأتوا اليه فقال خالد من أنتم فقالوا نحن من جند هذا الرجل وردان ومقامنا بحمص وقد تحقق عندنا انه ما يطيعكم ولا يستطيع حربكم فأعطونا الامان واجعلونا من جملة من صالحتم من سائر المدن حتى نؤدى لكم المال الذى أردتم فى كل سنة فكل من فى حمص يرضى بقولنا فقال خالد اذا وصلت الى بلادكم فيكون الصلح ان شاء الله تعالى ان كان لكم فيه أرب ولكن ها نحن هاهنا الا نصالحكم ولكن كونوا معنا الى ان يقضى الله بما هو قاض ثم ان خالدا قال لهم هل عندكم من صاحبنا الذى قتل ابن صاحبكم قالوا العله عازر الجسد الذى قتل منا مقتلة عظيمة وفجع صاحبنا فى ولده قال خالد عنه سألتكم قالوا بعثه وردان عندنا أسيرا على بغل ووكل به مائة فارس وأنفذه الى حمص ليرسله الى الملك ويخبره بما فعل قال ففرح خالد بقولهم ثم دعا برافع بن عميرة الطائى وقال يا رافع ما أعلم أحدا أخبر منك بالمسالك وأنت الذى قطعت بنا المفازة من أرض السماوة وأعطشت الابل وأوردتها الماء ووردتنا الى اركة وما وطئها جيش قبلنا المفازتها وأنت أوحد اهل الارض فى الحيل والتدبير فخذ معك من أحببت واتبع أثر القوم فلعلك ان تلحق بهم وتخلص صاحبنا من أيديهم فلان فعلت ذلك فتكون الفرحة الكبرى فقال رافع بن عميرة حبا وكرامة ثم انه فى الحال انتخب مائة فارس شدادا من المسلمين وعزم على المسير فأتت البشارة الى خولة بمسير رافع بن عميرة ومن معه فى طلب أخيها ضرار فتهلل وجهها فرحا واسرعت الى لبس سلاحها وركبت جوادها وأتت الى عند خالد بن الوليد ثم قالت له أيها الامير سألتك بالطاهر المطهر محمد سيد البشر الا ماسرحتنى مع من سرحت فلعلى أن أكون مشاهدة لهم فقال خالد لرافع أنت تعلم شجاعتها فخذها معك فقال له رافع السمع والطاعة وارتحل رافع ومن معه وسارت خولة فى أثر القوم ولم تختلط بهم وساروا الى أن قرب من سلمية قال فنظر رافع فلم يجد للقوم أثرا فقال لاصحابه أبشروا فان القوم لم يصلوا الى هاهنا ثم انه أكمن بهم فى وادى الحياة فبينما هم مكمنين واذا بغبرة قد لاحت فقال رافع لاصحابه أيقظوا خواطركم وانتبهوا فاذا أيقظ القوم هممهم وبقوا فى انتظار العدو واذا بهم قد أتوا وهم محدقون بضرار فلما رأى رافع ذلك كبر وكبر المسلمون معه وحملوا عليهم فلم يكن غير ساعة حتى خلص الله ضرارا وقتلوا جميعا وأخذوا سلبهم قال واذا بعساكر الروم قد أقبلت منهزمة وأولهم لم يلتفت الى آخرهم فعلم رافع ان القوم انهزموا فاقبل يلتقطهم

بن معة قال وكان خالد لما ارسل رافع بن عميرة في طلب ضرار ليخلصه ومعه المائة فارس صدم وردان صدمة من يصب الشهادة ويبتغي دار السعادة وصدم المسلمون الروم فما لبثوا الا أن ولوا الادبار وركنوا الى الفرار وكان أولهم وردان واتبعهم المسلمون وأخذوا اسلابهم وأموالهم ولم يزالوا في طلبهم الى وادي الحياة فاجتمع المسلمون برافع بن عميرة الطائي وضرار بن الازور وسلموا عليهم وفرحوا بضرار رضي الله عنه وهنؤه بالسلامة قال وأثنى خالد على رافع خيرا ورجعوا الى دمشق وفرح المسلمون بالنصر واتصل الخبر الى الملك هرقل وان وردان قد انهزم وقتل ولده حمدان قال فأيقن بزوال ملكه من الشام فكتب الى وردان كتابا يقول فيه أما بعد فاني قد بلغني ان جياع الاكباد عراة الاجساد قد هزموك وقتلوا ولدك رحمه المسيح ولا رحمك ولولا أعلم انك فارس الحرب ومجيد الطعن والضرب وليس النصر آتيك فعل عليك سخطي والآن مضى ما مضى وقد بعثت الى اجنادين تسعين ألفا وقد أمرتك عليهم فسر نحوهم وانجد أهل دمشق وأنقذ بعضهم ليمنعوا من في فلسطين من العرب وحل بينهم وبين أصحابهم وانصر دينك وصاحبك قال وانفذ اليه الكتاب مع خيل البريد فلما ورد عليه الكتاب وقرأه سلى عنه بعض ما كان يجده وأخذ الاهبة الى اجنادين فسار فوجد الروم وقد تجمعوا وأظهروا العدد والزرد وخرجوا الى لقائه وسلموا عليه وتقدموا بين يديه وعزوه في ولده فلما استقر قراره قرأ عليهم منشور الملك فأجابوا بالسمع والطاعة وأخذوا على أنفسهم قال حدثني روح بن طريف قال كنت مع خالد بن الوليد على باب شرقي حين رجعنا من هزيمة وردان واذا قد ورد علينا عباد بن سعد الحضرمي وكان قد بعث شرحبيل بن حسنة كاتب وحي رسول الله صلى الله عليه وسلم من بصرى يعلم خالدا بمسير الروم اليه من اجنادين في تسعين ألف فارس فخذ أهبتك للقائهم قال فلما سمع خالد ذلك ركب الى أبي عبيدة وقال له يا أمين الامة هذا عباد بن سعد الحضرمي قد بعث به شرحبيل بن حسنة يخبران طاغية الروم وهرقل قد ولى وردان على من تجمع بأجنادين من الروم وهم تسعون ألفا فما ترى من الرأي يا صاحب رسول الله فقال أبو عبيدة اعلم يا أبا سليمان أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متفرقون مثل شرحبيل بن حسنة بأرض بصرى ومعاذ بن جبل بحوران ويزيد بن أبي سفيان بالبلقاء والنعمان بن المغيرة بأرض تدمر واركة وعمرو بن العاص بأرض فلسطين والصواب أن تكتب اليهم ليقصدونا حتى نقصد العدو ومن الله نطلب المعونة والنصر قال فكتب خالد الى عمرو بن العاص كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان اخوانكم المسلمين قد عولوا على المسير الى اجنادين فان هناك تسعين ألفا من الروم وهم يريدون

المسير الينا يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون فاذا وصل اليك كتابي هذا فاقدم علينا بمن معك الى اجنادين تجدنا هناك ان شاء الله تعالى والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته وكتب نسخة الكتاب الى جميع الامراء الذى ذكرناهم ثم أمر الناس بالرحيل فرفعت القباب والهوادج على ظهور الجمال وساقوا الغنائم والاموال فقال خالد لابى عبيدة قد رأيت رأيا أن أكون على الساقة مع الغنائم والاموال والبنون والولدان وكنت أنت على المقدمة مع خاصة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو عبيدة بل أكون أنا على الساقة وأنت على المقدمة مع الجيش فان وصل اليك جيش الروم مع وردان يجدوك على أهبة فتمنعهم من الوصول الى الحريم والاولاد فلا يصلوا الينا الا وأنت قد قتلت فيهم والا كنت أنا ومن معى غنيمة لهم اذا كنت أنا فى المقدمة فقال خالد لست أخالفك فيما ذكرت ثم ان خالدا قال أيها الناس انكم سائرون الى جيش عظيم فأيقظوا هممكم وان الله وعدكم النصر وقرأ عليهم قوله تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ثم ان خالدا أخذ الجيش وسار فى المقدمة وبقى أبو عبيدة فى ألف من المسلمين ونظر الى ذلك أهل دمشق فعطفوا عليهم وأقبلوا بسيوفهم وهم يظنون انهم منهزمين لاجل ما بلغهم من الجيش العظيم الذى هو باجنادين فقالوا لهم عقلاؤهم ان كانوا سائرين على طريق بعلبك فانهم يريدون فتحها وفتح حمص وان كانوا على طريق سرج لاهط فالقوم لا شك هاربون الى الحجاز ويتركون ما أخذوا من البلاد قال وكان بدمشق بطريق يقال له بولص وكان عظيما عند النصرانية وكان اذا قدم على الملك يعظمه وكان الملعون فارسا وذلك انهم كان عندهم شجرة فرماها بسهم فغاص السهم فى الشجرة من قوة ساعده ثم ان من عجبه كتب عليها ان كل من يدعى الشجاعة فليرم بسهمه الى جانب سهمى وكان قد شاع ذكره بذلك ولم يحضر قتال المسلمين منذ دخلوا دمشق فلما اجتمعوا عليه قال لهم بولص ما الذى حل بكم فاعلموه بما جرى عليهم من المسلمين وقالوا له ان كنت تريد حياة الابد عند الملك وعند المسيح وعند أهل دين النصرانية فدونك والمسلمين فاخرج اليهم واخطف كل من تخلف منهم وان رأيت لنا فيهم مطمعا قاتلناهم فقال بولص انما كان سبب تخلفى عن نصرتكم لانكم قليلون الهمة لقتال عدوكم فقد لغت عندكم والآن لا حاجة لى فى قتال العرب فقالوا وحق المسيح والانجيل الصحيح لان سرت فى مقدمتنا لنثبتن معك وامامنا من يولى عنك وقد حكمناك فيمن ينهزم أن تضرب عنقه ولا يعارضك فى ذلك أحد قال فلما استوثق منهم دخل الى منزله ولبس لامته فقالت له زوجته الى أين عزمت قال أخرج فى اثر العرب

وتمدونى أهل دمشق عليهم فقالت لاتفعل والزم بيتك ولا تطلب ماليس لك به حاجة فانى رأيت لك فى المنام رؤيا فقال لها وما الذى رأيتى قالت رأيتك كأنك قابض قوسك وأنت ترمى طيورا وقد سقط بعضها على بعض ثم عادت ساعدة فبينما انا متعجبة اذ أقبلت نحوك سحابة من الجو فانقضت عليك من الهواء وعلى من معك فجعلت تضرب هاماتهم ثم وليتم هاربين ورأيتها لاتضرب أحدا الا صرعته ثم انى انتبهت وانا مرعوبة باكية العين عليك فقال لها ومع ذلك رأيتنى فيمن صرع قالت نعم وقد صرعك فارس عظيم قال فلطم وجهها وقال لابشرك المسيح بخير لقد دخل رعب العرب فى قلبك حتى ترى تعلمين بهم فى النوم ولابد ما اجعل لكى اميرهم خادما واجعل أصحابه رعاة الغنم والخنازير فقالت له زوجته افعل ماتريد فقد نصحتك قال فلم يلتفت الى كلامها وخرج من عندها وركب وسار معه من كان فى دمشق من الروم فأعرضهم فاذا هم ستة آلاف فارس وعشرة آلاف راجل من أهل النجدة والحمية وسار يطلب القوم وكان خالد فى المقدمة وأبو عبيدة يمشى مع الاموال والاغنام والجمال اذ نظر رجل من أصحابه وهو يتأمل الغبرة من ورائهم فسأله أبو عبيدة عن ذلك فقال أظنها غبرة القوم فقال أبو عبيدة ان أهل الشام قد طمعوا فينا وهذا العدو قاصدا الينا بالمال فما استتم كلامه حتى بدت الخيل كأنها السيل وبولص فى أوائلهم فلما نظر الى أبى عبيدة قصده ومعه الفرسان وأخوه بطرس قصد الحريم والمال فاقتطعوا منها قطعة فلما احتوى عليها رجع بها بطرس نحو دمشق فلما ابعد بها جلس هناك لينظر مايكون من أمر أخيه وأما أبو عبيدة فانه لما نظر الى ماجاءه من الروم قال والله لقد كان الصواب مع خالد لما قال دعنى فى الساقة فلم أدعه وانه قد وصل اليه بولص وقصده والاعلام والصلبان على رأسه مشتبكة والنساء يولولون والصبيان يزعقون والالف من المسلمين قد اشتغلوا بالقتال وقد قصد عدو الله بولص أبا عبيدة واشتد بينهم الحرب ووقع القتال من أصحابه والروم وارتفعت الغبرة عليهم وهم فى كر وفر على أرض سحوراء قال وقد بلى أبو عبيدة بالقتال وجرح من الكرام قال سهيل بن صباح وكان تحتى جواد محجل من خيل اليمن شهدت عليه اليمامة فقومت السنان واطلقت العنان فخرج كأنه الريح العاصف فما كان غير بعيد حتى لحقت بخالد بن الوليد والمسلمين فاقبلت اليهم صارخا وقلت أيها الامير أدرك الاموال والحريم فقال خالد ما وراءك يا ابن الصباح فقلت أيها الامير الحق أبا عبيدة والحريم فان نفير دمشق قد لحق بهم وقد اقتطعوا قطعة من النسوان والولدان وقد بلى أبو عبيدة بما لاطاقة له به قال فلما سمع خالد ذلك الكلام من سهيل بن صباح قال انا لله وانا اليه راجعون قد قلت لابى عبيدة دعنى أكون على الساقة فما طاوعنى ليقضى

الله أمرا كان مفعولا ثم أمر رافع بن عميرعلى ألف من الخيل وقال له كن فى المقدمة وأمر عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق على ألفين وقال له أدرك العدو وسار خالد فى اثره ببقية الجيش قال فبينما أبو عبيدة فى القتال مع بولص لعنه الله اذ تلاحقت به جيوش المسلمين وحملوا على أعداء الله وداروا بهم من كل مكان فعند ذلك تنكست الصلبان وأيقن الروم بالهوان وتقدم الامير ضرار بن الازور كأنه شعلة نار وقصد نحو بولص فلما رآه عدو الله تبلبل خاطره ووقعت الرعدة عليه وقال لابى عبيدة يا عربى وحق دينك الاما قلت لهذا الشيطان يبعد عنى وكان بولص قد سمع به وراء من سور دمشق وما صنع بعسكر كلوس وعزرائيل وسمع بفعاله فى بيت لهيا فلما رآه مقبلا اليه عرفه فقال لابى عبيدة قل لهذا الشيطان لا يقربنى فسمعه ضرار رضى الله عنه فقال له أنا شيطان ان قصرت عن طلبك ثم انه فاجأه وطعنه فلما رأى بولص ان الطعنة واصلة اليه رمى نفسه عن جواده وطلب الهرب نحو أصحابه فسار ضرار فى طلبه وقال له أين تروح من الشيطان وهو فى طلبك ولحقه وهم ان يعلوه بسيفه فقال بولص يا بدوى أبق على فنى بقاءى بقاء أولادكم وأموالكم قال فلما سمع ضرار قوله أمسك عن قتله وأخذه أسيرا هذا والمسلمون قد قتلوا من الروم مقتلة عظيمة قال حدثنى اسلم بن مالك اليربوعى عن أبى رفاعة بن قيس قال كنت يوم وقعت سحورا مع المسلمين وكنت فى خيل عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال فدرنا بالروم من كل جانب وابذلنا اسيافنا فى القوم وكانوا ستة كتائب فى كل كتيبة ألف فارس قال رفاعة بن قيس فوالله لقد حملنا يوم فتح دمشق انه ما رجع منهم فوق المائة ووجدوا اخبر ضرارا أن خولة مع النسوان المأسورات فعظم ذلك عليه واقبل على خالد واعلمه بذلك فقال له خالد لا تجزع فقد أسرنا منهم خلقا كثيرا وقد أسرت أنا بولص صاحبهم وسوف نخلص من أسر من حريمنا ولا بد لنا من دمشق فى طلبهم ثم أمر خالد أن يسيروا بالناس على مهل حتى ننظر ما يكون من أمر حريمنا ثم انه سار فى ألف فارس جريدة وبعث العسكر كله الى أبى عبيدة مخافة أن يلحقهم وردان بجيوشه فسار القوم وتوجه خالد بن معه فى طلب المأسورات وقد قدم أمامه رافع بن عميرة الطائى وميسرة بن مسروق العبسى وضرار ابن الازور قال حدثنى سعيد بن عمر عن سنان بن عامر اليربوعى قال سمعت حبيب ابن مصعب يقول لما اقتطفوا من ذكرنا من نساء العرب سار بهم بطرس أخو بولص الى أن نزل بهم الى النهر الذى ذكرناه ثم قال بطرس انا لا أبرح من ههنا حتى أنظر ما يكون من أمر أخى ثم انه عرض عليه النساء المأسورات فلم يعجبه منهن الا خولة بنت الازور اخت ضرار قال بطرس هذه لى واذا لها لا ينازعنى فيها أحد فقالوا له أصحابه

هي لك وانت لها قال وكل من سبق الى واحدة يقول هي لي حتى قسموا الغنيمة على ذلك ووقفوا ينتظرون ما يكون من أمر بولص وأصحابه وكان في النساء عجائز من حمير وتبع من نسل العمالقة والتبابعة وكن قد اعتدن ركوب الخيل وخوضان الليل والهجوم على القبائل قال فاجتمعت النساء بعضهن على بعض فقالت لهن خولة بنت الازور يا بنات حمير وبقية تبع أترضين لانفسكن علوج الروم ويكون أولادكن عبيدا لاهل الشرك فأين شجاعتكن وبراعتكن التي تتحدث بها عنكن في أحياء العرب ومحاضر الحضر ولا أراكن الا بمعزل عن ذلك واني أرى القتل عليكن أهون من هذه المصائب وما نزل بكم من خدمة الروم الكلاب فقالت عفرة بنت غفار الحميرية صدقت والله يا بنت الازور واسم الله كما ذكرت في الشجاعة والبراعة كما وصفت لنا المشاهد العظام والمواقف الجسام والله قد اعتدنا ركوب الخيل وهجوم الليل غير ان السيف يحسن فعله في مثل هذا الوقت وانما دهمنا العدو على حين غفلة وما نحن الا كالغنم فقالت خولة يا بنات التبابعة والعمالقة خذوا اعمدة الخيام وأوتاد الاطناب ونحمل بها على هؤلاء اللئام فلعل الله ينصرنا عليهم أو نستريح من معيرة العرب فقالت عفرة بنت غفار والله ما دعوت الا الى ما هو أحب الينا مما ذكرت ثم انهن تناولن كل واحدة عمودا من اعمدة الخيام وصحن صيحة واحدة وألقت خولة على عاتقها عمود الخيمة وسعت من ورائها عفيرة وأم ابان بنت عتبة وسلمة بنت زارع ولبنى بنت حازم ومزروعة بنت عملوق وسلمة بنت النعمان ومثل هؤلاء رضي الله عنهن فقالت لهن خولة لا ينفك بعضكن عن بعض وكن كالحلقة الدائرة ولا تتفرقن فتملكن فيقع بكن التشتيت واحطمن رماح القوم واكسرنا سيوفهن قال وهجمت خولة امامهن وأول ما ضربت رجلا من القوم على هامته بالعامود فتجندل صريعا والتفت الروم ينظروا ما الخبر فاذا هم بالنسوة وقد اقبلن والعمد بايديهن فصاح بهن بطريق يا ويلكن ما هذا فقالت عفراء هذا فعالنا لنضربن القوم بهذه الاعمدة ولا بد من قطع أعماركم واصطلام آجالكم يا أهل الكفر قال فجاء بطرس وقال تفرقوا عن النسوة ولا تبذلوا فيهن السيوف ولا أحد منكم يقتل واحدة منهن وخذوهن أسارى ومن وقع منكم بصاحبتي فلا ينالها بمكروه وتفرق القوم عليهن وأحدقوا بهن من كل جانب وراموا الوصول اليهن فلم يجدوا الى ذلك سبيلا ولم يزالوا النساء لا يدنوا اليهن احد من الروم الا ضربن قوائم فرسه فاذا تنكس عن جواده بادرت النساء بالاعمدة فيقتلنه ويأخذن سلاحه (قال الواقدي) ولقد بلغني ان النسوة قتلن ثلاثين فارسا من الروم فلما نظر بطرس الى ذلك غضب غضبا شديدا وترجل وترجلت أصحابه نحو النساء

والنساء يحرضن بعضهن على بعض ويقلن موتوا كراما ولا تموتوا لئاما وأظهر بطرس بأسه وتلهفه عند ما نظر الى فعلهن ونظر الى خولة بنت الازور وهي تجول كالاسد وتقول شعر

نحن بنات تبع وحمير * وضربنا فيكم ليس ينكر
لاننا في الحرب نار تسعر * اليوم تسقون العذاب الاكبر

قال فلما سمع بطرس ذلك من قولها ورأى حسنها وجمالها قال لها يا عربية اقصري عن فعالك فاني مكرمك بكل ما يسرك أما ترضين أن أكون أنا مولاك وأنا الذي تهابني كل النصرانية ولي ضيع ورساتيق وأموال ومواشي ولي منزلة عند الملك هرقل وجميع ما أنا فيه مردود اليك اما ترضين ان تكوني سيدة أهل دمشق فلا تقتلي نفسك فقالت له يا ملعون يا ابن ألف ملعون والله لان ظفرت بك لاقطعن رأسك والله ما أرضى لك ان ترعى لي الابل فكيف أرضاك أن تكون لي كفؤا قال فلما سمع كلامها حرض أصحابه على القتال وقال ما ترون عارا أكبر من هذا في بلاد الشام ان النسوة غلبوكم فاتقوا غضب الملك وغضب المسيح ابن مريم قال فافترق القوم وحملوا حملة عظيمة وصبرت النساء لهم صبر الكرام فبينما هم على ذلك اذ أقبل عليهم خالد بن الوليد رضي الله عنه ومن معه من المسلمين ونظروا الى الغبار وبريق السيوف فقال لاصحابه من يأتيني بخبر القوم فقال رافع بن عميرة الطائي أنا آتيك به قال ثم أطلق جواده حتى اشرف على النسوة وهن يقاتلن قتال الموت قال فرجع وأخبر خالدا بما رأى فقال خالد العجب من ذلك انهن من بنات العمالقة ونسل التبابعة وما بينهم وبين تبع الاقرن واحد وتبع بن بكر بن حسان الذي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره وشهد له بالرسالة قبل أن يبعث وقال

شهدت باحمد أنه رسول * من الاله بارئ النسم
سميت أمته في الزبور * يا أمة أحمد خير الامم
فلو مد عمري الى عصره * لكنت وزيرا له وابن عم

(قال الواقدي) قال خالد لا تعجب يا رافع واعلم ان هذه النسوة لهن الحروب المذكورات والمواقف المشهورات وان يكن فعلهن ما ذكرت فلقد سددن على نساء العرب الى آخر الابد وازلن عنهن العار فتهللت وجوه الناس فرحا ووثب ضرار بن الازور عند ما سمع كلام رافع فقال خالد مهلا يا ضرار لا تعجل فانه من تأنى نال ما تمنى فقال ضرار ايها الامير لا صبر لي عن نصرة بنت أبي وأمي فقال خالد قد قرب الفرج ان شاء الله تعالى ثم ان خالدا وثب ووثبت أصحابه وقال معاشر الناس اذا وصلتم الى

القوم فتفرقوا عليهم وأحدقوا بهم فعسى ان يخلص حريمنا فقاتلوا احياءاً وكرامة ثم تقدم خالد قال فبينما القوم فى القتال الشديد مع النسوة اذا اشرفت عليهم المواكب والكتائب والاعلام والرايات فصاحت خولة يا بنات التبابعة قد جاءكم الفرج ورب الكعبة ونظر بطرس الى الكتائب المحمدية وقد اشرفت فخفق فؤاده وارتعدت فرائصه وأقبل القوم ينظر بعضهم بعضاً قال فصاح بطرس يامعاشر النسوة ان الشفقة والرحمة قد دخلت فى قلبى لكن لان لنا اخوات وبنات وأمهات وقد وهبتكن للصليب فاذا قدم رجالكن فاخبروهم بذلك ثم عطف يريد العرب اذ نظر الى فارسين وقد خرجا من قلب العسكر احدهما متمكن فى سلاحه والآخر عارى الجسد وقد أطلقا عنانهما كأنهما أسدان وكانوا هؤلاء خالد وضرار قد قرب منهما فلما رأت خولة أخاها قالت له الى أين يا ابن أبى أقبل فصاح بها بطرس انطلقى الى أخيكى فقد وهبتك له ثم ولى يطلب الحرب فقالت له خولة وهى تهزء به ليس هذا من شيم الكرام تظهر لنا المحبة والقرب ثم تظهر الساعة الجفا والتباعد وخطت نحوه فقال قد زال عنى ما كنت أجد من محبتك فقالت له خولة لابد لى منك على كل حال ثم أسرعت اليه وقد قصده ضرار فقال له بطرس خذ أختك عنى فهى مباركة عليك وهى هدية منى اليك قال له الامير ضرار قد قبلت هديتك وشكرتها وانى لا أجد مكافأة لك على ذلك الا السنان رمحى فخذ هذه منى اليك ثم حمل عليه ضرار وهو يقول واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ثم ضمهم اليه بالطعنة ووصلت اليه خولة فضربت قوائم فرسه فكبت به الجواد ووقع عدو الله الى الارض فأدركه ضرار قبل سقوطه وطعنه فى خاصرته أطلع السنان من الجانب الآخر فانجدل صريعاً الى الارض فصاح به خالد لله درك يا ضرار هذه طعنة لايخيب طاعنها ثم حملوا فى أعراض القوم وجميع المسلمين معهم فما كانت الا جولة جائل حتى قتل من الروم ثلاثة آلاف رجل قال حامد بن حامد اليربوعى لقد عددت لضرار بن الازور فى ذلك اليوم ثلاثين قتيلا وقتلت خولة خمسة وعفراء بنت غفار الحميرية أربعة قال وانهزم بقية القوم ولم يزالوا فى ادبارهم والمسلمون على أثرهم الى أن وصلوا الى دمشق فلم يخرج اليهم أحد بل زاد رعبهم واشتد الامر عليهم ورجع المسلمون وجمعوا الغنائم والخيل والسلاح والاموال ثم قال خالد الحقوا بأبى عبيدة لئلا يكون وردان وجيوشه قد لحق به فسار ضرار والقوم وقد جعل ضرار رأس البطريق على سنان رمحه ولم يزل القوم سائرين الى أن لحقوا بأبى عبيدة فى مرج الصفير وقد تخلف أبو عبيدة حتى أشرف المسلمون عليه فكبر وكبر خالد ابن الوليد رضى الله عنه ومعه المسلمون فلما اجتمع الناس سلم بعضهم على بعض ورأوا

المأسورات وقد خلصن واخبر خالد أبا عبيدة بما فعلت خولة وعفرة وغيرهن من الصحابة فاستبشر بنصر الله وعلموا ان الشام لهم ثم دعا خالد بوراص فقال له أسلم والا فعلت بك ما فعلت بأخيك فقال له وما الذى صنعت بأخى قال قتلته وهذه رأسه فرماها ضرار قدامه فلما رأى رأس أخيه بكى وقال له لا بقاء لى بعده حيا فالحقونى به قال فقام اليه المسيب بن يحيى الفزارى رضى الله عنه فضرب عنقه بامر خالد ثم رحل القوم (قال الواقدى) حدثنا سعيد بن مالك قال لما بعث خالد الكتب الى شرحبيل بن حسنة كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى يزيد بن أبى سفيان والى عمرو بن العاص فقرأ كل واحد من الامراء كتابه قال فساروا بأجمعهم الى أجنادين لعون اخوانهم وجاؤا بعددهم وعديدهم قال سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت فى خيل معاذ بن جبل فلما أشرفنا بأجمعنا على أجنادين كاننا كلنا على سيارة واحدة فى يوم واحد وذلك فى شهر صفر سنة ٢٠ من الهجرة وتبادروا المسلمين يسلم بعضهم على بعض قال ورأينا جيوش الروم فى عدد لا يحصى فلما أشرفنا عليهم أظهروا لنا زينتهم وعددهم واصطفوا مواكب وكتائب ومدوا صفوفهم فكانوا ستين صفا فى كل صف ألف فارس قال الضحاك بن عروة والله لقد دخلنا العراق ورأينا جنود كسرى فما رأينا أكثر من جنود الروم ولا أكثر من عددهم وسلاحهم قال فنزلنا بازائهم قال فلما كان من الغد بادرت الروم نحونا قال الضحاك فلما رأيناهم وقد ركبوا أخذنا على أنفسنا وتأهبنا وان خالدا ركب وجعل يتخلل الصفوف ويقول اعلموا انكم لستم ترون للروم جيشا مثل هذا اليوم فان هزمهم الله على أيديكم فما يقوم لهم بعدها قائمة ابدا فاصدقوا فى الجهاد وعليكم بنصرة دينكم واياكم أن تولوا الادبار فيعقبكم ذلك دخول النار واقرنوا المواكب وبكنوا المضارب ولا تحملوا حتى آمركم بالحملة وأيقظوا هممكم (قال الواقدى) ولقد بلغنى ممن اثق به ان وردان لما رأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اجتمعوا وعولوا على حربهم جمع اليه الملوك والبطارقة وقال لهم يابنى الاصفر اعلموا ان الملك يعول عليكم اذا انكسرتم ولا تقوم لكم بعدها قائمة أبدا وتملك العرب بلادكم وتسبى حريمكم فعليكم بالصبر ولتكن حملتكم واحدة ولا تتفرقوا واعلموا ان كل ثلاثة منا بواحد منهم واستعينوا بالصليب ينصركم فهذا ما كان من هؤلاء وأما خالد رضى الله عنه فانه مشى على أصحابه وقال معاشر المسلمين من فيكم يحذرلنا القوم وينذرهم فقال ضرار بن الازور أنا أيها الامير فقال خالد أنت لها والله ولكن ياضرار اذا أشرفت على القوم اياك أن تحمل نفسك مالا تطيق وأنت تغرر بنفسك وتحمل على القوم فما أمرك الله بذلك فقد قال الله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة

قال فانطلق ضرار عنانه حتى أشرف على جيش الروم فرأى ترتيبهم وخيامهم وشعاع البيض والطوارق والرايات كأجنحة الطيور قال وكان وردان ينظر الى نحو جيش المسلمين اذ نظر الى ضرار وهو مشرف على القوم فقال للبطارقة انى أرى فارسا قد أقبل واست أشك أنه طليعة للقوم مايكم يأتيني به فانتدب من القوم ثلاثين فارسا وطلبوا ضرارا فلما نظر اليهم ضرار ولى من بين أيديهم فتبعوه وظنوا انه قد انهزم منهم وانما أراد بذلك أن يبعدهم عن أصحابهم فلما بعد وعلم انه تمكن منهم فألوى رأس جواده اليهم وصوب السنان عليهم فأول ما طعن فارسا من القوم ارداه وأثنى على الآخر فأعدمه الحياة وصال فيهم صولة الاسد على الغنم ودخل رعبه فى قلوبهم فولوا منهزمين فتبعهم وهو يصرع منهم فارسا بعد فارس الى ان صرع منهم تسعة عشر فارسا فلما رأوا ذلك وقرب هو من جيوش الروم الوى راجعا الى خالدا ومعه اسلابهم وخيولهم وأعلمه بما كان فقال له خالد ألم أقل لك لا تغرر بنفسك ولا تحمل عليهم فقال ان القوم طلبونى فخفت ان يرانى الله منهزما فجاهدت باخلاص ولا جرم ان الله نصرنا عليهم والله لولا خوفى من ملامك لى لاحملن على الجميع واعلم أن القوم غنيمة لنا قال ورتب خالد عسكره ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين فجعل فى القلب معاذ بن جبل وفى الميمنة عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وفى الميسرة سعيد بن عامر وفى الجناح الايسر شرحبيل بن حسنة وفى الساقة يزيد بن أبي سفيان فى أربعة آلاف فارس حول الحريم والبنات والاولاد ثم التفت الى النسوة وهى عفرة بنت غفار الحميرية وأم ابان ابنة عتبة وكانت عروسا قد تزوج بها فى هذا اليوم ابان بن سعيد بن العاص والخضاب فى يدها والعطر فى رأسها وخولة بنت الازور ومزروعة بنت عملوق وسلمة بنت زارع وغيرهن من النسوة من عرفوا بالشجاعة والبراعة فقال لهن خالد يا بنات العمالقة وبقية التبابعة قد فعلتن فعلا أرضيتن به الله تعالى والمسلمين وقد بقى لكن الذكر الجميل وهذه أبواب الجنة وقد فتحت لكن وأبواب النار قد اغلقت عنكن وفتحت لاعدائكن واعلمن أنى واثق بكن فان حملت طائفة من الروم عليكن فقاتلن عن أنفسكن وان رأيتن احدا من المسلمين تولى هاربا فدونكن واياه بالاعمدة وارمين عليه بولده وقلن له الى اين تولى عن أهلك ومالك وولدك وحريمك فانكن ترضين بذلك الله تعالى فقالت عفراء بنت غفار أيها الامير والله لايفرحنا الا اذا متنا امامك فلنضربن وجوه الروم ولنقاتلن الى ان لايبقى لنا عين تطرف والله مانبالى اذا رمينا الروم كله قال فجزاهن خيرا ثم عاد الى الصفوف فجعل يطوف بينهم بفرسه ويحرض الناس على القتال وهو ينادى برفيع من صوته يامعاشر المسلمين انصروا الله ينصركم فقاتلوا

فى سبيل الله واحتسبوا نفوسكم فى سبيل الله ولا تحملوا حتى آمركم بالحملة ولتكن السهام
اذا خرجت من أكباد القسى كأنها من قوس واحد فاذا تلاصقت السهام رشقا
كالجراد ولم يخل أن يكون منهم سهما صائبا واصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم
تفلحون واعلموا انكم لم تلقوا بعد هذه عدوا مثله وان هذه الفئة حملتهم وأبطالهم وملوكهم
فجردوا السيوف وأوتروا القسى وفوقوا السهام ثم ان خالدا أقبل ووقف فى القلب مع
عمرو بن العاص وعبد الله بن عمر وقيس بن هبيرة ورافع بن عميرة وذو الكلاع الحميرى
وربيعة بن عامر ونظائرهم قال فلما نظر وردان الى جيش المسلمين وقد زحف فزحفوا
وكانوا لا تملأ الارض فى الطول والعرض من كثرتهم فتراءا الجمعان وتلاقا الفريقان
وقد أظهروا أعداء الله الصلبان والاعلام ورفع المسلمون أصواتهم بالتهليل والتكبير
والصلاة على البشير النذير فلما قرب القوم بعضهم من بعض خرج من علوج الروم شيخ
كبير وعليه قلنسوة سوداء فلما قرب من المسلمين نادى بلسان عربى ايكم المقدم
فليخاطبنى وليخرج الى وعليه الامان قال فخرج اليه خالد بن الوليد فقال له القس أنت
أمير القوم فقال خالد كذلك يزعمون مادمت على طاعة الله وسنة رسوله وان
أنا غيرت أو بدلت فلا امارة لى عليهم ولا طاعة قال القس بهذا نصرتم علينا ثم قال
اعلم انك توسطت بلادا وما جسر ملك من الملوك يتعرض لها ولا يدخلها وان الفرس
دخلوها ورجعوا خائبين وان البرابرة أتوها وافنوا انفسهم عليها وما بلغوا ما أرادوا
ولكنكم أنتم نصرتم علينا وان النصر لا يدوم لكم وصاحبى وردان قد أشفق عليكم وقد
بعثنى اليكم وقال انه يعطى لكل واحد منكم دينارا وثوبا وعمامة ولك أنت مائة دينار
ومائة ثوب ومائة عمامة وارحل عنا بجيشكم فان جيشنا على عدد الذر ولا تظن
ان هؤلاء مثل ما لقيت من جموعنا فان الملك ما انفذ فى هذا الجيش الا عظماء البطارقة
والاساقفة قال خالد والله ما نرجع الا باحدى ثلاث خصال اما ان تدخلوا فى ديننا
أو تؤدوا الجزية أو القتال وأما ما ذكرت من أنكم عدد الذر فان الله تعالى قد وعدنا
النصر على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وأنزل ذلك فى كتابه العزيز وأما ما ذكرت
من أن صاحبكم يعطى كل واحد منا دينارا وعمامة وثوبا فعن قريب ان شاء الله تعالى
نرى ثيابكم وبلادكم وعمائمكم كل ذلك فى ملكنا وبأيدينا فقال الراهب انى راجع
الى صاحبى فاخبره بجوابك ثم لوى راجعا وأخبر وردان بما كان من جواب خالد فقال
وردان أيظن أننا مثل من لقيه من قبل وانما هؤلاء لحقهم الطمع اذا تقاصرنا عن قتالهم
والملك قد أرسل اليهم أكابر البطارقة وما بيننا وبينهم الا جولة الجائل وقد تركناهم
صرعى ثم رتب أصحابه وزحف وقدم امامه الرجالة صفا أمام القوم والخيالة وبأيديهم

المزاريق والقسي قال فصاح معاذ بن جبل معاشر الناس ان الجنة قد زخرفت لكم والنار قد فتحت لاعدائكم والملائكة عليكم قد أقبلت والحور العين قد تزينت للقائكم وأبشروا بالجنة الدرمدية ثم قرأ ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة بارك الله فيكم الحملة فقال خالد مهلا يامعاذ حتى أوصي الناس ومشى في الصفوف ورتب صفوفهم وقال اعلموا ان هؤلاء أضعافكم فطاولوهم الى وقت العصر فانها ساعة يرزق فيها النصر واياكم أن تولوا الادبار فيراكم الله منهزمين ارجعوا على بركة الله تعالى فلما تقارب الجمعان رمت الاروام سهامهم رمية واحدة قال وقتلوا رجالا وجرحوا أنا ثارجال وقد منع الناس من الحملة فقال ضرار بن الازور مالنا والوقوف والحق سبحانه وتعالى قد تجلى علينا والله سبحانه وتعالى ما نظن أعداء الله الا انا قد فشلنا عنهم وجزعنا فامرنا بالحملة حتى نحمل معك قال دأبت لها ياضرار فخرج ضرار بن الازور وقال والله مامن شئ أشهى الى قلبي من ذلك ثم حمل ضرار وقد تدرع بدرع كان لبطرس أخو بولص والقى الزرد على وجهه وركب جواده وكان عليه يومئذ جبتان من جلود الفيلة وكان قد أخذهما أيضا من بطرس وقد أخفى نفسه عن الروم بلباسه ذلك وقد أطلق عنانه وقوم سنانه وحمل في صفوف الروم فرشقوه بالسهام فلم يصل اليه منهم أذى وهو يخترق صفوفهم فما كان قدر ساعة حتى قتل من الروم عشرين فارسا ومثلها رجالة قال عثمان بن عوف الحبي كنت ممن يعد قتلى ضرار بن الازور وكنت كلما قتل فارسا من الروم أعده فكان جملة من قتل ضرار في حملته هذه فرسانا ورجالا ثلاثين فارسا قال عمر بن سالم هكذا حدثني نوفل بن رياد ثم انه رمى البيضاء عن رأسه والزرد عن وجهه ونادى بأعلا صوته انا الموت الاصغر أنا ضرار بن الازور أنا صاحبكم أنا قاتل همدان بن وردان أنا البلاء المتسلط عليكم وعلى من أشرك بالرحمن قال فلما سمعت الروم كلامه عرفوه وتقهقروا الى ورائهم قال فطمع فيهم وحمل في اثرهم فعند ذلك انطبقت عليه الروم فقال وردان من هذا البدوي فقالوا أيها الملك هذا الذى عمره عاري الجسد ومرة برمح ومرة بنبل فلما سمع بذلك وبذكر ضرار بن الازور تنفس صعداء وقال هذا قاتل ولدي ولقد اشتهيت من يأخذ منه بثاري وله مني ما يريد قال فبرز اليه بطريق وكان صاحب بطرية وقال لوردان أنا آخذ لك بالثار ثم لوى عنانه وحملا على ضرار فجالا أكثر من ساعة ثم طعنه ضرار طعنة صادقة خرق بها كبد عدو الله فتجندل صريعا فقال وردان لهم ما أتى به ولو أتى به عيانا ما صدقته فان هذا لاتطيقه الانس ان تقاتله وأنا ما أرى لهذا غيري ثم ترجل وغير لامته وألقى عليه درعا

وجعل على رأسه التاج وركب جوادا من الخيول العربية وهم ان يخرج الى ضرار بن
الازور فتقدم اليه بطريق اسمه اصطفان وهو صاحب عمان قال وباس ركاب وردان
وقال أيها السيدان أخذت بثارك من هذا الذميم أو أسرته لك تزوجني ابنتك فقال له
وردان هي لك واشهد عليه من حضر من ملوك الشام فلما سمع اصطفان بذلك خرج كأنه
شعلة نار وحمل على ضرار وقال له ويلك قد نزل بك مالا قدرة لك به قال فلم يدر ضرار
ماذا يقول غير انه أخذ حذره منه وقد أخرج اصطفان صليبا من الذهب وجعله في عنقه
في سلسلة من الفضة وجعل يقلبه ويرفعه على رأسه فعلم ضرار انه يستنصر به عليه فقال
ضرار رضي الله عنه ان كنت تستنصر علي به لبيك فأنا أستنصر عليك بالقريب المجيب
الذي هو لمن دعاه قريب ثم حمل عليه وأريا الناس أبوابا من الحرب حتى ضج الناس من
قتالهما فصاح خالد يا ابن الازور ما هذا التكاسل والتغافل والجنة قد فتحت لك والنار
قد فتحت لاعدائك واياك والكسل فان الله عز وجل يعينك قال فأيقظ ضرار نفسه
وانقض من سرجه وحمل على خصمه وتصايحت الروم بصاحبها تشجعه وكلاهما
في ضرب عظيم وقد حميت الشمس وتعبت الجوادات فأشار البطريق الى ضرار ان
ترجل حتى نتقاتل رجالة فهم ضرار ان يترجل شفقة على الجواد واذا بصفوف الروم
قد خرجت ورجل يقود جنيبا امامهم وكان ذلك غلام البطريق فلما نظر اليه ضرار صاح
في جواده وقال له احلد معي ساعة والا شكوتك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال فحمحم الجواد وشمر اجنحته جريا واستقبل ضرار غلام البطريق بطعنة فقتله وأخذ
الجنيب فركبه وأطلق جواده نحو عسكر المسلمين فتناولوه وعاد ضرار نحو البطريق فلما
رآه أقبل اليه بعد ماقتل غلامه وركب جواده أيقن عدو الله بالهلاك وعلم انه ولى قتله
بلا محالة وان وقف أهلكه فلما نظر ضرار الى عدو الله علم ما عنده فهجم عليه اذ نظر الى
الروم وقد خرج منهم كردوس وذلك ان وردان لما نظر الى صاحبه وقد أشرف على الموت
وعلم انه ان لم يدركه هلك فقال لقومه ياقوم ان هذا الشيطان قد أكل من كبدي
قطعة واذا لم أقتله والاقتات نفسي ولا بد لي من الخروج اليه قال فخرج في عشرة من
البطارقة وهم مدرعون وفي أرجلهم أخفاف من الحديد وسواعد من الحديد وبأيديهم
عمد من الحديد ووردان قد لبس لامته وعلى رأسه تاج عظيم فخرجوا ووردان امامهم
كأنه شعلة نار ونظر اصطفان الى من خرج فصاح بضرار فلم يلتفت الى من خرج اليه
الا انه تأهب فبينما هم كذلك اذ نظر خالد الى القوم وخروجهم ونظر الى التاج وهو يلمع
على رأس صاحبهم فقال ان التاج لا يكون الا على رأس الملك ولا شك انه صاحب
القوم وقد خرج الى صاحبنا فما الذي يقعدنا عن نصرته ثم قال لاصحابه لا يخرج الا عشرة

حتى تساوى القوم فخرج خالد فى عشرة من أصحابه وأطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة قال ووصل الروم الى ضرار فاستقبلهم بقلب أقوى من الحجر الجلمود قال فناداه خالد أبشر يا ضرار فقد أسعدك الجبار ولا تجزع من الكفار فقال ضرار رضى الله عنه ما أقرب النصر من الله وجاء خالد ومن معه والتقت الرجال بالرجال وانفرد كل واحد بصاحبه وطلب خالد وردان ولم يبرح ضرار عن خصمه اصطفان وقد كل ساعده وارتعدت فرائصه عندما نظر الى خالد ومن معه ينظر يمينا وشمالا لا يطلب الهرب فعلم ضرار منه ذلك فهجم عليه بسنانه فلما أيقن بالموت ألقى نفسه الى الارض وولى هاربا فبادر اليه ضرار وألقى نفسه عن جواده وطلب عدو الله حتى لحقه وتقابضا على وجه الارض وكان عدو الله كالصخر الجلمود وكان ضرار نحيف الجسم غير ان الله تعالى أعطاه قوة الايمان فلما طال بهم العراك ضرب بيده الى مراق بطنه وقلعه من الارض بحيلة وجلد به الارض فصاح عدو الله وجعل يستنجد بوردان وقال بالرومية أيها السيد أنجدنى مما أنا فيه فقد هلكت فصاح وردان يا ويلك وأنا من ينقذنى من هؤلاء السباع الا كاسرة فسمع خالد ذلك فطمع فيه وحمل وردان وهم ضرار بخصمه ونظر اليهما الفريقان وأقبل صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يمهل ضرار على خصمه دون ان برك على صدره وذبحه مثل البعير وكل واحد مشتغل عن نصرة صاحبه قال فأخذ ضرار رأس عدو الله وهو ملطخ بالدماء وركب جواده وحملت الروم على المسلمين ونادى سعيد بن زيد يا معاشر الناس اذكروا الوقوف بين يدى الله الملك الجبار فاياكم ان تولوا الادبار فتستوجبوا دخول النار يا أهل الايمان اصبروا يا حملة القرآن قال فزاد الناس بقوله نشاطا وتزاحم الفريقان قال وجاء وقت العصر فافترقوا الى أن قتل من الروم ثلاثة آلاف وعشرة من ملوكهم وهم رومان صاحب الاميرة ودمر صاحب نوى وكوكب صاحب أرض البلقاء ولاوى بن حنا صاحب غزا قال ثم افترق القوم ورجع وردان الى مكانه وقد امتلأ قلبه رعبا مما ظهر له من المسلمين من شدة صبرهم وقتالهم فجمع البطارقة وقال لهم يا أهل دين النصرانية ماذا تقولون فى هؤلاء العرب فانى أراهم غالبين علينا وقد رأيت أسيافهم قاطعة وخيلهم صابرة وسواعدكم بليدة وان القوم أطوع منكم لربهم وما خذلتم الا بالظلم والجور والغدر وما مرادى منكم الا أن تتوبوا الى ربكم فان فعلتم ذلك رجوت ان لكم النصر من عدوكم وان لم تفعلوا ذلك فأذنوا بحرب من المسيح وبهلاك أنفسكم فان الله عاقبكم أشد عقوبة اذ سلط عليكم أقواما لا نفكر بهم ولا نعدهم لان أكثرهم جياع وعبيد وعراة ربما أخرجهم الينا قحط

الحجاز وجوعه وشدة الضرر والبلاء والآن لما أكلوا من خبز بلادنا وفواكه أرضنا وأكلوا العسل والتين والعنب وأعظم ذلك سبي نسائكم وأموالكم قال الواقدي فلما سمع القوم ذلك بكوا وقالوا نقتل عن آخرنا ولا يصل الينا هؤلاء القوم وانا نرى ان نقاتلهم بالرماح قال فلما سمع وردان ذلك منهم صاح بالبطارقة وقال لهم ما عندكم من الرأى فقال رجل منهم ياوردان اعلم انك قد بليت بقوم لا تقام لقتالهم وقد رأيت ان الواحد منهم يحمل على عسكرنا ولا يبالى من أحد ولا يرجع حتى يقتل منهم أحدا وقد قال لهم نبيهم ان من قتل منكم صار الى الجنة ومن قتل من الروم صار الى النار والموت والحياة عندهم سواء وما أرى لكم من القوم مطمع الا أن نصل الى صاحبهم فنقتله فان قتلتموه تنهزم القوم وانك لم تصل اليه الا بحيلة توقعه فيها فقال وردان وأى حيلة ندخل بها على القوم والحيل والخداع والمكر منهم فقال له البطريق أنا أقول لك شيأ ان صنعته وصلت به الى أمير العرب من حيث لا يصل اليك شئ ولا أذى وذلك انك تنتخب عشرة من الفرسان من ذوى الشدة والبأس ويكمنون فى كمين من جهة العسكر قبل خروجك اليه وبعد ذلك تخرج اليه وتشاغله بالحديث ثم اهجم عليه واخرج قومك يبادرون اليك من المكمن ويقطعوه اربا اربا وتستريح منه وبعد ذلك تتفرق أصحابه ولا يجتمع منهم أحد قال فلما سمع وردان ذلك من البطريق فرح فرحا عظيما وقال ما هذا الا رأى سديد فنعم ما أشرت به وقد أصبت فيما ذكرت غير أن هذا الامر يعمل فى جنح الليل ولا يأتى الصباح الا وقد فرغنا مما نريد ثم ان وردان دعا برجل من العرب المستنصرة اسمه داود وكان سكينه وقال له ياداود أنا أعلم انك فصيح اللسان وانى أريد ان تخرج الى هؤلاء العرب وتسألهم ان يقطعوا الحرب بيننا وبينهم وقل لهم لا يخرجوا الغداة بكرة النهار حتى أخرج بنفسى اليهم منفردا عن قومى ولعلنا نصطلح مع العرب فقال داود ويحك وتخالف أمر الملك هرقل فيما أمرك به من الحرب وتصطلح أنت والعرب فان الملك ينسبك الى الجزع والفزع وما كنت بالذى أخاطب العرب فى ذلك أبدا فيبلغ الملك انى كنت السبب فى ذلك فيقتلنى فقال له وردان ياويلك انما دبرت حيلة على أمير العرب حتى أصل اليه بها فأقتله وتتفرق هؤلاء العرب عنا ثم انه حدثه بما عزم عليه من المكر لخالد بن الوليد فقال لوردان ان الباغى مخذول فى كل فعل فالق الجمع بالجمع واترك ما عزمت عليه فقال وردان وقد غضب ويلك أنت تعاندنى وقد أمرتك به ودع عنك اللجاج فقال حبا وكرامة ثم انه مضى وقال فى نفسه ان وردان قد عزم أن يلحق بولده ثم أقبل حتى انه وقف قريبا من المسلمين ينادى برفيع صوته وينادى يامعاشر العرب حسبكم من القتل وسفك الدماء فان الله تعالى يسألكم عن سفكها

وأريد ان يخرج الى أمير العرب حتى أعلمكم بما أرسلت به قال فلما استتم كلامه حتى
خرج اليه خالد رضي الله عنه وهو كأنه شعلة نار فلما نظر اليه داود النصراني قال له
يا عربي على رسلك فما خرجت أحارب ولا أنا من رجال الحرب وما أنا الا رسول
فلما سمع خالد مقالته تقرب منه وقال أد رسالتك واستعمل الصدق تنجو فمن صدق
نجى ومن كذب هلك فقال صدقت يا عربي ان أميرنا وردان كاره سفك الدماء
وقد نظرت حربكم ولا يريد حربكم وقد نظر الى من قتل من جماعته فكره ان يحاربكم
وقد رأى ان يدفع لكم مالا ويحقن به دماء الناس لكن بشرط ان يكون بينك وبينه
كتاب وتشهد عليك كبراء قومك انك لا تتعرض له ولا لاحد من أصحابه ولا لحصن
من حصونه فان فعلت ذلك وثق بقولك وهو يسأل ان تقطع الحرب بقية يومك فاذا
أصبحت اخرج بنفسك ولا يكون معك أحد ويخرج هو أيضا منفردا فتنظروا ما تتفقوا
عسى ان تحقنا دماء الناس بيننا وبينكم قال ولما سمع خالد ما نطق به داود فقال له
خالد ان كان ما أخبر به صاحبكم يريد به حيلة أو مكيدة فنحن والله حرثومة الخداع
وما مثلنا يأتي بحيلة ولا بخديعة فان كان ذلك ضميره واعتقاده فما هو الا قرب أجله
وانقطع عمره وهلاك جمعكم والانفصال بيننا وبينكم وان كان ذلك حقا من قوله
فلست أصالحه الا اذا أدى الجزية عن جماعته وأما المال فلست براغب فيه الا على
ما ذكرته لكم وعن قريب نأخذ أموالكم ونملك بلادكم فقال داود وقد علم على
كلام خالد ما يكون الامر الا كما ذكرت فاذا تواقفتم كان الانفصال بيننا وها أنا راجع
فاذكر له ما ذكرت ثم ألوى راجعا وقد امتلأ قلبه رعبا من خالد وفزع منه فزعا شديدا
ثم قال في نفسه صدق وانه أمير العرب وأنا أعلم والله ان وردان أول مقتول ونحن من
بعده ومالي الا ان أصدق أمير العرب وآخذ لي ولاهلي منه أمان ثم رجع الى خالد وقال له
يا أميرا قد أضمرت على سر وأريد ان أبديه لك لاني أعلم ان البلاد لكم فان وردان
قد نوى على شئ فقال خالد وما هو فقال خذ لنفسك الحذر وكن مستيقظا فانه قد أضمر لك
كيدا ثم أخبره بالقصة من أولها الى آخرها ثم قال لخالد أريد منك الامان لي ولاهلي
فقال خالد الامان لك ولاهلك ولاولدك ان أنت لم تخبر القوم ولم تغدر قال داود ولو أردت
ان أغدر لما حدثتك فقال خالد وأين كمين القوم قال عند كثيب عن يمين عسكرهم
ثم انه خلاه ورجع وأعلم وردان ففرح وقال الآن أرجو ان يظفر في الصليب بهم
ثم انه دعا بعشرة من الابطال وقال لهم أمضوا برجالكم واكمنوا وأمرهم أن يفعلوا ما دبروه
وأما خالد فانه رجع فالتقاه أمين الامة أبو عبيدة فرآه ضاحكا فقال يا أبا سليمان
أضحك الله سنك ما الخبر فقال بما جرى فقال أبو عبيدة على ماذا عزمت قال عزمت

ان

أن أخرج الى القوم وحدى فقال يا أبا سليمان لعمرك انك لكفؤ ولكن ما أمرك الله ان تلقى نفسك الى التهلكة والله تعالى يقول وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وقد أعد لك عشرا وهو حادى عشر وما آمن عليك من اللعين ولكن أندب له رجالة كاندب لك رجالة وا كمن بهم قريبا من القوم فاذا اصرخ اللعين بقومه فاصرخ أنت بقومك ونكون نحن متأهبين على خيولنا فاذا فرغت من عدو الله حملنا جميعا ونرجو من الله النصر فقال المسلمون منهم رافع بن عميرة الطاءى ومعاذ بن جبل وضرار بن الازور وسعيد بن زيد وقيس بن هبيرة وميسرة ابن مسروق العبسى وعدى بن حاتم فلما استتم بهم العشرة أخبرهم خالد بما قد عزموا عليه الروم من الحيلة والمكيدة التى قد دبرها وردان وقال اخرجوا رجالة بحيث لا يدرى بكم أحد حتى انكم تأتوا الكثيب التى عن يمين العسكر فاكمنوا هناك فاذا صرخت بكم فبادروا وانفروا القوم كل واحد لواحد واتركونى لعدو الله فانى ان شاء الله تعالى كفؤله فقال ضرار أيها الامير أخاف ان يكثر عليك الجمع الكثير فلا تأمن ان يصلوا بشرهم اليك وقد كنت أدبر لك حيلة انا نسير من وقتنا هذا الى مكمن القوم فاذا وجدناهم رقود اقتلناهم وفرغنا منهم قبل الصباح ونكمن نحن فى مواضعهم فاذا خلوت أنت بعدو الله خرجنا عليكم بغير مقالة فقال خالد افعل يا أبا الازور ما ذكرت ان وجدت الى ذلك سبيلا وخذ معك هؤلاء الذين ندبتهم وأنت الامير عليهم وأرجو ان الله يبلغك ما تطلبه فان فعلت ذلك فهى الفرحة الكاملة فقال ضرار أرجو من الله الوصول اليهم وخرج هو وأصحابه فى جنح الليل رجالة وبأيديهم أسلحتهم وودعوا الناس وكان وقت خروجهم قد مضى ثلث الليل ثم سار ضرار حتى وصل الكثيب فأوقف أصحابه وقال على رسلكم حتى استخبر لكم خبر القوم فلما أشرف عليهم من بعيد سمع خطيطهم وهم نيام سكرا غرقوا فى النوم لما نالهم من التعب والنصب وقد آمنوا من أحد ينظرهم فقال ضرار فى نفسه ان أنا دنوت من القوم لاقتلهم فأخشى ان يوقظ بعضهم بعضا قال فرجع الى أصحابه وقال لهم أبشروا فقد أتاكم الله بما تريدون وأذهب عنكم ما تحذرون فجردوا سيوفكم وسيروا الى القوم فاقتلوهم كيف شئتم ثم تقدم ضرار أمامهم وهم فى أثره الى أن وصل بهم اليهم فوجدوهم نياما كل واحد منهم سلاحه عند رأسه فانفرد كل واحد بواحد فلم يستقر الا وقد فرغوا منهم عن آخرهم وأخذ كل واحد سلاح غريمه وأخذوا كل ما معهم من الزاد وغيره فقال لهم ضرار أبشروا فان هذا أول النصر ان شاء الله تعالى وأقبلوا بقية ليلتهم يصلون ويدعون الله ان ينصرهم على عدوهم ولم يزل كل واحد منهم فى مصلاه الى أن أضاء الفجر فصلوا صلاة الفجر فلما

فرغوا من الصلاة لبس كل واحد ثياب غربه وإباسه وغيبوا القتلا مخافة ان يرسل
اليهم وردان قال الواقدى فلما أصبح الله بالصباح صلى خالد بالناس ورتب أصحابه
لاهبة الحرب فبينما هم لذلك اذ خرج من القلب فارس وقال يا معشر العرب أريد
أميركم ليخرج الى صاحبنا وردان لينظر ما يتفقان عليه من أمر الجيشين واحقان الدماء
بينهما قال فخرج اليه خالد بن الوليد فقال له الفارس ان وردان يريد أن تنتظره حتى
تكلم معه فقال خالد السمع والطاعة ارجع وأخبره فعند ذلك خرج وردان وقد
تظاهر بقلادة جوهر وعلى رأسه تاج فقال خالد عندما رآه هذه غنيمة للمسلمين ان شاء
الله تعالى قال فلما نظر عدو الله الى خالد ترجل عن جواده وكذلك خالد وجلس كلاهما
وقد جعل عدو الله سيفه على فخذه فقال له خالد قل ما تشاء واستعمل الصدق والزم
طريق الحق واعلم انك جالس بين يدي رجل لا يعرف الحيل فقل ما تريد فقال
وردان يا خالد اذكر لي ما الذي تريدون وقرب الامر بيني وبينكم فان كنت تطلب
منا شيئا فلم نبخل به عليك صدقة منا عليكم لاننا ليس عندنا أمة أضعف منكم
وقد علمنا انكم كنتم في بلاد قحط وجوع تموتون جوعا فاقنع منا بالقليل وارحل عنا
فلما سمع منه خالد هذا الكلام قال له يا كلب النصرانية ان الله عز وجل أغنانا عن
صدقاتكم وأموالكم وجعل أموالكم نتقاسمها بيننا وأحل لنا نساءكم وأولادكم
الا أن تقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله وان أبيتم فالحرب بيننا وبينكم أو الجزية عن
يد وأنتم صاغرون والله ينصر من يشاء منا ومنكم وما لكم عندنا الا السيف ان أبيتم
الاسلام وبالله أقسم ان الحرب أشهى لنا من الصلح وأما قولك يا عدو الله انا لم تكن
أمة أضعف منا عندكم فأنتم عندنا بمنزلة الكلاب وان الواحد منا يلقى ألفا منكم
بعون الله تعالى وما هذا خطاب من يطلب الصلح فان كنت ترجو ان تصل الى
بانفرادى عن قومى وعن قومك فدونك وما تريد قال فلما سمع وردان مقالات خالد وثب
من مكانه من غير ان يجرد سيفه وتشابكا وتقابضا وتعانقا بعضهم ببعض قال فصاح
عدو الله عندما وثق من خالد وقال لاصحابه بادروا الآن الصليب قد مكنني من أمير
العرب قال فما استتم كلامه حتى بادروا اليه الصحابة كأنهم عقبان ومقدمهم ضرار
ابن الازور وقد رموا الثياب عنهم وجردوا سيوفهم وضرار عاري الجسد بسراويله
قابض على سيفه وهو يزمجر كالاسد وأصحابه من ورائه فالتفت عدو الله ونظر الى
القوم وهم يسابقون اليه وهو يظن انهم قومه حتى انهم وصلوا اليه ونظر في أوائلهم
ضرار بن الازور فقال لخالد أسألك بحق معبودك تقتلني أنت بيدك ولا تدع هذا
الشيطان يقتلني فقال خالد هو قاتلك لا محالة فهز ضرار سيفه وقال يا عدو الله أين

خديعتك

خديعتك من خديعة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال خالد اصبر يا ضرار
حتى آمرك بقتله ثم وصل اليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهزوا سيوفهم
في وجهه ومرادهم يقتلوه ونظر عدو الله الى ما دهمه فوقع الى الارض وهو يشير باصبعه
الامان الامان فقال خالد يا عدو الله لا نعطي الامان الا لاهل الايمان وأنت أظهرت
لنا المكر والخديعة والله خير الماكرين فلما سمع ضرار كلام خالد لم يمهله دون ان ضربه
على عاتقه خرج السيف يلمع من علائقه ثم أخذ التاج من على رأسه وقال من سبق
الى شئ كان أولى به وقد أدركته سيوف المجاهدين فقطعوه اربا اربا وتبادروا الى
سيفه فأخذوه ثم ان خالد قال لاصحابه اني أريد أن تحملوا على الروم لانهم مشتاقون
الى أصحابهم قال فخذوا رأس عدو الله وردان وتوجهوا نحو عسكر الروم فلما وصل
خالد الصفوف نادى يا أعداء الله هذا رأس صاحبكم وردان أنا خالد بن الوليد أنا
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انه رمى الرأس وحمل عليهم وحملوا المسلمون
وحمل أبو عبيدة وقال احملوا يا أهل القرآن وحفاظ الدين وحماة المسلمين فلما رأوا الروم
رأس وردان ولوا الادبار وركنوا الى الفرار ولم يزل السيف يعمل فيهم من وقت
الصباح الى الغروب قال عامر بن الطفيل الدوسي كنت مع أبي عبيدة ونحن نتبع
المنهزمين الى طريق غزاة اذ اشرف علينا خيل فظننا انهم نجدة من عند الملك هرقل
فأخذنا على أنفسنا واذا بالغبرة قد قربت منا فاذا هي عسكر قد أرسلها أبو بكر الصديق
وما رأوا أحدا من المنهزمين الا قتلوه ونهبوا جميع ما معه قال الواقدي وكان الروم
بأجنادين تسعون ألف فقتل منهم في ذلك اليوم خمسون ألف وتفرق من بقي منهم
فمنهم من انهزم الى دمشق ومنهم من انهزم الى قيسارية وغنم المسلمون منهم غنيمة لم يغنم
مثلها واخذوا منهم صلبان الذهب والفضة فجمع خالد ذلك كله مع تاج وردان الى
وقت القسمة وقال خالد ليس أقسم عليكم شيأ الا بعد فتح دمشق ان شاء الله تعالى
وكانت الوقعة بأجنادين لليلة ست خلت من جمادى الاولى سنة ثلاث عشرة
من الهجرة النبوية وذلك قبل وفاة أبي بكر بثلاث وعشرين ليلة ثم ان خالد رضي الله
عنه كتب كتابا الى أبي بكر يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من خالد بن الوليد
المخزومي الى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام عليك فاني أحمد الله الذي
لا اله الا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأزيد حمدا وشكرا على المسلمين
ودمارا على المتكبرين المشركين وانصداع بيعتهم وانا القينا جموعهم بأجنادين وقد
رفعوا صلبانهم وتقاسموا بايمانهم ان لا يفروا ولا ينهزموا فخرجنا اليهم واستعنا بالله عز
وجل متوكلين على الله خالقنا فرزقنا الله الصبر زائدا بالنصر وكتب الله على أعدائنا

القهر وقتلناهم في كل واد وسبب وجملة من أحصيناهم ممن قتل من المشركين خمسون الفا وقتل من المسلمين في اليوم الاول والثاني أربعمائة وخمسة وسبعون رجلا ختم الله لهم بالشهادة منهم عشرون رجلا من الانصار ومن أهل مكة ثلاثون رجلا ومن حمير عشرون والباقي من اخلاط الناس ويوم كتبت لك الكتاب كان يوم الخميس لليلتين خلتا من جمادى الاخرى ونحن راجعون الى دمشق ان شاء الله تعالى فادع لنا بالنصر والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته وطوى الكتاب وسلمه الى عبد الرحمن بن حميد وأمره بالمسير الى المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم السلام وسار خالد بالمسلمين طالب دمشق قال الواقدي رحمة الله عليه ولقد بلغني ان أبا بكر الصديق كان يخرج كل يوم بعد صلاة الفجر اذ أقبل عبد الرحمن بن حميد فلما رآه تسابقت اليه أصحابه وقالوا له من أين أقبلت قال من الشام وان الله قد نصر المسلمين فسجد أبو بكر الصديق لله شكرا واقبل عبد الرحمن بن حميد الى أبي بكر وقال يا خليفة رسول الله ارفع رأسك فقد أقر الله عينك بالمسلمين فرفع أبو بكر رأسه وقرأ الكتاب سرا لما بهم مافيه قرأه على المسلمين جهرا فتزاحم الناس يسمعون قراءة الكتاب فشاع الخبر في المدينة فهرعت الناس من كل مكان فقرأه أبو بكر ثاني مرة وتسامع الناس من أهل مكة والحجاز واليمن بما فتح الله على أيدي المسلمين وما ملكوا من أموال الروم فتسابقوا بالخروج الى الشام ورغبوا في الثواب والاجر وأقبل الى المدينة من أهل مكة وأكابرهم بالخيل والرماح وفي أوائلهم أبو سفيان والغيداق بن وائل وأقبلوا يستأذنوا أبا بكر في الخروج الى الشام فكره عمر بن الخطاب خروجهم الى الشام وقال لابي بكر دع القوم لما في قلوبهم حقائد وضغائن والحمد لله الذي كانت كلمة الله هي العليا وكلمتهم هي السفلى وهم على كفرهم وأرادوا أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ونحن مع ذلك نقول ليس مع الله غالب فلما ان أعز الله ديننا ونصر شريعتنا أسلموا خوفا من السيف فلما سمعوا ان جند الله قد نصروا على الروم أتوا لنبعثهم الى الاعداء ليقاسموا السابقين الاولين والصواب ان لا تقربهم فقال أبو بكر لا أخالف لك قولا ولا أعصي لك أمرا قال وبلغ أهل مكة ما تكلم به عمر بن الخطاب فأقبلوا بجمعهم الى أبي بكر الصديق في المسجد فوجدوا حوله جماعة من المسلمين وهم يتذاكرون ما فتح الله على المسلمين وعمر بن الخطاب عن يساره وعلي بن أبي طالب عن يمينه والناس حوله فأقبلت قريش الى أبي بكر فسلموا عليه وجلسوا بين يديه وتطاولوا فيمن يكون أولهم كلاما فكان أول من تكلم سفيان بن حرب فأقبل على عمر بن الخطاب وقال يا عمر كنت لنا مبغضا في الجاهلية فلما

هدانا الله تعالى الى الاسلام هدمنا ما كان لك فى قلوبنا الان الايمان يهدم الشرك وأنت بعد اليوم تبغضنا فما هذه العداوة يا ابن الخطاب قديما وحديثا أما آن لك أن تغسل ما بقلبك من الحقد والتنافر وانا لنعلم انك لافضل منا وأسبق فى الايمان والجهاد ونحن عارفون بمرتبتكم غير منكرين قال فسكت عمر رضى الله عنه استحيى من هذا الكلام فقال أبو سفيان انى أشهدكم أنى قد حبست نفسى فى سبيل الله وكذلك تكلم سادات مكة فقال أبو بكر اللهم بلغهم أفضل ما يؤملون واجزهم بأحسن ما يعملون وارزقهم النصر على عدوهم ولا تمكن عدوهم فيهم انك على كل شئ قدير (قال الواقدى) فما تمت أيام قلائل حتى جاء جمع من اليمن وعليهم عمرو بن معدى كرب الزبيدى رضى الله عنه يريد الشام فما استتموا حتى أقبل مالك بن الاشتر النخعى رضى الله عنه فنزل عند الامام على رضى الله عنه بأهله وكان مالك يحب سيدنا على وقد شاهد معه الوقائع وخاض المعامع فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد عزم على الخروج من الناس الى الشام (قال الواقدى) واجتمع بالمدينة نحو من تسعة آلاف فلما تم أمرهم كتب أبو بكر كتابا الى خالد بن الوليد يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من أبى بكر خليفة رسول الله الى خالد ابن الوليد ومن معه من المسلمين أما بعد فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأقول لكم وآمركم بتقوى الله فى السر والعلانية وقد فرحت بما أفاء الله على المسلمين من النصر وهلاك الكافرين وأخبرك أن تنزل الى دمشق الى أن يأذن الله بفتحها على يدك فاذا تم لك ذلك فسر الى حمص وانطاكية والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته وقد تقدم اليك أبطال اليمن وأقيال مكة ويكفيك ابن معدى كرب الزبيدى ومالك الاشتر وأن تنزل على المدينة العظمى انطاكية فان بها الملك هرقل فان صالحك فصالحه وان حاربك فحاربه ولا تدخل الدرب وأقول قولى هذا الآن الاجل قد قرب ثم كتب كل نفس ذائقة الموت ثم ختم الكتاب وطواه ودفعه الى عبد الرحمن وقال له أنت كنت الرسول الى الشام وأنت ترد الجواب فأخذه عبد الرحمن وسار على مطيته يطوى المنازل والمناهل الى أن وصل الى دمشق قال حدثنى نافع بن عميرة قال لما بعث خالد بن الوليد الكتاب الى أبى بكر الصديق ارتحل يريد دمشق وكان أهلها قد سمعوا بقتل بطارقتهم وأبطالهم وانهزام جيوشهم ومن أرسلهم الملك باجنادين فخافوا وتحصنوا بدمشق وأعدوا آلة الحصار ورفعوا السيوف والطوارق وعلوا على الاسوار ونشروا الاعلام والصلبان فلما أخذوا على أنفسهم أشرف عليهم الامير خالد بن الوليد والجيش قد زاد فى عمرو بن العاص

فى تسعة آلاف ويزيد بن أبى سفيان فى ألفين وشرحبيل بن حسنة وعامر بن ربيعة فى ألفين وأقبل السواد من ورائهم مع معاذ بن جبل فى ألفين فلما رأى أهل دمشق عسكر المسلمين مثل البحر الزاخر وأيقنوا بالهلاك وأقبل خالد فى جيش الزحف فنزل على الدير المعروف به وبينه وبين المدينة أقل من ميل فلما نزل هناك دعى بالامراء فأحضرهم فقال لابى عبدالله أنت تعلم ما ظهر لنا من غدر هؤلاء القوم عبدة الصلبان عنهم وخروجهم فى أثرنا فامض بمن معك من أصحابك وانزل بهم على باب الجابية ولا تسمح للقوم بالامان فيأخذوك بمكرهم وانكن متباعدا عن الباب وابعث اليهم فوجا بعد فوج واجعل قتال الناس دولا ولا يضيق صدرك من كثرة المقام ولا تبرح من مكانك واحذر من القوم الكافرين فقال أبو عبيدة حبا وكرامة ثم انه خرج حتى انه نزل بباب الجابية ونصب له بيتا من الشعر بالبعد من الباب (قال الواقدى) حدثنى مسلمة بن عوف عن سالم بن عبدالله عن حجاج الانصارى قال قلت لجدى رفاعة بن عاصم وكان ممن قاتل بدمشق وكان فى خيل أبى عبيدة فقلت ياجداه ما منع أبا عبيدة أن ينصب له قبة من بعض قبب الروم مما أخذه من اجنادين ومن بصرى ومن كان عندهم ألوف من ذلك فقال يابنى منعهم من ذلك انه تواضع ولا تنافسوا من زينة الدنيا وملكها حتى ينظروا الروم انهم لا يقاتلوا طلبا للملك وانما يقاتلوا رجاء ثواب الله تعالى وطلب الآخرة ونصرة للدين ولقد كما نزل ونصب خياما ونيام الروم بالبعد قال فلما نزل أبو عبيدة على باب الجابية أمر أصحابه بالقتال ثم ان خالدا استدعى بيزيد ابن أبى سفيان وقال له يا يزيد خذ صاحبك وانزل على الباب الصغير واحفظ قومك وان خرج اليك أحد لا يكون لك به طاقة فابعث الى حتى أنجدك ان شاء الله تعالى ثم استدعى بشرحبيل بن حسنة كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له انزل على باب توما ثم توجه بقومه واستدعى بعمرو بن العاص وأمره أن يسير الى باب الفراديس ثم استدعى بعده بقيس بن هبيرة وقال له اذهب بقومك الى باب الفرج ثم نزل خالد على الباب الشرقى ودعى بضرار بن الازور رضى الله عنه وضم اليه ألفى فارس وقال له تطوف حول المدينة بعسكرك وان دهمك أمر أولاحت لك عيون القوم فأرسل الينا قال ثم سار ضرار واتبعه قومه وبقى خالد على الباب الشرقى ثم قدم عبد الرحمن بن حميد من المدينة بكتاب أبى بكر الصديق رضى الله عنه وعدل الى ناحية خالد بن الوليد على الباب الشرقى وقد تقدم للقتال طائفة من أصحابه مع رافع ابن عميرة فلما رفع اليه الكتاب فرح بعد أن قرأه على المسلمين واستبشر بقدوم عمرو بن معدى كرب الزبيدى وأبى سفيان بن حرب قال وشاع الخبر عند جميع الناس وبعث

خالد كتاب أبي بكر الى كل باب فقرئ على الناس وبات الناس متأهبين للحرب يتحاربون الى الصباح وضرار يطوف حولهم ولا يقف فى مكان واحد مخافة أن يكبس بهم العدو (قال الواقدي) ولقد بلغني أن أهل دمشق اجتمعوا الى كبارهم من البلد وتشاوروا فيما بينهم فقال بعضهم مالنا الا الصلح ونعطى العرب جميع ما طلبوه منا وقال آخرون ما نحن بأكثر من جموع اجنادين فقال لهم بطريق من الروم اطلبوا بنا صهر الملك توما نتشاور فى هذا الامر لنسمع ما يقول ونطلب منه أن يكشف عنا ما نحن فيه فاما أن يصالحهم واما أن يحامى عنا قال فمضوا القوم الى توما وعليه رجال موكلون بالسلاح فقالوا لهم ما الذى تريدون فقالوا نريد صهر الملك توما نشاوره فى هذا الامر قال فأذنوا لهم فدخلوا عليه وقبلوا الارض بين يديه فقال لهم ما الذى تريدون فقالوا أيها السيد انظر ما نزل ببلادنا وقد جاءنا ما لا طاقة به فاما أن نصالح العرب على ما طلبوا واما أن نرسل الى الملك فيجدنا أو يمانع عنا فقد أشرفنا على الهلاك فلما سمع ذلك منهم تبسم ضاحكا وقال يا ويلكم أطمعتم العرب فيكم وحق رأس الملك ما أرى القوم أهلا للقتال ولا هم خاطرين لى على بال فلو فتح لهم الباب ما جسروا أن يدخلوا فقالوا أيها السيد ان أكبرهم وأصغرهم يقاتل العشرة والمائة وصاحبهم داهية لا يطاق فان كان ولا بد فاخرج بنا القتالهم فقال لهم توما انكم أكثر منهم ومدينتنا حصينة ولكم مثل هذا العدد والسلاح وأما القوم فهم حفاة عراة فقالوا له أيها السيد ان معهم من عددنا وأسلحتنا كثيرا مما أخذوه من وقعة فلسطين ومما أخذوه من بصرى ومن يوم لقائهم بكلوس وعزرائيل ومما أخذوه من اجنادين وأيضا ان نبيهم قال لهم ان من قتل منا صار الى الجنة فلاجل ذلك يبقوا عراة الاجساد ليصلوا الى ما قال لهم نبيهم قال فضحك من قولهم وقال لهم لاجل ذلك طمعتم العرب فينا ولو صدقتم فى الحرب والصدام لقتلتموهم لانكم أضعافهم مرارا فقالوا أيها السيد اكفنا مؤنتهم كيف شئت واعلم أنك ان لم تمنعهم عنا فتحنا لهم الابواب وصالحناهم فلما سمع توما كلامهم فكر طويلا وخشى أن تفعل القوم ذلك فقال أنا أصرف عنكم هؤلاء العرب وأقتل أميرهم وأريد منكم تقاتلوا معى قالوا نحن معك وبين يديك نقاتل حتى نهلك عن آخرنا فقال لهم باكروا القوم بالقتال فانصرفوا عنه وهم له شاكرون ولامره منتظرين وباتوا بقية ليلتهم على الحصن وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مواضعهم ولهم ضجة بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وخالد بن الوليد عند الدير ومعه النساء والعيال والاموال والغنائم التى غنموها من أعدائهم ورافع بن عميرة على الباب الشرقى فى عسكر الزحف وغيرهم ولم تزل الناس فى الحرص الى أن برق الصباح وعلى كل أمير

بن معه من قومه وصلى أبو عبيدة بمن معه ثم أمر أصحابه بالزحف وقال لهم لا تغفلوا عن القتال واركبوا الخيل حدثني رفاعة بن قيس قال سألت والدي قيس وكان ممن حضر فتوح دمشق الشام فقلت له أكنتم تقاتلون في دمشق خيالة أو رجالة يوم حصار المسلمين فقال ما كان أحد منا فارسا الا رماة الا الى فارس مع ضرار بن الازور وهو يطوف بهم حول العسكر وحول المدينة وكلما أتى بابا من الابواب وقف عنده وحرض أهله على القتال وهو يقول ما براء بر الاعداء الله قال وأقبل توما صهر الملك هرقل من بابه الذي يدعى باسمه وكان عندهم عابدا راهبا ولم يكن في بلادنا شرك أعبد منه وأ أرود في دينهم وكان معظما عند الروم فخرج ذلك اليوم من قصره والصليب الاعظم على رأسه وعلا به فوق البرج وأوقف البطارقة حوله والانجيل تحمله ذوو المعرفة قال ونصبوه بالقرب من الصليب ورفع القوم أصواتهم وتقدم توما ووضع يده على أسطر من الانجيل وقال اللهم ان كنا على الحق فانصرنا ولا تسلمنا الاعدائنا واخذل الظالم منا فانك به عليم اللهم انما نتقرب اليك بالصليب ومن صلب على دينه وأظهر الآيات الربانية والافعال الالهوتية انصرنا على هؤلاء الظالمين قال وأمن الناس على دعائه قال رفاعة بن قيس هكذا حدثني شرحبيل بن حسنة كاتب وحي رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي فسر لنا هذا الكلام روماس صاحب بصرى وكان في جيش شرحبيل بن حسنة يقاتل على باب توما وكلما قال الروم شيأ بلغتهم فسره لنا قال وبهض شرحبيل وقصد الباب بحملته وقد عظم عليه قول توما اللعين وقال له يا لعين لقد كذبت ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب أحياه متى شاء ورفعه متى شاء ثم ان روماس ناوشه بالقتال فقاتل الملعون توما قتالا شديدا وهشم الناس بالحجارة ورمى النشاب رميا متداركا فجرح رجالا وكان ممن جرح ابان بن سعيد بن العاص أصابته نشابة وكانت مسمومة فحس بلهيب السم في بدنه فتأخر وحملوه اخوانه الى أن أتوا به الى العسكر فارادوا حل العمامة فقال لا تحلوها فان حللتم جرحي تبعتها روحي أما والله لقد رزقني ما كنت أتمناه قال فلم يسمعوا قوله وحلوا عمامته فلما حلوها شخص الى السماء وصار يشير باصبعه أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون فلما استتمها حتى توفي الى رحمة الله تعالى وكانت زوجته بنت عمه وكان قد تزوجها بأيام ما حسن وكانت قريبة العهد من العرس ولم يكن الخضاب نصل من يدها ولا العطر من رأسها وكانت من المترجلات الباذلات من أهل بيت الشجاعة والبراعة فلما سمعت برت بعلها أنه يتعثر في أذيالها الى أن وقعت عليه فلما نظرته صبرت واحتسبت ولم يسمع منها غير قولها هنيئا بما عطيت ومضيت الى جوار

ربك الذي جمع بيننا ثم فرق ولأجهدن حتى ألحق بك فاني لمشوقة اليك حرام على أن يمسني بعدك أحد واني قد حبست نفسي في سبيل الله عسى أن ألحق بك وأرجو أن يكون ذلك عاجلا ثم حفر له ودفن بمكانه فقبره معروف وصلى عليه خالد بن الوليد فلما غيب في التراب لم تقف على قبره دون ان أتت الى سلاحه ولحقت الجيش من غير أن تعلم خالدا بذلك وقالت على أي باب قتل بعلي فقيل لها على باب توما وهو الذي قتله صهر الملك قال فصارت الى أصحاب شرحبيل بن حسنة فاختلطت بهم وقاتلت مع الناس قتالا لم ير مثله وكانت ارمى الناس بالنبل وكان قد جعل لها قوس وكنانة قال شرحبيل بن حسنة رأيت يوم حصار دمشق رجلا على باب توما يحمل الصليب وهو أمام توما وهو يشير اليه اللهم انصر هذا الصليب ومن لاذ به اللهم أظهر له نصرته وأعل درجته قال شرحبيل بن حسنة وأنا دائما أنظر اليه اذ رمته أم ابان بنبلة فلم تخط رميتها واذا بالصليب قد سقط من يده وهوى الينا وكأني أنظر لمعان الجوهر من جوانبه فمن فينا الامن بادر اليه ليأخذه وقد استتر بالدرق وتكادس بعضنا على بعض كل منا يستبق اليه ليأخذه ونظر عدو الله توما الى ذلك من تنكس الصليب الاعظم وانه واثه الى المسلمين فعند ذلك تحزم وكفر وعظم عليه الامر وقال يبلغ الملك أن الصليب الاعظم أخذ مني وملكته العرب لا كان ذلك أبدا ثم انه حزم وسطه وأخذ سيفه وقال من شاء منكم فليتبعني ومن شاء فليقعد فلا بد لي من القوم عسى أن أشفي صدري ثم انحدر مسرعا وأمر بفتح الباب وكان هو أول مبادر فلما نظرت الروم الى ذلك لم يكن فيهم الامن انحدر في أثره لما يعلمون من شجاعته وخرجوا كالجراد المنتشر هذا والمسلمون يتخاوطون الصليب فلما خرج الروم ووقع صياحهم حذر الناس بعضهم بعضا فلما نظر المسلمون الى الروم سلموا الصليب الى شرحبيل بن حسنة وانفردوا لاعدائهم وحملوا في اعراضهم وأخذهم النشاب والحجارة من كل مكان من أعلا الباب فصاح شرحبيل بن حسنة معاشر المسلمين تقهقروا الى ورائكم لتأمنوا النشاب من أعداء الله العالين على الباب قال فتقهقر الناس الى ورائهم الى أن آمنوا من ضرب النشاب فاتبعهم عدو الله توما وهو يضرب يمينا وشمالا وحوله أبطال المشركين من قومه وهو يهدر كالجمل فلما نظر شرحبيل بن حسنة ذلك صرخ بقومه وقال معاشر الناس كونوا آيسين من آجالكم طالبين جنة ربكم وأرضوا خالقكم بفعلكم فانه لا يرضى منكم بالفرار ولا أن تولوا الادبار فاحملوا عليهم وتقربوا اليهم بارك الله فيكم قال فحمل الناس حملة منكرة واختلط الناس بعضهم بعضا وعملت بينهم السيوف وتراموا بالنبل وتسامع أهل دمشق أن توما خرج الى العرب من بابه وان صليبه الاعظم سقط

اليهم من كف حاملة فجعلوا يهرعون الى أن تزايد أمرهم وجعل عدو الله ينظر يمينا
وشمالا وينظر الصليب فحانت منه التفاتة فنظره وآه مع شرحبيل بن حسنة فلما نظر
اليهم فلم يكن له صبر دون أن حمل وصاح به الصليب لا أم لك فقد لحقتك بوائقه قال ونظر
شرحبيل بن حسنة الى عدو الله وهو مقبل فرمى الصليب من يده وصادمه فلما رأى
عدو الله الصليب مرمى على الارض صرخ بأصحابه صرخة هائلة ونظرت أم ابان بن عتبة
الى حملة عدو الله على شرحبيل فقالت من هذا قال هو صهر الملك وهو قاتل بعلك ابان
ابن سعيد فلما سمعت ذلك منهم حملت حملة منكرة الى أن قاربته ورمته بنبلة وكانت الروم
أرادوا يرعبوها فلم تلتفت اليهم دون أن حققت بنبلها على صاحبهم وقالت بسم الله
وبركة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أطلقتها وكان عدو الله واصلا الى شرحبيل اذ
جاءته النبلة فأصابت عينه اليمنى فأسكنت النبلة فيها فتقهقر الى ورائه صارخا وهمت
أن ترميه بأخرى فتبادرت اليها الرجال واستتروا بالطوارق وتبادر اليها قوم من المسلمين
يحامون عنها فلما أمنت من شر الاعداء أخذت ترمي بالنبل ثم انها رمت علجا من الروم
فأصابت صدره فسقط هاويا الى الارض وكان عدو الله أول من تقهقر ذلك اليوم هاربا
من شدة حرارة النبلة وصرخ صرخة عظيمة الى أن دخل الباب ونظر شرحبيل الى ذلك
فصرخ بأصحابه يا ويلكم دونكم وكلاب الروم احملوا على الكلاب عسى أن تدركوا
عدو الله قال فحمل الناس على الروم الى أن أوصلوهم الى الباب فأجوهم قومهم من أعلا
الباب بالحجارة والنشاب قال فتراجع الناس الى مواضعهم وقد قتلوا من الروم مقتلة
عظيمة وأخذوا أسلابهم وأموالهم وصلبهم ودخل عدو الله توما الى المدينة وأغلقوا
الابواب وجاء الحكماء يعالجون في قلع النبلة من عينه فلم تطلع وجذبوها فلم تنجذب
وهو يضج بالصراخ فلما طال على القوم ذلك ولم يجدوا حيلة في اخراجها نشروها وبقي
النصل في عينه ولم تزل في مكانها وسألوه المسير الى منزله فأبى وجلس داخل الباب
الى أن سكن ما به وخف عنه الالم فقالوا له عد الى منزلك بقية ليلتك فقد نكبنا في يومنا
هذا نكبتين نكبة الصليب ونكبة عينك كل هذا مما وصل الينا من النبال وقد علمنا أن
القوم لا يصطلى لهم بنار وقد سألناك أن نصالح القوم على ما طلبوه منا قال فغضب توما
من قولهم وقال يا ويلكم يؤخذ الصليب الاعظم وأصاب بعيني وأغفل عن هذا ويبلغ
الملك عني ذلك فينسبني للوهن والعجز ولا بد من طلبهم على كل حال وآخذ صليبي
وآخذ عن عيني ألف عين منهم وسأوقع حيلة أصل بها الى كبيرهم وآخذ جميع ما غنموه
وبعد ذلك أسير الى صاحبهم الذي هو في الحجاز وأقطع آثاره وأخرب دياره وأهدم
مساكنه وأجعل بلده مسكنا للوحوش ثم ان الملعون صار الى أعلى السور ومعه صاحب

العين وصار يحرض الناس لكي يزيل عن قلوبهم الرعب وأقبل يقول لهم لا تفزعوا
ولا تجزعوا مما ظهر لكم من العرب ولا بد للصليب أن يرميهم وأنا الضامن لهم قال فثبتوا
القوم من قوله وحاربوا حربا شديدا وبعث شرحبيل بن حسنة الى خالد بن الوليد يخبره
بما صنع مع القوم فقال الرسول ان عدو الله توما قد ظهر لنا منه ما لم يكن فى الحساب
وقد طلب منك رجالا لان الحرب عندنا أكثر من كل باب فلما سمع خالد ذلك الخبر حمد الله
وقال كيف أخذتم الصليب من الروم فقال الرسول كان يحمل صليب الروم رجل وهو
أمام توما صهر الملك فرمته أم ابان بنبلة فوقع الصليب الينا فخرج عدو الله فرمته أم ابان
بنبلة فانشبكت فى عين توما اليمنى فقال خالد ان توما عند الملك معظم وهو الذى يمنعهم
عن الصلح ونرجو من الله أن يكفينا شره ثم قال للرسول عد الى شرحبيل وقل له كن
حافظا ما أمرتك به فكل فرقة مشغولة عنك ولم تؤتى من قبلهم وأنا بالقرب منك وهذا
ضرار بن الازور يطوف حول المدينة وكل وقت عندك قال فرجع الرسول فأخبره
بذلك فصبر وقاتل بقية يومه ووصل الخبر الى أبى عبيدة بما نزل بشرحبيل بن حسنة
من توما وبما غنم من صليبه فسر بذلك قال ولما أصبح الله بالصباح بعث توما الى أكابر
دمشق وأبطالهم فلما حضروا بين يديه قال لهم يا أهل دين النصرانية انه قد طاف عليكم
قوم لا أمان لهم ولا عهد لهم وقد أتوا ليسكنون بلادكم فكيف صبركم على ذلك وعلى هتك
الحريم وسبى الاولاد وتكون نساؤكم جوارلهم وأولادكم عبيدا لهم وما وقع الصليب
الا غضبا عليكم مما أضمرتم من هذا الدين ومصالحة المسلمين واذلالكم بالصليب
وأنا قد خرجت ولولا قد أصبت بعينى لما عدت حتى أفرغ منهم ولا بد من أخذ ثارى
وأقلع ألف عين من العرب ثم لا بد أن أصل الى الصليب وأطالبهم به عن قريب فلما
سمعوا كلامه قالوا له ها نحن بين يديك وقد رضينا بما رضيت لنفسك فان أمرتنا
بالخروج خرجنا معك وان أمرتنا بالقتال قاتلنا قال توما اعلموا أن من خاض الحروب
وخاضها لم يخف من شئ وانى قد عزمت أن أهجم هذه الليلة وأكبسهم فى أماكنهم فان
الليل مهاب وأنتم أخبر بالبلد من غيركم فلا يبقى الليلة منكم أحد حتى يتأهب للحرب
ويخرج من الباب وأرجو أن لا أعود حتى تنقضى الاشغال فاذا فرغت من القوم
أخذت أميرهم أسيرا وأحمله الى الملك يأمر فيه بأمره فقالوا حبا وكرامة فعند ذلك فرق
القوم على الباب الشرقى فرقة وعلى باب الجابية فرقة وعلى باب كل جماعة وقال لهم
لا تجزعوا فان أمير القوم متباعد عنكم وليس هناك الا الاراذل والموالى فاطحنوهم
طحن الحصيد قال ودعى بفرقة أخرى الى باب الفراديس الى عمرو بن العاص وخرج
توما من بابه وأخذ معه أبطال القوم ولم يترك بطلا يعرف بالشجاعة الا أخذه معه

ورتب على الباب ناقوسا وقال لهم اذا سمعتم الناقوس فهى العلامة التى بيننا فافتحوا الابواب واخرجوا مسرعين الى أعدائكم ولا تجدوا رجالا نياما الا وتوضعوا السيف فيهم فان فعلتم ذلك فرقتم جمعهم فى هذه الليلة وانكسروا كسرة لا يجبرون بعدها أبدا قال ففرحوا القوم بذلك وخرجوا الى حيث أمرهم وقعدت كل فرقة الى بابها وأقاموا ينتظرون صوت الناقوس فيبادرون الى المسلمين قال ودعى توما برجل من النصارى وقال له خذ ناقوسا واعلو به على الباب فاذا رأيتنا قد فتحنا الباب فاضرب الناقوس ضربة خفيفة يسمعها قوما وقد سار توما بقطعة من جيشه عليهم الدروع وبأيديهم السيوف وتوما فى أوائلهم وبيده صحيفة هندية وألقى على رأسه بيضاء كسروية كان هرقل قد أهداها له وكانت لا تعمل فيها السيوف القواطع حتى وصل الى الباب ثم وقف حتى تكامل القوم فلما نظر اليهم قال يا قوم اذا فتحنا لكم الباب فأسرعوا الى عدوكم وجدوا فى سعيكم الى أن تصلوا الى القوم فاذا وصلتم اليهم فاحملوا ومكنوا السيوف فيهم ومن صاح منهم بالامان فلا تبقوا عليه الا أن يكون أمير القوم ومن أبصر منكم الدليل فليأخذه فقالوا حبا وكرامة ثم أمر رجلا من أصحابه أن يسير الى الذى بيده الناقوس ويأمره أن يضرب به ضربة خفيفة ثم فتح الباب وتبادروا الرجال الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم فى غفلة عما دبروا القوم لهم الا أنهم فى يقظة فلما سمعوا الصوت أيقظ بعضهم بعضا وتواثبت الرجال من أماكنهم كالاسود الضارية ولم يصل اليهم العدو الا وهم على حذر وتوجهوا عليهم وهم فى غير ترتيب فتقاتل القوم فى جنح الظلام وعمل السيف وسمع خالد بن الوليد فقام ذاهل العقل مما سمع من الزعقات وصاح واغوثاه واسلاماه أكيد قومى ورب الكعبة اللهم انظرهم بعينك التى لا تنام وانصرهم يا أرحم الراحمين وسار خالد ومن معه وهم أربعمائة فارس من أصحابه وهو بغير درع ولا من ثوب كان من عمل الشام ومكشوف الرأس ثم جد فى السير والاربعمائة فارس معه كأنهم الليوث العوابس الى أن وصلوا الى الباب الشرقى واذا بالفرقة التى هناك قد هاجت أصحاب رافع بن عميرة الطائى قال وأصوات المسلمين عالية بالتهليل والتكبير والقوم من أعلا الاسوار قد أشرفوا وتصايحوا عندما استقبلهم المسلمون فحمل خالد بن الوليد على الروم ونادى برفيع صوته أبشروا يا معاشر المسلمين أتاكم الغوث من رب العالمين أنا الفارس الصنديد أنا خالد بن الوليد وحمل فى أوساط الناس بمن معه فجدل أبطالا وقتل رجالا وهو مع ذلك مشتغل القلب على أبى عبيدة والمسلمين الذين على الابواب وهو يسمع أصواتهم وزعقهم قال وتصايح الروم والنصارى واليهود قال سنان بن عوف قلت لابن عمى قيس كانت اليهود

تتمانا لكم قال نعم يقاتلون من أعلا الاسوار ويرمون بالسهام وخشي خالد على شرحبيل بن حسنة مما اتصل اليه من عدو الله توما لانه ملازم الباب قال ولقي شرحبيل بن حسنة من عدو الله توما أمرا عظيما لم يلق أحد مثله وذلك أنه هجم على توما في تلك الليلة وكان أول من أوصل الى المسلمين عدو الله توما قال فصبروا له صبر الكرام وقاتل عدو الله قتالا شديدا وهو ينادي أين أميركم الذميم الذي أصابني أنا ركن الملك الرحيم أنا ناصر الصليب قال فلما سمع شرحبيل صوته قصد جهته وقد جرح رجالا من المسلمين وقال له ها أنا صاحبك وغريمك أنا مبيد جمعكم وآخذ صليبكم أنا كاتب وحي رسول الله صلى الله عليه وسلم فعطف عليه توما عطفة الاسد ورأى من شرحبيل بن حسنة أمراهائلا ولم يزالوا كذلك الى أن زال من الليل شطره وكل قرن مع قرنه وكانت أم ابان مع شرحبيل وكانت في تلك الليلة أحسن الناس صبرا ورمت بنبالها وكانت لا تقع نبلة من نبالها الا في رجل من المشركين الى أن قتلت من الروم مقتلة عظيمة بالنبال والروم يتحايدون عنها الى أن لاح لها رجل من الروم فرمت بنبلة فبقيت النبلة معلقة في نحره قال فصرخ بالروم نهاجوها وأخذوها أسيرة ومات عدو الله الذي رمته قال ولقي شرحبيل من الروم مالا يلقاه أحد وانه ضرب توما ضربة هائلة فتلقاها الملعون بدرقته فانكسر سيف شرحبيل فطمع عدو الله فيه وحمل عليه وظن أنه يأخذه أسيرا واذا بفارسين قد اشرفا من ورائه مامع جملة من الفرسان فهجموا على الروم ونظروا واذا بأم ابان قد خلصت وهجمت على الروم وهتفت فلحقها الفارسان وكان ذلك عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه والآخر ابان بن عثمان بن عفان رضي الله عنه فقتل الرجلين ورجع عدو الله توما هاربا الى المدينة قال حدثني تميم بن عدي وكان ممن شهد الفتوحات قال كنت في خيمة أبي عبيدة وذلك أن أبا عبيدة كان يصلي فيها اذ سمع الصياح فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم لبس سلاحه ورتب قومه ودنى من القوم فنظر اليهم وهم في المعمعة والحرب وعدل عنهم ميسرة وميمنة الى أن جاوزهم وعطف نحو الباب وكبر وكبر المسلمون فلما سمع المشركين تكبيرهم ظنوا أن المسلمين قد دهوهم من ورائهم في جمع كثير فولوا راجعين فتلقاهم أبو عبيدة وقومه وأخذ عليهم المجاز وبذل أبو عبيدة السيف فيهم (قال الواقدي) ولقد بلغني ان ما سلم من هؤلاء الروم تلك الليلة احد من الذين هم غرماء أبي عبيدة ولقد قتلوا عن آخرهم فبينما هم في القتال اذ اشرف عليهم ضرار بن الازور وهو ملطخ بالدماء فقال له خالد ماوراءك ياضرار فقال أبشر أيها الامير ما جئتك حتى قتلت في ليلتي هذه مائة وخمسين رجلا وقتلوا قومي مالا يعد ولا يحصى وقد كفيتكم

مؤنة من خرج من باب الصغير الى يزيد بن أبي سفيان ثم عطفت الى سائر الابواب
فقتلت خلقا كثيرا قال فسر بذلك خالد بن الوليد ثم ساروا جميعا حتى أتوا شرحبيل بن
حسنة وشكروا فعله وكانت ليلة مقمرة ولم يلاقوا مثلها الناس فقتلوا في ذلك الليلة
ألوفا من الروم قال فاجتمع كبار أهل دمشق الى توما وقالوا له أيها السيد اما قد نصحناك
فلم تسمع لقولنا وقد قتل منا أكثر الناس وهذا أمير لا يطاق يعني خالد بن الوليد وصالح
أصلح لك ولنا وان ما صالحت صالحنا وأنت وشأنك فقال يا قوم امهلوني حتى اكتب
الى الملك واعلمه بما نزل بنا وكتب من وقته وساعته كتابا يقول فيه الى الملك الرحيم من
صهرك توما أما بعد فان العرب محدقون بنا كاحداق البياض بسواد العين وقد قتلوا
أهل اجنادين ورجعوا الينا وقد قتلوا امامقتلة عظيمة وقد خرجت اليهم وأصيبت
عيني وقد عزمت على الصلح ودفع الجزية للعرب فاما أن تسير بنفسك واما أن ترسل
لنا عسكرا تبعدنا بهم واما أن تأمرنا نتصالح مع القوم فقد تزايد الامر علينا ثم طوى
الكتاب وختمه وبعث به قبل الصباح فلما أصبح الصباح باكرهم المسلمون بالقتال
وبعث خالد لكل أمير أن يزحف من مكانه فركب أبو عبيدة ووقع القتال واشتد
الامر على أهل دمشق فبعثوا الى خالد أن أمهل علينا فأبى خالد وقال الا القتال ولم يزل
كذلك الى أن ضاق بهم الحصار وهم ينتظرون أمر الملك واجتمع أهل البلد وقالوا لبعضهم
مالنا صبر على ما نحن فيه من الامر وان هؤلاء ان قاتلناهم نصروا علينا وان تركناهم
أضر بنا الحصار فاطلبوا من القوم صلحا على ما طلبوه منكم فقال لهم شيخ كبير من الروم
وقد قرأ الكتب السالفة يا قوم والله اني أعلم انه لو أتى الملك في جيشه جميعا لما
ردوا عنكم هؤلاء لما قرأت في الكتاب بأن صاحبهم محمد خاتم المرسلين سيظهر
دينه على كل دين فاطيعوا القوم واعطوهم ما طلبوا منكم فهو أوفق لكم فلما سمعوا
القوم مقالات الشيخ ركنوا اليه لما يعلموا من علمه ومعرفته بالاخبار والملاحم فقالوا
كيف الرأي عندك فنحن نعلم أن هذا الامير الذي على باب شرقي رجل سفاك للدماء
فقال لهم ان أردتم تقارب الامر فامضوا الى الذي على باب الجابية وتكلم رجل
يعرف بالعربية ويقول بصوت رفيع يا معاشر العرب الامان حتى ننزل اليكم ونتكلم
مع صاحبكم قال أبو هريرة رضي الله عنه وكان أبو عبيدة قد أنفذ رجالا من المسلمين
مكثوا بالقرب من الباب مخافة الكبسة من الليلة التي خلت وكانت النوبة
تلك الليلة لبني دوس والامير عليها عامر بن الطفيل الدوسي قال فبينما نحن
جلوس في مواضعنا قريبا من الباب اذ سمعنا أصوات القوم وهم ينادون قال
أبو هريرة فلما سمعت بادرت الى أبي عبيدة قال وبشرته بذلك فاستبشر وقال ادن

وكلم القوم وقل لهم لكم الامان قال فأتيت القوم وبشرتهم بالامان فقالوا من أنت فقلت
أنا أبو هريرة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان عبيدا لنا أعطوكم الامان
والزمام ونحن في الجاهلية فكيف وقد هدانا الله الى دين الاسلام قال فنزل القوم
وفتحوا الباب واذا هم مائة رجل من كبرائهم وعلمائهم فلما قربوا من عسكر
أبو عبيدة تبادر اليهم المسلمون وأزالوا عنهم الصلبان الى ان وصلوا خيمة أبي عبيدة
فرحب بهم وأجلسهم وقال ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم قال اذا أتاكم عزيز قوم
فأكرموه وتكلموا في أمر الصلح وقالوا انا نريد منكم ان تتركوا كنائسنا ولا تنقصوا
علينا منها كنيسة وهي الجامع الآن بدمشق فقال لهم أبو عبيدة جميع الكنائس
لا يؤمر بهدمها قال وكان في دمشق كنائس واحدة تسمى كنيسة مريم وكنيسة
حنا وكنيسة سوق الليل وكنيسة أندارو هي عند دار عبد الرحمن ذره فكتب لهم أبو
عبيدة كتاب الصلح والامان ولم يسم فيه اسمه ولا ما أثبت شهود وذلك لانه لم يكن امير
المؤمنين فلما كتب لهم الكتاب تسلموه منه وقالوا له قم معنا الى البلد قال فقام أبو عبيدة
وركب معه أبو هريرة ومعاذ بن جبل ونعيم بن عمرى وعبد الله بن عمرو الدوسي
وذو الكلاع الحميري وحسان بن النعمان وجرير بن نوفل الحميري وسيف بن سلمة
ومعمر بن خليفة وربيعة بن مالك والمغيرة بن شعبة وأبو لبابة بن المنذر وعوف بن
ساعدة وعامر بن قيس وعباد بن عتبة وبشر بن عامر وعبد الله بن قرط الاسدي
وجملتهم خمسة وثلاثون صحابيا من أعيان الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين
وخمسة وستون من اخلاط الناس فلما ركبوا تقدموا نحو الباب قال أبو عبيدة أريد
منكم رهائن حتى ندخل معكم فاتوه برهائن وقيل ان أبا عبيدة رأى في منامه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول له تفتح المدينة ان شاء الله تعالى في هذه الليلة فقلت
يا رسول الله أراك على عجل قال لاحضر جنازة أبي بكر الصديق قال فاستيقظت من
المنام (قال الواقدي) وقد بلغني ان أبا عبيدة لما دخل دمشق باصحابه صارت
الاقسة والرهبان بين يديه على مسرح الشعر وقد رفعوا الانجيل والمباخر بالند والعود
ودخل أبو عبيدة من باب الجابية ولم يعلم خالد بن الوليد بذلك لانه قد شد عليهم بالقتال
قال وكان هنا قسيس من اقساء الروم اسمه يونس بن مرقص وكانت داره ملاصقة
بالسور مما يلي باب شرقي الذي عنده خالد وكان عنده ملاحم دانيال عليه السلام
وكان فيها ان الله تعالى يفتح البلاد على يد الصحابة وان يعلو دينهم على كل دين
فلما كان تلك الليلة نقب يونس من داره وحفر موضعا وخرج على حين غفلة من أهله
وأولاده وقصد خالدا وحدثه انه خرج من داره وحفر موضعا والآن اريد امانا لي ولاهلي

ولاولادى قال فأخذ خالد يده على ذلك وانفذ معه مائة رجل من المسلمين أكثرهم من حميرو قال لهم اذا حصلتم المدينة فارفعوا اصواتكم بالتكبير واقصدوا الباب واكسروا الاقفال وارفعوا السلاسل حتى تدخلوا ان شاء الله تعالى قال ففعل القوم ما أمرهم به خالد رضى الله عنه وساروا ومضى أمامهم يونس بن مرقص حتى دخل بهم من حيث خرج فلما حصلوا فى داره تدرعوا واحترسوا ثم خرجوا وقصدوا الباب واعلوا التكبير قال فلما سمعوا المشركون التكبير اندهلوا وعلموا أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حصلوا معهم فى المدينة وان أصحاب رسول الله قصدوا الباب وكسروا الاقفال وقطعوا السلاسل ودخل خالد بن الوليد ومن معه من المسلمين ووضعوا السيف فى الروم وهم مختلفون بين يديه الى أن وصل الى كنيسة مريم وخالد بن الوليد يسير ويقتل (قال الواقدى) والتقى الجمعان عند الكنيسة جيش خالد وجيش أبى عبيدة وأصحابه سائرين والرهبان سائرين بين أيديهم وما أحد من أصحاب أبى عبيدة جرد سيفه فلما نظر خالد اليهم ورأى ما أحد منهم جرد سيفه بهت وجعل ينظر اليهم متعجبا قال فنظر اليه أبو عبيدة وعرف فى وجهه الانكار فقال يا أبا سليمان قد فتح الله على يدى المدينة صلحا وكفى الله المؤمنين القتال (قال الواقدى) فما خاطب أبى عبيدة خالد يوم الفتح بدمشق الا بالامارة قال أيها الامير قد تم الصلح قال وما الصلح لا أصلح الله بالهم وأين لهم الصلح وقد فتحتها بالسيف وقد خضبت سيوف المسلمين من دمائهم وأخذت الاولاد عبيدا وقد نهبت الاموال فقال أبو عبيدة أيها الامير اعلم انى ما دخلتها الا بالصلح فقال له خالد بن الوليد انك لم تزل الا مغفلا وانا ما دخلتها الا بالسيف عنوة وما بقى لهم حماية فكيف صالحتهم قال أبو عبيدة اتق الله أيها الامير والله صالحت القوم ونفذ السهم بما هو فيه وكتبت لهم الكتاب وهو مع القوم فقال خالد وكيف صالحتهم من غير أمرى وأنا صاحب رايتك والامير عليك ولا ارفع السيف عنهم حتى أفنيهم عن آخرهم وقال أبو عبيدة والله ما ظننت انك تخالفنى اذا عقدت عقدا ورأيت رأيا ما له الله فى أمرى فوالله قد اعطيت دماء القوم عن آخرهم وأعطيتهم الامان من الله جل جلاله وامان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رضى من معى من المسلمين والغدر ليس من شيمنا قال وارتفع الصياح بينهما وقد شخص الناس اليهما قال وخالد مع ذلك لا يرجع عن مراده ونظر أبو عبيدة الى ذلك فرأى أصحاب رسول الله مع خالد وهم جيش البوادى من العرب وهم مشتبكون على قتال الروم ونهب أموالهم قال فنادى أبو عبيدة واثكلاه حقرت والله ونقضت عهدى وجعل يحرك جواده ويشير الى العرب مرة يمينا ومرة شمالا وينادى معاشر المسلمين أقسمت عليكم برسول الله

صلى الله عليه وسلم أن لا تمدوا أيديكم نحو الطريق الذى جئت منه حتى نرى ما نتفق أنا وخالد عليه فلما دعاهم بذلك سكتوا عن القتل وانهب واجتمع اليهما فرسان المسلمين والامراء وأصحاب الرايات مثل معاذ بن جبل رضى الله عنه ويزيد بن أبى سفيان رضى الله عنه وعمرو بن العاص رضى الله عنه وشرحبيل بن حسنة رضى الله عنه وربيعة ابن عامر رضى الله عنه وعبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهم أجمعين ونظر اليهم قد التقوا عند الكنائس واجتمعوا هناك فرسان للمشورة والمناظرة فقالت طائفة من المسلمين منهم معاذ بن جبل ويزيد بن أبى سفيان الرأى أن تمضى الى ما أمضاه أبى عبيدة بن الجراح وتكفوا عن القتال للقوم فان مدن الشام لم تفتح أبدا وهرقل فى انطاكية كما تعلمون وان علم أهل المدن انكم ما حتم وغدرتم لم تفتح لكم مدينة صلحا وأن تجعلوا هؤلاء الروم فى صلحكم خير من قتالهم ثم قالوا لخالد أمسك عليك ما فتحت بالسيف ويعينك أبو عبيدة بجانبه واكتبوا الى الخليفة وتحاكما اليه فكل ما أمر به فعلناه فقال لهم خالد بن الوليد قد أجبت الى ذلك وقبلت مشورتكم فأما أهل دمشق فقد آمنتهم الا هذين اللعينين توما وهربيس وكان هربيس هو المأمور على نصف البلد ولاه توما حين رجع الامر اليه فقال أبو عبيدة ان هذين أول من دخل فى صلحى فلا تخفر ذمتى رحمك الله تعالى فقال خالد والله لولا ذمامك لقتلتهما جميعا ولكن يخرجان من المدينة فلعنهما الله حيث سارا قال أبو عبيدة وعلى هذا اصالحتهما قال ونظر توما وهربيس الى خالد وهو ينازع مع أبى عبيدة فخافا الهلاك فأقبل على أبى عبيدة ومعه من يترجم عنه وقال له ما يقول هذا يعنى خالد قال الترجمان لابى عبيدة ما تقول أنت وصاحبك فيه من المشاورة ان هذا صاحبك يريد غدرنا فنحن وأهل المدينة دخلنا فى عهدكم فنقض العهد ما هو من شيمكم وانى أسألكم أن تدعونى أن أخرج أنا وأصحابى وأسلك أى طريق أردت فقال أنت فى ذمتنا فاسلك أى طريق شئت فاذا صرت فى أرض تملكونها فقد خرجت من ذمتنا أنت ومن معك فقال توما وهربيس نحن فى ذمتكم وجواركم ثلاثة أيام أى طريق سلكنا فاذا كان بعد ثلاثة أيام فلا ذمة لنا عندكم فمن لقينا منكم بعد ثلاثة أيام وظفر بنا فنحن له عبيد ان شاء أسرنا وان شاء قتلنا فقال خالد قد أجبناك الى ذلك لكن لا تحملوا معكم من هذه البلد الا الزاد الذى تتقوتون به قال أبو عبيدة لخالد هذا كلام داع لنقض العهد والصلح انما وقع بيننا انهم يخرجون برحالهم وأموالهم فقال خالد سمحت لهم بذلك الا الحلقة يعنى السلاح فانى لا أطلق لهم شيأ من ذلك فقال توما لا بد لنا من السلاح نمنع به عن أنفسنا فى طريقنا ان طرقنا طارق حتى نصل الى بلدنا والا نحن بين أيديكم فاحكموا فينا بما

أردتم فقال أبو عبيدة اطلق لكل واحد قطعة من السلاح ان أخذ سيفا فلا يأخذ رمحا وان أخذ رمحا فلا يأخذ سيفا وان أخذ قوسا فلا يأخذ سكينا فقال توما لما سمع منهم ذلك الكلام قد رضينا بذلك وما يريد كل واحد منا الا قطعة من السلاح لا غير ثم قال توما لابي عبيدة اني خائف من هذا الرجل أعني خالد بن الوليد فاكتب لي بذلك قال أبو عبيدة نكلك أما انا معاشر العرب لا نغدر ولا نكذب وان الامير أبا سليمان قوله قول وعهده عهد ولا يقول الا الصدق قال فانطلق توما وهربيس يجمعون قومهما ويأمروهما بالخروج قال وكان الملك له خزانة ديباج في دمشق زهاء عن ثلثمائة حمل ديباج وحلل مذهبة فعزم على اخراجها وأمر توما فضربت له خيمة من القرطاهر دمشق واقبلت الروم تخرج الامتعة والاموال والاحمال حتى اخرجوا اشياء عظيما فنظر خالد بن الوليد الى كثرة أحمالهم فقال ما أعظم رحالهم ثم قرأ قوله تعالى ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون الآية ثم نظر خالد الى القوم كأنهم حمر مستنفرة ولم يلتفت أحد منهم الى أخيه من شدة عجلتهم فلما نظر خالد الى ذلك رفع يديه الى السماء وقال اللهم اجعله لنا وملكنا اياه واجعل هذه الامتعة قوة للمسلمين آمين انك سميع الدعاء ثم أقبل على أصحابه وقال لهم اني رأيت انا رأيا فهل انتم تتبعوني عليه فقالوا نتبع ولا نخالف لك أمرا فقال خالد قوموا بخيولكم حق القيام وأحسنوا اليها ما استطعتم واتجروا سلاحكم فاني أسير بكم بعد ثلاثة أيام في طلب هؤلاء القوم وأرجو من الله أن يغنمنا هذه الغنيمة والاموال التي رأيتموها وان نفسي تحدثني أن القوم ما تركوا في دمشق متاعا ولا ثوبا حسنا الا وقد أخذوه معهم فقالوا افعل ما تريد فما نخالف لك ثم أخذوا في اصلاح شأنهم وتوما وهربيس قد جمعوا اثقال الرساتيق وجميع المال فلما جمعوه ساروا به الى أبي عبيدة فقال لهم ويحكم بما عليكم فسيروا حيث شئتم ولكم الامان منا ثلاثة أيام قال يزيد بن ظريف فلما حملوا المال لابي عبيدة ارتحلوا سائرين كأنهم سواد مظلم وكان قد خرج مع القوم خلق كثير من أهل دمشق بأولادهم وكرهوا أن يكونوا في جوار المسلمين قال واشتغل خالد عن اتباعهم بخلاف وقع بينهم وبين أهل دمشق في حنطة وشعير وجدوا في المدينة منه شيء كثير فقال أبو عبيدة هو للقوم دخل في صلحهم فكادت الفتنة أن تثور بين أصحاب خالد وبين أصحاب أبي عبيدة واتفق رأيهم أن يكتبوا كتابا الى أبي بكر الصديق في ذلك وليس عندهم خبر انه مات يوم دخولهم بدمشق قال عطية بن عامر كنت واقفا على باب دمشق في اليوم الذي سارت فيه الروم مع توما وهربيس ومعهم ابنة الملك هرقل قال فنظرت الى ضرار بن الازور وينظر الى القوم شذرا ويتحسر

على مافاته منهم فقلت له يا ابن الازور مالى أراك كالمتحسر ما عند الله أكثر من ذلك فقال والله مابى مال وانما متأسف على ابقائهم وانفلاتهم منا ولقد ساء أبو عبيدة فيما فعل بالمسلمين فقلت يا ابن الازور ما أراد أمين الامة الا خير للمسلمين أن يحقن دمائهم وأرواحهم من تعب القتال فان حرمة رجل واحد خير ممن طلعت عليه الشمس وان الله سبحانه وتعالى اسكن الرحمة فى قلوب المؤمنين وان الرب يقول فى بعض الكتب المنزلة ان الرب لا يرحم من لا يرحم وقال تعالى والصلح خير قال ضرار لعمرى انك لصادق ولكن اشهدوا على انا لا ارحم من يجعل له زوجة وولدا * قال حدثنى عمر بن عيسى عن عبد الواحد بن عبد الله البصرى عن واثلة بن الاسقع قال كنت مع خالد بن الوليد فى جيش دمشق وكان قد جعلنى مع ضرار بن الازور فى الخيل التى تجول من باب شرقى الى باب توما الى باب السلامة الى باب الجابية الى باب الصغير الى باب قيسان اذ سمعنا صرير الباب وذلك قبل فتوح الشام واذا به قد خرج منه فارس فتركناه حتى قرب منا فأخذناه قبضا بالكف وقلنا ان تكلمت قتلناك فسكت واذا قد خرج فارس آخر قام على الباب وجعل ينادى بالذى قد أخذناه فقلنا له كلمه حتى يأتى قال فرطن له بالرومية ان الطير فى الشبكة فعلم انه قد أسر فرجع وأغلق الباب قال فأردنا قتله فقال بعضنا لا تقتلوه حتى نمضى به الى خالد الامير قال فاتينا به الى خالد فلما نظر اليه قال له من أنت قال له أنا من الروم وانى تزوجت بجارية من قومى قبل نزولكم عليهم وكنت أحبها فلما طال علينا حصاركم سألت أهلها ان يزفوها على فأبوا عن ذلك وقالوا ان بنا شغلا عن زفافك وكنت أحب ان القاها وانا فى المدينة ملاعب نلعب فيها فوعدتها ان تخرج الى الملاعب فخرجت وتحدثنا ساعة فسألتنى أن أخرج بها الى خارج المدينة ففتحنا الباب وخرجت أنظر أخباركم فأخذنى أصحابك فنادتنى فقلت ان الطير وقع فى الشبكة احذرها منكم مخافة عليها ولو كان غيرها لهان على ذلك فقال خالد ما تقول فى الاسلام فقال أشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فكان يقاتل معنا قتالا شديدا فلما دخلنا المدينة صلحا أقبل يطلب زوجته فقيل له انها لبست ثياب الرهبانية فأقبل اليها وهى لا تعرفه فقال لها ما حملك على الرهبانية قالت حملنى على ذلك لانى غررت بزوجى حتى أخذته العرب وترهبت حزنا عليه قال انا زوجك وقد دخلت فى دين العرب قال فلما سمعت ذلك قالت وما تريد قال انى فى الذمة فقالت وحق المسيح لا كان ذلك أبدا ومالى الى ذلك سبيل وخرجت مع البطريق توما فلما نظر الى امتناعها أقبل الى خالد بن الوليد فشكى له حاله فقال له خالد ان أبا عبيدة فتح المدينة صلحا ولا سبيل لك اليها واعلم ان خالدا ليس وراء القوم قال

أسيرهم لي أقع بها وأقام خالد بدمشق الى اليوم الرابع ثم أقبل اليه يونس الدمشقي زوج الجارية وقال أيها الامير قد عزمت على المسير في طلب هذين اللعينين توما وهربيس وناخذ ما معهما قال بلى فقال له وما الذي أقعدك عن ذلك قال بعد القوم وبيننا وبينهم أربع أيام بلياليها وهم يسيرون سير الخوف وما يمكن اللحوق بهم فقال يونس ان كان تخلفك لبعد المسافة بيننا وبينهم فأنا أعرف الديار وأسلك طريقا أقرب ان شاء الله تعالى ولكن البسوا زي لخم وجذام وهم العرب المتنصرة وخذوا الزاد وسيروا قال فسار خالد وأخذ عساكر الزحف وهم أربعة آلاف فارس فأمرهم أن يسيروا ويخففون حمل الزاد ففعلوا ذلك وخالد ومن معه قد ساروا ويونس الدليل أمامهم وهو يتبع آثار القوم وقد أوصى خالد أبا عبيدة على المدينة والمسلمين قال زيد ابن طريف وكان يونس دليلنا قال فرأى آثار القوم وانهم اذا سقط منهم حمل جمل تركوه وسار خالد ومن معه كلما دخلوا بلدا من بلاد الروم يظنون انهم من العرب المتنصرة من لخم وجذام حتى أشرف بهم الدليل الى ساحل البحر وهو يطلب الاثر واذا بالقوم قد عدوا عن انطاكية ولم يدخلوها خيفة الملك قال فوقع الدليل عند ذلك خيرة في أمره فعدل الى قرية هناك وسأل بعضا من الناس فأخبروه ان الخبر قد اتصل الى الملك بأن توما وهربيس قد سلما دمشق للعرب فنقم عليهم ولم يدعهما يأتيان اليه وذلك انه جمع الجيوش وأرسلها الى اليرموك فخافوا ان يحدثوا بشجاعة العرب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتضعف قلوبهم فبعث الى توما ومن معه ان يسيروا الى القسطنطينية فلما علم يونس ان القوم عدلوا وأخذوا في طلب الغير ففكر في ذلك وغاب عن المسلمين فتوقف خالد وصلى بالناس واذا بيونس قد أقبل وقال أيها الامير اني والله قد غررت بكم وبلغت الغاية في الطلب قال خالد وكيف الامر قال أيها الامير تبعت آثارهم في هذا المكان رجاء ان الحقهم وان الملك منعهم من الدخول الى انطاكية لئلا يرعبوا عسكره وأمرهم ان يطلبوا القسطنطينية وقد قطع بينكم وبينهم هذا الجبل العظيم وأنتم في جبل هرقل وهو يجمع عسكره ويسير الى حربكم واني خائف عليكم ان تركتم هذا الجبل خلف ظهوركم هلكتم وبعد هذا الامر اليك وكلما أمرتني به فعلت قال ضرار بن الازور فرأيت خالدا وقد انقشع لونه كالخضاب وكان ذلك منه جزع وما عهدت به ذلك فقلت يا أمير على ماذا عولت فقال يا ضرار والله ما فزعت من الموت ولا من القتل وانما خفت أن يأتوا المسلمين من قبلي واني رأيت قبل فتح دمشق مناما أفزعني وأنا منتظر تأويله وارجو أن يجعل الله لنا خيرا وينصرنا على عدونا فقال ضرار خيرا رأيت وخيرا يكون ان شاء الله تعالى فما الذي رأيت قال رأيت

المسلمين في برية قفرة ونحن سائرين فبينما نحن كذلك واذا بقطيع من حمر الوحوش
كثيرة عظيمة أجسامها مهزولة خلفها وهي لا تكذم برماحنا ونحن نضربها بأسيافنا
وهي لا تتفكر فيما نزل بها من الاذى ولا تهلع مما ينزل فلما نزل مثل ذلك حتى اجتهدنا
واجتهدت خيولنا وكأني أقبلت على أصحابي وفرقتهم عليها من أربع جوانب البرية
وحملت عليهم فانجفلت من أيدينا الى مضايق وتلال وأودية خصبة فلم نأخذ منها الا
اليسير فبينما نحن نطبخ ونشوي من أطايب لحومها واذا هي قد رجعت تطلب الحرب
منا فلما نظرت اليها وقد طرحت المضايق والآجام اذ صحت بالمسلمين اركبوا في طلبها
بارك الله فيكم فاستوى المسلمون على خيولهم وركبت معهم وطلبناها حتى وقعت بها
وتصيدت منها بعيرا عظيما فقتلته فجعل المسلمون يقتلون ويتصيدون فما بقي منهم الا اليسير
فبينما أنا فرحان وأنا أريد الرجوع بالمسلمين الى أوطانهم اذ تقنطرت فرسي فطارت
عمامتي من على رأسي فهويت لآخذها فانتبهت من منامي وأنا فزع مرعوب فهل
فيكم أحد يفسره فاني أقول الرؤيا ما نحن فيه قال فصعب ذلك على القوم وجعل خالد
يراود نفسه على الرجوع فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أما
تفسيره الوحوش فهؤلاء الاعاجم الذين نحن في طلبهم وأما سقوطك عن فرسك فانه
أمر تحط عليه من رفعة الى خفضة وأما سقوط العمامة عن رأسك فالعمائم تيجان
العرب وهي معرفة تلحقك فقال خالد أسأل الله العظيم ان كان هذا تأويل ما رأيته أن
يجعله من أمر الدنيا ولا يجعله من أمر الآخرة وبالله أستعين وعليه أتوكل في كل
الامور قال ثم سار خالد والدليل أمامهم حتى قطعوا الجبل فلما كان الليلة التي أردنا أن
نصبح فيها القوم أتى مطر كأفواه القرب وكان من توفيق الله عز وجل انه حبس القوم
عن المسير قال روح بن طريف رضي الله عنه ولقد رأيتنا ونحن نسير والمطر ينزل
علينا كأفواه القرب طول ليلتنا فلما أصبح الله بالصباح وطلعت الشمس قال يونس
أيها الامير قف حتى أنظر القوم لانهم لا شك بالقرب منا وقد سمعت صياحهم فقال
له خالد بن الوليد أحق سمعت صياحهم يا يونس قال نعم أيها الامير وأريد منك أن تأذن
لي بالمسير اليهم وآتيك بخبرهم قال فعند ذلك التفت خالد بن الوليد الى رجل اسمه المفرط
ابن جعدة وقال له يا مفرط سر مع يونس وكن له مؤنسا واحذر أن تأخذ خبركما القوم قال
ابن المفرط السمع والطاعة لله ولك أيها الامير ثم انطلقا الى أن علينا على جبل يقال له
الابرش والروم تسميه جبل باردة قال المفرط فلما علينا عليه واذا نحن وجدنا مرجا واسعا
كثير الجنبات كثير النبات وفيه خضرة عظيمة وان القوم قد أصابهم المطر حتى أحل
رحالهم وقد حميت عليهم الشمس فخافوا اتلافها فأخرجوها وأخرجوا الديباج

ونشروها فى طول المرج وقد نام أكثرهم من شدة السير والتعب والمطر الذى أصابهم قال المفرط بن جعدة فلما رأيت ذلك فرحت فرحا شديدا ورجعت الى خالد بن الوليد وتركت صاحبى يوقنس ورجعت فلما رآنى خالد وجدنى أسرع الى وظن أن صاحبى أكيد فقال لى ماوراءك يا ابن جعدة اخبرنى واعجل بالخبر فقلت الخير والغنيمة يا أمير وان القوم خلف هذا الجبل وقد أصابهم المطر وقد وجدوا الراحة بطلوع الشمس وقد نشروا أمتعتهم فقال لى بشرك الله بالخير ثم ظهر لى من وجهه الخير والفرح والسرور فبينما نحن كذلك واذا بيوقنس قد أقبل فقال له خالد خير أبشر أيها الامير فان القوم أمنوا على أنفسهم ولكن أوص أصحابك كل من وقع بزوجتك فليحفظها فما أريد من الغنيمة سواها فقال خالد هى لك ان شاء الله تعالى ثم ان خالدا قسم أصحابه أربع فرق وأمر ضرار بن الازور على ألف فارس وعلى الالف الثانى رافع بن عميرة الطاءى وعلى الالف الثالث عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وبقى هو فى الفرقة الرابعة وقال سيروا على بركة الله تعالى واياكم أن تخرجوا اليهم دفعة واحدة بل يخرج كل أمير منكم بينه وبين صاحبه قدر ساعة ثم افترقوا القوم وحمل ضرار بن الازور والروم مطمئنون وحمل من بعده رافع بن عميرة الطاءى ثم عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق ثم خالد بن الوليد سار فى آخر القوم حتى حصلوا المرج قال عبيد بن سعيد قال والله لقد كدنا أن نعمى من حسن منظره فرعق فينا خالد بن الوليد وقال عليكم بأعداء الله ولا تشتغلوا بالغنائم ولا بالنظر الى المرج فانها لكم ان شاء الله تعالى ثم عطف خالد بن الوليد رضى الله عنه على الروم وقد نظرت الروم الى الخيل وقد خرجت عليهم وخالد أمامهم فعلموا أنها خيول المسلمين فبادروا الى السلاح وركبوا الخيل وقال بعضهم لبعض وانها خيل قليلة ساقها المسيح اليكم وجعلها غنيمة لكم فبادروا اليها قال فتبادروا الروم وهم يظنون أن ليس وراء خالد أحد واذا ضرار بن الازور قد خرج عليهم فى ألف فارس وطلع رافع بن عميرة الطاءى بعده وطلع عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق بعدهم وطلبت كل كتيبة فرقة من الروم وتفرقوا من حولهم وطلبوا ما فى أيديهم وقد رفعوا أصواتهم يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله وانصبت خيل المسلمين على الروم كأنها السيل المنحدر ونادى اللعين هربيس برجاله قاتلوا عن نعمكم فما لهؤلاء القوم حيلة ولا يخلصون من هذا المكان أبدا فانقسمت الروم طائفة معه وطائفة مع اللعين توما وكان من طلب خالد توما وقد أحدق به خمسمائة فارس وقد رفع بين عينيه صليبا من الجوهر مرصعا بالذهب الاحمر فعدل خالد اليه وحمل عليه وقال يا عدو الله أظننتم أنكم تفلتون منا والله تعالى يا ويلى لسامن البلاد وهو أعور عورته أم ابان

قال

قال فحمل عليه وطعنه فى عينه الاخرى ففقأها وأرداه عن جواده وحمل أصحابه على رجال توما وقد وقع الصليب فلله در عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه فانه لما نظر الى توما وقد سقط عن جواده فنزل وجلس على صدره واحتز رأسه ورفعها على السنان ونادى قد قتل والله توما اللعين فاطلبوا هربيس (قال الواقدى) ففرح المسلمون بذلك قال رافع بن عميرة الطاءى كنت فى الميمنة مع خالد بن الوليد اذ نظرت الى فارس زيه زى الروم وقد نزل عن جواده وهو يقاتل علجة من نساء الروم وهى تظاهر عليه مرة فدنوت أنظرها فاذا هو يونس الدليل وهو يقاتل زوجته ويصارعها صراع الاسد قال رافع فدنوت أن أتقدم اليها فأعينه فقصد الى عشرة من النساء يرمون قوسى بالحجارة فخرج حجر كبير من امرأة حسناء عليها ثياب الديباج قال فوقع الحجر فى جبهة جوادى قال فانكب على رأسه وكان جوادا شهدت عليه اليمامة فسقط الجواد ميتا قال فأسرعت فى طلبها فهربت من بين يدى كأنها ظبية القناص وهربت النساء من ورائهن فلحقتهن وقصدت قتلهن وزعقت عليهن وكنت أريد قتلهن ومالى قصد الا الجارية التى قتلت حصانى فدنوت منها وعليها بالسيف صفحا على رأسها فجعلت تقول الغوث الغوث فرجعت عن قتلها وأقبلت اليها واذا عليها ثياب الديباج وعلى رأسها شبكة من اللؤلؤ فأخذتها أسيرة من النساء وأوثقتها كتافا ورجعت على اثرى فركبت جوادا من خيل الروم ثم قلت والله لأمضين وأنظر ما كان من أمر يونس فوجدته وهو جالس وزوجته بجانبه وقد تلطخت بدمائها وهو يبكى عليها فلما رأيتها قلت لها أسلمى فقالت لا وحق المسيح لا اجتمعت أنا وأنتم أبدا ثم أخرجت سكينا كانت معها فقتلت بها نفسها فقلت ان الله عز وجل أبدلك ما هى أعظم منها وعليها ثياب الديباج وشبكة من اللؤلؤ وهى كأنها القمر فخذها لك بدلا عن زوجتك فقال أين هى فقال ها هى معى قال فلما نظر اليها والى ما عليها من الحلى والزينة وتبين حسنها وجمالها فراطنها بالرومية وسألها عن أمرها فرطنت عليه وهى تبكى فالتفت الى وقال لى أتدرى من هذه فقلت لا فقال هذه ابنة الملك هرقل زوجة توما وما مثلى يصلح لها ولا بد لهرقل من طلبها وبفدها بماله قال وافتقد المسلمون خالدا فلم يجدوا له أثرا فقلقوا عليه قلقا عظيما وخالد رضى الله عنه غائص فى المعركة وقصد اللعين هربيس بعد قتل توما فبينما هو يحمل يمينا وشمالا اذ نظر علج من علوج الروم عظيم الخلقة أحمر اللون فظن خالد أنه اللعين فأطلق جواده نحوه وطلبه طلبا شديدا ليقتله فلما نظر اليه العلج والى حملته فر هاربا من بين يديه فوكزه خالد بالرمح واذا هو واقعا على الارض على أم رأسه وانقض عليه خالد كالاسد وهو يقول ويلك يا هربيس أظننت أنك تفوتنى وذلك العلج يعرف

بالعربية فقال يا عربي ما أنا هربيس فأبق علي ولا تقتلني فقال خالد ما لك من يدي خلاص إلا إذا كنت تدلني على هربيس فإذا دللتني عليه أطلقتك فقال له العلج إني إذا دللتك عليه تطلقني فقال خالد نعم لك ذلك فقال العلج يا أخا العرب قم من على صدري حتى أدلك عليه فقام خالد من على صدره فوثب العلج يمينا وشمالا ثم قال لخالد أترى هذا الجبل وهذه الخيل الصاعدة اقصدها فإن هربيس فيها قال فوكل خالد بالعلج واحدا وهو ابن جابر ثم أطلق خالد عنانه حتى لحق بهم وصرخ عليهم وقال يا ويلكم أين لكم مني خلاص فلما سمع هربيس ذلك ظنه من بعض العرب فزعق فيه ورجع ورجعت البطارقة بالسلاح فقال لهم خالد يا ويلكم ظننتم أن الله لا يمكنا منكم أنا الفارس الصنديد أنا خالد بن الوليد ثم طعن فارسا فرماه وآخر فأرداه فلما سمع هربيس كلام خالد قال لأصحابه يا ويلكم هذا الذي قلب الشام على أصحابه هذا صاحب بصرى وحوران ودمشق واجنادين دونكم وإياه قال فطمع القوم فيه لانفراده عن أصحابه وكان المسلمون في قتال الروم ونهب الأموال وكل منهم مشتغل بنفسه قال فترجلت البطارقة حول خالد لأنهم في جبل كثير الوعر وأحاطوا بخالد بن الوليد فعندها ترجل عن جواده وأخذ سيفه وحجفته وصبر لقتالهم قال حدثني شداد ابن أوس وكان ممن حضر وقعة مرج الديباج وقال خالد قد صحت الرؤيا فلما ترجل أقبل يقاتل بنفسه وأقبل إليه هربيس وهو مشتغل بالقتال وأتاه من ورائه وضرب خالد بالسيف فوقع السيف على البيضة فقدها وقد عمامته وانقض السيف من يد هربيس وخاف خالد أن يلتفت إلى ورائه فتهجم عليه الروم وخاف أن يفلت هربيس من بين يديه فعند ذلك صاح بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير كأنه مستبشر بشيء أعانه أو أدركه وذلك خديعة منه وحيلة يريد بها أن يتمكن من الأعلاج فبينما هو كذلك إذ سمع من المسلمين زعقات وقد أخذت الروم من ورائهم وهم يصيحون بالتهليل والتكبير وقائلا يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله يا محمد أتاك النصر من رب العالمين أنا عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق فلما سمع خالد صوته لم يلتفت إلى عبد الرحمن ولا إلى من معه دون أن فرق الأعلاج ذات اليمين وذات الشمال ولما أن سمع اللعين هربيس أصوات المسلمين أراد الهروب فلحقه سيدنا خالد وضربه ضربة أرداه قتيلا وعجل الله بروحه إلى النار واستطال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحاب هربيس ونزلوا إليهم بالسيف حتى أبادوهم عن آخرهم وكان أكثرهم قتلا من يد ضرار بن الأزور ولما انكشف الكرب عن خالد ونظر إلى ما فعل ضرار قال أفلح الله وجهك يا ابن الأزور فارات مباركا في كل أعمالك نجح الله أعمالك وأصلح ربي

حالك

حالك ثم سلم على عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعلى المسلمين وقال من
أين علمتم مكاني هذا فقال عبد الرحمن يا أمير بينما نحن في قتال الروم وقد نصرنا الله
عليهم والمسلمون قد اشتغلوا بالغنائم اذ سمعنا هاتفا من الهواء يقول اشتغلتم بالغنائم
وخالد قد أحاطت به الروم فلما سمعنا ذلك لم ندر أي مكان أنت فيه وفقد نا شخصك
فدلنا عليك علج كان بيد رجل من أصحابك وقال ان صاحبكم أنا الذي دللته على
هربيس وانه معه في هذا الجبل فسرنا اليك فقال خالد لقد دلنا على عدونا ودل علينا
المسلمين وقد وجب له الحق علينا ورجع خالد وأصحابه الى المسلمين فلما رأوه بادروا
وسلموا عليه فرد عليهم السلام ثم ان خالدا رضي الله عنه ادعى بذلك العلج الذي دله على
هربيس وقال له انك وفيت لنا ونريد أن نوفي لك بما وعدناك لانك نصحت لنا فهل لك
أن تكون من أصحاب دين الصلاة والصيام وملة محمد عليه السلام فتكون من أهل
الجنة فقال ما أريد بديني بدلا فأطلق خالد سبيله قال نوفل بن عمرو فرأيته قد استوى
على ظهر جواده يطلب بلاد الروم وحده ثم ان خالدا رضي الله عنه أمر بجمع الغنائم
والاساري فجمع ذلك اليه فلما رأى كثرته حمد الله تعالى وشكره وأثنى عليه ودعى بدليله
يونس النحيب ثم قال له ما فعلت بزوجتك فحدثه بحديث معها وما كان من أمرها فعجب
من ذلك فقال رافع بن عميرة أيها الامير اني أسرت ابنة الملك هرقل وقد سلمتها اليه بدلا
من زوجته فقال خالد وأين ابنة الملك هرقل فمثلت بين يديه فنظر الى حسنها وجمالها وما
منحها الله به من الجمال فصرف وجهه عنها وقال سبحانك اللهم وبحمدك تخلق ما تشاء
وتختار ثم قرأ قوله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار ثم قال ليونس أتريدها بدلا من
زوجتك قال نعم ولكني أعلم أن الملك هرقل لا بد له أن يفديها بالاموال أو يخلصها
بالقتال فقال خالد خذها اليك الآن فان لم يطلبها فهي لك وان طلبها فالله يعوضك خيرا
منها فقال يونس أيها الامير انك في مكان ضيق وموضع صعب فاعزم على الخروج قبل
أن يلحقك نفير القوم فقال خالد الله لنا ومعنا وعطف راجعا يجد في مسيره والغنائم
أمامه والمسلمون في اثرها فرحين بالغنيمة والسلامة والنصر قال روح بن عطية فقطعنا
الطريق كلها وما عرض لنا من الروم أحد ونحن نخوض في وسط ديار القوم خوضا فلما
وصلنا مرج الصغير عند قنطرة أم حكيم اذ نظرنا الى غبرة من ورائنا فلما عايناها أنكرنا
ذلك فأسرع رجال من المسلمين الى خالد يخبرونه بالغبرة قال أيكم يأتيني بخبرها فبادر
بالاجابة رجل من غفار يقال له صعصعة بن يزيد الغفاري قال أنا أيها الامير ثم نزل عن
جواده وكان يجري بجريته يسبق الفرس الجواد بعزمه فورد الغبرة واختبرها ورجع
على عقبه وهو ينادي يا أيها الامير أدركتنا الصلبان من ورائنا وهم مصفدون

فى الحديد لم يبن منهم غير حمالق الحدق فادعى خالد بيونس الدليل عندما قاربته الخيل وقال يونس اقصد نحو الخيل وانظر ما يريدون فقال السمع والطاعة ثم دنا من الخيل وقاربهم ثم رجع الى خالد وقال له ألم أقل لك أيها الامير ان هرقل لا يغفل عن طلب ابنته وقد أنفذ هذه الخيل يريدون أن يأخذوا الغنيمة من أيدى المسلمين فلما لحقوك ههنا قريبا من دمشق بعثوا رسولا يسألك فى الجارية اما بيع واما هدية فبينما خالد يتحدث اذ أقبل اليه شيخ عليه لبس المسوح فأقبل حتى دنى من المسلمين فأوقفوه أمام خالد وقال له قل ماتشاء فقال الشيخ أنا رسول الملك هرقل وانه يقول لك بلغنى ماصنعت برجالى وقتلت توما زوج ابنتى وهتكت حرمتى وقد ظفرت وسلمت فلا تفرط بمن معك والآن اما أن تبيع ابنتى أو تهديها الى فالكرم شيمتكم وطبعكم ولا يرحم من لا يرحم وانى أرجو أن يقع بيننا الصلح فلما سمع خالد ذلك قال للشيخ قل لصاحبك والله لا رجعت عنه وعن أهل ملته وأملك سريره وماتحت قدميه كما فى علمك وأما بقاؤك علينا فلو وجدت الى ذلك من سبيل ماقصرت وأما ابنتك فهى لك هدية منا ثم ان خالدا أطلق ابنة الملك هرقل وسلمها للشيخ ولم يأخذ فى فدائها شيأ فلما بلغ ذلك الرسول الى الملك هرقل قال لعظماء الروم هذا الذى أشرت عليكم فلم تقبلوه وأردتم قتلى وسيكون الامر أعظم ولكن ليس هذا منكم بل هو من رب السماء (قال الواقدى) فبكت الروم بكاء شديدا وسار خالد حتى أتى دمشق وكان المسلمون وأبو عبيدة قد آيسوا من خالد ومن معه وهم فى أعظم القلق والاياس اذ قدم عليهم خالد رضى الله عنه والمسلمون فخرجوا الى لقائه وهنوه بالسلامة وسلم المسلمون بعضهم على بعض ووجد خالد فى دمشق عمرو بن معدى كرب الزبيدى ومالك بن الاشتر النخعى ومن كان معهما وأقبل خالد الى جانب أبى عبيدة وهو يحدثه بما لاقى فى غزوته وأبو عبيدة يتعجب من شجاعته وجسارته فلما استقر بخالد مكانه أخرج الخمس من الغنائم وفرق الباقى على المسلمين ثم ان خالدا أعطى من ماله ليونس وقال خذ هذا المال فتزوج به أو تشترى به جارية لك من بنات الروم قال يونس والله لا أتزوج فى هذه الديار الدنيا زوجة أبدا وما أريد الا زوجتى فى الآخرة يعنى من الحور العين قال رافع بن عميرة الطائى فشهد معنا القتال الى يوم اليرموك فما كنت أراه فى حرب الا ويجاهد جهادا عظيما وقد أبلى فى الروم بلاء حسنا فأتاه سهم فى لبته فخر ميتا رحمه الله تعالى قال رافع فحزنت عليه وأكثرت من الترحم عليه فرأيته فى النوم وعليه حلل تلمع وفى رجليه نعلين من ذهب وهو يجول فى روضة خضراء فقلت له مافعل الله بك قال غفر لى وأعطانى بدلا من زوجتى سبعين حورية لو بدت واحدة منهن فى الدنيا لكسف ضوء وجهها نور الشمس

والقمر

والقمر فجزيتم فى الله خيرا فقصصت الرؤيا على خالد فقال ليس والله سوى الشهادة طوبى لمن رزقها (قال الواقدى) ولقد بلغنى أن خالدا رضى الله عنه لما رجع من غزوته ومسيرته غانما ظن أن الخليفة أبو بكر الصديق رضى الله عنه حى لم يقبض فهم أن يكتب له كتابا بالفتح والبشارة وما غنم من الروم وأبو عبيدة لا يخبره بذلك ولا يعلمه أن الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فدعى خالد بدواة وبياض وكتب بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من عامله على الشام خالد بن الوليد أما بعد سلام عليك فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انا لم نزل فى مكابدة العدو على حرب دمشق حتى أنزل الله علينا نصره وقهر عدوه وفتحت دمشق عنوة بالسيف من باب شرقى وكان أبو عبيدة على باب الجابية فخدعته الروم فصالحوه على الباب الآخر ومامنعنى أن أسبى وأقتل ولقيناه على كنيسة يقال لها كنيسة مريم وأمامه القسوس والرهبان ومعهم كتاب الصلح وان صهر الملك توما وآخر يقال له هربيس خرجا من المدينة بمال عظيم وأحمال جسيم فسرت خلفهما فى عساكر الزحف وانتزعت الغنيمة من أيديهما وقتلت الملعونين وأسرت ابنة الملك هرقل ثم أهديتها اليه ورجعت سالما وأنا منتظر أمرك والسلام عليك وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وطوى الكتاب وختمه بخاتمه ودعا برجل من العرب يقال له عبد الله بن قرط فدفع اليه الكتاب وسار الى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فوردها والخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقرأ عنوان الكتاب واذا هو من خالد الى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر أما عرف المسلمون وفاة أبى بكر رضى الله عنه فقال لا يا أمير المؤمنين فقال قد وجهت بذلك كتابا الى أبى عبيدة وأمرته على المسلمين وعزلت خالدا وما أظن أن أبا عبيدة برد الخلافة لنفسه فسكت وقرأ الكتاب قال أصحاب السير فى حديثهم ممن تقدم ذكرهم واسنادهم فى أول الكتاب ممن روى فتوح الشام ونقلوه عن الثقاة منهم محمد ابن اسحاق وسيف بن عمرو وأبى عبد الله محمد بن عمر الواقدى رضى الله تعالى عنهم كل حدث بما رواه وسمعه ثقة عن ثقة قالوا جميعا فى أخبارهم أنه لما قبض أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وولى الامر بعده عمر بن الخطاب رضى الله عنه وله من العمر اثنان وخمسون سنة فبايعه الناس فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة تامة ولم يتخلف عن مبايعته أحد لا صغير ولا كبير وانقطع فى امارته الشقاق والنفاق وانحسم الباطل وقام الحق وقوى السلطان فى امارته وضعف كيد الشيطان وظهر أمر الله وهم كارهون ومن أمره أن يجالس ويتلطف بالناس والمسلمين ويرحم

الصغير ويوقر الكبير ويعطف على اليتيم وينصف المظلوم من الظالم حتى يرد الحق الى أهله ولا تأخذه في الله لومة لائم وكان في امارته يدور في أسواق المدينة وعليه مرقعة وبيده درته وكانت درته أهيب من سيف الملوك وسيوفكم هذه وكان قوته في كل يوم خبز الشعير وادمه الملح الجريش وربما أكل خبزه بغير ملح تزهدا وحياطة وترفقا على المسلمين ورأفة ورحمة لا يريد بذلك الا الثواب من الله سبحانه وتعالى ولا يشغله شاغل عن أداء الفريضة وما أوجب الله عليه من حقوقه وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم قالت عائشة رضي الله عنها ولقد تولى والله عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الخلافة فجد هو وصاحبيه في التشمر وترك عن نفسه التكبر ولقد كان أحرقه خبز الشعير والملح وأراد أكل الزيت واليابس من التمر وربما أخذ شيأ من السمن ويقول أكلت الزيت وخبز الشعير والملح والجوع أهون غدا من نار جهنم من حل بها لم يمت ولم يجد فيها راحة أبدا قرارها بعيد وعذابها شديد وشرابها الصديد لا يؤذن لهم فيعتذرون جند الجنود في امارته وبعث العساكر وفتح الفتوحات ومصر الامصار وكان يخاف عذاب النار رضي الله تعالى عنه (قال الواقدي) رحمه الله تعالى ولقد بلغني أن هرقل لما بلغه أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قد ولي الامر من بعد أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه جمع الملوك والبطارقة وأرباب دولته وأقام فيهم خطيبا على منبر قد نصب له في كنيسة القسيسين وقال يا بني الاصفر هذا الذي كنت أحذركم منه فلم تسمعوا مني وقد اشتد الامر عليكم لولاية هذا الرجل الاسمر وقد دنا ما بعد الولاية صاحب الفتوح المشبه بنوح والله ثم والله لابد أن يملك ما تحت سريري هذا فالحذر ثم الحذر قبل وقوع الامر ونزول الضرر وهدم القصور وقتل القسوس وتبطيل الناقوس هذا صاحب الحرب والجالب على الروم والفرس الكرب هذا الزاهد في دنياه وهذا الغليظ على من اتبع في غير ملته هواه وانى أرجو لكم النصر ان أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر وتركتم الظلم واتبعتم المسيح في أداء المفروضات ولزوم الطاعات وترك الزنا وأنواع الخطايا وان أبيتم الا الفساد والفسوق والعصيان والركون الى شهوات الدنيا يسلط الله عليكم عدوكم وأبلاكم بما لا طاقة لكم به ولقد أعلم أن دين هؤلاء سيظهر على كل دين ولا تزال أهله بخير ما لم يغيروا ويبدلوا فاما أن ترجعوا اليه واما أن تصالحوا القوم على أداء الجزية فلما سمعوا القوم ذلك تفرروا وبادروا اليه ليقتلوه فسكن غضبهم بلين كلامه ولاطفهم وقال لهم أنا اردت أن أرى حميتكم لدينكم وهل تمكن خوف العرب في قلوبكم أم لا ثم استدعى برجل من المتنصرة يقال له طليعة بن ماران وضمن له مالا وقال له تنطلق من وقتك هذا الى يثرب وتنظر كيف تقتل

عمر بن الخطاب فقال له طليعة نعم أيها الملك ثم تجهز وسار حتى ورد مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكمن حولها واذا بعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه خرج يشرف على أموال اليتامى ويفتقد حدائقهم فصعد المتنصر الى شجرة ملتفة الاغصان فاستتر بأوراقها واذا بعمر رضي الله تعالى عنه قد أقبل الى أن قرب من الشجرة التي عليها المتنصر ونام على ظهره وتوسد بحجر فلما نام هم المتنصر أن ينزل اليه ليقتله واذا بسبع قد أقبل من البرية فطاف حوله وأقبل يلحس قدميه واذا بهاتف يقول يا عمر عدلت فأمنت ثم نمت فأمنت فلما استيقظ عمر رضي الله تعالى عنه ذهب السبع ونزل المتنصر وترامى على عمر رضي الله تعالى عنه فقبل يديه وقال بأبي أنت وأمي أفديك من الكائنات والسباع تحرسه والملائكة تصفه والجن تعرفه ثم أعلمه بما كان منه وأسلم على يديه (قال الواقدي رحمه الله تعالى) ثم ان عمر رضي الله تعالى عنه كتب كتابا لأبي عبيدة بن الجراح يقول فيه قد وليتك على الشام وجعلتك أميرا على المسلمين وعزلت خالد بن الوليد والسلام ثم سلم الكتاب الى عبد الله بن قرط وأقام قلقا على ما يرد عليه من أمور المسلمين وصرف همته الى الشام (قال الواقدي) حدثني رافع بن عميرة الطائي قال حدثني يونس بن عبد الاعلى قرأت عليه بجامع الكوفة قال عبد الله بن سالم الثقفي عن أشياخه الثقاة قال لما كانت الليلة التي مات فيها أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه رأى عبد الرحمن بن عوف الزهري رضي الله تعالى عنه رؤيا قصها على عمر رضي الله تعالى عنه تلك الليلة بعينها قال رأيت دمشق والمسلمون حولها وكأني أسمع تكبيرهم في أذني وعند تكبيرهم وزحفهم رأيت حصنا قد ساخ في الارض حتى لم أر منه شيئا ورأيت خالدا وقد دخلها بالسيف وكان نارا أمامه وكأنه وقع على النار فانطفت فقال الامام علي كرم الله وجهه ورضي الله تعالى عنهم أجمعين أبشر فقد فتح الله الشام هذه الليلة أو قال يومك هذا ان شاء الله تعالى وبعد أيام قدم عقبة ابن عامر الجهني صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتاب الفتح فلما رآه قال يا ابن عامر كم عهدك قال قلت يوم الجمعة وهذا يوم الجمعة قال ما معك من الخبر فقلت خير وبشارة واني سأذكرها بين يدي الصديق رضي الله تعالى عنه فقال قبض والله حميدا وسار الى رب كريم وقلدها عمر الضعيف في جسمه فان عدل فيها نجا وان ترك أوخلط هلك قال عقبة بن عامر فبكيت وترحمت على أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وأخرجت الكتاب فدفعته اليه فلما قرأه نظر فيه وكتم الامر الى وقت صلاة الجمعة فلما خطب وصلى رقا المنبر واجتمع المسلمون اليه وقرأ عليهم كتاب الفتح فضج المسلمون بالتهليل والتكبير وفرحوا ثم نزل عن المنبر وكتب الى أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه

بتوليته وعزل خالد ثم سلمني الكتاب وأمرني بالرجوع قال فرجعت الى دمشق فوجدت خالدا قد سار خلف توما وهربيس فدفعت الكتاب الى أبي عبيدة تقرأه سرا ولم يخبر أحدا بموت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ثم كتم أمره وكتم عزل خالد وتوليته على المسلمين حتى ورد خالد من السرية فكتب الكتاب بفتح دمشق ونصرهم على عدوهم وبما ملكوا من مرج الديباج وأطلاق الملك هرقل وسلم الكتاب الى عبد الله بن قرط فلما ورد به على عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وقرأ عنوان الكتاب من خالد بن الوليد الى أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أنكر الامر ورجعت حمرته الى البياض وقال يا ابن قرط أما علم الناس بموت أبي بكر رضي الله عنه وتوليتي أبا عبيدة بن الجراح قال عبد الله بن قرط قلت لا فغضب وجمع الناس اليه وقام على المنبر ثم قال يا معاشر الناس اني أمرت أبا عبيدة الرجل الامين وقد رأيته لذلك أهلا وقد عزلت خالدا عن امارته فقال رجل من بني مخزوم أتعزل رجلا قد أشهر الله بيده سيفا قاطعا ونصر به دينه وان الله لا يعذرك في ذلك ولا المسلمون ان أنت أغمدت سيفا وعزلت أميرا أمره الله لقد قطعت الرحم ثم سكت الرجل فنظر عمر رضي الله تعالى عنه الى الرجل المخزومي فرآه غلاما حدث السن فقال شاب حدث السن غضب لابن عمه ثم نزل عن المنبر وأخذ الكتاب وجعله تحت رأسه وجعل يؤامر نفسه في عزل خالد فلما كان من الغد صلى صلاة الفجر وقام فرقا المنبر خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وذكر الرسول صلى الله عليه وسلم فصلى عليه وترحم على أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ثم قال أيها الناس اني حملت أمانة عظيمة واني راع وكل راع مسئول عن رعيته وقد جئت الى صلاحكم والنظر في معايشكم وما يقربكم الى ربكم وأنتم ومن حضر في هذا البلد فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صبر على أذاها وشرها كنت له شفيعا يوم القيامة وبلادكم بلاد لا زرع فيه ولا ضرع ولا ماء ورق به على الابل من مسيرة شهر وقد وعدنا الله مغانم كثيرة واني أريدها للخاصة والعامة اذا أدى الامانة والتوقير للمسلمين وليس اني كرهت ولاية خالد على المسلمين لان خالدا فيه تبذير المال يعطي الشاعر اذا مدحه ويعطي المجاهد والفارس بين يديه فوق ما يستحقه من حقه ولا يبقى لفقراء المسلمين ولا لضعفائهم شيأ واني أريد عزله وولاية أبي عبيدة مكانه والله يعلم اني ما وليته الا أمينا فلا يقول قائلكم عزل الرجل الشديد وولى الامين اللين للمسلمين القياد والله معه ليشدده ويعينه ثم نزل عن المنبر وأخذ جلد أدم منشور وكتب الى أبي عبيدة كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الى أبي عبيدة عامر بن الجراح سلام عليك فاني أحمد الله

الذي

الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبعد فقد وليتك أمور المسلمين
فلا تستحى فان الله لا يستحيى من الحق وانى أوصيك بتقوى الله الذى يبقى ويفنى
ماسواه والذى استخرجك من الكفر الى الايمان ومن الضلال الى الهدى وقد
استعملتك على جند ماهنالك مع خالد فاقبض جنده واعزله عن امارته ولا تنفذ
المسلمين الى هلكة رجاء غنيمة ولا تنفذ سرية الى جمع كثير ولا تقل انى أرجو لكم
النصر فان النصر انما يكون مع اليقين والثقة بالله واياك والتغرير بالقاء المسلمين الى
الهلكة وغض عن الدنيا عينيك واله عنها قلبك واياك ان تهلك كما أهلك من كان
قبلك فقد رأيت مصارعهم وخبرت سرائرهم وانما بينك وبين الآخرة ستر الخمار
وقد تقدم فيها سلفك وأنت كأنك منتظر سفرا ورحيلا من دار قد مضت نضارتها
وذهبت زهرتها فاحزم الناس فيها الراحل منها الى غيرها ويكون زاده التقوى وراع
المسلمين ما استطعت وأما الحنطة والشعير الذى وجدت بدمشق وكثر فى ذلك
مشاجرتكم فهو للمسلمين وأما الذهب والفضة ففيها الخمس والسهام وأما اختصاصك
أنت وخالد فى الصلح أو القتال فأنت الولى وصاحب الامر وان صلحك جرى على الحقيقة
انها للروم فتسلم اليهم ذلك والسلام ورحمة الله وبركاته عليك وعلى جميع المسلمين
وكان به تخاوفا وأما هديته ابنة الملك هرقل فهديتها الى أبيها بعد أسرها تفريط وقد كان
يأخذ فى فديتها مالا كثيرا يرجع به على الضعفاء من المسلمين والسلام عليكم ورحمة الله
وبركاته وطوى الكتاب وختمه بخاتمه ثم دعى بعامر بن أبى وقاص أخى سعد ودفع
الكتاب اليه وقال له انطلق الى دمشق وسلم كتابى هذا الى أبى عبيدة وأمره أن يجمع
الناس اليه وتقرأه أنت على الناس يا عامر وأخبره بموت أبى بكر الصديق رضى الله
تعالى عنه ثم دعا عمر رضى الله تعالى عنه بشداد بن أوس فصافحه وقال امض أنت
وعامر الى الشام فاذا قرأ أبو عبيدة الكتاب فأمر الناس يبايعونك لتكون بيعتك
بيعتى قال الواقدى فانطلقا يجدان فى السير الى ان وصلا الى دمشق والناس مقيمون بها
ينتظرون ما يأتيهم من خبر أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وما يأمرهم به فاشرفا
صاحبا عمر رضى الله تعالى عنه على المسلمين وقد طالت أعناقهم اليهما وفرحوا
بقدومهما فاقبلا حتى نزلا فى خيمة خالد رضى الله تعالى عنه قال له عامر بن أبى وقاص
تركته يعنى عمر بخير ومعى كتاب وانه أمرنى ان أقرأه على الناس بالاجتماع فاستنكر
خالد ذلك واستراب الامر وجمع المسلمين اليه فقام عامر بن أبى وقاص فقرأ الكتاب
فلما انتهى الى وفاة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ارتفع للناس ضجة عظيمة بالبكاء
والنحيب وبكى خالد رضى الله تعالى عنه وقال ان كان أبو بكر قد قبض وقد استخلف

عرقا السمع والطاعة لعمرو وما به أمر وقرأ عامر الكتاب الى آخره فلما سمع الناس بما فيه
من أمر المبايعة لشداد بن أوس فبايعوه وكانت المبايعة بدمشق لثلاث خلت من شهر
شعبان سنة ثلاث عشر من الهجرة قال الواقدى رحمه الله تعالى قد بلغني انه كان
على العدو بعد عزله أشد فظاعة وأصعب جهادا لاسيما فى حصن أبى القدس ذكر
حديث وقعة أبى القدس (قال الواقدى) رحمه الله تعالى سألت من حدث بهذا
الحديث عن حصن أبى القدس قال ما بين عرقا وطرابلس مرج يقال له مرج السلسلة
وكان بازائه دير فيه صوامع وفى الصومعة راهب عالم بدين النصرانية وقد قرأ الكتب
السالفة واخبار الامم الماضية المتقدمة وكان يقصد اليه الروم ويقتبس من علمه وله من
العمر ما ينوف عن مائة سنة وكان فى كل سنة يقوم عند ديره عيد آخر صيام الروم
وهو عيد الشعانين فتجمع الروم والنصارى وغيرهم من جميع النواحى والسواحل
ومن قبط مصر يجتمعون به ويحدقون به فيطلع عليهم من ذروته فيعلمهم ويوصيهم من
وصايا الانجيل وكان يقوم فى ذلك العيد سوق عظيم من السنة الى السنة وكان يحمل له
الامتعة والذهب والفضة ويبيعون ويشترون ثلاثة أيام وما كان المسلمون يعلمون بذلك
ولا يعرفونه حتى دلهم عليه رجل نصرانى من المعاهدين قد اصطفاه وأمنه وأهله فلما ولى
أبو عبيدة امر المسلمين أراد ذلك المعاهد ان يتقرب الى أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه
وعسى أن يكون فتح الدير والسوق على يديه فاقبل اليه وأبو عبيدة قد أطال الفكر
فيما يصنع وأى بلد من بلاد الروم يقصد فمرة يقول أسير الى بيت المقدس بالجيش فانها
أشرف بلدهم وكرسى مملكة الروم بها قيام دينهم ووقتا يقول اسير الى انطاكية
واقصد هرقل وافرغ منه وهو يفكر فى أمره وقد جمع المسلمون واذا قد أقبل ذلك المعاهد
وكان من نصارى الشام فقال أيها الامير انك قد احسنت الى وأمنتني ووهبتني أهلى
ومالى وولدى وقد اتيتك ببشارة وغنيمة تغنمها المسلمون ساقها الله اليهم فان ظفرهم الله
بها استغنوا اغناء لا فقر بعده فقال أبو عبيدة أخبرنا ما هذه الغنيمة وأين تكون
فيا علمك الا ناصحا فقال أيها الامير ان بازائك على ديرا الساحل وهو حصن يعرف بأبى
القدس وبازائه دير فيه راهب تعظمه النصرانية ويتبركون بدعائه ويقتبسون بعلمه
وله فى كل سنة عيد يجتمعون اليه من كل النواحى والقرى والامصار والصياع
والاديرة ويقوم عنده سوق عظيم يظهرون فيه فاخر ثيابهم من الديباج والذهب والفضة
يقيمون عنده ثلاثة أيام أو سبعة وقد قرب وقت قيام السوق فتأخذون جميع ما فيه
وتقتلون الرجال وتسبون النساء والذرارى وهذه غنيمة يفرح بها المسلمون ويوهن به
عدوكم قال الواقدى فلما سمع أبو عبيدة ما قاله المعاهد فرح رجاء ان يكون ما قاله

المعاهد غنيمة للمسلمين فقال للمعاهد كم بيننا وبين هذا الدير قال عشر فراسخ للمجد
السائر قال أبو عبيدة وكم بقي الى قيام السوق قال أيام قلائل قال أبو عبيدة فهل
تكون لهم حامية بلي أمرهم ويصد عنهم قال المعاهد ليس نعرف ماذكرت في بلاد الملك
لانه لا ينصب بعضنا بعضا الهيبة هرقل في قلوبهم فلما سمع أبو عبيدة ذلك قال هل بالقرب
من مدائن الشام قال نعم بالقرب من السوق مدينة تسمى طرابلس وهي مينا الشام
اليها تقدم المواكب من كل مكان وفيها بطريق عظيم كثير التجبر وقد أقطعه الملك اياها
من تجبره وهو يحضر السوق وما كنت أعهد ان لهذا السوق حامية من الروم
الا أن يكون الآن لخوفهم منكم ولو سار الى الدير والسوق ادنى المسلمين لرجوت لهم
الفتح ان شاء الله تعالى فقال أبو عبيدة رضي الله عنه أيها الناس أيكم يهب نفسه لله
تعالى وينطلق مع جيش ادبعثه فيه للمسلمين فسكت الناس ولم يتكلم أحد فنادى أبو
عبيدة ثانية وانما يريد خالدا بقوله واستحيي ان يواجهه في ذلك لاجل عزله فقام من وسط
الناس غلام شاب ينبت شعر عارضيه واخضر شاربه وكان ذلك الشاب عبد الله
ابن جعفر رضي الله تعالى عنه وكان اسماء أمه بنت عميس الخثعمية وكان أبوه جعفر
رضي الله تعالى عنه قد مات في غزوة تبوك وخلف هذا ولده عبد الله صغيرا فتزوجها
أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فلما كبر وترعرع كان يقول لامه يا أماه ما فعل
أبي فتقول يا ولدي قتله الروم وكان يقول لان عشت لآخذن بثاره فلما مات أبو بكر
وتولى عمر رضي الله تعالى عنهما جاء عبد الله الى الشام في بعث بعثه عمر مع عبد الله بن
أنيس الجهني وكان فيه مشابهة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في خلقه وخلقه
وهو أحد الاسخياء فلما قال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه أيها الناس من ينطلق الى
هذا الدير وثب عبد الله بن جعفر الطيار رضي الله تعالى عنهما فقال أنا أول من يسير
مع هذا البعث يا أمين الامة ففرح أبو عبيدة وجعل يندب له رجالا من المسلمين
وفرسان الموحدين وقال له قل ما تشاء فقال الشيخ أنا رسول الملك هرقل وانه يقول لك
بلغني ما فعلت برجالي وقتلت قوما وقال له أنت الامير عليهم يا ابن عم رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعقد له راية سوداء وسلمها اليه وكان على الخيل خمسمائة فارس منهم
رجال من أهل بدر وكان من جملة من سيره مع عبد الله أبو ذر الغفاري وعبد الله بن أبي
اوفى وعامر بن ربيعة وعبد الله بن انيس وعبد الله بن ثعلبة وعقبة بن عبد الله
السلمي وواثلة بن الاسقع وسهل بن سعد وعبد الله بن بشر والسائب بن يزيد ومثل
هؤلاء السادات رضي الله تعالى عنهم أجمعين (قال الواقدي) ولما ان اجتمعت الخمسمائة
فارس تحت راية عبد الله بن جعفر وما منهم الا من شهد الوقائع وخاض المعامع لا يولون

الادبار ولا يركنون الى الفرار فلما عولوا على المسير قال أبو عبيدة لعبد الله بن جعفر يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقدم على القوم الا في أول قيام السوق ثم انه ودعهم وساروا (قال الواقدي) وكنت في هذه السرية مع عبد الله بن جعفر وكان خروجهم من أرض الشام وهي دمشق الى دير أبي القدس في ليلة النصف من شعبان وكان القمر زائد النور وأنا الى جانب عبد الله بن جعفر فقال لي يا ابن الاسقع ما أحسن قمر هذه الليلة وأنوره فقلت له يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه ليلة النصف من شعبان وهي ليلة مباركة عظيمة وفي هذه قال الله تكتب الارزاق والآجال وتغفر فيها الذنوب والسيئات وكنت أردت ان أقومها فقلت ان سيرنا في سبيل الله خير من قيامها والله جزيل العطاء فقال صدقت ثم انا سرنا ليلتنا فبينما نحن سائرون اذ اشرفنا على صومعة راهب وعليه برنس اسود فجعل يتأملنا وينظر في وجوهنا ويتفقدنا واحدا بعد واحد ثم جعل يطيل النظر في وجه عبد الله ثم قال هذا الفتى ابن نبيكم فقلنا لا قال ان نور النبوة يلوح بين عينيه فهل يلحق به فقلنا هو ابن عمه فقال الراهب هو من الورقة والورقة من الشجرة فقال عبد الله أيها الراهب وهل تعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال وكيف لا أعرفه واسمه وصفته في التوراة والانجيل والزبور وانه صاحب الجمل الاحمر والسيف المشهر قال عبد الله فلم لا تؤمن به وتصدقه فرفع يده الى السماء وقال حتى يشاء صاحب هذه الخضراء فاعجبنا كلامه وسرنا والدليل بين أيدينا اذ أتى بنا الى واد كثير الشجر والماء فأمرنا ان نكمن فيه ثم قال لعبد الله بن جعفر اني ذاهب أجس لكم الخبر فقال له عبد الله أسرع في مسيرك وعد الينا بالخبر قال فانطلق مسرعا وأقام عبد الله بن جعفر يحرس المسلمين بنفسه الى الصباح فلما أصبحنا صلينا صلاة الصبح وجلسنا ننتظر رجوع الرسول فلم يأت وأبطأ خبره علينا فقلق المسلمون عليه لاحتباسه وخافوا من المكيدة ووسوس لهم الشيطان وساءت بالدليل الظنون فما من المسلمين الا من ظن بالمعاهد شرا الا أبو ذر الغفاري رضي الله تعالى عنه فانه قال ظنوا بصاحبكم خيرا ولا تتهموه فما منه كيدا ولا مكرا ان له شأنا تعلمونه قال فسكن الناس بعد ذلك واذا بصاحبهم قد أقبل قال واثلة بن الاسقع فلما رأيناه فرحنا به وظننا انه يأمرنا بالنهوض الى العدو فاقبل حتى وقف وسط المسلمين وقال يا أصحاب محمد وحق المسيح ابن مريم اني لا أكذبكم في ما حدثتكم به واني زجوت لكم الغنيمة وقد حال بينكم وبينها ماء فقال له عبد الله رضي الله تعالى عنه وكيف أحيل بيننا وبينها قال حال بينكم وبينها بطريق حجاج وذلك اني أشرفت على السوق وقد قام فيه البيع والشراء فاجتمع فيه أهل دين النصرانية وقد دار أكثرهم

بالدير دير أبي القدس واجتمع اليه الاقساء والرهبان والملوك والبطارقة فلما نظرت الى ذلك لم أرجع حتى اختبرت ما السبب الذي تجمعت له زائدا عن كل سنة وذلك أني مضيت واختلطت بالقوم واذا بصاحب طرابلس قد زوج ابنته ملكا من ملوك الروم وقد أتوا بالجارية الى عند الدير ليأخذوا الهامن راهبهم قربانا وقد دار بها فرسان الروم المتنصرة في حدهم وحديدهم كل ذلك خوفا منكم لانهم يعلمون أنكم بأرض الشام يا معاشر المسلمين وما أرى لكم مطمعا بان تصلوا الى القوم لانهم خلق كثير وجم غفير وجمع غزير فقال عبد الله بن جعفر رضي الله تعالى عنه في كم يكونوا القوم وكم حزرتهم فقال أما السوق ففيه أكثر من عشرين ألفا من عوام الروم والارمن والنصارى والقبط واليهود من مصر والشام وأهل السواد والبطارقة والمتنصرة وأما المستعدون للحرب فخمسة آلاف فارس فما لكم بالقوم طاقة وان وقع الصائح في بلادهم انضاف اليهم أمثالهم فان بلادهم متصلة بهم وأما أنتم فعددكم يسير والعرب منكم بعيد قال الواقدي فصعب ذلك على عبد الله بن جعفر وعلى المسلمين وسقط ما في أيديهم وهموا بالرجوع فقال عبد الله بن جعفر معاشر المسلمين ما الذي تقولون في هذا الامر فقالوا نرى ان لانلقي بأيدينا الى التهلكة كما أمرنا ربنا في كتابه العزيز ونرجع الى الامير أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه والله لايضيع أجرنا قال فلما سمع عبد الله قولهم أما أنا فأخاف ان فعلت ذلك ان يكتبني الله من الفارين وما أرجع أو أبدي عذرا عند الله تعالى فمن ساعدني فقد وقع أجره على الله ومن رجع فلا عتب عليه فلما سمع ذلك من كلام عبد الله بن جعفر أميرهم وبذل مهجته استحيوا منه وأجابوه بأجمعهم وقالوا افعل ما تريد فما ينفع حذر من قدر ففرح باجابتهم ثم عمد على درعه فافرغه عليه ووضع على رأسه بيضة وشد وسطه بمنطقة وتقلد بسيف أبيه واستوى على متن جواده وأخذ الراية بيده وأمر الناس بأخذ الاهبة فلبسوا دروعهم واشتملوا بسلاحهم وركبوا خيولهم وقالوا للدليل سر بنا نحو القوم فستعاين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبا قال واثلة بن الاسقع فرأيت الدليل قد اصفر وجهه وتغير لونه وقال سيروا أنتم برأيكم وما علي من أمركم وخرج قال أبو ذر الغفاري فرأيت عبد الله بن جعفر يتلطف به حتى سار بين يديه يدل به على القوم ساعة ثم وقف وقال أمسكوا عليكم فانكم قد قربتم من القوم فكونوا في مواضعكم مكمنين الى وقت السحر ثم أغيروا على القوم قال واثلة بن الاسقع فبتنا ليلتنا حيث أمرنا ونحن نطلب النصر من الله تعالى على الاعداء فلما كان وقت السحر صلى بهم عبد الله بن جعفر صلاة الصبح فلما فرغ من صلاتهم قال ما تريدون في الغارة فقال عامر بن عميرة بن ربيعة أدلكم على أمر تصنعونه

قالوا قال اتركوا القوم في بيعهم وشرائهم واطمئنانهم ثم أكبسوا عليهم على حين غفلة وغرة من أمرهم فصوب الناس رأيه وصبروا الى وقت قيام السوق ثم أظهروا السيوف من أغمادها وأوتروا القسي وشرعوا الاماتهم وعبد الله بن جعفر امامهم والراية بيده فلما طلعت الشمس عمد عبد الله الى المسلمين فجعلهم خمسة كراديس كل كردوس مائة فارس وجعل على كل مائة نقيبا وقال تأخذ كل مائة منكم قطرا من أقطار سوقهم ولا تشتغلوا بنهب ولا غارة ولكن ضعوا السيوف في المفارق والعواتق وتقدم عبد الله بن جعفر بالراية وطلع على القوم فنظر الى الروم متفرقين في الارض كأنهم النمل لكثرتهم وقد أحدق منهم بدير الراهب خلق كثير والراهب قد أخرج رأسه من الدير وهو يعظ الناس ويوصيهم ويعلمهم معالم ملتهم وهم اليه شاخصون بأبصارهم وابنة البطريق عنده في الدير والبطارقة وأبناؤهم عليهم الديباج المثقل بالذهب من فوقها دروع وجواشن تلمع وبيض وهم ينظرون صبحة بين أيديهم أو طارق يطرقهم من خلفهم ونظر عبد الله الى الدير والى ما أحدق به والى الراهب وما حول صومعته فهاله ذلك من أمرهم وصاح فيهم قبل الحملة وقال يا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم احملوا بارك الله فيكم فان كانت غنيمة وسرور فالفتح والسلامة وكان الاجتماع تحت صومعة الراهب وان كان غير ذلك فهو وعدنا الجنة وملتقى عند حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الصحابة قال وطلب عبد الله موضع الجمع العظيم فغاص فيهم وجعل يضرب بسيفه ويطعن برمحه ويحمل المسلمون من ورائه وسمع الروم أصوات المسلمين مرتفعة بالتهليل والتكبير فتيقنوا ان جيوش المسلمين قد أدركتهم وكانوا الى ذلك منتظرين وعلى يقظة من أمرهم وأما السوقة فانهم تبادروا الى أسلحتهم والمنع عن أنفسهم وأموالهم وأخرجوا السيوف من الاغمدة وانعطفوا على قتال المسلمين عطفة الاسد الضاري وطلبوا صاحب الراية ولم يكن مع المسلمين راية غيرها فأحدقوا بالراية من كل جانب ومكان وقامت الحرب على ساق وثار الغبار وانعقد فصار قسطلا وأحدق الروم بالمسلمين فما كان المسلمون فيهم الا كشامة بيضاء في جلد بعير اسود فما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف بعضهم بعضا الا بالتهليل والتكبير وكل أحد مشتغل بنفسه عن غيره قال أبو سبرة ابراهيم بن عبد العزيز بن أبي قيس وكان من السابقين المتقدمين بايمانهم في الاسلام وصاحب الهجرتين جميعا قال شهدت قتال الحبشة مع جعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وشهدت المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي بدر وفي أحد وفي حنين وقلت اني لا أشاهد مثلها فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم

حزنت عليه ولم أستطع ان أقيم بالمدينة بعد فقده فقدمت مكة فأقمت بها فعوتبت
فى منامى من التخلف عن الجهاد فخرجت الى الشام وشهدت اجنادين والشام
وسرية خالد خلف توما وهربيس وشهدت سرية عبد الله بن جعفر وكنت معه على
دير أبى القدس فأنستنى وقعتها ما شهدت قبلها من الوقائع بين يدى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وذلك انى نظرت الى الروم حين حملت عليهم فى كثرتهم وعددهم فقلنا
ما ثم غيرهم وليس لهم كمين فخرج لهم كمين عظيم قال فرأينا أجسادهم هائلة وعليهم
الدروع وما يتبين منهم الا حماليق الحدق لهم مقطقة وزمجرة عند ما يحملون حتى
نظرت الى المسلمين قد غابوا فى أوساطهم ولا أسمع منهم الا الاصوات تارة يجهرونها
وتارة أقول هلكوا ثم انظر الى الراية بيد عبد الله بن جعفر رضى الله تعالى عنه مرفوعة
فافرح بذلك وعبد الله يقاتل بالراية ويكرها على المشركين ولا ينثنى مجاهدا على صغر
سنه ولم نزل الحرب بيننا كلما طال مكثها اشتد صرامها وعلا قيامها والتهبت نارها
وسار عبد الله فى وسط القوم وهم حوله كالحلقة الدائرة والروم يحدقون به فجعل
كلما حمل يمينا حملت يمينا وان حمل شمالا حملت شمالا ولم نزل فى الحرب والقتال حتى
كلت منا السواعد وخذلت منا المناكب قال وعظم الامر علينا وهالنا الصبر وتثلم
سيف عبد الله فى يده وكادت تقع فرسه من تحته فالتجأ بأصحابه فى موضع فاجتمع
أصحابه اليه فنظر المسلمون الى رايته فقصدوها وما منهم الا مكلوم من المشركين
فضاق لذلك ذرعه وما نزل به فى نفسه مثل ما نزل بالمسلمين فالجأ الى الله تعالى أمره
وفوض الى صاحب السماء شأنه ورفع يديه الى السماء وقال فى دعائه يا من خلق خلقه
وأبلى بعضهم ببعض وجعل ذلك محنة لهم أسئلك بجاه النبى محمد صلى الله عليه وسلم
الا ما جعلت لنا من أمرنا فرجا ومخرجا ثم عاد الى القتال وأصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقاتلون معه تحت رايته فلله در ابى ذر الغفارى رضى الله تعالى عنه فانه
نصر ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاهد بين يديه قال عمر بن ساعدة فلقد
رأيته مع كبر سنه يضرب بسيفه ضربا شديدا فى الروم وينتمى الى قومه ويذكر عند
حملاته اسمه ويقول أنا أبوذر والمسلمون يفعلون كفعله الى ان بلغت القلوب الحناجر
والظنون وظنوا ان ذلك الموضع قبورهم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى عبد
الله بن أنيس الجهنى قال كنت أحب جعفرا وأحب من أولاده عبد الله فلما قبض
أبو بكر رضى الله تعالى عنه كان قائما مقام أبيه نظرت الى أمه اسماء بنت عميس
حزينة فكرهت ان أنظر اليها فى ذلك الحزن وأيضا ان أبا بكر رضى الله تعالى عنه
كان يحب عبد الله حبا شديدا فاستأذن عبد الله بن جعفر عمر بن الخطاب رضى الله

تعالى عنه في المسير الى الشام وقال لي يا ابن أنيس الجهني اشتهي ان الحق بالشام
وما معنا عشرون فارساً أكون مجاهداً فتصحبني فقلت نعم فودع عمه علياً رضي الله تعالى
عنهما وودع عمر رضي الله تعالى عنه وسار يريد الشام ومعنا عشرون فارساً حتى أتينا
تبوك فقال يا ابن أنيس أتدري موضع قبر أبي فقلت نعم فقلت أشتهي ان أرى الموضع
قال فسار لنا حتى أتينا الموضع فأريته موضع مصراع أبيه وموضع الوقعة وقبر أبيه جعفر
رحمه الله تعالى وعليه حجارة فلما نظر اليه نزل ونزلنا معه وبكى وترحم فأقمنا عنده
الى صبيحة اليوم الثاني فلما رحلنا رأيت عبد الله يبكي ووجهه مثل الزعفران فسألت
عن ذلك فقال رأيت أبي البارحة في النوم وعليه حلتان خضراء وتاج وله جناحان
وبيده سيف مسلول أخضر فسلمه الي وقال يا بني قاتل به اعداءك فارحل الي ما ترى
الا بالجهاد وكأني أقاتل بالسيف حتى تتم قال عبد الله بن أنيس وسرنا حتى أتينا
عسكر أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه بدمشق فبعثه أمير تلك السرية الى دير أبي
القدس قال عبد الله بن أنيس فلما رأيت الوقعة بينه وبين الروم فقلت يوشك
ان يذهب عبد الله فسرت كالبرق ورجعت الى أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه فلما
رآني قال أبشارة يا ابن أنيس أم لا فقلت نعذ المسلمين الى نصرة عبد الله بن جعفر
ومن معه ثم حدثته بالقصة فقال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه انا لله وانا اليه
راجعون أصاب عبد الله بن جعفر ومن معه تحت رايتك يا أبا عبيدة وهي أول
امارتك (قال الواقدي) ثم التفت الى خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه فقال له
يا أبا سليمان سألتك بالحق عبد الله بن جعفر فأنت المعد لها فقال خالد أنا لها ان شاء
الله تعالى وما كنت أنتظر الا أن تأمرني فقال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه استحييت
منك يا أبا سليمان فقال والله لو أمر علينا طفلا صغيرا لأطعن له فكيف أخالفك وأنت
أقدم مني ايمانا وأسبق اسلاما سبقت باسلامك مع السابقين وسارعت بايمانك
مع المسارعين وسماك رسول الله بالأمين فكيف الحقك أو أنال درجتك والله
لو ضربت وجوه المسلمين زمانا والا ان أشهدك فاني قد جعلت نفسي حبسا
في سبيل الله تعالى ولا أخالفك أبدا ولا وليت امارة بعدها أبدا (قال الواقدي)
فاستحسن المسلمون قوله فقال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه يا أبا سليمان الحق
اخوانك رحمك الله قال فوثب خالد رضي الله عنه كأنه الاسد وسار الى رحله فأفرغ
عليه درع مسيلمة الكذاب الذي سلبه منه يوم اليمامة وألقى بيضة على رأسه وأردفها
قلنسوة وتقلد بحسامه وانتصب في سرجه كأنه ضب فيه ونادى بجيش الزحف هلموا
الى حرب السيوف فأجابوه مسرعين كأنهم العقبان وبادروا الى طاعة الرحمن وأخذ

خالد الراية بيده وهزها على ركابه وداربه عسكر الزحف من كل جانب وودع المسلمون بعضهم بعضا وساروا وسار خالد وعبد الله بن أنيس يدل بهم الى الطريق قال رافع بن عميرة الطاءى كنت يومئذ من أصحاب خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه ولم نزل مجدا فى السير والله عز وجل يطوى لنا البعيد فلما كان عند غروب الشمس أشرفنا على القوم والروم كالجراد المنتشر وقد غرق المسلمون فى كثرتهم فقال خالد يا ابن أنيس فى أى جانب أطلب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له انه واعد أصحابه أن يلتقوا عند دير الراهب أو موعدهم الجنة (قال الواقدى) فنظر خالد نحو الدير واذا به قد رأى الراية الاسلامية وهى بيد عبد الله بن جعفر وما من المسلمين الا من أصيب بجرح وقد أيسوا من الحياة الفانية وطمعوا فى الحياة السرمدية والروم تناوشهم بالحرب وتكثر بالطعن والضرب وعبد الله بن جعفر يقول وأصحابه دونكم والمشركين واصبروا القتال المارقين واعلموا انه قد تجلى عليكم أرحم الراحمين ثم قرأ الآية قوله تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين فلما نظر خالد رضى الله تعالى عنه الى صبرهم وتجلدهم على القتال فى أعدائهم لم يطق الصبر دون أن حمل عليهم وهز رايته وقال لاصحابه دونكم القوم القباح فأروا من دمائهم السفاح وأبشروا بالنجاح يا أهل حى على الفلاح (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فبينما أصحاب عبد الله بن جعفر فى أشد ما يكون فيه اذ خرجت عليهم خيل المسلمين وكتائب الموحدين كانهم الطيور وعليها الرجال كانهم العقبان الكاسرة والليوث الضارية وهم غائصون فى الحديد والزرد النضيد وقد ارتفع لهم الضجيج وبخيلهم العجيج فلما نظر عبد الله وأصحابه الى ذلك ظنوا انها نجدة للاعداء فأيقنوا بالهلاك والفناء وجعلوا ينظرون الى الخيل التى رأوها واذا هى قاصدة اليهم ففزعوا وجزعوا وظنوا ان كمينا من الروم قد خرج لقتالهم فعظم عليهم الامر وعازهم الصبر وأخذهم الانبهار وقد أتى الى المشركين الدمار وأتاهم حرب مثل النار والسيوف تلمع والرؤس من الرجال تقطع والارض قد امتلأت قتلا وهم فى أيدى المشركين كالاسرى والقوم فى أشد القتال والسيف يعمل فى الرجال اذ نادى فيهم مناد وهتف بهم هاتف خذل الامن ونصر الخائف يا حملة القرآن جاءكم النصر من الرحمن ونصرتم على عبدة الصلبان وقد بلغت القلوب الحناجر وعملت المرهفات البواتر واذا بفارس على المقدمة وهو كانه الاسد الزائر أو الليث الهادر وبيده تشرق بالانوار كاشراق القمر فنادى الفارس بأعلا صوته أبشروا يا معاشر حملة القرآن بالنصر المشيد أنا خالد بن الوليد فلما نظر المسلمون الراية وسمعوا صوت خالد رضى الله تعالى عنه كانهم كانوا فى لجة

وأخرجوهم فأجابوه بالتهليل والتكبير وكانت أصواتهم كالرعود القواصف والرياح العواصف ثم حمل خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه بجيش الزحف الذي لا يفارقه ووضع السيف في الروم قال عامر بن سراقة فما شهدت حملته إلا حملة الأسد في الغنم ففرقهم يمينا وشمالا قال فثبت المسلمون كل علج من الروم شديد وهو يحامي عن نفسه وخالد يطلب أن يصل الى عبد الله بن جعفر ولما نظر المسلمون الى الخيل المقبلة عليهم فلم يعلموا ماهي حتى سمعوا صوت خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنهما فقال يا أيها الناس دونكم الاعداء نقد جاءكم النصر من رب السماء ثم حمل وحملت المسلمون معه قال واثلة بن الاسقع لقد كنا آيسنا من أنفسنا وأيقنا بالهلاك حتى أتتنا المعونة والنصر من الله عز وجل فحملنا بحملة اخواننا قال فما اختلط الظلام حتى نظرت الى خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه والراية بيده وهو يسوق المشركين بين يديه سوق الغنم الى المراعي والمسلمون يقتلون ويأسرون ولله در أبي ذر الغفاري وضرار بن الازور والمسيب بن نجية الفزاري لقد أقرنوا المواكب وهزوا المضارب وقتلوا الروم من كل جانب والتقى ضرار بعبد الله بن جعفر رضي الله تعالى عنهما فنظر اليه والدم على اكمام درعه كأكباد الابل فقال شكر الله تعالى لك يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم والله انك قد أخذت بثار أبيك وشفيت غليلك فقال عبد الله بن جعفر رضي الله تعالى عنهما من الرجل المخاطب لي وكان الظلام قد اعتكر وضرار ملثم لا يبان منه الا الحدق فلم يعرفه عبد الله فقال أنا ضرار بن الازور صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مرحبا بطلعتك ونعم الاخ ساعدتنا وقمت لنصرتنا قال عبد الله بن أنيس فبينما هم على ذلك اذ أقبل خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه وجيش الزحف فقال شكر لك الله وأحسن جزاءك ثم قال يا ضرار اعلم ان حامية الروم والبطارقة عند الدير لاجل ابنة صاحب طرابلس ومامعها من الاموال وقد أحاط بها كل فارس من الروم فهل لك يا ابن الازور أن تحمل معي فقال وأين هم فقال أما تنظر اليهم فمد عينيه واذا بحامية الروم بطريق طرابلس وقد أحدقوا بالدير يمنعون عن الجارية والنيران مشتعلة والصلبان تلمع من ضوء النار كأنهم سد من حديد فقال أرشدك الله للخيرات نعم المرشد أنت احمل حتى أحمل معك بحملتك قال فحمل عبد الله بن جعفر من جهته وحمل ضرار بن الازور من جهته واتبعهما الرجال ورعة وافى الروم وحماة المشركين وهم يحامون عن أنفسهم وكان أشدهم منعة بطريقهم فبرز أمام القوم وهو يهدر كالبعير ويزأر زأر الاسد يصيح بكلمة الكفر ويحمل حملات الشجعان فقصده ضرار بن الازور وباطشه في الحرب والتقت الاقران ونظر ضرار الى العلج وعظم خلقته

وتمكنه فى سرجه وشدة ضرابه وحسن احترازه فأخذ ضرار منه حذره واحترز منه البطريق وطلبه أشد الطلب وكل واحد منهما طامع فى صاحبه فانفرد ضرار بن الازور مع صاحب القوم وكل قرن مع قرنه وليس مع ضرار أحد من المسلمين فانبسط ضرار بين أيديهم ليمكر بهم وطلبه البطريق وأصحابه وقصدوه بحملتهم فلما نظر ضرار الى ذلك قصد موضعا يصلح لمجال الخيل فاعترضه واحد فى ظلمة الليل فكبا به الجواد فسقط الى الارض هاويا ثم ثار من سقطته يروم أخذ القرس فلم يجد الى ذلك سبيلا فوقف مكانه وسيفه وحجفته بيده وجعل يجاهدهم بسيفه وصبر لهم صبر الكرام ولم يأخذه فى الله لومة لائم فحقق عليه بطريق الروم وأقبل يضربه بعاموده فلما لازمه و رمى العامود عليه زاغ ضرار عن الضربة ثم وثب اليه وثبت الاسد وضربه ضربة فجمع فرس البطريق من تحته وقام على رجليه وشبك بيديه فضربه الثانية فوقعت ضربة ضرار فى عين جواده فانتكس الجواد الى الارض ووقع العلج على ظهره ولم يقدر أن يقوم لانه مزرد فى سرجه فعالجه ضرار قبل وصول غلمانه اليه وضربه على حبل عاتقه فسات سيفه ولم يعمل شيأ فنا هضه العلج وقد أيقن بالهلاك وقبض عليه وكان كالجبل العظيم فرماه ضرار تحته وملك صدره واستوى على نحره وكان مع ضرار سكين من صنعة اليمن لا تفارقه فاستلها من غمدها وضرب صدر عدو الله الى سرته فسقط عدو الله قتيلا وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار ثم وثب ضرار وملك جواد عدو الله واستوى فى سرجه وكان على الجواد كثير من الذهب والفضة والفصوص التى تساوى ثمنا كثيرا فلما صار على ظهر الجواد حمل وكبر على المشركين ففرقهم يمينا وشمالا وكان ضرار لما انبسط امام القوم ملك عبد الله بن جعفر الدير ومن فيه هو ومن معه من المسلمين وأحدقوا به ولم يأخذوا منه شيأ حتى رجع خالد رضى الله تعالى عنه من أتباع الروم وذلك ان خالدا تبعهم الى نهر عظيم كان بينهم وبين طرابلس الشام والروم يعرفون مخائضه فوقف خالد و رجع الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدهم قد ملكوا الدير وقتلوا العلج وانتشرت الناس فى جمع الغنائم وما كان فى السوق من المتاع والفراش والقماش والثياب والطعام وغيره قال واثلة بن الاسقع فجعلنا نجمعه فى الاعكام ونأكل من الخيرات وأخرج ما كان فى الدير من آنية الذهب والفضة والستور والمراتب وأخرجوا ابنة البطريق ومعها أربعون جارية لها حلى وحلل وحمل المال على البراذين والبغال والحمير وانقلب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغنيمة والاموال الجسيمة (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فنسبت تلك السرية لثلاث عبد

الله بن جعفر صاحبها وعبدالله بن أنيس مدركهما وخالد بن الوليد منجدهما ولقي خالد فيهما مشقة وجراحا مؤلمة ولما ساروا أقبل خالد الى الدير فصاح بصاحبه يا راهب فلم يكلمه فهتف به مرة أخرى وهدده فاطلع عليه وقال ما تشاء وحق المسيح ليطالبنك صاحب هذه الخضراء بدماء من قتلت فقال خالد كيف يطالبنا وقد أمرنا أن نقاتلكم ونجاهدكم ووعدنا على ذلك الثواب والله لولا رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أن نتعرض لكم لاتركتك من صومعتك وقتلتك أشر قتلة فسكت الراهب عنه ولم يجبه وانقلب خالد والمسلمون بالغنائم الى دمشق وأبو عبيدة رضي الله تعالى عنه وشكرهم وسلم على خالد وعلى عبدالله بن جعفر رضي الله تعالى عنهم ورجع الى مكانه فخمس الغنيمة وقسمها على الناس فدفع لضرار بن الازور فرس البطريق وسرجه وما عليه من حلي الذهب والفضة والجواهر والفصوص فأتى به ضرار الى أخته السيت خولة رضي الله تعالى عنها قال فرأيتها تنزع فصوص الجواهر فتفرقها على نساء المسلمين وان الفص منها يساوي الثمن الكثير قال وأعرض السبي على أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه وفي الجملة ابنة البطريق فقال عبدالله بن جعفر أريدها قال أبو عبيدة حتى أستأذن أمير المؤمنين في ذلك فكتب اليه يعلمه بها وبمسئلة عبدالله بن جعفر فكتب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه هي له فأخذها عبد الله وأقامت زمانا عنده وعلمها الطبخ وكانت من قبل تعرف طبخ الروم وطبخ الفرس وأقامت عنده الى أيام يزيد فأخبر بها فاستهداها منه فأهداها له وكانت عنده وقال عامر بن ربيعة أصابني من غنيمة سوق الدير ثوب ديباج حرير فيه صور الروم وكان في ثوب منها صورة حسنة صورة مريم وعيسى عليهما السلام فحملت الثياب الى اليمن فبيعت بثمن كثير وكتب الى عمي وأنا مع أبي عبيدة يا ابن أخي ابعث لي من هذه الثياب وأكثر منها فانها تنفق (قال الواقدي رحمه الله تعالى) فلما رجع جيش المسلمين غانما كتب أبو عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه الى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كتابا يخبره بما فتح الله تعالى على يديه وما غنم المسلمون من دير أبي القدس ويمدح خالدا ويشكره ويثني عليه ويخبره بما قال فيه وما تكلم به وسأله في كتابه أن يكتب الى خالد يستشيره في المسير الى هرقل أو الى بيت المقدس وكتب اليه ان بعض المسلمين يشربون الخمر قال عاصم بن ذئيب العامري وكان ممن شهد قتال الروم بالشام وفتح دمشق العرب الوافدون من اليمن فأخذوا في الشرب واستطابوا ذلك فأنكر ذلك الامير أبو عبيدة فقال رجل من العرب أظنه سراقة بن عامر يا معاشر المسلمين خلوا شرب الخمور فانها تزيل العقول وتكسب الاثم وان رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم لعن شارب الخمر حتى لعن حاملها والمحمولة اليه فحدثنى اسامة
ابن زيد الليثى عن الزهرى عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف الغفارى قال كنت مع
أبى عبيدة بالشام فكتب الى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يخبره بفتح الشام
وفى الكتاب ان المسلمين يشربون الخمر واستقلوا الحد فقدمت المدينة فوجدت
عمر رضى الله تعالى عنه فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا وعنده نفر
من الصحابة وهم عثمان وعلى وعبد الرحمن بن عوف يتحدثون فدفعت الكتاب
اليه فلما قرأه جعل يفكر فى ذلك ثم قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جلد فى شربها
ثم سأل عمر عليا رضى الله تعالى عنهما فى ذلك وقال ما ترى فى هذا فقال على رضى
الله تعالى عنه ان السكران اذا سكر هزى وآذى فقد افترى فعليه ثمانون جلدة واعمرى
ما يصلح لهم الا الشدة والفقر ولقد كان حقهم أن يراقبوا ربهم عز وجل ويعبدوه
ويؤمنوا به ويشكروه ممن عاد فأقم عليه الحد (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما ورد
كتاب عمر رضى الله تعالى عنه على ابى عبيدة رضى الله تعالى عنه وقرأه ونادى
فى المسلمين من كان فى نفسه حد فليعط ذلك من نفسه وليتب الى الله عز وجل ففعل
ذلك كثير من الناس ممن كان شرب الخمر وأعطى الحد من نفسه ثم قال أبو عبيدة
رضى الله تعالى عنه انى عزمت على المسير الى انطاكية ونقصد كاب الروم لعل الله
تعالى يفتح فتحا على أيدينا فقال المسلمون سر حيث شئت فنحن تبع لك نقاتل
أعداءك فسر بقولهم وقال تأهبوا للرحيل فانى سائر بكم الى حلب فاذا فتحناها توجهنا
منها ان شاء الله تعالى الى انطاكية فأسرع المسلمون فى اصلاح شأنهم وأخذوا
أهبتهم فلما فرغ أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه من جميع شغله أمر خالد بن الوليد
رضى الله تعالى عنه أن يأخذ راية العقاب التى عقدها له أبو بكر الصديق رضى
الله تعالى عنه وأمره أن يسير امام الجيش بعسكر الزحف فسار خالد على المقدمة
ومعه ضرار بن الازور ورافع بن عميرة الطاءى والمسيب بن نجبة الفزارى والناس
يتبع بعضهم بعضا وترك على دمشق صفوان بن عامر السلمى وترك عنده خمسمائة
رجل وسار أبو عبيدة بالمسلمين ومعه من اليمن يمن ومضر

ذكر فتح حمص

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) وسار أبو عبيدة على طريق البقاع واللبوة فلما وصل الى
هناك بعث خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه الى حمص قال يا أبا سليمان انهض على
بركة الله تعالى وعونه ونازل القوم وشن الغارة على أرض العواصم وقنسرين وأنا أسير
الى بعلبك فلعل الله تعالى أن يسهل علينا فتحها ثم ودعه وسار خالد رضى الله تعالى

عنه بمن معه الى حمص وتوجه أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه الى بعلبك واذا قد ورد بطريق جوسية ومعه الهدايا والتحف وصالح المسلمين سنة كاملة وقال ان فتحتم بعلبك فانا بين أيديكم ولا نخالف لكم قولا فصالحهم أبو عبيدة رضى الله عنه على أربعة آلاف درهم وخمسين ثوبا من الديباج فلما ابرم الصلح سار ابو عبيدة رضى الله تعالى عنه يطلب بعلبك فما بعد من الابوة الا وقد أشرف عليه راكب نجيب فاذا هو باسامة بن زيد الطائى فقال يا أسامة من أين أقبلت فاناخ نجيبه وسلم على أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه وعلى المسلمين وقال أتيت من المدينة وسلم اليه كتابا من عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ففضه أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه واذا فيه لا اله الا الله محمد رسول الله بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله أمير المؤمنين الى أمين الامة سلام عليك فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أما بعد فلا مرد لقضائه وقدره ومن كتب فى اللوح المحفوظ كافرا فلا ايمان له وذلك ان جبلة بن الايهم الغسانى كان قدم علينا ببنى عمه ومشترات قومه فانزلتهم وأحسنت اليهم وأسلموا على يدى ففرحت بذلك اذ شد الله عضد الاسلام والمسلمين بهم ولم أعلم ما كمن فى الغيب واذا سرنا الى مكة حرسها الله تعالى وعظمها تطلب الحج وطاف جبلة بالبيت أسبوعا فوطئ رجل من فزارة ازاره فسقط ازاره عن كتفه فالتفت الى الفزارى وقال يا ويلك أكشفتنى فى حرم الله تعالى فقال والله ما تعمدتك فلطم جبلة بن الايهم لطمة للفزارى هشم بها أنفه وكسر ثناياه الاربع فأقبل الفزارى الى مستعديا على جبلة فأمرت باحضاره وقلت له ما حملك على ان لطمت أخاك فى الاسلام وكسرت ثناياه الاربع وهشمت أنفه فقال جبلة انه وطئ ازارى برجله فحله ووالله لولا حرمة هذا البيت لقتلته فقلت له قد أقررت على نفسك فاما أن يعفو عنك واما آخذ له منك القصاص فقال أيقتص منى وأنا ملك وهو سوقة قلت قد شملك واياه الاسلام فما تفضله الا بالعافية فقال تتركنى الى غد أو تقتص منى فقلت للفزارى تتركه الى غد قال نعم فلما كان من الليل ركب فى بنى عمه وتوجه الى الشام الى كلب الطاغية وأرجو ان الله تعالى يظفرك به فانزل على حمص ولا تنفذ عنها فان صالحك أهلها فصالحهم وان أبوا فقاتلهم وابعث عيونك الى انطاكية وكن على حذر من المتنصرة والسلام عليك ورحمة الله وعلى جميع المسلمين (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما قرأ أبو عبيدة الكتاب فى سره قرأه مرة ثانية أخرى ثم الوى بطالب حمص وكان خالد رضى الله تعالى عنه يسبقه اليها بلك الجيش فنزل عليها يوم الجمعة من شوال سنة أربعة عشر من الهجرة النبوية وكان عليها والياً بطريق

من

من قبل هرقل اسمه لقيطا وكان قد مات قبل نزول خالد والمسلمون عليهم سار رضي الله تعالى عنهم أجمعين اجتمع المشركون الى كنيستهم العظمى وقال كبارهم اعلموا ان صاحب الملك قد مات وليس عند الملك خبر من هؤلاء العرب وقد نزلوا علينا وما ظننا ذلك ولقد حسبنا انهم لا ينزلون علينا حتى يفتحوا جوسية وبعلبك وان أنتم قاتلتموهم وكاتبتم الملك أن يسير اليكم واليا وجيشا فان العرب لا تمكن أحدا من جنود الملك أن يسير اليكم ولا يصل لكم وليس عندكم طعام يقوم بكم للحصار فقالوا أيها السيد فما الذي ترى قال تصالحوا القوم على ما أرادوا ونقول لو نحن لكم وبين أيديكم ان فتحتم حلب وقنسرين وهزمتم جيش الملك فاذا توجه القوم عنا بعثنا الى الملك يمدنا بجيش عرمرم ويولي من أراد علينا ويستوثق لنا من الطعام والعدد وبعد ذلك نقاتلهم فاستصوب القوم رأيه وقالوا دبرنا بحسن رأيك وتدبيرك فبعث البطريق الى أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه جاليقا كان عندهم معظما ليعقد الصلح بينهم وبين المسلمين فخرج الجاليق ووصل الى أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه وتكلم في الصلح معه وبما تحدث به البطريق من أمر سير المسلمين الى حلب وقنسرين في العواصم وانطاكية فأجابهم أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه الى ذلك وصالح القوم وهم أهل حمص على عشرة آلاف دينار ومائتي ثوب من الديباج وعقد الصلح مع القوم سنة كاملة أولها ذو القعدة وآخرها شوال سنة أربعة عشر من الهجرة قال وانبرم الصلح وخرجت السوقة من حمص الى عسكر المسلمين فباعوا واشتروا ورأى أهل حمص سماحة العرب في بيعهم وشرائهم وربحوا منهم ربحا وافيا

ذكر حديث سرية خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه

(قال الواقدي رحمه الله تعالى) وان أبا عبيدة دعى بخالد وضم اليه أربعة آلاف فارس من لخم وجذام وطي ونبهان وكهلان وسندس وخولان وقال يا أبا سليمان شن الغارة بهذه الكتيبة واقصد بها العراة واقرب من معرة حلب وشن بها الغارة على بلد العواصم وارجع على اثرك ونفذ عيونك وانظر ان كان للقوم نجدة أو ناصر من قومهم أم لا فأجابه خالد الى ذلك وأخذ الراية وتقدم امام الكتيبة وجعل ينشد ويقول

أخذتها والملك العظيم ❊ وانني بجعلها زعيم
لانني من بني مخزوم ❊ وصاحب لاحمد الكريم
أسير الاسد الغيشوم ❊ يارب ارزقني قتال الروم

(قال الواقدي رحمه الله تعالى) وسار خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه الى شيرز

ونزل على النهر المقلوب ودعا مصعب بن محارب اليشكري وضم اليه خمسمائة فارس وأمره أن يشن الغارة على العواصم وقنسرين وسار خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه الى كفر طاب والمراة والى دير سمعان وجعلت خيل المسلمين تغير يمينا وشمالا على القرى والرساتيق ويأخذون الغنائم والاسارى فرجعوا الى خالد بن الوليد بالاسارى وسار بهم الى أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه فلما نظر الى خالد ومامعه من الغنائم والاموال فرح فرحا شديدا واذا خلف خالد سواد عظيم وقد ارتفعت أصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير فقال أبو عبيدة رضي الله عنه ماهؤلاء يا أبا سليمان فقال خالد يا أمير المؤمنين هذا مصعب بن محارب اليشكري وقد عقدت له راية على خمسمائة فارس من قومه ومن أهل اليمن وانه غار بهم على العواصم وقنسرين وقد أتى بالغنائم والسبي والاموال فالتفت الامير أبو عبيدة فنظر الى سرح عظيم من البقر والغنم وبراذين عليهم رجال ونساء وصبيان ولهم دوي عظيم وبكاء شديد فقصدهم أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه واذا رجال مقرنين في الحبال وهم يبكون على عيالهم ونهب أموالهم وخراب ديارهم قال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه لترجمانه قل لهم ما بالهم يبكون ولم لا يدخلون في دين الاسلام ويطلبون الامان والزمام وكنتم قد أمنتم على أنفسكم وأموالكم فقال لهم الترجمان ذلك فقالوا أيها الامير نحن كنا بالبعد منكم وكانت أخباركم تأتينا وماظننا انكم تطلبون البلاد التي نحن فيها حتى أشرف علينا أصحابكم فنهبوا أموالنا وأولادنا وساقونا في الحبال كما ترى (قال الواقدي رحمه الله تعالى) وكانت الاعلاج زهاء عن أربعمائة علج فقال لهم الامير ان منا عليكم وأطلقنا كم من أسركم ورددنا عليكم أموالكم وأهاليكم فهل تكونوا في طاعتنا وتؤدوا الجزية الينا والخراج فقالوا أوفي لنا بذلك ونحن نفعل بجميع ماشرطته علينا فعند ذلك أقبل أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه الى المسلمين وقال لهم قد رأيت من الرأي أن أومن هؤلاء من القتل وأرد عليهم أموالهم وعيالهم فيكونوا عبيدا لنا ويعمروا الارض والبلاد وأخذوا خراجهم وجزيتهم فما أنتم قائلون فما كنت بالذي أقطع أمرا الا بمشورتكم فقالوا الرأي رأيك أيها الامير ان رأيت في ذلك صلاحا للمسلمين (قال الواقدي رحمه الله تعالى) فعرض على كل واحد أربعة دنانير وبذلك كتب الى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فعند ذلك رد عليهم أموالهم وأولادهم وأقرهم على بلادهم وكتب أسماءهم وأمرهم بالرجوع الى أوطانهم فلما استقروا في خيامهم أخبروا من كان بالقرب منهم بحسن سيرة العرب وما عاملوهم به من الجميل وقالوا قد ظننا انهم يقتلونا ويستعبدون أولادنا والآن قد رحمونا وأقرونا في بلادنا على أداء الجزية

والخراج

والخراج (قال الواقدي) فسمعت الروم ذلك فأقبلوا الى أبي عبيدة رضي الله عنه في طلب الامان وأداء الجزية والخراج

❊(ذكر فتح قنسرين)❊

(قال الواقدي رحمه الله تعالى) وبلغ الخبر الى أهل قنسرين أن الامير أبا عبيدة يعطي الامان لمن قصده فأحبوا أن يأخذوا الامان من أبي عبيدة رضي الله عنه وأجمعوا رأيهم على ذلك وأن ينفذوا رسولا من غير علم بطريقهم (قال الواقدي رحمه الله تعالى) وكان على قنسرين والعواصم بطريق من بطارقة الملك من أهل الشدة والبأس وكان أهل قنسرين يخافون منه وكان اسمه لوقا وصاحب حلب وعسكره مثل عسكره وسطوته مثل سطوته وكان الملك هرقل قد دعاهما اليه فقال له أيها الملك ما كنا بالذي نسيب ملكنا من غير أن نقاتل قتالا شديدا فشكرهما الملك هرقل على ذلك ووعدهما أن يبعث اليهما جيش عرمرم وكانا منتظرين ذلك من وعد الملك لهما وكان مع كل واحد منهما عشرة آلاف فارس الا انهما لا يجتمعان في موضع واحد قال فلما سمع صاحب قنسرين ما قد عزموا عليه أهل قنسرين من الصلح مع أبي عبيدة غضب غضبا شديدا وعزم أن يمكر بهم فجمع اهل قنسرين اليه وقال لهم يا بني الاصفر ما ترون أن أصنع مع هؤلاء العرب وكأنكم بهم وقد أقبلوا الينا ويفتحوا بلادنا كما فتحوا أكثر بلاد الشام فقالوا أيها السيد قد بلغنا انهم أصحاب وفاء وذمة وقد فتحوا أكثر البلاد بالصلح والعدل ومن قاتلهم قتلوه واستعبدوا اهله وأولاده ومن دخل تحت طاعتهم أقروه في بلده وكان آمنا من سطوتهم والرأي عندنا أن نصالح القوم ونكون آمنين على أنفسنا وأموالنا فقال لهم البطريق لقد أشرتم بالصواب والامر الذي لا يعاب لان هؤلاء العرب قوم منصورون على من قاتلهم وها أنا أعقد لكم الصلح معهم سنة كاملة الى أن توافينا جيوش الملك هرقل ونعطف عليهم وهم آمنون فنبيدهم عن آخرهم فقالوا افعل ما فيه الصلاح (قال الواقدي رحمه الله تعالى) واتفق أهل قنسرين والبطريق على صلح المسلمين وفي قلوبهم الغدر قال وان لوقا البطريق دعا برجل من أصحابه اسمه اصطخر وكان قسيسا عالما بدين النصرانية فصيح اللسان قوي الجنان يعرف بالعربية والرومية وقد عرف الدينين اليهودية والنصرانية فقال لوقا يا أبا ناسر الى أمير العرب وقل له يصالحنا سنة كاملة حتى نبعد القوم بالحيلة والخداع ثم كتب الكتاب الى الامير أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه بعد كلام كفره أما بعد يا معاشر العرب ان بلدنا بلد منيع كثير العدد والرجال فاذا أتونا من قبله ولو أقمتم علينا مائة سنة ما قدرتم علينا وان الملك هرقل قد استنجد عليكم من حد الخليج الى رومية الكبرى ونحن قد بعثنا اليكم

نصالحكم سنة كاملة حتى نرى لمن تكون البلاد ونحن نريد منكم ان تجعلوا بيننا وبينكم
علامة من حد أرض قنسرين والعواصم حتى اذا هجمت العرب بالغارة دارت العلا
ترجع عن حد أرضنا وعن نصالحكم بسر من الملك هرقل لئلا يعلم فيقتلنا والسلام
ثم خلع على اصطخر خلعة سنية وأعطاه بغلة من مراكبه وعشر غلمان وسار حتى
وصل الى حمص فرأى الامير أبا عبيدة رضي الله تعالى عنه يصلي بالمسلمين صلاة
العصر فوقف اصطخر ينظر ما يفعلون فتعجب من ذلك فلما فرغوا من صلاتهم ونظروا الى
القسيس فوثبوا اليه وقالوا له من أنت ومن أين أقبلت فقال أنا رسول ومعي كتاب
فتلوه بين يدي أبي عبيدة فهم القسيس بالسجود له فمنعه أبو عبيدة رضي الله تعالى
عنه من ذلك وقال له نحن عبيد الله عز وجل نماشق ونساعد فأما الذين شقوا في
النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض فلما سمع اصطخر ذلك
بهت وبقي لا يرد جوابا وهو متعجب بما تكلم به الامير أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه
فنادى خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه وقال له ما شأنك أيها الرجل ورسول من
أنت فقال أنا اصطخر أنت أمير القوم فقال خالد لا بل هذا أميرنا وأشار الى أبي عبيدة
رضي الله تعالى عنه فقال له اصطخر أنا رسول صاحب قنسرين والعواصم ثم أخرج
الكتاب ودفعه الى أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه فأخذه وقرأه على المسلمين فلما سمع
خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه ما في الكتاب من صفة مدينتهم وكثرة عددهم
ورجالهم وزادهم وتهديدهم بجيوش الملك هرقل حرك خالد رأسه وقال لابي عبيدة
وحق من أيدنا بالبصر وجعلنا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الطاهرات هذا الكتاب
من عند رجل لا يريد الصلح بل يريد حربنا ثم قال لاصطخر تريدون أن تخدعونا حتى
اذا جاءت جنود صاحبكم ورأيتم القوم قد جاءتكم نقضتم صلحنا وكنتم أول من يقاتلنا
وان رأيتم الغلبة لنا هربتم الى طاغيتكم هرقل فان أردتم ذلك فنواعدكم الحرب
مواعدة من غير ان يكون صلحنا سنة كاملة فان لحق بكم جيش هذه السنة من الملك
هرقل ولا بد من قتاله فمن أقام في المدينة ولم يقاتل مع الجيش فهو على صلحنا لا نتعرض
له قال اصطخر قد أجبناكم الى ذلك فاكتبوا لنا كتابا بذلك فقال خالد بن الوليد
رضي الله تعالى عنه أيها الامير أكتب لهم كتابا بمواعدة الحرب سنة كاملة أولها
مستهل شهر ذي القعدة سنة أربعة عشر من الهجرة النبوية قال فكتب له أبو عبيدة
رضي الله تعالى عنه بذلك فلما فرغ من الكتاب قال له اصطخر أيها الامير هذه
بلادنا معروفة وبارانا صاحب حلب وبلاده عند بلادنا ونريد أن تجعل لنا علامة
فيما بيننا وبينكم حتى اذا طلب أصحابكم الغارة لا يتجاوزون ذلك (قال الواقدي)

فرضي أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه بذلك وقال أنا أبعث من يحدد لكم ذلك قال اصطخر أيها الامير ما نريد معنا أحدا من أصحابك نحن نصنع عامودا وننصبه ويكون عليه صورة الملك هرقل فاذا رأوه أصحابك لا يجاوزونه فقال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه افعل ذلك ثم دفع اليه الكتاب ونادى في عساكر المسلمين وأصحاب الغارات من نظر الى عمود فلا يتعداه ولا يتجاوزه بل يشن الغارة على أرض حلب وحدها ولا يتجاوز العامود فليبلغ الشاهد الغائب (قال الواقدي رحمه الله تعالى) ورجع اصطخر الى بطريق قنسرين واعلمه بما جرى له مع خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه ودفع له الكتاب ففرح بذلك وقصد الى عامود عظيم وصنع عليه صورة الملك هرقل كانه جالس على كرسي مملكته (قال الواقدي) وكانت خيل المسلمين تضرب غاراتها الى أقصى بلاد حلب والعمق وانطاكية ويحيدون عن حد قنسرين والعواصم ولا يقربون العمود قال عمر بن عبد الله الغيري عن سالم بن قيس عن أبيه معبد بن عبادة رضي الله تعالى عنه قال كان صلح المسلمين لاهل قنسرين والعواصم على أربعة آلاف دينار ملكية ومائة أوقية من الفضة وألف ثوب من متاع حلب وألف وسق من طعام (قال الواقدي رحمه الله تعالى) حدثنا عامر قال كنا في بعض الغارات اذ نظرنا الى العامود وعليه صورة الملك هرقل فجئنا عنده وجعلنا نجول حوله بخيولنا ونعلمها الكر والفر وكان بيد أبي جندلة قناة تامة فقرب به الجواد من الصورة وهو غير متعمد ذلك ففقأ عين الصورة وكان عندها قوم من الروم وهم غلمان صاحب قنسرين يحفظون العامود فرجعوا الى البطريق وأعلموه بذلك فغضب غضبا شديدا ودفع صليبا من الذهب الى بعض أصحابه وضم اليه ألف فارس من اعلاج الروم وعليهم الديباج الرومي وعليهم المناطق المجوفة وأمر اصطخر أن يسير معهم وقال له ارجع الى أمير العرب وقل له غدرتم بنا ولم توفوا بذمامكم ومن غدر خذل فأخذ اصطخر الصليب وسار مع ألف فارس من الروم حتى أشرف على أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه فلما نظر المسلمون الى الصليب وهو مرفوع اسرعوا اليه ونكسوه فاستقبل أبو عبيدة القوم وقال من أنتم قال اصطخر أنا رسول صاحب قنسرين اليك وهو يقول لك غدرتم ونقضتم العهد الذي بيننا وبينكم فقال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه وحق رسول الله صلى الله عليه وسلم ما علمت بذلك وسوف أسأل عنه ثم نادى يا معاشر الناس من فقأ عين التمثال فيخبرنا بذلك فقالوا أيها الامير أبو جندلة وسهل بن عمر صنعا ذلك من غير أن يتعمداه فقال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه لاصطخر ان صاحبنا فعل ذلك من غير أن يتعمد فما الذي يرضيك منا فقالت الاعلاج لا نرضى حتى نفقأ عين ملككم يريدون بذلك أن

تتطرفوا الى رقاب المسلمين فقال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه ها أنا فاصنعوا بي مثل ما صنع بصورة كم قالوا لا نرضى بذلك الا بعين ملككم الاكبر الذي يلي أمر العرب كلها فقال ان عين ملكنا يمنع من ذلك (قال الواقدي رحمه الله تعالى) وغضب المسلمون حيث ذكر الاعلاج عين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وهموا بقتل الاعلاج فنهاهم أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه عن ذلك فقالت المسلمون أيها الامير نحن دون امامنا نفديه بانفسنا ونفقأ عيوننا دون عينه فقال اصطخر عند ما نظر الى المسلمين وقد هموا بقتله وقتل من معه من الاعلاج لا نفقأ عين عمر ولا عيونكم ولكن نصور صورة أميركم على عمود ونصنع به مثل ما صنعتم بصورة ملكنا فقالت المسلمون ان صاحبنا فعل ذلك من غير تعمد وأنتم تريدون العمد فقال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه مهلا يا قوم فاذا قد رضي القوم بصورتي فأنا قد أجبتكم الى ذلك ولا يتحدث القوم عنا اننا عاهدنا وغدرنا فان هؤلاء القوم لا عهد لهم ولا عقل ثم أجابهم الى ذلك (قال الواقدي) فصوروا صورة أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه على عمود وجعلوا له عينين من زجاج وأقبل فارس منهم حتى فقأ عين الصورة ثم رجع اصطخر الى صاحب قنسرين واخبره بذلك فقال لقومه بهذا نالوا لهم ما يريدون قال وأقام أبو عبيدة على حمص يغار يمينا وشمالا ينتظرون خروج السنة ثم ينتظر ما يفعل بذلك (قال الواقدي رحمه الله تعالى) وأبطأ خبر أبي عبيدة على عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ولم يرد عليه شيء من الكتاب والفتح فأنكر عمر ذلك وظن به الظنون وحسب أنه قد داخله خير وقد ركن عن القعود عن الجهاد فكتب اليه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الى أمين الامة عامر بن الجراح سلام عليك فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وآمرك بتقوى الله عز وجل سرا وعلانية وأحذركم عن معصية الله عز وجل وأحذركم وأنهاكم أن تكونوا ممن قال الله في حقهم قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم الآية وصلى الله على خاتم النبيين وامام المرسلين والحمد لله رب العالمين فلما وصل الكتاب الى أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه قرأه على المسلمين فعلموا ان أمير المؤمنين عمر يحرضهم على القتال وندم أبو عبيدة رضي الله عنه على صلح قنسرين ولم يبق أحد من المسلمين الا بكى من كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقالوا أيها الامير ما يقعدك عن الجهاد فدع أهل شيزر وقنسرين واطلب بنا حلب وانطاكية فلعل الله أن يفتحها على أيدينا وقد انقضى أجل الصلح ولم يبق الا القليل وما البقاء الا للملك الجليل فعزم

أبو

أبوعبيدة رضى الله تعالى عنه على المسير الى حلب وعقد راية أخرى لسهل بن عمرو وعقد راية لمصعب بن محارب اليشكرى وأمر عياض بن غانم ان يسير على مقدمتهم وأتبعه خالد بن الوليد وسار أبوعبيدة رضى الله تعالى عنه الى ان نزل على الرشين وصالح أهلها وسار الى حماه فخرج أهلها اليه ومعهم الانجيل وقد رفعه الرهبان على اكفهم والقسوس امام القوم ويطلبون منه الصلح والزمان فلما رآهم أبوعبيدة رضى الله تعالى عنه وقف لهم وقال لهم ما الذى تريدون فقالوا أيها الامير نريد أن نكون فى صلحكم وذمامكم فأنتم أحب الينا (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فصالحهم أبوعبيدة وكتب لهم كتاب الصلح والزمام وخلف رجالا من المؤمنين وسار حتى نزل الى شيرز فاستقبلوه فصالحهم وقال لهم أسمعتم للطاغية هرقل خبرا فقالوا ماسمعنا له خبرا غيرانه اتصل بنا الخبران بطريق قنسرين قد كتب الى الملك هرقل يستنجده عليكم وقد بعث بجبلة بن الايهم الغسانى من بنى غسان والعرب المتنصرة ومعه بطريق عمورية فى عشرة آلاف فارس وقد نزلوا على جسر الحديد وكل منهم على حذر أيها الامير فقال أبوعبيدة رضى الله عنه حسبنا الله ونعم الوكيل (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وأقام الامير أبوعبيدة على شيرز وبقى مرة يقول أسير الى حلب ومرة يقول أسير الى انطاكية فجمع أمراء المسلمين اليه وقال أيها الناس قد بلغنى أن بطريق قنسرين قد نقض العهد وأرسل للملك هرقل والامر كذا وكذا فما أنتم قائلون فقالوا أيها الامير دع أهل قنسرين والعواصم وسر بنا الى حلب وانطاكية فقال خذوا اهبتكم رحمكم الله (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان بقى من الصلح والعهد الذى بينهم وبين أهل قنسرين شهر أو أقل من ذلك فأقام أبوعبيدة رضى الله تعالى عنه ينتظر انفصال العهد قال وكانت عبيد العرب يأتون بجراثيم الشجر من الزيتون والرمان وغير ذلك من الاشجار التى تطعم الثمار فعظم ذلك على الامير أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه فدعى العبيد اليه وقال ماهذا الفساد فقالوا أيها الامير ان الاحطاب متباعدة منا وهذه الاشجار قريبة فقال الامير أبى عبيدة عزيمة منى على كل حر وعبد قطع شجرة لها طعم أوثمر لاجازينه ولا نكلان به فلما سمع العبيد ذلك النكال جعلوا يأتون بالاحطاب من اقصى الديار قال سعيد بن عامر وكان معى عبد نجيب وكان اسمه مجمع وقد شهد معى الوقائع والحروب وكان جرى القلب فى القتال وكان اذا خرج فى غارة أوفى طلب حطاب يتغول ويبعد فخرج هو وجماعة من العبيد ممن شهد فى طلب الحطاب فابطأ خبره على سيده سعيد ابن عامر فركب جواده وخرج فى طلبه وجعل يقفو اثره واذا قد لاح له شخص وقد سال دمه على وجهه وصبغ سائر جسده وما كاد يمشى خطوة واحدة الا ويهوى على

وجهه قال سعيد بن عامر فترات اليه وقلت له ما وراءك من الاخبار فقال هلكة ودمار يامولاى فقلت عليك يا ابن الاسود حدثنى بخبرك قال سعيد فلم يكد يقف حتى سقط على وجهه فنضحت على وجهه ماء فسكن مابه فقال يامولاى انج بنفسك والا ادركك القوم يصنعون بك مثل ماصنعوبى فقلت وما القوم الذى صنعوا بك ما أرى فقال خرجت يامولاى أنا وجماعة من الموالى لنحتطب حطبا وتباعدوا تباعدا على البر اذا نحن بكتيبة من الخيل زهاء عن ألف فارس كلهم عرب وفى أعناقهم صلبان الذهب والفضة وهم معتقلون بالذهب والفضة والرماح فلما نظروا الينا أسرعوا نحونا وداروا بنا وعزموا على قتلنا فقلت لاصحابى دونكم واياهم فقالوا ويحك ومن نقاتل وكيف لنا طاقة بقتال هذه الكتيبة والخيل ومالنا الآن نلقى بأيدينا الى الاسر فهو اهون من القتال فقلت لا والله ماسلمت نفسى اليهم دون ان أقاتل قتالا شديدا فلما رأوا منى الجد فعلوا مثل فعلى فقاتلنا القوم وقاتلونا فقتلوا منا عشرة وأسروا عشرة وأما أنا فشعنت بالجراح حتى سقطت على وجهى فرجعوا عنى وبقيت كما ترى قال سعيد بن عامر الانصارى فغمنى والله مانزل بالعبيد فأردفته وراءى ورجعت على أثرى واذا بالخيل قد طلعت من وراءى كأنها الريح الهبوب أو الماء اذا اندفق من ضيق الانبوب واذا بها خيل غسان وأحدقت فى الرماح الطوال وهم يقولون نحن بنى غسان من حزب الصليب والرهبان قال سعيد بن عامر فناديتهم أنا من أصحاب محمد المختار صلى الله عليه وسلم فأسرع بعضهم الى وهم أن يعلونى بالسيف فناديته ياويلك تقتل رجلا من قومك فقال من أى الناس فقلت أنا من الخزرج الكرام فرد السيف عنى وقال أنت من طلبة سيدنا جبلة بن الايهم وحق المسيح فقلت ومن أين يعرفنى جبلة حتى يطلبنى فقال انه يطلب رجلا من أهل اليمن من أنصار محمد بن عبد الله ثم قال سر بنا طائعا والا سرت كرها قال سعيد بن عامر فسرت والجيش معى حتى أشرفنا على الجيش العرمرم وعدة حسنة واعلام وصلبان قد رفعت فلم أزل مع القوم حتى أتوابى الى مضرب جبلة بن الايهم واذا به جالس على كرسى من ذهب أحمر وعليه ثياب الديباج الرومى وعلى رأسه شبكة من اللؤلؤ وفى عنقه صليب من الياقوت فلما وقفت بين يديه رفع رأسه الى وقال من أى العرب أنت قلت أنا من اليمن قال أكرمت من أيها فقلت أنا من ولد حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عبد الله بن الازد بن عود بن مالك بن كهلان بن سبا فقال جبلة من أى الملاحين أنت نسبا لامهما فقلت أنا من ولد الخزرج بن حارثة من أنصار محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام فقال جبلة وأنا من قومك من بنى غسان فقلت أنا من القبيلة التى

نسبت الى اماثها فقال أنا جبلة بن الايهم الذى رجعت عن الاسلام كى مارضى صاحبكم عمر بن الخطاب أن يكون مثلى لهذا الدين ناصرا حتى يأخذ منى القود لعبد حقير وأنا ملك اليمن وسيد غسان فقلت يا جبلة ان حق الله أوجب من حقك وديننا لا يقوم الا بالحق والنصفة وان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لا يخاف ولا يأخذه فى الله لومة لائم فقال لى ما اسمك فقلت سعيد بن عامر الانصارى فقال أوطئ يا سعيد قال فجلست فقال كم عهدك بحسان بن ثابت الانصارى فقلت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قال فيه المصطفى أنت حسان ولسانك حسام فقال لى كم لك منذ فارقته فقلت عهدى به قريب وقد دعانى الى دعوة صنعها وأمر مولدته أن تنشد بها شعرا فأنشدت

لله در عصابة نادمتهم ❊ يوما بجلوا فى الزمان الاول
يغشون حتى ما تهر كلابهم ❊ لا يسألون عن السواد المقبل
بيض الوجوه كريمة أنسابهم ❊ شم الانوف من الطراز الاول
اللاحقين فقيرهم بغنيهم ❊ المشفقين على اليتيم الارمل
أولاد جفنة حول قبر أبيهم ❊ قبر ابن مارية الكريم المفضل

ثم خرجنا الى الشام وهذا آخر عهدى به قال جبلة بن الايهم وحفظه لى هذه المكرمة قلت نعم فأمر لى بثوب من الكتان الرومى وفيه شئ من الورق وقال أنا أمرت لك بالكتان كى تلبسه ولا تحرمه ثم قال لى بحق ذمة العرب ما كنت تصنع فى المكان الذى أسرت فيه فقلت ان الصدق أوفى ما استعمله الرجل أنا من أصحاب الامير أبى عبيدة بن الجراح وقد قصدنا نريد حلب وانطاكية فقال جبلة اعلم ان الملك قد بعثنى أنا وهذا البطريق صاحب عمورية حتى ننصر صاحب قنسرين فانه قد أكادكم بصلحه لكم وأنا منتظر أن يلاقينا بهذا المكان ولكن ارجع الى صاحبك أبى عبيدة وحذره من أسيافنا وقل له يرجع من حيث قدم ولا يتعرض لبلاد هرقل وسوف ينزع من أيديكم ما قد ملكتموه من الشام قال سعيد بن عامر فركبت وأردفت غلامى وراءى وسرت حتى أتيت عسكر المسلمين فأسرع الناس الى وقالوا اين كنت يا ابن عامر فأتيت خيمة الامير أبى عبيدة رضى الله عنه وحدثته بقصتى مع جبلة بن الايهم فقال لى لقد خلصك الله بذكرك لحسان بن ثابت الانصارى ثم جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم للمشورة ثم قال أيها الناس ما ترون من قصة هذا البطريق وقد وفينا له وأكادنا فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه ان البغى مصرعة وان كادنا كان الله من ورائه بالمرصاد وسوف نكيده أعظم مكيدة وأنا أسير الى لقائه بعشر رجال من

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو عبيدة أنت لها يا أبا سليمان ولكل كريهة فخذ من أحببت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال خالد ابن الوليد رضي الله عنه أين عياض بن غانم الاشعري أين عمر بن سعيد أين مصعب أين محارب اليشكري أين أبو جندلة بن سعيد المخزومي أين سهل بن عمر العامري أين رافع بن عميرة الطائي أين المسيب بن نجية الفزاري أين سعيد بن عامر الانصاري أين عمرو بن معدي كرب الزبيدي أين عاصم بن عمر العبسي أين عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما فأجابوه بالتلبية (قال الواقدي رحمه الله تعالى) وكان ضرار بن الازور رضي الله عنه رمد العينين لم يحضر هذه الوقعة فقال لهم خالد بن الوليد هلموا اليه فجدوه وقد تدرع بدرع مسيلمة الكذاب الذي استلبه منه يوم اليمامة واشتمل بلامة حربه وركب جواده وقال لعبده همام ذرني حتى ترى مني عجبا فسار معه وسار خالد بن الوليد رضي الله عنه والعشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو عبيدة رضي الله عنه يدعو لهم بالنصر فأقبل خالد على سعيد بن عامر الانصاري وقال يا سعيد ما خبرك جبلة بن الايهم من أين يأتي البطريق صاحب قنسرين اليه فقال نعم يا أبا سليمان فقال له خذ بنا في الطريق الى جبلة بن الايهم حتى نكمن له فيه فاذا أتى البطريق صاحب قنسرين أكدناه كما كادنا ودمرناه ومن معه فسار سعيد أمام القوم يدل بهم ويجد السير طالب عسكر جبلة بن الايهم وكان مسيرهم ليلا فلما وصلوا الى قرب النيران وسمعوا أصوات القوم عدل بهم سعيد بن عامر الى صوب طريق البطريق وكمن بمن معه من الرجال الى وقت الصباح فلم يأت أحد فصلى خالد بأصحابه صلاة الفجر وهم في الكمين فبينما هم في الكمين اذ أشرف عليهم جيش جبلة ابن الايهم والعرب المتنصرة وصاحب عمورية وهم طالبون أرض العواصم وقنسرين فقال المسلمون لخالد يا أبا سليمان أما ترى الى هذا الجيش الذي قد أشرف علينا في عدد الشوك والشجر فقال خالد بن الوليد رضي الله عنه فما يكون من كثرتهم اذا كان النصر لنا والله معنا فاختلطوا بهم أنتم وكونوا في جملتهم كأنكم من جيشهم الى أن نلتقي بالبطريق صاحب قنسرين ويفعل الله تعالى ما يشاء ويختار فعند ذلك اختلطوا بهم وصاروا في جملتهم وهم لا يفترقون قال رافع بن عميرة الطائي فلما أشرفنا على حد ملحنا ولاح لنا بلد العواصم وقنسرين واذا ببطريقها قد استقبلنا وقد رفع أمامه الصليب وأخرج بين يديه القسوس والرهبان وهم يقرؤن الانجيل وقد ارتفعت أصواتهم بكلمة الكفر ودنى بعضهم من بعض وخرج البطريق أمام العصابة ليأتي الى جبلة بن الايهم يسلم عليه فاستقبله خالد بن الوليد رضي الله عنه مراجهاله

وحوله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اقترب البطريق منهم قال سلمكم
المسيح وأبقاكم الصليب فقال خالد ياويلك مانحن من عباد الصليب بل نحن من
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد الحبيب وكشف خالد بن الوليد رضي الله
عنه وجهه ونادى لا اله الا الله وحده لاشريك له وأن محمدا عبده ورسوله ياعدو الله
أنا خالد بن الوليد أنا المخزومي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وضرب بيده على
البطريق وقبض عليه وانتزعه من سرجه وبرز أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسلوا السيوف على أصحابه وارتفعت الضجة والجلبة واعلن العدو بكلمة الكفر وضج
المسلمون بكلمة التوحيد وسمع جبلة وصاحب عمورية أصوات المسلمين وقد ارتفعت
بالتهليل والتكبير فانزعجا لذلك وثاروا الى السيوف وقد جردت والرماح وقد شرعت
فبرزوا نحو أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحاطوا بهم من كل جانب
ومكان فلما نظر خالد الى مادهمه ونزل بأصحابه الذين معه والبطريق صاحب قنسرين
لايفارقه وقد ملك قياده وهو خائف لاينفلت من يده أو يجري عليه حادثة قبل أن
يقتله وهم خالد أن يقتله ورفع السيف ليعلوه به فتبسم البطريق من فعاله وعجب خالد
من ضحكه وقال ياويلك لم ضحكك فقال البطريق لانك مقتول أنت ومن معك وتريد
قتلي وان أنت أبقيت علي فهو أصوب فتركه خالد ولم يقتله ثم صاح خالد بأصحابه أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم كونوا حولي واحموا عني واصبروا على مانزل بكم ولا يكبر
عليكم من أحدق بكم فان أشد ماتخافوا منه القتل والموت منية خالد في سبيل الله
واني والله أهديت نفسي للقتل مرارا لعلي أرزق الشهادة واعلموا رحمكم الله ان جنتنا
واضحة ومفوضة الى الله عز وجل وكأنكم وقد وصلتم الى ربكم وسكنتم دار الايموت
ساكنها ثم قرأ لايمسهم فيها نصب وماهم منها بمخرجين (قال الواقدي رحمه الله تعالى)
فاجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خالد رضي الله عنه وداروا من حوله
وصار عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن يمينه ورافع بن عميرة عن
يساره وعبيدة همام من ورائه وأصحابه محدقون به وسلم خالد البطريق صاحب قنسرين
الى عبيدة همام وقال له أوثقه الى جانبك ولاتبرح من مكانك وأبشر بالنصر من الله
عز وجل (قال الواقدي) وأقبلت اليهم العرب المتنصرة يقدمهم جبلة بن الايهم
في عنقه صليب من الذهب الاحمر وفيه طوق من الجوهر وعليه ثياب الديباج المشغل
ومن فوقه درع مذهب الزرد وعلى رأسه بيضة من الذهب وعلى أعلاها صليب من
الجوهر وفي يده رمح طويل وسنانه يضيء كالقنديل وصاحب عمورية كالبرج المشيد
ومن حوله الاعلاج المدججة وقد أحدق بهم الجيش من كل جانب فلما نظر

صاحب عمورية الى خالد بن الوليد رضي الله عنه وقد ملك صاحب قنسرين وهو في يده أسيرا خاف أن يعجل عليه خالد فأقبل الى جبلة وقال له وحق المسيح ما هؤلاء العرب الا شياطين ألا ترى الى هذا العربي ومن معه وهم عشرة رجال وقد أحدق بهم هذا الجيش العظيم وما يفكرون فيه وقد ملكوا صاحبنا وهو معهم أسير ولا يخلص من أيديهم واني خائف عليه أن يقتلوه وهو عزيز عند الملك هرقل فاخرج الى هذا العربي وقل له يخلي صاحبنا ويوصله الينا حتى نجود لهم بأنفسهم فاذا أطلقوا صاحبنا حملنا عليهم وقتلناهم عن آخرهم قال رافع بن عميرة الطائي فبينما نحن وقوف حول خالد ابن الوليد رضي الله تعالى عنه وجيش الروم والعرب المتنصرة محدقون بنا ونحن لا نفكر في كثرتهم لأنا واثقون بالله عز وجل واذا بجبلة بن الايهم وهو ينادي برفيع صوته ويقول من أنتم من أصحاب محمد المعروفين من أنتم من العرب التابعين أخبرونا من قبل أن ينزل بكم الدمار وكان المتكلم له خالد وبادره بالخطاب وقال له بل نحن من أصحاب محمد المختار المعروفين بأهل القبلة والاسلام والاكرام والانعام وأما سؤالك عن أنسابنا فنحن الآن من قبائل شتى وقد جعل الله كلمتنا واحدة ونحن مجتمعون عليها وهو قول لا اله الا الله محمد رسول الله زاده الله تعالى شرفا فلما سمع جبلة كلام خالد بن الوليد غضب غضبا شديدا ولم يفكر فيه ولا فيمن معه فقال جبلة يا فتى أنت أمير هؤلاء العرب فقال خالد لست أميرهم بل أخوهم في الاسلام وهم اخوتي المؤمنون فقال جبلة من أنت من أصحاب محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فقال خالد أنا المعروف بكبش بني مخزوم أنا خالد بن الوليد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الرجل الذي عن يميني هو عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما وهذا الذي عن شمالي من أهل اليمن من كرام طي وهو رافع بن عميرة الطائي صهري وفؤادي وذلك أني أخذت من كل قبيلة شجاعها المعروف وبطلها الموصوف فلا تزدري بقلتنا ولا تفرح بكثرتكم فما نتم في القتال الا كطيور وقع عليها صائدها وهي مكمنة في أوكارها فألقى القانص الشبكة عليها فما افلت منها الا النجيب (قال الراوي) فزاد غضب جبلة من كلام خالد رضي الله تعالى عنه وقال له ستعلم أن كلامك عليك مشؤم اذا دارت بك الاسنة وبقيت أنت ومن معك طعاما للوحوش في هذه الفلاة تمزقكم بكرة وعشية فقال خالد له ذلك لا يكبر علينا وسهل لدينا فأنت من من العرب التي قد نسبت لعبادة الصليب فقال أنا سيد بني غسان ومن ملوك همدان أنا ملك غسان وتاجها أنا جبلة ابن الايهم فقال خالد أنت المرتد عن دين الاسلام ومن اختار الضلالة على الهدى

وسلك سبيل البغي وضل وغوى فقال جبلة ليس كذلك أنا الذى اخترت العز على الذل والهوان فقال خالد فانك على ذل نفسك حريص وانما الكرامة غدا فى دار البقاء والبعد عن دار الشقاء فقال جبلة يا أخا بنى مخزوم لا تفرط علينا فى المقال فانما بقاءى عليك وعلى أصحابك بسبب هذا الاسير الذى فى يدك لانى أخاف ان حملت عليكم قتلته قبل قتلك وهو معظم عند الملك هرقل وقريب عنده فى النسب فأطلقه من يدك حتى أجود عليكم بأنفسكم فقال خالد أما أسيرى فلا أطلقه من يدى حتى أقتله ولا أبالى بما صنع بى بعده وأما قولك تحمل على وعلى من معى بهذه الجموع فما أنصفت فى المقال فاذا أردت النصفة فى القتال فجمعكم عظيم وعددكم كثير ونحن عشرة رجال وقد أحدقت بنا أعنة خيولكم وأسنة رماحكم وطيال سيوفكم فابرزوا فارسا لفارس وهذا أميركم فان قتلتمونا فقد خلصتم أسيركم وان ظفرنا الله بكم وما النصر الا من عند الله فما يعظم عليكم هلاك أسيركم اذا هلكت أنفسكم قبله (قال الواقدى) فعند ذلك نكس جبلة رأسه وأقبل يحدث صاحب عمورية بجواب خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه فغضب صاحب عمورية غضبا شديدا وامتضى سيفه فلما نظر خالد بن الوليد الى البطريق جرد سيفه علم أنه قد غضب وأنه يريد القتال فلما هم صاحب عمورية بالحملة مسكه جبلة ومنعه عن الحملة وأوقفه تحت صليبه وأقبل جبلة على خالد بن الوليد وقال يا أخا بنى مخزوم ان الحرب كما ذكرت يحتمل النصفة وهؤلاء بنى الاصفر أعلاج الروم غنم ما يعرفون النصفة فى البراز وقد حدثتهم بحديثك معى وقد رضوا منك بالمبارزة فمن أراد منكم المبارزة فليبرز قال رافع بن عميرة الطاءى فعزم خالد بن الوليد أن يبرز فمنعه عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما وقال يا أبا سليمان وحق القبر الذى ضم أعضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق شيبة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه لا يبرز لهؤلاء القوم غيرى وأبذل المجهود فيهم فاعلى ألحق بأبى بكر الصديق فتركه خالد وقال اخرج شكر الله مقالك وعرفك فعالك قال فخرج عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما وهو على فرس كان لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وكان دفعه له من قسمة غنيمة وقعة اجنادين وكان الجواد من خيل بنى لخم وجذام من العرب المتنصرة وكان كالطود العظيم وعبد الرحمن غارق فى الحديد والزرد النضيد وبيده قناة تامة الطول فجال عبد الرحمن بجواده بين عساكر الروم والعرب المتنصرة ودعاهم الى القتال والبراز والنزال وقال دونكم والقتال فأنا ابن الصديق ثم جعل يقول

أنا ابن عبد الله ذى المعالى ❊ والشرف الفاضل ذى الكمال

أبي عتيق الصادق المقال ❊ أدين هـــذا الدين بالفعال

ثم طلب البراز قال رافع بن عميرة فخرج اليه خمس فوارس من شجعان الروم فما كان يجول عبد الرحمن على الفارس الا جوله واحدة فيصرعه قتيلا فلما قتل الخمس فوارس توقفوا عنه فهم بالحملة على عسكر الروم فخرج اليه جبلة بن الايهم وقد اشتد به الغضب فلما قرب من عبد الرحمن قال له يا غلام قد تعديت علينا في قتالك وبغيت علينا في قتالك فقال عبد الرحمن وكيف ذلك وما البغي من شيمنا قال جبلة لانك قد ملأت الارض من قتلانا وما خرجت اليك أقاتلك لانك لست لي كفؤا في القتال وانما خرجت اليك لان رجلا من أصحابك قد خرج يعينك علي وليس هـذا من شيم الاشراف والانصاف قال فلما سمع عبد الرحمن كلام جبلة تبسم وقال يا ابن الايهم تريد أن تخدعني وأنا تربية الامام علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وقد شهدت معه الوقائع القتال فقال جبلة لست مخادعا وما قلت الا حقا فقال عبد الرحمن فاخرج بازاء من خرج معي فارسا من قومك ان كنت صادقا في مقالتك واحمل علي فاني كفؤا كريم (قال الواقدي رحمه الله تعالى) فلما نظر جبلة بن الايهم الى عبد الرحمن وانه لا يؤتى من قبل الخداع والحيل قال هل لك يا غلام أن تلقي بيدك اليا وأغسلك في ماء المعمودية غمسة تخرج منها نقيا من الذنوب كما خرجت من بطن أمك وتكون من حزب الصليب والانجيل وتأكل القربان وتأخذ الجائزة العظيمة من الملك هرقل وأزوجك ابنتي وأقاسمك في نعمتي وأمتن عليك باكرامي وانعامي وأنا الذي مدحني شاعركم حيث يقول

ان ابن جفنة من بقية معشري ❊ لم تعـــدهم آباؤهم باللوم

يعطي الجزيل ولا تراه بأنه ❊ الا كبعض عطية لمذموم

لم ينشي بالشام اذ هو بارح ❊ يوما ولا متنصـــرا بالروم

ان جئته يوما تقرب منزل ❊ وسقى براحته من الخرطوم

فاسرع الى ما عرضته عليك لتخلو من الهلاك وتكون في النعم والعيش السليم فقال عبد الرحمن لا اله الا الله وحده لا شريك له يا ويلك يا ابن اللئام أتدعوني من الهدى الى الضلال ومن الايمان الى الكفر والجهالة وأنا ممن وقر الايمان في قلبه وعرف رشده من غيه وصدق نبي الله وبغض من كفر بالله ودونك والقتال ودع عنك الخديعة والمحال وتقدم الى ما عرضت عليه حتى أصرمك ضربة أعجل بها حمامك وأرغم بها أنفك وتستريح العرب من أن تنسب اليك لانك كافر بالرحمن وعابد للصلبان قال فغضب جبلة من كلام عبد الرحمن وحمل عليه وصمم بالنشاب اليه يريد أن يلعنه

أفزاع عنها عبد الرحمن من الطعنة وحمل على جبلة حملة عظيمة وتقاعنا بالرماح حتى كل عبد الرحمن من حمل قناته فرماها من يده وامتض سيفه وتعاركا فى الحرب فهجم عبد الرحمن على جبلة وضرب رمحه أبراه فرمى جبلة باقى الرمح من يده وامتض سيفه من غمده وكان من سيوف كندة من بقايا عاد كأنها صاعقة مبرقة ماضرب بها شيأ الا أبراه وحمل عبد الرحمن رضى الله تعالى عنه حملة عظيمة قال رافع بن عميرة الطاءى فعجبنا والله من عبد الرحمن وصبره على قتال جبلة ومنازلته على صغر سنه وقلة أعوانه ثم التقيا بضربتين واصلتين فسبقه عبد الرحمن بالضربة فأخذها جبلة فى جحفته فقطع الدرق ونزل السيف الى البيضة فانثنى سيف عبد الرحمن عنها لانها ذات سقاية عظيمة فجرحه جرحا واضحا أسال دمه وضربه جبلة ضربة واصلة فقطع ما كان عليه من الزرد والدروع والثياب ووصلت الضربة الى منكبه فجرحته فلما أحس عبد الرحمن رضى الله تعالى عنه بالضربة قد وصلت اليه ثبت نفسه وأورى قرينه كأن الضربة لم تصل وحرك بجواده وأطلق عنان فرسه حتى لحق بخالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه وأصحابه فلما وصل اليهم قال له خالد قد وصل اليك عدو الله بضربته فقال نعم وأظهر له ضربته وما لحقه فأخذوه عن فرسه وسدوا جراحته فقال خالد يا ابن الصديق ان كان جبلة قد وصل اليك بضربته فوحق بيعة أبيك لافجعنهم فى أسيرهم كما فجعوا ابك ثم صاح خالد بعبده همام وقال قدم هذا العلج فقدمه بين يديه فضربه بسيفه أطاح رأسه عن جسده فلما نظرت الروم الى صاحبهم قد قتله خالد أفجعهم ذلك وغضب جبلة وقال أبيتم الا الغدر وقتلتم صاحبنا ثم صاح فى الروم والعرب المتنصرة وهموا بالحملة ونظر خالد اليهم وقد حملوا على المسلمين فقال لعبده همام قف أنت عند عبد الرحمن فامنع عنه من أراده بسوء ثم قال لاصحابه أصحاب رسول الله صلى عليه وسلم لا يخرج أحد منكم عن صاحبه وكونوا حولى فما أسرع الفرج والنصر من الله عز وجل فوقف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حول خالد بن الوليد رضى الله عنهم كما أمرهم وما منعهم الا من آيس من نفسه وحملت الروم والعرب المتنصرة بأجمعهم وثبت لهم المسلمون الاخيار وعظم بينهم القتال ودارت بهم الاهوال قال ربيعة بن عامر والله لقد كان خالد ابن الوليد كلما كثر الخيل حولنا وازدحمت علينا فيلتقيها بنفسه ويفرقها بسيفه ولم نزل كذلك حتى أخذنا العطش والظمأ قال رافع بن عميرة الطاءى فلما رأيت ذلك قلت لخالد ابن الوليد يا أبا سليمان لقد نزل بنا القضاء فقال والله لقد صدقت يا ابن عميرة لانى نسيت القلنسوة المباركة ولم أصحبها معى (قال الواقدى) وقد عظم عليهم الامر وعازهم الصبر وأخذهم الانبهار وأتى المشركين الدمار والارض قد ملئت من قتلى المشركين

وهم بين الروم كأنهم أسرى واذا قد نادى بهم منادٍ وهتف بهم هاتف وهو يقول خذل الآمن ونصر الخائف أبشروا يا حملة القرآن جاءكم الفرج من الرحمن ونصرتم على عبدة الأوثان هذا وقد بلغت القلوب الحناجر وعملت السيوف البواتر ودارت عليهم البواتر (قال الواقدي) حدثنا سبرة عن اسحاق بن عبد الله قال كنت مع الامير أبي عبيدة رضي الله عنه فبينما نحن في شيراز وأبو عبيدة في مضربه واذا به قد خرج بعض الليل من مضربه وهو ينادي النفير النفير يا معشر المسلمين لقد أحيط بفرسان الموحدين قال فأسرعنا اليه من كل جانب ومكان وقلنا له ما نزل بك أيها الامير فقال الساعة كنت نائما اذ طرقني رسول الله صلى الله عليه وسلم وجزني وقال لي معنفا يا ابن الجراح أتنام عن نصرة القوم الكرام فقم والحق بخالد بن الوليد رضي الله عنه فقد أحاطت به القوم اللئام وانك تلحق به ان شاء الله تعالى رب العالمين (قال الواقدي رحمه الله تعالى) فلما سمع المسلمون قول أبي عبيدة رضي الله عنه تبادروا الى لبس السلاح والزرد وركبوا خيولهم وساروا يريدون خالدا ومن معه قال فبينما الامير أبي عبيدة رضي الله عنه على المقدمة في أوائل الخيل اذ نظر الى فارس يسرع به جواده وهو أمام الخيل ويكر في سيره كرا فأمر أبو عبيدة رضي الله عنه رجالا من المسلمين أن يلحقوا به فلم يقدروا على ذلك لسرعة جواده. قال فلما كانت الخيل على ادراكه نظر أبو عبيدة اليه وظن أنه من الملائكة قد أرسله الله أمامنا فلما كانت الخيل على ادراكه نادى به الامير أبو عبيدة على رسلك أيها الفارس الجد والبطل المكد ارفق بنفسك يرحمك الله ووقف الفارس حتى سمع النداء فلما قرب أبو عبيدة من الفارس واذا هي أم تميم زوجة خالد بن الوليد رضي الله عنها فقال لها أبو عبيدة ما حملك على المسير أمامنا فقالت أيها الامير اني سمعتك وأنت تصيح وتفصح بالنداء وتقول ان خالدا أحاطت به الاعداء فقلت ان خالدا ما يخذل أبدا ومعه ذؤابة المصطفى صلى الله عليه وسلم اذ حانت مني التفاتة الى القلنسوة المباركة وقد نسيها فأخذتها وأسرعت اليه كما ترى فقال أبو عبيدة لله درك يا أم تميم فسيري على بركة الله وعونه قالت أم تميم كنت في جماعة نسوة من مذحج وغيرهم من نساء العرب والخيل تطير بنا طيرانا حتى أشرفنا على الغبرة والقتال ونظرنا الاسنة والصوارم تلوح في القتال كأنها الكواكب وما المسلمين حس يسمع قالت فأنكرنا ذلك وقلنا ان القوم قد وقع بهم عدوهم فعند ذلك كبر الامير أبو عبيدة رضي الله عنه وحمل وحملت المسلمون قال رافع بن عميرة فبينا نحن قد أيسنا من أنفسنا اذ سمعنا التهليل والتكبير فلم تكن الا ساعة حتى أحاط جيش المسلمين بعسكر الكافرين ووضعوا السيوف من كل جانب وعلت الاصوات وارتفعت الزعقات

قال مصعب بن محارب اليشكرى فرأيت عبدة الصلبان وهم هاربون ورأيت خالد ابن الوليد رضى الله عنه وهو ثابت فى سرجه متشوف الى الاصوات من أين هى واذا بفارس قد خرج من الغبار وهو يسوق فرسان الروم بين يديه وهم يهربون منه حتى أزاح من حولنا الكتائب والرجال فأسرع خالد بن الوليد اليه وقال من أنت أيها الفارس الهمام والبطل الضرغام فقالت أنا زوجتك أم تميم يا أبا سليمان وقد أتيتك بالقلنسوة المباركة التى تنصر بها على أعدائك فخذها اليك فوالله مانسيتها الا بهذا الامر المقدر ثم سلمتها اليه فلمع من ذؤابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كالبرق الخاطف (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وعيش عاش فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ماوضع خالد القلنسوة على رأسه وحمل على الروم الا قلب أوائلهم على أواخرهم وحملت المسلمون من أتباعهم حملة عظيمة فما كان غير بعيد حتى ولت الروم الادبار وركنوا الى الفرار ولم يكن فى القوم الا قتيل وجريح وأسير وكان جبلة أول من انهزم والعرب المتنصرة فى أثره فلما رجع المسلمون من اتباعهم اجتمعوا حول راية الامير أبى عبيدة رضى الله عنه وأتباعه وسلموا على الامير أبى عبيدة رضى الله عنه وعلى المسلمين وشكروا الله على سلامتهم ونظر أبو عبيدة رضى الله عنه الى خالد بن الوليد وأصحابه وهم كأنهم قطعة أرجوان وصافحه وهناه بالسلامة وقال لله درك يا أبا سليمان قد أشفيت الغليل وأرضيت الملك الجليل ثم قال الامير أبو عبيدة رضى الله عنه يامعاشر الناس قد رأيت أن نسير من وقتنا هذا ونغير على قنسرين والعواصم ونقتل الرجال وننهب الاموال فقال المسلمون نعم مارأيت ياأمين الامة (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فانتخب أبو عبيدة رضى الله عنه فرسانا فجعلهم فى المقدمة مع عياض بن غانم الاشعرى وساروا حتى أشرفوا على قنسرين والعواصم فقال لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شنوا الغارات فشنوا الغارات عليهم وسبوا الذرارى وقتلوا الرجال فلما نظر أهل قنسرين الى ذلك غلقوا أبواب مدينتهم وأذعنوا بالصلح وأداء الجزية فأجابهم أبو عبيدة رضى الله عنه الى ذلك وكتب لهم كتاب الصلح وفرض على كل رأس منهم أربع دنانير وبذلك أمره عمر بن الخطاب رضى الله عنه (قال الواقدى رحمه الله تعالى) لما فتح أبو عبيدة رضى الله عنه قنسرين والعواصم فقال لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أشيروا على برأيكم رحمكم الله فان الله تعالى يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله الآية فهل أسير الى حلب وقلعها وانطاكية وملوكها وعساكرها أو نرجع الى ورائنا فقالوا أيها الامير كيف نرجع الى حلب وانطاكية وهذه أيام انقضاء الصلح الذى بيننا وبين

أهل شيزر وأرمين وحمص وجوسية ولاشك أنهم قد أخذوا الحصار وقووا بلادهم بالاطعمة والرجال ونخاف أن يشغبوا علينا ما أخذناه من البلاد ويغاروا علينا لاسيما بعلبك وحصنها فانهم أولو شدة وبأس وعدة وعديد ونرى من الرأى أنا نرجع اليهم ونقاتلهم ولعل الله عز وجل أن يفتح على أيدينا قال فاستصوب ورجع على طريقه فوجدوا البلاد كما قالوا قد تحصنت بالعدد والرجال والطعام ولم يكن لابى عبيدة قصد الا حمص فوجدها قد تحصنت بالعدد والعدد وقد بعث اليها الملك هرقل بطريقا من أهل بيته وكان من أهل الشدة والبأس ومعه جيش عرمرم وكان اسم البطريق هربيس فلما نظر أبو عبيدة الى ذلك نزل على حمص خالد بن الوليد رضى الله عنه الى بعلبك لما قرب منها واذا بقافلة عظيمة فيها جمع من الناس ومعهم البغال والدواب وعليها من أنواع التجارات وقد أقبلت من الساحل يريدون بعلبك فلما نظر أبو عبيدة رضى الله عنه الى سوادها قال لمن حوله من الفرسان ما هذا الجمع كثير أمامنا فقالوا الاعلم لنا بذلك فقال على بخبرها فسارت الخيل اليهم وأخذت أخبارهم ورجع بعضهم يخبرهم بما القافلة من قوافل الروم محملة متاعا قال شداد بن عدى وكان أحمال القافلة أغلبها سكر وكانت لاهل بعلبك فلما سمع أبو عبيدة ذلك قال ان بعلبك لنا حرب وليس بيننا وبينهم عهد فخذوا ما قد ساقه الله اليكم فانها غنيمة من عند الله (قال الواقدى) فحوينا على القافلة وكان فيها أربعمائة حمل من السكر والفستق والتين وغير ذلك وأخذنا أهلها أسارى فقال أبو عبيدة رضى الله عنه كفوا عن القتل واطلبوا منهم الفداء فاستفدناهم أنفسهم بالذهب والفضة والثياب والدواب ومنعناهم من السكر العصيد والفالوذج بالسمن والزيت ودعس المسلمون دعسا وبتنا حيث حربنا القافلة فلما أصبح الله بالصباح أمرنا أبو عبيدة رضى الله عنه بالمسير الى بعلبك والنزول عليها وكان قد هرب قوم من القافلة وأخبروا أهل بعلبك بالقافلة (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان على بعلبك بطريق عظيم يقال له هربيس وكان شديد البأس شجاع القلب فلما أتاه الخبر بقدوم عساكر المسلمين جمع رجاله وأهل الحرب وأمرهم بلبس السلاح والعدد وخرج بعسكره وجعل يسير وهو يعلم أن الامير أبا عبيدة رضى الله عنه سائر اليهم بجيوش المسلمين فلما انتصف النهار وتراءى الجمعان وكان هربيس معه ستة آلاف فارس سوى من اتبعه من سواد بلده فلما نظر طوالع جيش أبى عبيدة رضى الله عنه ونظر المسلمون الى ذلك نادوا النفير النفير فعندها تبادرت الفرسان وتقدمت الشجعان وشرعوا رماحهم وجردوا سيوفهم وصف هربيس رجاله وعباهم تعبية الحرب فقال له بعض بطارقته ما الذى تريد أن تصنع مع العرب فقال أقاتلهم لئلا

يطمعوا فينا فينزلوا على مدينتنا فقال له الرأى عندى لا تقاتل العرب وارجع سالما أنت ورجالك فان أهل دمشق الشام ماقدروا عليهم ولا ردوهم عساكر اجنادين ولا جيوش فلسطين وقد بلغك مافيه كفاية مما جرى لهم بالامس مع صاحب قنسرين وصاحب عمورية والعرب المتنصرة وكيف رأوا هؤلاء العرب على أعقابهم منهزمين والصواب أنك تفوز بنفسك وبمن معك وارجع فقال هربيس لست أفعل ذلك ولا أنهزم أمام العرب وقد بلغنى أن عسكرهم الكبير على حمص مع الامير أبى عبيدة الذى كان قبله يعنى خالد بن الوليد وهذه غنيمة ساقها المسيح الينا قال فذاك البطريق الناصح أما أنا فلست أتبع رأيك ولا أقاتل العرب ثم ألوى عنان فرسه راجعا الى بعلبك واتبعه خلق كثير من القوم وأما هربيس فانه صف رجاله وزحف يريد القتال فلما نظر أبو عبيدة رضى الله عنه ذلك وانهم قد عولوا على الحرب صف رجاله وعساكره وقال أيها الناس اعلموا رحمكم الله تعالى ان الله قد وعدكم وأيدكم بالنصر حتى هزم أكثر هؤلاء القوم وهذه المدينة التى أنتم قاصدون اليها اوسط مدينة من البلاد وأهلها قد أكثروا من الزاد والعدد والقوة فاياكم والعجب وانصروا واغزوا أعداء الدين وانصروا الله ينصركم واعلموا أن الله معكم ثم حمل الامير أبو عبيدة وحملت المسلمون قال عامر بن ربيعة وعيش عاش فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين ماكان بيننا وبينهم الا جولة الجائل حتى ولوا الادبار وطلبوا الاسوار ودخل هربيس المدينة مع أصحابه وفيه سبع جراحات فتلقاه الذى أشار عليه لا تقاتل العرب وقال له وأين غنائم العرب التى غنمتموها فقال هربيس قبحك المسيح أتهزأ بى وقد قتلت العرب رجالى وقد جرحت هذه الجراحات فقال له البطريق ألم أقل لك انك مهلك نفسك ورجالك (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وان الامير أبا عبيدة سار حتى نزل على بعلبك فنظر الى مدينة هائلة وحصن حصين والقوم قد أغلقوا الابواب وقد حاشوا أموالهم ومواشيهم فى جوفها وأطلقوا على الاموال كأنهم الجراد المنتشر قال فلما نظر الامير أبو عبيدة رضى الله عنه الى البلد وتحصينه وامتناعه وكثرة رجاله وشدة برده وذلك أنه بلد لا يزايله البرد فى الشتاء والصيف فقال الامير أبو عبيدة رضى الله عنه لخواص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الرأى فى ذلك فاجتمع رأيهم على شورة واحدة وهو أن يحاصروا القوم ويضيقوا عليهم فقال معاذ بن جبل رضى الله عنه أصلح الله الامير انى أعلم الروم ازدحم بعضهم ببعض من كثرتهم وأظن أن المدينة لم تسعهم وان طاولناهم رجونا من الله النصر وأن يفتحها الله على أيدينا فقال الامير يا ابن جبل من أين علمت أن القوم يتضايقون فى مدينتهم

فقال أيها الامير اني كنت أول من أسرع بجواده قبل وأشرفت على هذه المدينة والقلعة البيضاء ورجوت ان ألحق سوابق الخيل فرأيت القوم يدخلون المدينة من جميع الابواب مثل السيل المحدر والمدينة مشحونة بأهل السواد والقرايا والمواشي ودوابهم فيها وقد ضاقت بهم وهذه أصوات القوم في المدينة كأنهم النحل من كثرتهم فقال أبو عبيدة صدقت يا معاذ ونصحت وايم الله ما عرفتك الا مبارك الرأي سديد المشورة (قال الواقدي) وبات المسلمون تلك الليلة يحرسون بعضهم بعضا الى الصباح ثم كتب أبو عبيدة رضي الله عنه الى أهل بعلبك كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من أمير جيوش المسلمين بالشام وخليفة أمير المؤمنين فيهم أبي عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه الى أهل بعلبك من المخالفين والمعاندين أما بعد فان الله سبحانه وتعالى وله الحمد أظهر الدين وأعز أولياءه المؤمنين على جحود الكافرين وفتح عليهم البلاد وأذل أهل الفساد وان كتابنا هذا معذرة بيننا وبينكم وتقدمت الى كبيركم وصغيركم لانا قوم لا نرى في ديننا البغي وما كنا بالذي نقاتلكم حتى نعلم ما عندكم وان دخلتم فيما دخل فيه المدن من قبلكم من الصلح والامان صالحناكم وان أردتم الذمام ذممناكم وان أبيتم الا القتال استعنا عليكم بالله وحاربناكم فأسرعوا بالجواب والسلام على من اتبع الهدى ثم كتب انا قد أوحي الينا أن العذاب على من كذب وتولى وطوى الكتاب وسلمه الى رجل من المعاهدين وأمره أن يسير به الى أهل بعلبك ويأتيه بالجواب فأخذ المعاهد الكتاب وأتى به الى تحت السور وخاطبهم بلغتهم وقال اني رسول اليكم من هؤلاء العرب فدلوا له حبلا فربطه في وسطه وأخذه القوم اليهم وأتوا به الى بطريقهم هربيس فناوله الكتاب فجمع هربيس أهل الحرب والبطارقة وقرأ عليهم كتاب أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه وقال أشيروا علي برأيكم فقال له بطريق من بطارقته وهو صاحب مشورة الرأي عندي أن لا نقاتل العرب لانا الذين لا طاقة بقتالهم ومتى صالحناهم كما في أمن وخصب ودعة كما قد صار أهل اركة وتدمر وحوران وبصرى ودمشق وان نحن قاتلناهم وأخذونا في الحرب قتلوا رجالنا واستعبدونا وسبوا حريمنا والصلح خير من الحرب فقال هربيس لا رحمك المسيح فما رأيت أجبن منك ولا أقل جلدا يا ويلك كيف تأمرنا أن نسلم مدينتنا الى أوباش العرب لا سيما وقد عرفت حزمهم وقتالهم واختبرت نزالهم واني في هذه النوبة لو جئت في ميسرتهم كنت هزمتهم فقال له البطريق أو كانت الميسرة والقلب يخافون منك ثم تخاصما وتشاتما وافترق أهل بعلبك فرقتين فرقة يطلبون الصلح وفرقة يطلبون القتال ورمى هربيس الكتاب الى المعاهد

بعد ان مزقه وأمر غلمانه ان يدلوه الى ظاهر المدينة ففعلوا ذلك ووصل المعاهدي الى عسكر المسلمين وأتى أبا عبيدة رضى الله تعالى عنه وحدثه بما كان من القوم وقال أيها الامير ان أكثر القوم عولوا على القتال فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه للمسلمين شدوا عليهم واعلموا ان هذه المدينة فى وسط أعمالكم وبلادكم فان بقيت كانت وبالا على من صالحتم ولا تقدرون على سفر ولا على غيره قال فلبس أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم السلاح والعدد ورجعوا الى الاسوار وعاطعط أهل بعلبك عليهم وترامو ابالسهام والاحجار وان هربيس قد نصب كرسيه وسريره على برج من أبراج القلعة من ناحية النملة وقد عصب جراحته ولبس سلاحه ولامته ولبس على رأسه صليبا من الجوهر وحوله البطارقة والديرجانية بالدروع المذهبة والعدد الكاملة وفى أعناقهم صلبان الذهب والجوهر وبأيديهم القسى والسهام قال عامر بن وهب اليشكرى شهدت حرب بعلبك وقد زحفت المسلمون الى سورها قال ونشاب الروم كالجراد المنتشر وكان أناس من العرب بلا سلاح فأصابهم سهام القوم قال ورأيت الروم يتساقطون علينا من السور كسقوط الطير على الحب فذهبت الى رجل سقط لاضرب عنقه فصاح الغوث الغوث وكنا قد عرفنا من الحرب ان من قال الغوث يعنى الامان فقلت له ويلك لك الامان فما الذى ألقاك الينا من سوركم فجعل يكلمني بالرومية وأنا لا أدرى مايقول قال عامر بن وهب اليشكرى فسحبته الى خيمة أبى عبيدة وقلت له أيها الامير أطلب من يعرف بلغة هذا العلج فانى رأيتهم يرمي بعضهم بعضا فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه لمن حضر من التراجمة أخبرنا بخبر هذا العلج وماقضيته ولم يرمي بعضهم بعضا فقال له الترجمان ياويلك قد أعطيناك الامان فأصدقنا فى الكلام وقل لنا لم يرمي بعضكم بعضا قال ان بعضنا لا يرمي بعضا ولكنا من أهل السواد والقرى فلما سمعنا بمسيركم الينا ورجوعكم عن أهل قنسرين انحشرنا الى هذه المدينة من جميع الرساتيق لنتحصن فيها لما نعلم من كثرة ما بها من الجيوش فضيق بعضنا على بعض وسددنا طرقات المدينة ومضى بعضنا الى السور فاذا ليس لنا موضع نأوى اليه ولا مسكن نسكن فيه فجعلنا الابراج والاسوار مسكنا لنا فلما زحفتم الى القتال برز اليكم أهل الحرب والقتال من هذه المدينة فجعلوا يدوسونا بأرجلهم واذا اشتد الحرب عليهم والقتال يدفع الرجل منهم الرجل منا فيلقيه اليكم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما سمع الأمير أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه ذلك فرح فرحا شديدا وقال أرجو من الله ان يجعلهم غنيمة لنا قال وأخذت الحرب مأخذها وطحنت رحاها وعلا الضجيج وحمى الروم أسوارهم فلم يقدر أحد من المسلمين ان يصل اليها من كثرة

السهام والحجارة قال غياث بن عدى الطائى حاربنا أهل بعلبك فى أول يوم وأصيب من
المسلمين اثنى عشر رجلا وأصيب من الروم على السور خلق كثير من أهل الحرب
وغيرهم وانصرف المسلمون الى رحالهم ومالهم همة الى الطعام ولا الشراب ولا يريد أحد
منا الا الاصطلاء بالنار من شدة البرد قال فبينما نحن ليلتنا نوقد النار ونتناوب فى الحرس
الى الصباح فلما صلينا صلاة الفجر نادى مناد من قبل أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه
يقول عزيمة منى على كل رجل من المسلمين لا يبدر الى حرب هؤلاء القوم حتى يقعد
فى رحله ويصلح له طعاما حارا يأكله ليكون بذلك شديدا على لقاء العدو قال فابتدرنا
لاصلاح أمورنا فلما نظر أهل بعلبك الى تأخيرنا عن حربهم وقتالهم طمعوا فينا وظنوا
ان ذلك فشل منا وعجز فصاح هربيس فى الروم وقال اخرجوا لهم بارك المسيح فيكم قال
غياث بن عدى فلم يشعر المسلمون الا وأبواب قد فتحت والخيل والرجال قد طلعت
الينا كالجراد المنتشر قال وكان بعضنا قد مد يده الى الطعام وبعضنا يضع له القرص
واذا بمناد ينادى يا خيل الله اركبى وللجهاد تأهبى فدونكم والقوم قبل أن يدهموكم
قال حمدان بن أسيد الحضرمى وكان لى قرص خبزته وقدمت شيأ من الزيت لاجعله
اداما للقرص واذا بالمنادى ينادى النفير قال فوالله ما راعنى ذلك حتى أخذت قطعة
وغمستها فى الزيت وهو يتميل الى فى فسمعت النفير فقمت مسرعا وركبت جوادى
عريانا من دهشتى لسرعة الاجابة وضربت يدى الى عمود من اعمدة الخيام وحملت على
القوم والله ما شعرت بما صنعت ولا عقلت على نفسى حتى صرت فى الروم فجعلت
احطمهم حطما واهبرهم بالسيف هبرا قال فنظرت الى خيل الروم متفرقة والامير
أبو عبيدة قد نصب رايته والناس يهرعون اليها وان أبا عبيدة ينادى بربيع من صوته
يا فتيان العرب اليوم يوم له ما بعده قال ونظر أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه الى شدة
ضرب الروم وصبرهم على قتال المسلمين فحمل عليهم بالخيل العربية وأحاط بالروم من كل
جانب ومكان وكان فى جملة خيله عمرو بن معدى كرب الزبيدى وعبد الرحمن بن أبى
بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما وربيعة بن عامر ومالك بن الاشتر وضرار بن
الازور رضى الله تعالى عنهم وذو الكلاع الحميرى ولله درهم فلقد قاتلوا قتالا شديدا
وابلوا بلاء حسنا فلما نظرت الروم الى فعلهم تراجعوا الى أعقابهم طالبين الاسوار
وغلقوا الابواب ورجع المسلمون الى عسكرهم وأمروا نيرانهم ودفنوا من استشهد
منهم وأقبلت رؤساء المسلمين الى الامير أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه وقالوا أيها
الامير ما الذى قد عزمت عليه وما عندك من الرأى يرحمك الله فقال أبو عبيدة رضى
الله عنه اعلموا ان من الرأى أن نتأخر عن المدينة مقدار شوط فرس ليكون ذلك مجالا

نخيلكم ومنعة لحريمكم والنصر من عند الله تعالى ثم دعى أبو عبيدة رضي الله تعالى
عنه بسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعقد له راية وأمره على خمسمائة فارس وثلثمائة
راجل وأمرهم أن يمضوا الى الوادى وان يقاتلوا القوم على الابواب وان يشغلوهم عن
المسلمين ثم دعا ضرار بن الازور وعقد له راية وأمره على خمسمائة فارس ومائتى راجل
وسرحه الى باب الشام وقال يا ابن الازور أظهر شجاعتك على بنى الاصفر فقاتل من
هنالك من الروم فقال حبا وكرامة قال ومضت كل فرقة الى جهة من الجهات فلما أصبح
الصباح فتحت الروم الابواب وخرجوا فى خلق كثير الى أن تكاملوا حول بطريقهم
هربيس فقال لهم البطريق اعلموا يا معاشر النصرانية ان أهل هذا الدين من قبلكم
قد فشلوا عن قتال هؤلاء العرب وعجزوا عن قتالهم ونزالهم فقالوا أيها السيد طب نفسا
وقر عينا فانا كنا نخاف من العرب قبل أن نختبرهم ونعلم قتالهم وقد علمنا انهم اذا لاقوا
حربا لم يكونوا أصبر منا على الحرب لان أحدهم يلقى الحرب وعليه ثوب خلق خام
أو فروة خلقة ونحن علينا الدروع والزرد وقد وهبنا أنفسنا للمسيح (قال الواقدى)
فلما نظر أبو عبيدة رضي الله عنه الى كثرتهم نادى برفيع صوته يا معاشر المسلمين
لا تفشلوا فتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين قال وان الروم داخلهم لما كانوا
قد نالوه من غرة المسلمين بالامس فحملوا حملة عظيمة قال سهل بن صباح العبسى شهدت
قتال أهل بعلبك وقد خرج الينا أهلها فى اليوم الثانى وهم أطمع ما كانوا فى اليوم
الاول وقد حملوا علينا حملة عظيمة شديدة منكرة وكنت فى ذلك اليوم ممن أصابه جرح
فى عضدى الايمن وما أطيق ان أحرك يدى ولا أحمل سيفا فترجلت عن جوادى
وجريت بين أصحابى وقلت فى نفسى اذا قصدنى أحد من هؤلاء الاعلاج لم يكن لى غنى
ان أدفع عن نفسى فطلعت الى ذروة الجبل فعلوته وأشرفت على العسكرين وجعلت
أنظر الى حربهم وقتالهم وقد طمعت الروم فى العرب والمسلمون ينادون بالنصر
وأبو عبيدة يدعو لهم بالنصر والتحمت القبائل وافتخرت العشائر قال سهل بن صباح وأنا
على الجبل من وراء حجر أنظر الى ضرب السيوف على البيض والجحف والشرار يطير
شعاعها وقد التقى الفريقان واختلط الجمعان فقلت فى نفسى ويحى وعسى ان ينفع
المسلمون مقام سعيد بن زيد وضرار بن الازور على الابواب والامير أبو عبيدة فى مثل
هذا الحرب وانهم والله على وجل ان ينكشفوا من عظم شدتهم وحربهم وهول ما يلقونه
قال فأسرعت الى حراشيم الشجر فجعلت أكسرها وأعبى الحطب بعضه على بعض
وعمدت الى زناد كان معى فأوقدت النار واضرمت النار فيه وعبيت عليه حطبا أخضرا
ويابسا حتى علا منه دخان عظيم وكانت علامتنا اذا أردنا ان يجتمع بعضنا الى بعض

بأرض الشام فى الليل وقود النار واثارة الدخان قال فما هو الا أن علا الدخان وتصاعد
الى الافق حتى نظر اليه سعيد بن زيد وأصحابه وضرار بن الازور وأصحابه فنادى بعضهم
بعضا الحقوا الامير أبا عبيدة رحمكم الله فان هذا الدخان ما هو الا من شئ عظيم
والصواب ان نكون بخيلنا فى موضع واحد فأسرعوا بخيلهم وساروا حتى أشرفوا على
المسلمين وهم فى شدة الحرب وأعظم الكرب وقد بلغت القلوب الحناجر وعملت
السيوف البواتر واذا نادى مناد وهتف بهم هاتف يا حملة القرآن جاءكم النصر من
الرحمن ونصرتم على عبدة الصلبان واذا قد أشرف عليهم سعيد بن زيد وضرار بن
الازور فى أوائل خيلهم وقد شرعا سنانهما وحملا فى الروم وقد أيقن الروم أنهم الغالبون
اذ ظهرت عليهم رايات المسلمين وكتائب الموحدين فالتفتوا ينظرون ما الخبر واذا
بالمسلمين من ورائهم وقد حالوا بينهم وبين مدينتهم فنادوا بالويل والخراب وظنوا انهم
قد أتى المسلمين نجدة ومدد وقد غرهم البطريق فلما نظر البطريق الى تبلدهم زعق فيهم
وقال يا ويلكم لا ترجعوا الى المدينة فقد أحيل بينكم وبينها وهذه مكيدة من مكائد
العرب فلما سمعت الروم ذلك أحاطوا ببطريقهم كالحلقة المستديرة يحمى بعضهم بعضا
فعدل بهم البطريق نحو الجبل ذات الشمال وكان سعيد بن زيد وضرار بن الازور
قد أقبلا بجيشهما عن يمين الحصن وشماله فحملوا عليهم واتبعوا آثارهم حتى طلعوا الى
الجبل والتجأت الروم الى ضيعة فى الجبل حصينة خالية من أهلها فاستند الروم اليها
وتحصنوا فيها وتبعهم سعيد بن زيد فى الخمسمائة فارس الذين كانوا معه وذلك ان الامير
أبا عبيدة رضى الله عنه لما نظر الى هزيمة الروم نادى فى المسلمين معاشر الناس
لا يتبعهم أحد ولا يفترق جمعكم فانى أخشى ان تكون هزيمة القوم مكيدة لكم حتى
اذا تفرق جمعكم زحفوا عليكم قال وان سعيد بن زيد لم يكن يسمع النداء ولو سمع النداء
ما تبع القوم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) لما تحصنت الروم فى الضيعة قال سعيد
ابن زيد هذه طائفة قد أراد الله بهلاكها فدوروا بهم وحاصروهم من كل مكان
ولا تدعوا أحدا يطلع رأسه الى أن تلحق بكم المسلمون ويأتى اليكم أمر من الامير أبى
عبيدة ثم أقبل الى رجل من عقلاء المسلمين وقال له اخلفنى فى قومى حتى أنظر رأى
الامير أبى عبيدة ومن معه قال انا لله وانا اليه راجعون ذهبت والله فرسان المسلمين
ثم أقبل عليه وقال يا سعيد وما يأمرنى به من أمر هؤلاء الاعلاج ثم أخذ معه زهاء عن
عشرين فارسا من أصحابه وسار حتى لحق بجيش المسلمين فلما نظر اليه الامير أبو
عبيدة ومن معه قال يا سعيد أين رجالك وما صنعت بهم قال أبشر أيها الامير فان
المسلمين فى خير وسلامة وقد حاصروا أعداء الله فى ضيعة فى هذا الجبل ثم أخبره

القصة

بالقصة من أولها الى آخرها فقال أبو عبيدة الحمد لله على ذلك الذى هزمهم عن أوطانهم وجعلهم أشتاتا ثم أقبل أبو عبيدة على سعيد بن زيد وعلى ضرار بن الازور وقال لهما ماهذه المخالفة رحمكم الله ألم آمركم بالاقامة على أبواب المدينة والمشاغلة للقوم فما الذى ردكم الى وقد أرعبتم قلبي وقلب من كان معى وظننت ان أهل المدينة أكادوكم وهو الذى منعني ان تتبع المنهزمين فقال سعيد بن زيد أيها الامير والله ماعصيت لك أمرا ولاخالفت لك قولا وانى قد وقفت حيث أمرتنى اذ رأينا دخانا قد علا قتامه ولاح لنا بيانه فقلنا والله ماهذه الاداهية من دواهي الروم أو نفير قد استدعا نابه المسلمون فأسرعنا نحوك فعندها نادى الامير أبو عبيدة فى المسلمين معاشر الناس ايكم أوقد نارا أو دخن دخانا فى هذا الجبل فليجب الامير أبو عبيدة قال سهل بن صباح فلما سمعت النداء أجبت المنادى وأتيت الامير أبو عبيدة فقال ما الذى أجراك على ذلك فقصصت عليه قصتى فقال أبو عبيدة لقد وفقك الله تعالى الى الجنة فاياك بعدها أن تحدث حدثا من غير اذن أميرك (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فبينما هو والامير كذلك يحدث سهل بن صباح واذا برجل من المسلمين منحدر من الجبل وهو ينادى النفير النفير ياأمة البشير النذير ادركوا اخوانكم المسلمين فقد أحاط بهم الروم وهم فى أشد مايكون من القتال وانه قد دنا البطريق من المسلمين ونادى بأصحابه ورجاله وقال ياعباد المسيح اليكم هذه الشرذمة اليسيرة والعصابة الحقيرة التى قد أحاطت بكم فاقتلوهم وادخلوا المدينة فانكم ان قتلتم هذه القوم كسرتم بذلك حدة العرب وانصرفوا عنكم قال مصعب بن عدى وكنت فى بعلبك من أصحاب سعيد بن زيد وقد جعلنا محاصرين البطريق والروم فى الضيعة ونحن دون الخمسمائة رجل فما شعرنا الاو البطريق والروم قد تبادروا الينا من كل مكان فنادى بعضنا بعضا واجتمعنا قال والله لقد كبوا علينا الخيل وأحاطوا بنا بعدما كنا أحطنا بهم وكان شعارنا فى ذلك اليوم الصبر الصبر قال فبينما نحن كذلك فى أشد الحرب وأعظم الكرب اذ سمعنا صوتا عاليا قد ملأ الجبل ومناديا ينادى ويقول أما من رجل يهب نفسه فى الله ويستنفر لنا المسلمين فانهم بالقرب منا ولا يعلمون مانزل بنا قال مصعب ابن عدى فلما سمعت الصوت همزت جوادى بكعبى وكان جوادا عتيقا يسبق الريح الهبوب أو الماء اذا انسكب من ضيق الانبوب كأنه الطود العظيم والله لقد خرج من تحتى كأنه البرق ولم تلحق منه الروم الا الغبار بعدما قتلت منهم رجلين ولقد نظرت الى فرسي وهو يثب الصخرة ويسلك الوعرة حتى أشرفت على عساكر المسلمين فناديت النفير النفير ياأمة البشير النذير فلما سمع أبو عبيدة ذلك صاح بالرماة فأجابه

خمسمائة رام من أصحاب القسي العربية فضمهم الى سعيد بن زيد وقال له أسرع يرحمك الله والحق بأصحابك قبل أن يأتي العدو اليوم ثم نادى بضرار بن الازور وأصحابه وقال له أدرك أخاك سعيد بن زيد قال فسارت المسلمون مثل الجراد المنتشر حتى علوا على قلة الجبل وأشرفوا على الروم وهم محدقون بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو زيد بن ورق بن عامر الزبيدي وكنت ممن شهد القتال على الضيعة مع أصحاب سعيد بن زيد وقد أحاطت بنا الروم وقد صبرنا لهم صبر الكرام وقد صرع منا سبعون رجلا ما بين جريح وقتيل ونحن في أشد ما يكون من القتال والجراح وقد طمعت الروم فينا حتى سمعنا التهليل والتكبير ولحقنا النفير فلما أشرفت علينا راية المسلمين تراجعت الروم على أعقابهم مدبرين الى الضيعة راجعين ولحقنا من تأخر منهم وكثر فيهم القتل والجراح لكثرتهم وتحصن القوم في الضيعة فأحطنا بهم من كل جانب وما تركنا منهم أحدا يخرج رأسه من كثرة النبل وورد الخبر الى الامير أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه بمن استشهد من المسلمين ومن قتل من الكافرين وان القوم قد لزمهم الحصار وأن لا زاد عندهم ولا ماء فقال أبو عبيدة الحمد لله ثم قال للمسلمين معاشر الناس ارجعوا الى أموالكم واضربوا خيامكم حول المدينة فان الله عز وجل كاد عدوكم وهو منجز لنا ما وعدنا من نصره قال فعندها رجع المسلمون الى أموالهم ومواضعهم التي كانوا فيها أول مرة وضربوا خيامهم وأنفروا طوالعهم وأرسلوا الى المرعى خيولهم وابلهم وسرحوا الى الحطب عبيدهم وأضرموا النيران في عسكرهم وذهب منهم الخوف وأتاهم الامان وان أهل بعلبك افترقوا على السور وجعلوا ينظرون على وجوههم ويصيحون بلغتهم فقال الامير أبو عبيدة لبعض التراجمة ما يقولون هؤلاء فقال له الترجمان أيها الامير انهم يقولون ياويلهم وياعظم ما أصابهم ويا خراب ديارهم ويا فناء رجالهم حتى ظفرت العرب ببلادهم (قال الواقدي) فلما دنا المساء أرسل الامير أبي عبيدة الى سعيد بن زيد يقول له يا ابن زيد الحذر الحذر على من معك من المسلمين واجتهد رحمك الله أن لا يفوتك من الروم أحد ولا تضع لهم قدما واحدا فيخرج منهم واحد فيتبع أولهم آخرهم فتكون كمن حصل في يده شيء فأضاعه فلما وصل الرسول الى سعيد بن زيد بهذه الرسالة أمر المسلمين أن يحيطوا بالضيعة من كل جانب والا يخرجوا الى الحطب الا مائة بالسلاح ففعلوا ذلك وأضرموا نيرانهم وباتوا طول ليلتهم يهللون ويكبرون وبالضيعة يطوفون فلما نظر البطريق هربيس الى ذلك أقبل على أصحابه ورجاله وقال لهم ياويلكم لقد أيسنا من التدبير وأخطأنا الرأي وما لنا مدد ولا نجدة ولا نصير ولو اجتهدنا لما اجتهدت العرب على أن يحبسونا

فى هذه الضيعة والآن قد حبسنا أنفسنا فى حبس ليس فيه طعام ولا شراب وان دام علينا هذا يوما ثانيا أو ثالثا ضعف قوتنا ومات ضعيفنا وهلكت حياتنا وسلمنا أنفسنا كارهين فنقتل عن آخرنا فقالت البطارقة فما الذى ترى أيها السيد فقال قد رأيت من الرأى ان أخدع العرب واحتال عليهم واسألهم الصلح لنا ولاهل مدينتنا كما قد طلبوا وأضمن أن أفتح لهم المدينة ونكون فى ذمامهم فاذا دخلنا المدينة حاربناهم على سورنا ولعلنا نرسل الى صاحب عين الجوز والى صاحب جوسية فلعلهما يقدمان الى نصرتنا فيكونان لقتال العرب من خارج المدينة ونحن من على الاسوار ويكفينا المسيح هذه النوبة فقالت البطارقة اعلم أيها السيد ان صاحب جوسية لا يجيبك الى نجدة أبدا لانه مشتغل بنفسه وربما يكون محاصرا مثل حصارنا هذا فلقد بلغنا قبل نزول هؤلاء العرب علينا انهم صالحوهم وليس لهم من القوة والقدرة ان يقاتلوا العرب وأما صاحب عين الجوز فانهم فى تجارتهم متفرقون فى أقصى الشام وما أظن الا انهم فى صلح العرب فانظر لنفسك ورعيتك ما فيه الصلاح فلما سمع البطريق هربيس قولهم أجابهم الى ذلك فلما أصبح الصباح طلع البطريق على جدار الضيعة ونادى برفيع صوته يا معاشر العرب أما فيكم رجل يعرف كلامى أنا هربيس البطريق فلما سمعه بعض التراجمة اقبل على سعيد بن زيد وقال له يا مولاى ان هذا العلج هو هربيس صاحب القوم وهو يستدعى كلامك فقال له سعيد بن زيد ادن منه وانظر ماذا يريد وما يقول قال فدنا الترجمان منه فقال له ما الذى تريد قال أريد أن يؤمننى أميركم هذا من ذمامه وذمام أصحابه ويدنو منى حتى أخاطبه بما يعود صلاحه على الفريقين فقال الترجمان ذلك لسعيد بن زيد فقال سعيد بن زيد لا كرامة له حتى أذ نومنه وأمشى اليه حتى يخاطبنى فان كانت له حاجة فليأت الى خاضعا ذليلا صاغرا حتى أسمع كلامه واعلم مراده قال فاعلم الترجمان هربيس بكلام سعيد بن زيد فقال هربيس فكيف أنزل اليه وأنا حرب له فأنا أخاف ان يقتلنى فقال له الترجمان أنا آخذ لك منه الذمام فان العرب لا تخون اذا أمنت فقال البطريق نعم قد تناهت الينا أخبارهم ولكنى أريد ان أستوثق لنفسى ولاصحابى وأهل بلدى لانهم قوم قد لحقهم الحقد علينا وقد أصبنا منهم دماء كثيرة فقال الترجمان أنا أعرف ذلك ثم أقبل الترجمان على سعيد بن زيد وقال له ان البطريق هربيس يريد أن يوجه اليك رجلا من أصحابه يأخذ له منك أمانا فقال سعيد بن زيد دعه يوجه من يريد وأعلمه أن رسولنا منا فى أمان حتى يرجع اليه قال فأعلم الترجمان بذلك فأقبل البطريق على رجل من عظماء أصحابه وقال له ترى ما قد نزل بنا وكيف قد ملك العرب علينا الطريق

وان بلاد الشام قد أذن المسيح بخرابها وقد نصرت العرب علينا وانا في شدة شديدة وان لم نأخذ من القوم الامان والا هلكنا وملكت خيلنا وبعد ذلك يتحكمون في أولادنا وحريمنا ويقسمون أموالنا وذرارينا وليس لنا نجدة لان كل بلد مشتغل بنفسه عن نصرتنا فانزل الى هؤلاء العرب وخذ لنا منهم أمانا واستوثق لنا منهم حتى أنزل أنا اليهم فلعل يجرى بيننا وبينهم صلحا ولعلى أمكرهم حتى نرجع الى المدينة ولعلى أرغب صاحبهم في شئ من المال فلعله يرغب وينصرف عنا الى أن نرى ما يكون بينهم وبين الملك هرقل (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فنزل الرجل ووقف امام الامير سعيد بن زيد وهم الرجل أن يسجد له فمنعه من ذلك وتبادرت اليه المسلمون ومنعوه ففزع الرجل وقال لم تمنعونى أن أعظم صاحبكم فقال الترجمان ذلك لسعيد بن زيد فقال انما أنا واياه عبدان لله تعالى ولا يجوز السجود والتعظيم الا لله الملك المعبود القديم فقال الرجل بهذا نصرتم علينا وعلى غيرنا من الامم فقال سعيد بن زيد فما الذى جاء بك قال جئت لآخذ منك أمانا لبطريقنا ان لا تنقض له عهدا فقال سعيد بن زيد ليس من أخلاق الامراء ومن يقود الجيوش ان يغدر بعد الامان ولسنا بحمد الله ممن ينقض عهدا وقد أعطيت صاحبك أمانا ولمن معه ممن ألقى السلاح وخرج يطلب الامان مستسلما فقال الرجل تريد منك الامان ومن أميرك ومن معك فقال سعيد لكم ذلك فعند ذلك رجع الرجل الى البطريق وأعلمه بجواب سعيد وقال له اخرج واياكم والغدر فانه يهلك صاحبه وان هؤلاء العرب لا يخونون أماناتهم وعهدهم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ولقد بلغنى أن البطريق هربيس خلع ما كان عليه من الثياب الديباج والقى السلاح ولبس ثياب الصوف وخرج حافيا حاسرا ذليلا ومعه رجال من قومه حتى وقف بين يدى سعيد بن زيد فخر سعيد لله ساجدا وقال الحمد لله الذى أزال عنا الجبابرة وملكنا من بطارقتهم وملوكهم ثم أقبل عليه وقال له ادن منى فأدناه الى أن جلس الى جانبه وقال له هذه لباسك دائما أو غيرته فقال لا وحق المسيح والقربان ما لبست الصوف أبدا غير الحرير والديباج وما لبست الا في وقتي هذا فاني ما أريد حربكم ولا قتالكم ثم قال له سعيد هل لك أن تصالحنى على أصحابى هؤلاء وعلى أهل المدينة ومن فيها فقال سعيد أما أصحابك هؤلاء فانى أؤمنهم على شرط ان من دخل في ديننا فله ما لنا ومن اختار الاقامة على دينه وألقى السلاح كان آمنا من القتل وعليه العهد انه لا يحمل علينا سلاحا ولا يكون لنا حربا أبدا وأما المدينة فالامير أبو عبيدة عليها وقد فتحها أو قد قرب فتحها ان شاء الله تعالى ثم قال ان أحببت

ان تسير معي الى أبي عبيدة حتى يسمع كلامك وتصالح عن قومك فسر وأنت في ذمامي
فان انفق بينكما الامر والا رددتك الى موضعك هذا ومن أراد الرجوع معك من رجالك
الى أن يحكم الله وهو خير الحاكمين فقال البطريق أنا أفعل ذلك فعندها دعى سعيد بن
زيد بن أبي وقاص بن عوف العدوي وقال يا ابن أبي وقاص كن بشيرا للامير أبي عبيدة
بما سمعت ودان واسرع بالجواب قال فأسرع بن أبي وقاص بن عوف وركب جواده
وكان حصانا شديد الغضب وجعل يسير سيرا حثيثا حتى أشرف على الامير أبي عبيدة
رضي الله عنه ووقف بين يديه وسلم عليه وقال أصلح الله تعالى شأن الامير أبشرك بأن
البطريق هربيس قد أخذ الامان من سعيد بن زيد وهو قد أقبل به اليك يسألك الصلح
والامان له ولاهل مدينته فلما سمع الامير ذلك سجد لله شكرا ورفع رأسه وقال أيها الناس
تقدموا الآن الى قتال أهل المدينة وأظهروا أسلحتكم عليها وكبروا تكبيرة واحدة لكي
ترعبوا بها القوم قال ففعل المسلمون ذلك فارتجت المدينة وفزع أهل بعلبك وتداعوا
للقتال وأحاط المسلمون بالمدينة من كل جانب وكان أول من سبق الى المدينة وأعطاهم
خبر البطريق المرقال بن عتبة وقال حصنوا أنفسكم وأولادكم وأموالكم بالصلح فان
أبيتم ذلك فقد وعدنا الله تبارك وتعالى على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أن يفتح
لنا بلادكم وأمصاركم وغيرها وان الله تعالى منجز أمره فلما سمعوا أهل بعلبك ذلك
فزعوا فزعا شديدا وارتدت وجوههم ورعبت قلوبهم وكانت من الحرب أيديهم وقالوا
أهلكنا البطريق وأهلك نفسه ولو كنا صالحنا العرب من قبل أن يجدنا هذا
الحصار لكان خير لنا قال وشدد المسلمون عليهم الحرب والقتال (قال الواقدي)
فلما علم أبو عبيدة ان نيران الحرب قد أضرمت على المدينة أرسل الى سعيد بن زيد يقول له
اسرع بالبطريق الينا وله الامان الذي آمنت أنت فنحن لا ننقض لك عهدا فلما ورد
رسول أبو عبيدة على سعيد بن زيد استخلف على الضيعة وحصارها رجلا من أصحابه
وسار سعيد مع البطريق حتى وردا على الامير أبي عبيدة رضي الله عنه فلما وقف البطريق
بين يديه ونظر الى زيه وزي من معه وشهد قتالهم وعظم ما تلقى المدينة من حربهم
وقتالهم حرك البطريق رأسه وعض أنامله فقال أبو عبيدة رضي الله عنه للترجمان
ما لهذا يحرك رأسه ويعض أنامله كأنه يتأسف على شيء فاته قال فأعلمه الترجمان
بذلك فأقبل على الترجمان وقال له وحق المسيح وما مسح وحق البيعة والمذبح لقد
ظننت انكم أكثر عددا من الحصى وأكثر مددا ولقد كان يخيل لنا عند حربكم
وشدة ما نلقى منكم انكم على عدد الحصى والرمل من كثرتكم ولقد كنا نرى خيلا شهبا
وعليها رجال وبأيديهم رايات صفر وعليهم ثياب خضر فلما صرت بينكم لم أر من ذلك شيئا

وما أرى أنتم الا فى قلة عدد وما أدري ما فعل جمعكم أبعثتموه الى عين الجوز والى جوسية أو مكان آخر فأخبر الامير الترجمان بذلك فقال أبو عبيدة للترجمان قل له يا ويلك نحن معاشر المسلمين يكثرنا الله تعالى فى أعين المشركين ويمدنا بالملائكة كما فعل بنا يوم بدر وبذلك فتح الله تعالى بلادكم وحصونكم علينا وأذل ملوككم فلما سمع البطريق كلام أبى عبيدة رضى الله عنه على لسان الترجمان قال لقد وطئتم الشام الذى عجزت عنه ملوك الفرس والترك والجرامقة وما ظننا أن يكون ذلك أبدا وأما مدينتنا فهى حصينة لا تعبأ بالحصار لا بها مدينة ليس بالشام مثلها بناها سليمان بن داود عليهما السلام لنفسه وعملها دار مقامه وخزانة ملكه ولولا ما سبق من تفريطنا وخروجنا عنها اليكم واعترافنا بها مما الجأكم أبدا ولا أهالنا حربكم ولو أقمتم علينا مائة سنة والآن وقد كان ذلك فهل لكم أن تصالحونا حتى نصالحكم وتعدل فينا فهو أقرب رشد النا ولكم وحق المسيح والانجيل الصحيح لان فتحتم هذه المدينة لا يصعب عليكم فى الشام حصن ولا مدينة قال فلما أخبر الترجمان الامير أبا عبيدة رضى الله عنه بما قاله قال أبو عبيدة للترجمان قل له ان شاء الله تعالى ملكنا أرضكم ودياركم وأذل لنا ملوككم تؤدوا الجزية وقد طلبت لنفسك امانا كاذبا حتى أراك الله الذل والصغار بعد العز والاقتدار ولا بد لنا أن نملك مدينتكم ان شاء الله تعالى ونقتل الرجال ونأسر الابطال من أراد حربنا وقاتلنا فلا ندخل فى صلحنا أبدا ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فقال البطريق لما سمع ذلك على لسان الترجمان لقد تيقنت ان المسيح قد غضب على أهل هذه المدينة اذ بعث بكم اليها وملككم عليها وقد اجتهدت فى حربكم ومكرت بكم وما نفع مكرى واجتهادى لانكم قوم مسلطون وانما طلبت منكم السلم وألقيت يدى فى أيديكم بعد جهدى منى وشفقة منى على نفسى ولابقاء منى على ملكى ولكن أردت اصلاح البلاد لان الله تعالى لا يحب الفساد والآن فهل لكم ان تصالحوا على المدينة وما فيها وعلى أصحابى هؤلاء فقال له الامير أبو عبيدة رضى الله عنه فما الذى تبذل لنا فى صلحك فقال له البطريق أيها الامير انظر فيما الذى تريد فقال الامير أبو عبيدة لو أن الله فتح على المسلمين من الصلح على هذه المدينة ملأها ذهبا وفضة ما كان أحب الى من سفك دم رجل واحد لكن الله تعالى أعطى الشهداء فى الآخرة أكثر من ذلك فقال البطريق أنا أصالحكم على ألف أوقية من الفضة البيضاء وألف ثوب من الديباج (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فتبسم الامير أبو عبيدة من كلامه وأقبل على المسلمين وقال أما تسمعون ما يقول هذا البطريق قالوا نعم قال فما رأيكم فيما شرط على نفسه وقالوا نزيد عليه وشرطه برضينا فأقبل الامير على البطريق وقال له أنا أصالحكم

على

على ألفي أوقية من الذهب الاحمر وألفي أوقية من الفضة البيضاء وألفي ثوب من الديباج وخمسة آلاف سيف من مدينتكم وسلاح أصحابك الذين هم في الضيعة محاصرين وانما عليكم خراج أرضكم في العام الآتي وأداء الجزية في كل عام وأنتم بعد ذلك لا تحملون علينا سلاحا ولا تكاتبون ملكا ولا تحدثون حدثا ولا كنيسة وتروا النصح على المسلمين فلما سمع البطريق ذلك من شرط الامير أبي عبيدة رضي الله عنه قال لك ذلك كله علينا الا اني أريد أن أشرط عليك وعلى أصحابك شرطا فقال له الامير أبو عبيدة وما شرطك فقال لا تدخل الينا من أصحابك أحد وتنزل صاحبك الذي تستخلفه علينا خارج المدينة بأصحابه ويكون له الخراج والجزية وتدعني أنا من داخل المدينة من قبل الاصلاح بين الناس والنظر في أحوالهم ونحن نخرج الى من تخلفه علينا من أصحابك سوقا يكون فيه من جميع ما في مدينتنا ولا يدخلون الينا مخافة أن يغلظوا بكلامهم على كبرائنا ويفسد الامر بيننا وبينكم ويكون سبب للغدر ونقض العهد قال أبو عبيدة فاذا صالحنا كم نجاهد عدوكم لانكم تصيرون في ذمتنا ويكون الرجل الذي نخلفه عليكم مثل الواسطة والسفير بينكم قال البطريق هربيس يكون خارج المدينة ويفعل ما يشاء أن يفعله من الحامية فقال أبو عبيدة لكم ذلك ومالنا في الدخول الى مدينتكم من حاجة فقال البطريق تم الصلح على ذلك ثم سار البطريق الى المدينة وأبو عبيدة معه فلما وصل الى الباب حسر البطريق عن رأسه وطمطم عليهم بلغة الروم فعرفوه عند ذلك فقالوا له وأين أصحابك ورجالك فقص عليهم قصته وأخبرهم بخبره وخبر أصحابه وأعلمهم بالصلح فبكى القوم وقالوا تلفت النفوس وذهبت الاموال فقال لهم البطريق يا قوم وحق المسيح ما صالحتهم ولي وجه غير الصلح فقالوا له اذهب أنت وصالح عن نفسك وأما نحن فلن نصالح العرب أبدا ولا ندع أحدا منهم يملكنا ولا يدخل بلادنا ومدينتنا وهي أحصن مدينة الشام وكان الامير أبو عبيدة رضي الله عنه قد أعلم المسلمين بمصالحة البطريق وأمرهم أن يكفوا عن القتال والحرب فلما سمع الترجمان كلام أهل بعلبك لبطريقهم أخبر الامير أبو عبيدة رضي الله عنه بذلك فأقبل البطريق فقال له أبو عبيدة هات ما عندك والا نرد الحرب كما كان فقال له البطريق دعني والقوم فوحق الانجيل الصحيح وعيسى المسيح لو لم يقبلوا مني لادخلنك بالكثرة اليهم فنضع السيف فيهم ونقتل رجالهم ونسبي نساءهم وننهب أموالهم لاني خبير بعورات بلدهم وبطرقاتها قال أبو عبيدة رضي الله عنه ما شاء الله كان قال وكان الروم على سورهم يسمعون كلام البطريق لابي عبيدة رضي الله عنه فدخل الرعب في قلوبهم فعند ذلك أقبل البطريق على الروم وقال لهم

ماتقولون في صلح العرب فاني أسير في أيديهم ورجالهم وبنو عمكم في قبضتهم فان لم تصالحوا العرب والا يقتلونا جميعا ويرجعون اليكم من بعدنا فقالوا أيها السيد انا لانطيق هذا المال فقال يا ويلكم على وحدى ربع ماطلبوا فطابت قلوبهم بذلك وقالوا امالانفتح الباب الالك وحدك ولا يدخل معك أحد من العرب حتى نصلح مدينتنا ونرفع رجالنا ونخفى حريمنا فقال البطريق ويحكم فاني قد صالحت القوم على أن لايدخل مدينتكم أحد منهم وان الرجل الذي يخلفوه عليكم يكون هو وأصحابه خارج المدينة وتخرجون اليه سوقا تتسوقون معه قال ففرحت الروم بذلك وفتحوا له الباب فدخل اليهم وبعث الامير أبي عبيدة الى سعيد بن زيد أن يخلي عن الرجال الذين في الضيعة محاصرين فخلى سعيد بن زيد سبيلهم وجاء بهم عند الامير أبي عبيدة وأخذ سلاحهم وتركهم عنده رهائن على المال الذي عندهم لانه خاف ان تركهم يرجعون الى المدينة ويغدرون بالمسلمين فتركهم عنده في عسكره هذا والبطريق في المدينة يجبي المال بعد اثني عشر يوما وهم مع ذلك يحملون الى عسكر المسلمين الزاد والميرة والعلوفة حتى كملت الاموال والثياب والسلاح وحملها البطريق الى حضرة أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه وقال له تسلم الاموال على ماوفقتك اليه وخل عن الرجال وانظر من تخلفه علينا من أصحابك نأحضره لما حتى نشترط عليه بحضرتك أن لايجور علينا ولا يطالبنا بما لانطيق ولا يدخل مدينتنا قال فدعا أبو عبيدة برجل من سادات قريش اسمه رافع بن عبد الله السهمي وقال له يا رافع بن عبد الله استعملتك على هذه المدينة وضم اليك خمسمائة فارس من بني عمك وعشيرتك وأربعمائة فارس من اخلاط المسلمين واني آمرك بما امرك الله به فاتق الله حق تقاته ولاتكن الامن الولاة العادلين واياك والظلم والجور فتحشر مع الظالمين واعلم ان الله تعالى مسائلك عنهم ومطالبك بما تصنع بغير الحق واعلم اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تبارك وتعالى أوحى الى موسى بن عمران عليه السلام أن ياموسى لاتظلم عبادي أحرب بيتك من نفسك وأقم الارصاد في أطراف البلاد فانك بين أعدائك وبعد هذا ماعرفتك الا استيقاظا واحذرك من السواحل وشن الغارة عليهم ولتكن غارتك في المائة والمائتين ولاتمكن أحدا من المدينة يختلط بأصحابك في غارة حتى يطمع عدوكم فيه وأحسن معاملة من ساعدك واصلح بينهم وأمرهم بالعدل وكن بينهم كاحدهم وامر أصحابك ومن معك أن يكفوا أيديهم عن الفساد والظلم للرعية والله تعالى خليفتي عليك والسلام عليك

(ذكر حديث نزول المسلمين على حمص)

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) ورضى عنه ونفعنا به آمين قال ثم هم أبو عبيدة رضى الله عنه بالرحيل الى حمص واذا قد ورد عليه صاحب عين الجوز يطلب منه الصلح فصالحه على نصف ما صالحه أهل بعلبك وولى عليهم سالم بن ذؤيب السلمى ووصاه بمثل ما وصى به رافع بن عبد الله ورحل الامير أبو عبيدة رضى الله عنه يطلب حمص فلما وصل الى بين الراس والكفيلة لاقاه صاحب الجوسية ومعه هدية كثيرة فقبلها منه وجدد معه صلحا وسار الامير أبو عبيدة رضى الله عنه حتى نزل على حمص (قال الواقدى) حدثنا حباب بن تميم الثقة فى قال كنت فيمن قام مع رافع بن عبد الله السهمى فى جملة أصحابه وذلك انا نصبنا بيوت الشعر على العمد وأقمنا خارج المدينة لا يدخل اليها أحد منا ونحن مع ذلك نشن الغارة على سواحل الروم ونكبس العرب التى لم تكن فى صلحنا وكنا اذا خرجنا فى سرية نبيع الغنائم فى بعلبك ففرح أهلها ببيعنا وشرائنا ووجدونا قوما ليس فينا كذب ولا خيانة ولا نريد ظلم أحد وطابت قلوبهم وربحوا فى تلك المدة اليسيرة مالا عظيما فلما نظر البطريق هربيس الى مار بح أهل بعلبك منا فى تجارتهم ورخص ما يشترونه منا جمعهم اليه فى كنيسة المدينة وهى الجامع اليوم وكان ذلك بميعاد وعدهم فيه الاجتماع فلما اجتمعوا عنده أقبل عليهم وقال للتجار والباعة والسوقة لقد علمتم انى قد اجتهدت فى أموركم وحرصت على سلامة نفوسكم وأهاليكم وأولادكم وبلادكم وأنتم تعلمون ما ذهب منى من المال وأنا اليوم واحد منكم وقد سلمت مالى وسلاحى وقتل أكثر غلمانى ورجالى وبنو عمى وأنتم قوم قد أصبتم مع هؤلاء العرب خيرا كثيرا فى هذه التجارات وقد أديت وحدى ربع المال فقالوا صدقت أيها البطريق وقد عرفنا كل ما وصفت فما الذى تريد الآن فقال يا قوم انما كنت قبل هذا اليوم بطريقكم وأنا اليوم واحد منكم وأريد أن تردوا على بعض ما بذلت من المال للعرب فقالوا أيها البطريق وأنى لك بذلك فقال البطريق يا قوم لست أكلفكم أن تخرجوا من أموالكم ولا مما حوته منازلكم شيأ وانما أريد أن تجعلوا لى فى هذه البيوع والاشربة العشر مما تأخذون وتعطون قال فاضطرب القوم اضطرابا شديدا لذلك وعظم عليهم وأقبل بعضهم على بعض وقالوا يا قوم هذا رجل منا وصاحب ملكنا وقد اجتهد فى أمورنا وحامى بماله ونفسه عنا وما عسى يصيب علينا فى مالنا قال فأجابوه الى ذلك وجعلوا له عليهم العشر فنصب عليهم من قبله عشارا يأخذ منهم أعشارهم ويجمعه ويحمله اليه فأقام على ذلك أربعين يوما فلما نظرهم هربيس الى كثرة ما قد اجتمع له من مال العشر قال أنا أعلم ان هذه المدينة فى كسب عظيم وتجارة رابحة ما رأى أهل بعلبك مثل هذا أبدا ثم جمعهم بالكنيسة مرة ثانية وقال لهم

ياقوم قد علمتم ماقد بذلت من المال على صلحكم وهذا الذى تعطونى اياه من العشر ليس يعزينى فان أردتم أن تردوا على مالى وتجعلونى كأحدكم فاجعلوا لى الربع فى أموالكم حتى يرجع الى مالى سريعا والا فانى أخلع من هذا العشر مالى وسلاحى وغلمانى (قال الواقدى) فأبى القوم وضجوا عليه وأشهروا اعددهم ووقعوا فى البطريق وغلمانه فقطعوهم اربا اربا وارتفع ضجيجهم فجزع المسلمون لذلك وهم لا يعلمون بالقصة فاجتمعوا الى أميرهم رافع بن عبد الله السهمى وقالوا أيها الامير ما تسمع أصوات هؤلاء القوم فى مدينتهم فقال ياقوم قد سمعت كما سمعتم فما عسى أن أصنع بهم ولا يحل لنا الدخول اليهم وهذا جرى الشرط بيننا وبينهم ونحن أحق من أوفى بعهد الله تعالى فان هم خرجوا الينا وأعلمونا بأمرهم صالحنا بينهم ونظرنا فى أمورهم (قال الواقدى) فما استتم الامير رافع بن عبد الله كلامه حتى خرج أهل بعلبك يهرعون اليه فلما وقفوا بين يديه قالوا انا بالله وبك أيها الامير ثم أعلموه بقصتهم وما فعل البطريق بهم أول مرة وما فعل بهم ثانى مرة ثم طمع فينا ونحن بالله وبكم قال رافع بن عبد الله انا ما حكمه بذلك فقالوا يا أيها الامير انا قد قتلناه هو وجميع غلمانه فصعب ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم رافع فما الذى تريدون فقالوا نريد ان تدخلوا الى المدينة فانا قد أطلقنا لكم الدخول اليها فقال رافع بن عبد الله انا لا اقدر أن أدخل المدينة الا باذن الامير أبى عبيدة لانه ما أذن لى بذلك ثم كتب رافع بن عبد الله الى الامير أبى عبيدة يعلمه بالقصة وبحديث البطريق وبحديثهم الذى قالوه أهل بعلبك فكتب له بالدخول الى المدينة كما قد أذنوا لك فدخل رافع وأصحابه (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنا موسى بن عامر قال حدثنا يونس بن عبد الله قال حدثنا سالم بن عدى عن جده عبد الرحمن بن مسلم الربيعى وكان ممن حضر فتوح الشام أوله وآخره قال لما فتح الله بعلبك على يد المسلمين وترك أبو عبيدة رافع بن عبد الله وتوجه الى حمص والعوق بخالد بن الوليد فلما قرب من حمص وموضع يقال له الرزاعة وجه على مقدمة جيشه ميسرة بن مسروق العبسى وعقد له راية سوداء معلمة بالبياض وضم اليه خمسة آلاف فارس من المسلمين فلما سار ميسرة حتى وصل الى حمص فخرج خالد ابن الوليد رضى الله عنه الى لقائه وسلم عليه وعلى من معه من المسلمين ثم بعث أبو عبيدة بعده ضرار بن الازور فى خمسة آلاف فارس وبعث بعده عمرو بن معدى كرب الزبيدى وقدم أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه بقية الجيش فلما أشرف أبو عبيدة على حمص قال اللهم عجل علينا فتحها واخذل من فيها من المشركين واستقبلهم المسلمون باجمعهم وسلموا عليه وعلى من معه ونزل أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه على النهر

المقلوب فلما استقر به القرار كتب الى أهل حمص و بطريقها الجديد وهو هربيس كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من أبي عبيدة عامل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه على الشام وقائد جيوشه أما بعد فان الله تعالى قد فتح علينا بلادكم ولا يغرنكم عظم مدينتكم وتشييد بنيانكم وكثرة رجالكم فما مدينتكم عندنا اذا أتاكم الحرب الا كالبرمة وقد نصبناها في وسط عسكرنا وألقينا اللحم فيها وجميع العساكر حول الاكل منها وقد داروا بها ينتظرون نضاجها ليأكل ما فيها ونحن ندعوكم الى دين ارتضاه لنا ربنا عز وجل فان أطعتم الى ذلك ارتحلنا عنكم وخلفنا عندكم رجالا أمناء يعلمونكم أمر دينكم وما فرض الله تعالى عليكم وان أبيتم الاسلام أقررناكم على أداء الجزية وان أبيتم الاسلام والجزية فهلموا الى الحرب والقتال حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين ثم طوى الكتاب وسلمه الى رجل من المعاهدين وكان ذلك الرجل يحفظ بالعربية والرومية وقال له انطلق الى حمص وائتنا بالجواب فأخذ المعاهدي الكتاب وسار حتى وصل الى السور فهموا أهل حمص أن يرموه بالسهام والحجارة فقال لهم بالرومية يا قوم أمسكوا عليكم فأنا رجل معاهدي وقد جئتكم بكتاب من هؤلاء العرب (قال الواقدي) فدلوا له حبلا فربط وسطه وشالوه اليهم فأتوا به الى بطريقهم فلما وقف بين يديه صفع له وناوله الكتاب فقال له البطريق أرجعت عن دينك الى دين هؤلاء العرب قال لا ولكن في ذمتهم وعهدهم أنا وأولادي وأهلي ومالي وما رأينا من القوم الا خيرا والصواب عندي لا تقاتلوهم فان القوم أولو بأس شديد لا يخافون ولا يرهبون الموت قد تمسكوا بدينهم والموت عندهم أفضل من الحياة وقد أقسم القوم بدينهم لا يبرحون عن مدينتكم حتى تسلموها اليهم أو يفتحها الله على أيديهم وحق ديني انكم أحب الي من العرب وأريد النصر لكم دون القوم ولكني خائف عليكم من بأسهم وسطوتهم فسلموا تسلموا ولا تخالفوا تندموا (قال الواقدي) فلما سمع البطريق هربيس كلامه غضب غضبا شديدا وقال وحق المسيح والانجيل الصحيح لولا انك رسول لامرت بقطع لسانك على جراءتك علينا فلما قرأ الكتاب وعلم ما فيه أمر كتابه أن يكتب الى الامير أبي عبيدة بجواب كتابه فكتب كلمة الكفر ثم قال يا معاشر العرب انه وصل الينا كتابكم وعلمنا ما فيه من التهديد والوعد والوعيد ولسنا كمن لاقيتم من أهل الشام ولم يزل الملك هرقل يستنصر بنا على من عاداه وعلى من قصد اليه من العساكر والآن فلا بد من الحرب والقتال فان سورنا شديد وأبوابنا حديد وحربنا عنيد والسلام وطوى الكتاب وسلمه الى المعاهدي وأمر غلمانه أن يدلوه بالحبال من السور وسار حتى وصل الى الامير أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه وسلمه الكتاب

ففضه وقرأه فلما سمع المسلمون ما فيه عولوا على الحرب والقتال وقسم الامير أبو عبيدة
عسكر المسلمين اربع فرق فبعث فرقة مع المسيب بن نجبة الفزارى فنزل بهم على باب
الجبل مما يلى باب الصغير وبعث فرقة أخرى مع المرقال بن هاشم بن عتبة بن أبى وقاص
فنزل بهم على باب الرستق وبعث فرقة أخرى مع يزيد بن أبى سفيان فنزل بهم على باب
الشام ونزل الامير أبو عبيدة وخالد بن الوليد رضى الله تعالى عنهما على باب الصغير
وزحف المسلمون اليهم من كل مكان وقاتلوهم بقية يومهم هذا وسهام الروم تصل اليهم
فيلتقطونها بالجحف ونبال العرب تصل اليهم والى من بأعلا السور فأثرت لاجل ذلك
ضررا فافترقوا عند المساء فلما كان من الغد جمع خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه
كل عبد كان فى عسكر المسلمين وأمرهم أن يتقلدوا بالسيوف ويتنكبوا بالجحف
ويزحفون الى سور حمص ويضربون السور بأسيافهم ويتلقون السهام بجحفهم فقال
الامير أبى عبيدة وما عسى أن يغنى عنا هذا يا أبا سليمان فقال خالد رضى الله عنه على
رسلك أيها الامير ولا تخالفنى فيما صنعت فانى عزمت أن أقاتلهم بالعبيد ونعلمهم أن مالهم
عندنا من القدر شئ فنقاتلهم بأنفسنا الا أن يخرجوا الينا فقال أبو عبيدة رضى الله
عنه افعل ماشئت فالله تعالى يوفقك فعند ذلك أمرهم خالد بن الوليد رضى الله تعالى
عنه بالزحف على الاسوار وكانوا أربعة آلاف عبد وأمر خالد ألفا من العرب أن تترجل
معهم فلما ذلك وزحفوا الى السور وقد استتروا بالجحف والعرب من ورائهم يرموا
بالنبل وضربوا بسيوفهم فمنها ما ثلم ومنها ما انكسر (قال الواقدى) وأشرف
عليهم هربيس صاحب حمص وقد دارت بطارقته وأصحاب الحرب فجعلوا يتأملون
الى أفعالهم فقال هربيس يا معاشر البطارقة وحق المسيح ما ظننت ان العرب بهذه
الصفة وأراهم كلهم سودان فقال له بعض من حلقه باجنادين وسائر المواطن
لا أيها السيد بل هؤلاء عبيدهم وهذه من بعض مكائد العرب فى الحرب وقد تقدم
هؤلاء السودان والعبيد الى حربنا وقتالنا معناه ان ليس لنا عندهم من القدر بأن
يلقونا بأنفسهم أو نخرج اليهم فقال هربيس وحق المسيح ان هؤلاء أشد من العرب
بأسا وأقوى مراسا واعلموا انه ما رق قوم بسور مدينتنا ولا دنوا منها الا وقد هان
عليهم أمرها واقترب على أيديهم فتحها (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ولقد بلغنى
ان العبيد قاتلوا يومهم قتالا شديدا وهجموا على الابواب مرارا ولم يزالوا بقية يومهم
ذلك حتى أقبل الليل ورجعت الموالى الى عسكر المسلمين وبعث هربيس من ليلته
رسولا الى الامير أبى عبيدة رضى الله عنه فأقبل الرسول والظلام معتكر وأحس جيوش
المسلمين به ففهموا به فقال أنا رسول من البطريق هربيس صاحب حمص وأريد الجواب

عن هذا الكتاب فسلم اليه كتاب هربيس فأخذه أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه وقرأه فاذا فيه يا معاشر العرب انا ظننا ان عندكم عقلا تدبرون به الحرب وتستعينون به على الامور واذا أنتم بخلاف ذلك لانكم في أول حربكم لما تفرقتم على الابواب فقلنا هذا أشد ما يكون من الحصار وأعظم ما يقدرون عليه من الاضرار فلما كان من الغد تأخرتم عن حربنا وبعثتم هؤلاء المساكين الى حربنا يقطعون أسيافهم ويكسرون سلاحهم فياليت شعري لولم تصبر سيوفهم على فساد سورنا وقد بان لنا عجز رأيكم وتدبيركم في القتال وملاقات الرجال والآن فأنا أشير عليكم بأمر فيه الصلاح لنا ولكم وهو أن تسيروا الى امامكم الملك هرقل وتفقوا ما بين أيديكم كما فتحتم ما وراءكم واياكم واللجاج والبغي فانهما قاتلان لمن اتبعهما وراجعان على من بدأ بهما ونحن نخرج اليكم صبيحة هذه الليلة والله ينصر من يشاء منا ومنكم ممن على الحق قال فلما قرأ الامير أبو عبيدة كتاب هربيس صاحب حمص استشار المسلمين فيما يصنع وكان قد حضر عنده رجل كبير من أكابر خثعم وسيد من ساداتهم اسمه عطاء بن عمر الخثعمي وكان كبير السن قديم الهجرة سديد الرأي قد قاد الرجال وولي أمر الجيش وحزم العساكر فلما سمع كتاب هربيس وثب قائما على قدميه وقال للامير أبي عبيدة رضي الله عنه أقسمت عليك أيها الامير برسول الله صلى الله عليه وسلم الا ما سمعت مقالي فان فيه صلاحا للمسلمين فالله وفقني لمقالته وأيد المسلمين به قال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه قل يا أبا عمر فأنت عندنا ناصح للمسلمين قال فدنا من الامير أبو عبيدة وشاوره وقال له أصلح الله الامير اعلم ان خبرك عند هؤلاء منذ نزلت على هؤلاء اللئام وهذا البطريق أشد منعة وأعظم جولة ممن كان قبله وقد علم بفتوح بلبك واذلك لابد أن تنزل على حصارها وقد استدعى بالطعام والعلوفة وآلة الحصار وقد شحنها بالرجال وما ترك في رساتيقها وقراها طعاما الا وقد خزنوا عندهم ما يكفيهم أعواما وان نحن حاصرناهم يطول الامر كما طال أمرنا على دمشق والرأي عندي أن نخدعهم بخديعة ونحتال عليهم بحيلة فان تمت لنا عليهم الحيلة فتحنا المدينة عن قريب ان شاء الله تعالى قال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه وما الحيلة عندك يا ابن عمر فقال الرأي عندي نكتب الى هؤلاء القوم أن يميرونا بالزاد والعلوفة ونضمن لهم أن نرتحل عنهم الى أن يفتح الله تعالى عليك غير مدينتهم ونرجع اليهم وقد قل زادهم وانتشروا في سوادهم وتفرقوا في أمصارهم وتجاراتهم ونشن عليهم غارة فنملك ما ظهر منهم ويهون عليك أمر من بقي في حمص مع قلة الزاد والعلوفة فقال أبو عبيدة أصبت الرأي يا ابن عمر واني سوف أفعل ما ذكرته ونرجو من الله التوفيق والعون ثم دعا أبو عبيدة رضي الله عنه

بدواة وبيانى وكتب جواب الكتاب يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فانى رأيت فى قولك صلاحا لنا ولكم ولسنا نريد البغى على أحد من عباد الله عز وجل وقد علمت أن عسكرنا كثير وخيلنا وابلنا كثيرة فان أردتم أن نرتحل عنكم فابعثوا لنا ميرة خمسة أيام وأنتم تعلمون أن الطريق الذى أمامنا بعيد وما نلقى فيه الا كل حصن منيع وأبواب حديد فاذا أمرتونا رحلنا عنكم الى بعض مدائن الشام فاذا فتح الله علينا ببعض مدائن الشام رجعنا عنكم كما زعمتم فان فعلتم ذلك كان صلاحا لكم وطوى الكتاب وسلمه وسار الى حمص فلما قرأ هربيس الكتاب فرح بذلك وجمع الرؤساء والرهاقين وقال لهم اعلموا أن العرب قد بعثوا يطلبون منكم الزاد والميرة حتى يرحلوا عنكم فان العرب مثلهم كمثل السبع اذا وجد فريسته لم يرجع الى غيره وهم قد لحقهم الجوع فى مدينتكم واذا أشبعناهم انصرفوا عنا فقالوا أيها الامير نخاف من العرب أن يأخذوا الزاد والعلوفة ولا يرحلون عنا فقال انا آخذ لكم عليهم العهود والمواثيق انكم اذا أمرتموهم يرحلوا عنكم فقالوا افعل ما بدا لك واستوثق لنا ولكم قال فبعث هربيس وأحضر القسوس والرهبان وأمرهم أن يخرجوا الى الامير أبى عبيدة رضى الله عنه ويأخذوا عليهم العهود والمواثيق اذا أمرناهم يرحلوا عنا قال فخرجوا وقد فتح لهم باب الرستن فساروا حتى وصلوا الى الامير أبو عبيدة وأخذوا عليهم ميثاقا وعهدا أن يرحلوا عنهم اذا هم أمروا على عسكره ولا يرجع اليهم حتى يفتح الله على يديه مدينة من مدائن الشام شرقا أو غربا سهلا كان أو جبلا فقال الامير أبو عبيدة رضى الله عنه قد رضيت بذلك وتم الصلح على ذلك وأخرج لهم أهل حمص مما كان قد ادخروه من الزاد والعلوفة شيأ عظيما له ولعسكره مما يكفيهم مدة خمسة أيام فأقبل أبو عبيدة عليهم وقال يا أهل حمص قليلا ما حملتموه لنا من الزاد والعلوفة فاذا رأيتم الآن أن تبيعوا من الزاد والعلوفة فقالوا نحن نفعل ذلك فعندها نادى الامير أبو عبيدة بشراء الزاد والعلوفة وليكثروا من ذلك فان قدامكم طريق واسع قليل الزاد والعلوفة فقالوا أيها الامير بماذا نشترى الزاد وعلى أى شئ نحمله فقال أبو عبيدة من كان معه شئ من الذى غنمتموه من الروم فليشتر به الزاد والعلوفة قال حسان بن عدى الغطفانى خفف الله عن أبى عبيدة الحساب كما خفف عنا ما كنا نحمله من البسط والطنافس مما كان قد أثقلنا وأثقل دوابنا فأخذنا به الزاد والعلوفة من القوم وكانت العرب تسمح لهم فى البيع والشراء ويشترون منهم أهل حمص ما يساوى عشرين دينارا بدينارين ورغب أهل حمص فى شراء الرخيص ولم يزل أهل حمص كذلك ثلاثة أيام وأهل حمص يفرحون برحيل العرب عنهم قال

وكان للروم فى عسكر العرب جواسيس وعيون يأخذون لهم الاخبار فلما نظرت الجواسيس الى حمص وقد فتحوا مدينتهم وهم يميزون العرب ظنوا أنهم دخلوا فى طاعتهم فسارت الجواسيس الى انطاكية طالبين وجعلوا كلما اجتازوا ببلد من البلاد أو حصن من الحصون يقولون ان أهل حمص قد دخلوا فى طاعة العرب وفتحوا مدينتهم صلحا فكان يعظم ذلك على الروم ويزيدهم خوفا ورعبا وكان ذلك توفيقا من الله عز وجل للمسلمين وكانت الجواسيس أربعين رجلا فدخل ثلاثة رجال منهم الى شيرز فأشاعوا ذلك وأشيع فيها ذلك

❊(ذكر فتح الرستن)❊

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) قال ودخل الامير أبو عبيدة بالعسكر وسار حتى نزل على الرستن فرآها حصنا منيعا وماؤها غزير وهى مشحونة بالرجال والعدد العديدة فبعث اليهم رسولا يأمرهم أن يكونوا فى ذمته فأبوا عن ذلك وقالوا لا نفعل حتى نرى مايكون من أمركم مع الملك هرقل وبعد ذلك يكون ماشاء الله تعالى فقال الامير أبو عبيدة رضى الله عنه فانا متوجهون الى قتال الملك هرقل ومعنا رجال وأمتعة قد أثقلتنا واشتهينا أن نودعها عندكم الى وقت رجوعنا قال فأتى أهل الرستن الى بطريقهم وكان اسمه نقيطاس وشاوروه فى ذلك فقال ياقوم مازالت الملوك والعساكر يودع بعضها بعضا ومايضرنا ذلك ثم بعث الى الامير أبى عبيدة يقول له مهما كان لك من حاجة فنحن نقضيها ونريد منكم المراعاة لاهل سوادنا حتى نرى مايكون من أمركم مع الملك هرقل فقال الامير أبو عبيدة ونحن نفعل ان شاء الله تعالى (ثم قال الواقدى رحمه الله تعالى) عن ثابت بن قيس بن علقمة قال كنت ممن حضر عند أبى عبيدة رضى الله عنه فعند ذلك دعا بأهل الرأى والمشورة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم ان هذا حصن شديد منيع ليس لنا الى فتحه سبيل الا بالحيلة والخديعة وأريد أجعل منكم عشرين رجلا فى عشرين صندوقا وتكون الاقفال عندهم من باطنها فاذا صاروا فى المدينة تثوروا على اسم الله تعالى فانكم تنصرون على من فيها من المشركين فقال خالد بن الوليد فاذا عزمت على ذلك فلتكن الاقفال ظاهرة ويكون أسفل الصناديق أنثى فى ذكر من غير شئ يمسكها فاذا حصل أصحابنا فى حصن هؤلاء القوم يخرجون جملة واحدة ويكبرون فان النصر مقرون بالتكبير فأجابه أبو عبيدة الى ذلك وأخذ صناديق الطعام المنتخبة عند الروم ففض أسافلها وجعلها ذكرا فى أنثى فأول من دخل فى الصناديق ضرار بن الازور والمسيب بن نجية وذو الكلاع الحميرى وعمرو بن معدى كرب الزبيدى والمرقال وهاشم بن نجية

وقيس بن هبيرة وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ومالك بن الاشتر وعوف بن سالم وصابر بن كلكل ومازن بن عامر والاصيد بن سلمة وربيعة بن عامر وعكرمة بن أبي جهل وعتبة بن العاص ودارم بن فياض العبسي وسلمة بن حبيب والقارع بن حرملة ونوفل بن جرعل وجندب بن سيف وعبد الله بن جعفر الطيار وجعله أميرا عليهم وسلموا الصناديق الى الروم فلما حصلت الصناديق في الرستن ألقاها نقيطاس في قصر امارته وارتحل الامير أبو عبيدة رضي الله عنه وسار حتى نزل في قرية يقال لها السودية فلما أظلم الليل بعث خالد بن الوليد رضي الله عنه بجيش الزحف الى الرستن ينظر ما يكون من أصحابه وما فعلت الصحابة رضي الله عنهم فسار خالد بن الوليد برجاله حتى وصل الى القنطرة واذا بالصياح وقد علا والتهليل والتكبير من داخل مدينة الرستن (قال الواقدي رحمه الله تعالى) وكان من أمر أصحابه أنه لما تركهم نقيطاس في دار امارته ركب الى البيعة مع بطارقته وأهل مدينته ليصلوا صلاة الشكر لاجل رحيل المسلمين عنهم فارتفعت أصواتهم بقراءة الانجيل وسمع أصواتهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجوا من الصناديق وشدوا على أنفسهم وأشهروا سلاحهم وقبضوا على امرأة نقيطاس وحريمه وقالوا نريد مفاتيح الابواب فسلمتها اليهم فلما حصلت المفاتيح في أيديهم رفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وكبس القوم على أبواب مدينتهم فلم يجسروا عليهم لانهم بدون عدة ولا سلاح وبعث عبد الله ابن جعفر الطيار ربيعة بن عامر والاصيد بن سلمة وعكرمة بن أبي جهل وعتبة ابن العاص والقارع بن حرملة وسلم اليهم المفاتيح وقال افتحوا الابواب وارفعوا أصواتكم بالتهليل والتكبير فان اخوانكم المسلمين من حول المدينة مكمنين فبادروا الخمسة الى الباب القبلي وهو باب حمص وفتحوه وفتحوا أصواتهم بالتهليل والتكبير ودخلوا المدينة واذا هم بعسكر الزحف وعلى المقدمة خالد بن الوليد رضي الله عنه فأجابوهم بالتهليل والتكبير ودخلوا المدينة وسمع أهل الرستن أصوات أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلموا أنهم في قبضتهم وأن مدينتهم قد أخذت من أيديهم فاستسلموا جميعا وخرجوا اليهم وقالوا لهم انا لانقاتلكم ونحن الآن أسرى لكم فاعدلوا فينا فانتم أحب الينا من قومنا قال فأعرض خالد بن الوليد رضي الله عنه الاسلام عليهم فأسلم منهم كثير وبقي الاكثر يؤدون الجزية وأما أميرهم نقيطاس فانه قال لا أريد بديني بدلا فقال له خالد بن الوليد رضي الله عنه الآن فاخرج بأهلك عنا وحدث قومك بعدلنا فأخرجوه من الرستن فتوجه بأهله وأمواله الى حمص وأعلم أهلها بفتح الرستن فصعب ذلك على أهل حمص وعلموا أن العرب تصبحهم أو تمسيهم بالغارة وبعث جعفر بن

عبد الله الطيار الى أبي عبيدة يخبره بالفتح والنصر فسجد لله تعالى شكرا وبعث اليهم ألف رجل من اليمن ووصاهم بحفظ الرستن وأمر عليهم هلال بن مرة اليشكري فلما استقروا بالرستن رحل خالد بن الوليد رضي الله عنه وعبد الله بن جعفر وأهلهم وعساكرهم وتوجهوا الى حماه وكانوا أهل حماه في صلح المسلمين كما ذكرنا وكذلك أهل شيرز الا أن بطريق أهل شيرز مات وبعث اليهم الملك هرقل بطريقا عاتيا جبارا اسمه نكس ففسخ الصلح وأذاق أهل شيرز ضرا وشرا وكان يصادرهم ويأخذ أموالهم ويحتجب عنهم لاهيا في أكله وشربه فلما بلغ الخبر الى الامير أبي عبيدة بعث خيلا جريدة الى شيرز فغارت الخيل على بلادهم ووقعت الضجة بشيرز وسمع البطريق نكس الضجة فنزل اليهم من قلعته وأظهر لهم بعض جبابه وجلس في بيعتهم المعظمة عندهم وجمع الرؤساء منهم وقال لهم يا أهل شيرز أنتم تعلمون أن الملك هرقل قد استخلفني عليكم أحفظ مدينتكم وأنهى عن حريمكم وأموالكم ثم فتح خزانة السلاح وفرق عليهم العدد وأمرهم بالحرب والقتال فبينما القوم كذلك اذ أشرف عليهم خالد بن الوليد في أصحابه ومعهم جيش الزحف فنزلوا بازائهم وأشرف بعده يزيد بن أبي سفيان بأصحابه فنزل عليهم وأشرف بعده الامير أبو عبيدة في عساكره جميعهم فلما نظر أهل شيرز تلاحق العساكر عليهم هالهم ذلك وعظم عليهم وحارت أبصارهم (قال الواقدي رحمه الله تعالى) فلما نزل أبو عبيدة رضي الله عنه كتب الى أهل شيرز كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد يا أهل شيرز فان حصنكم ليس بأمنع من حصن بعلبك ولا من الرستن ولا رجالكم أشجع فاذا قرأتم كتابي هذا فادخلوا في طاعتي ولا تخالفوني فيكون وبالا عليكم وقد بلغكم عدلنا وحسن سيرتنا فكونوا مثل سائر من صالحنا ودخل في طاعتنا من سائر بلاد الشام والسلام وطوى الكتاب وسلمه الى رجل من المعاهدين وبعثه اليهم فلما وصل الكتاب اليهم أعطوه الى بطريقهم نكس فقرئ عليه فلما فهم ما فيه قال ما تقولون يا أهل شيرز فيما ذكرت العرب فقالوا صدقت العرب أيها البطريق الكبير فان حصننا ليس بأمنع من الرستن ولا بعلبك ولا دمشق وبصرى وأنت تعلم شدة أهل حمص وحدة شجاعتهم وقد صالحوا العرب وكذلك أهل فلسطين ومدنها والاردن وحصنها فكيف تمنع عنهم شيرز وهي حصن لطيف فان عصيت هؤلاء العرب فانك معول على هلاكنا وخراب مدينتنا (قال الواقدي) وكثر فيهم الخطاب وعلا الكلام وأقبل البطريق نكس يسب أهل شيرز وأمر غلمانه بضربهم فلما نظروا أهل شيرز ذلك غضبوا وأظهروا سلاحهم عليه وعلى غلمانه ووقع القتال بين الفريقين فعرفت المسلمين بذلك وقالوا اللهم اطرح بأسهم ولم يزل أهل شيرز في القتال حتى نصروا على

البطاريق وعلى غلمانه رقابهم عن آخرهم ثم خرجوا الى الامير أبى عبيدة رضى الله عنه رجالا الى أمانه بغير سلاح فلما وقفوا بين يدى الامير أبى عبيدة سلموا عليه وقالوا أيها الامير انا قتلنا بطاريقنا فى محبتكم قال يا أهل شيرز بيض الله وجوهكم ودرر قكم فقد كفيتمونا الحرب والقتال ثم قال للمسلمين ألا ترون الى حسن طاعة العرب هؤلاء وقتلهم بطارقتهم فى محبتكم والدخول فى طاعتكم وقد رأيت من الرأى أن أحسن الى القوم وأنعم عليهم فقال المسلمون نعم ما رأيت حتى يصل ما تصنع الى غيرهم ويفتح الله علينا البلاد ان شاء الله تعالى (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فأقبل على أهل شيرز وقال أبشروا فانى لست أكره أحدا منكم فمن أحب منكم الدخول فى ديننا فله ما لنا وعليه ما علينا والخراج موضوع عنكم سنتين ومن أقام على دينه فعليه الجزية وقد وضعنا عنه الخراج سنة كاملة ففرح الروم بذلك وقالوا أيها الامير سمعنا وأطعنا وهذا قصر بطارقتنا فأنت أحق بما فيه وهو هدية منا اليك فدونك واياه وما فيه من الرجال والآنية والاموال فأخرج أبو عبيدة رضى الله عنه منها الخمس وقسم الباقى على المسلمين بالسوية ونادى الامير أبو عبيدة رضى الله عنه يا معاشر المسلمين قد فتح الله على أيديكم هذه المدينة أيسر فتح وأهونه وقد خرج أهل حمص من ذمتكم ورأيتم لهم ما عاهدوكم عليه فارجعوا اليهم رحمكم الله تعالى (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وركب المسلمون ظهور خيولهم وهموا بالمسير واذا قد لاح لهم غبرة مرتفعة من وراء النهر المقلوب وهى مقبلة من طريق انطاكية وقد أخذت عرضا فأسرعت خيل المسلمين اليها فاذا هى قسيس كبير من قسوس الروم ومعه مائة برزون موسوقة بالاحمال ومن حولها مائة علج من علوج الروم يحفظونها (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ولم يكن القسيس خبر بنزول المسلمين على شيرز فصاح بهم خالد بن الوليد رضى الله عنه وكبر المسلمون معه وأحدقوا بهم من كل جانب وأخذوا العلوج أسرى وأخذوا البرازين وأقبل خالد على القسيس وقال له يا ويلك من أين أقبلت بهذه الاحمال قال فطمطم القسيس بالرومية فلم يدر خالد ما يقول هذا القسيس المشؤم فبدا اليه رجل من أهل شيرز وقال أيها الامير انه يذكر أنه من القسوس العظامة عند الملك هرقل وقد بعثه وبعث معه هذه الاحمال فيها ديباج أحمر منسوج بقضبان الذهب وعشرة أحمال مملوءة دنانير وباقى الاحمال مملوءة من الثياب والدنانير فأخذوها وأخرجوا منها مالا عظيما وغنم المسلمون غنيمة عظيمة لم يغنموا أمثالها وساق خالد بن الوليد الاحمال الى الامير أبى عبيدة رضى الله عنه فوجده على النهر المقلوب مما يلى شيرز وتحته عباءة قطوانية وعلى رأسه مثلها اظله من حر الشمس فأقبل خالد بن الوليد رضى الله عنه بالقسيس فأوقفه

بين يديه فقال أبو عبيدة رضى الله عنه ماهذا ياأباسليمان فقال خالد رضى الله عنه أنهم قوم من انطاكية ومعهم هدية لهربيس صاحب حمص من كلب الروم هرقل (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وأعرض عليه الغنيمة ففرح الامير أبو عبيدة بها فرحا شديدا وقال ياأباسليمان لقد كان فتح شيرز علينا مباركا ثم دعا بترجمان كان معه لايفارقه وقال أسئل هؤلاء عن كلب الروم الطاغية هرقل هل هو فى جمع كثير أم لا فكلم الترجمان القسيس ساعة فقال القسيس قل للامير ان الملك هرقل قد بلغه أنكم فتحتم دمشق وبعلبك وجوسية وانكم لم تنزلوا على حمص فبعث معى هذه الهدية الى هربيس البطريق وكتب اليه يأمره بقتالكم ويوعده بالنجدة وقدوم العساكر اليه لان الملك هرقل قد استنجد عليكم كل من يعبد الصليب ويقرأ الانجيل فأجابته الروسية والصقالبة والافرنج والارمن والدرقس والغليط والكرخ واليونان والعلف والغزانة وأهل رومية وكل من يحمل صليبا والعساكر قد وصلت الى الملك هرقل من كل جانب ومكان قال فحدث الترجمان الامير أباعبيدة رضى الله عنه بكل ما أعلمه القسيس به فعظم ذلك على الامير أبو عبيدة وأعرض على القسيس الاسلام فقال القسيس للترجمان قل للامير أبى عبيدة انى البارحة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وقد أسلمت على يديه ففرح الامير أبو عبيدة بذلك وأعرض على الاعلاج الاسلام فأبوا عن ذلك فضربت رقابهم ورحل أبو عبيدة رضى الله عنه وسار متوجها الى حمص وقد سير الخيل جريدة فى مقدمته فما شعر أهل حمص الا والخيل قد غارت عليهم فرجع القوم الى المدينة وقد غلقوا الابواب وقالوا غدرت العرب وحق المسيح قال ونزل المسلمون حول حمص وداروا بها من كل جانب ومكان وقد نفد الزاد من المدينة وأكثر أهلها قد خرجوا الى تجاراتهم وفى طلب الميرة وقد تفرقوا فى البلاد فلما نزل الامير أبو عبيدة رضى الله عنه على حمص دعا بالعبيد والموالى وأمرهم أن يتفرقوا على الطرقات والمحارس وكل من وجدتموه قد رجع الى حمص بزاد أو تجارة ائتونى به ففعل العبيد ذلك وصعب ذلك على هربيس صاحب حمص وكتب الى الامير أبى عبيدة كتابا يقول فيه أما بعد يامعاشر العرب فانا لم نخبر عنكم بالغدر ولا بنقض العهد أنتم صالحتمونا على الميرة فأمرينا كم فطلبتم منا البيع فأبعنا كم فلم نقضتم ما أخذنا كم عليه فكتب الامير أبو عبيدة رضى الله عنه يقول أريد أن ترسل الى القسوس والرهبان الذين أرسلتهم الى عندى حتى أوقفهم على ما عاهدتم عليه حتى يعلموك انا لم نغدر ولا مثلنا من يفعل ذلك ان شاء الله تعالى فلما قرأ هربيس الكتاب أحضر القسوس والرهبان وبعث بهم الى الامير أبى عبيدة فخرجوا اليه وفتح لهم باب حمص وساروا

الى أن وصلوا الى الامير أبي عبيدة فسلموا عليه وجلسوا بين يديه فقال لهم أبو عبيدة رضي الله عنه ألم تعلموا أني عاهدتكم وحلفت لكم أني منصرف عنكم حتى أفتح مدينة من مدائن الشام سهلا كان أو جبلا ثم يكون الرأي لي ان شئت رجعت اليكم أو سرت الى غيركم فقالوا بلى وحق المسيح فقال لهم ان الله تعالى قد فتح علينا شيرز والرستن في أهون وقت وقد أغنمنا الله مال بطريقهم نكس وغيره مما لم نؤمله في هذه المدة اليسيرة والآن فلا عهد لكم عندنا ولا صلح الا أن تصالحونا على فتح المدينة وتكونوا في ذمتنا وأمانتنا فقال القسوس والرهبان لقد صدقت أيها الامير ليس عليكم لوم وقد وفيتم بذمتكم وقد بلغنا افتتاحكم شيرز والرستن والخطأ كان منا اذ لم نستوثق لانفسنا والآن الامر بيد بطريقنا ونحن نرجع اليه ونعلمه بذلك ثم رجعوا الى مدينتهم ودعا الامير أبو عبيدة رضي الله عنه بالرجال والابطال وأهل الحرب وقال خذوا أهبتكم فان القوم بلا زاد ولا مدد يأتي اليهم من عند طاغيتهم ولا نجدة فاستعينوا بالله وتوكلوا على الله قال فلبس المسلمون السلاح والعدد ورجعوا الى الابواب والاسوار واجتمع أهل حمص ببطريقهم هربيس وقالوا ما عندك من الرأي في أمر هؤلاء العرب فقال الامر عندي أن نقاتلهم ولا نريهم منا ضعفا قالوا فان الزاد قد نفد من مدينتنا وقد أخذه القوم منا وما سمعنا بمثل هذه الحيلة فقال هربيس ما لكم تعجزوا عن حرب عدوكم وما قتل منكم قتيل ولا جرح منكم جريح ولم يصبكم شدة ولا جوع وانما أصابوا منكم على غرة ولو دخلوا المدينة لما قدروا عليكم وأقل الرجال على السور يكفيكم اياهم وعندي من الزاد في قصري ما يعم كبيركم المدة الطويلة وما أحسب أن الملك هرقل يغفل وسيبلغه خبركم ويوجه اليكم العساكر (قال الواقدي رحمه الله تعالى) وكان عند البطريق هربيس في قصره جب عظيم مملوء طعام ففتح وفرق الطعام على أهل حمص فسكنت بذلك نفوسهم وجعل البطريق يفرق على كبيرهم وصغيرهم بقية يومهم ذلك وقد انحشروا أهل حمص جميعهم فنفذ ذلك اليوم نصف ما في الجب وقال لهم اقنعوا بما أعطيتكم ثلاثة ايام وابرزوا الى حرب عدوكم ثم أخذوا أهبة الحرب وأعرض عسكره وانتخب منهم خمسة آلاف فارس من أولاد الزراوزة والعمالقة لا يغادرهم غيرهم فيهم ألف مديحة ملكية وفتح خزانة جده جرجيس وفرق عليهم الدروع والجواشن والبيض والمغافر والقسي والنشاب والحراب وأقبل يحرضهم على القتال ويوعدهم بالمدة والنجدة من الملك هرقل ثم دعا بالقسوس والرهبان وقال لهم خذوا أهبتكم وادعوا المسيح أن ينصرنا على العرب فان دعاءكم لا يحجب ولا يرد قال فدخلوا كنيستهم المعظمة عندهم وهي كنيسة جرجيس وهي الجامع اليوم

ونشروا المزامير وضجوا بالهمير وأقبلوا بتهلون بكلمة الكفر وباتوا بقية ليلتهم على مثل ذلك فلما كان عند الصباح دخل هربيس الى البيعة وتغرب وصلوا عليه صلاة الموتى فدخل قصره وقدم دخنوص مشوى فأكله حتى أتى على آخره وقدم بين يديه باطية الذهب والفضة فشرب حتى انقلبت عيناه فى أم رأسه ثم لبس ديباجا محشوا بالفرو والزرد الصغار المضعف العدد ولبس فوقها درعا من الذهب الاحمر وعلق فى عنقه صليبا من الياقوت وتقلد بسيف من صنعة الهند وقدم له مهرا كالطود العظيم واستوى على ظهره وخرج من قصره طالبا باب الرستن فأحاطت به بطارقته من الروم من كل جانب ومكان وفتحت أبواب حمص وخرجت الروم فى عددهم وعديدهم وراياتهم وصلبانهم وبين يدى هربيس خمسة آلاف فارس من علوج الروم وهم بالعدد والعديد والزرد النضيد فصفهم هربيس أمام المدينة كأنهم سد من حديد أو قطع الجلمود وقد وطنوا نفوسهم على الموت دون أموالهم وذراريهم فتبادر المسلمون اليهم مثل الجراد المنتشر وحملوا عليهم حملة عظيمة والعلوج كأنهم حجارة ثابتة ما ولوا عن مواضعهم ولا فكروا فيما نزل بهم فعندها صاح البطريق هربيس على رجاله وزجرهم فبادرت الروم وصاح بعضهم ببعض وركب المسلمون وحملوا عليهم ورشقوا الرجال بالسهام واشتبكت الحرب واختلط الفريقان واقتتلوا قتالا شديدا ما عليه من مزيد الا أن المسلمين تراجعوا الى القهقرة وقد فشى فيهم القتل والجراح فلما نظر الامير أبو عبيدة الى ذلك من هزيمة المسلمين عظم عليه وكبر لديه وصاح فيهم صوته يا بنى القرآن الرجعة الرجعة بارك الله فيكم فهذا يوم من أيام الله تعالى فاحملوا معى بارك الله فيكم فتراجع الناس وحملوا على أهل حمص حملة عظيمة وشدد عليهم بالحملة وحمل خالد بن الوليد رضى الله عنه فى جمع كثير من بنى مخزوم وجعلوا يضربون فيهم بسيوفهم ويطعنون برماحهم حتى طحنوهم طحن الحصيد ووضع المسلمون فيهم السيف وحمل ابن مسروق العبسى فى طائفة من قومه من بنى عبس وقد رفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير وصدموا الروم صدمة عظيمة فتراجعت الروم الى الاسوار وقد فشى فيهم القتل فبربرت الروم بلغاتها وتراجعت على المسلمين وأحاطوا بهم من كل جانب ومكان وتراشقت العلوج بالنشاب وطعنوا فى المسلمين بالحراب وقد استتروا بالدرق والطوارق قال فلما نظر خالد بن الوليد الى ذلك برز باللواء وهو كان صاحب اللواء يوم حمص وصاح خالد بأصحابه وقال شدوا عليهم بالحملة بارك الله فيكم فانها والله غنيمة الدنيا والآخرة قال فبينما خالد بن الوليد يحرض أصحابه على القتال اذ حمل عليه بطريق من عظماء الروم وعليه لامة مانعة وهو يهدر كما يهدر الاسد فحمل خالد بن الوليد عليه وضربه على رأسه

فوقع سيفه على البيضة نطار السيف من يد خالد بن الوليد وبقيت قبضته فى يده فطمع العلج فيه وحمل عليه ولاصقه حتى حل ركابه فى ركاب خالد وتقبا بضا جميعا بالسواعد والمناكب فضم خالد العلج الى صدره واحتضنه بيده وشد عليه بقوته فطحن أضلاعه وأدخل بعضها فى بعض فأرداه قتيلا وأخذ خالد سيف العلج وهزه فى يده حتى طار منه الشرار ووضع رأسه فى قربوص سرجه وحمل وصاح فى بنى مخزوم فحملوا حملة عظيمة وهاجوا فى أوساطهم وخالد بن الوليد رضى الله عنه يفرقهم يمينا وشمالا وهو ينادى برفيع من صوته أنا الفارس الصنديد أنا خالد بن الوليد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزالوا فى القتال الشديد الذى ما عليه من مزيد حتى تعلقت الشمس فى كبد السماء وحمى الدرع على خالد بن الوليد رضى الله عنه فخرج من المعركة وبنى مخزوم يتقاطرون من خلفه والدم يسيل من مل ء دروعهم وسواعدهم كأنها شقائق الارجوان وخالد بن الوليد رضى الله عنه فى أوائلهم وهو يقول

ويل لجمع الروم من يوم شعب ❋ اذا رأيت الحرب فيه تلتهب
فلقد لاقوا منا موقعا عطب ❋ حتى نزل الروم فى حالة العطب

قال فناداه الامير أبو عبيدة لله درك يا أبا سليمان لله درك لقد جاهدت فى الله حق جهاده فلما نظر المرقال بن هاشم بن عتبة بن أبى وقاص الى غفلة الروم صاح فى بنى زهرة وحملوا فى ميمنة الروم وحمل ميسرة بن مسروق العبسى فى قومه وحمل عكرمة بن أبى جهل وحوله جمع كثير من بنى مخزوم وحملت المسلمون بأجمعهم وقد طمعت على الشهادة وأيقنوا بالفصادة (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلم يكن يوم حمص أشد حربا ولا أقوى جلدا من بنى مخزوم غير أن عكرمة بن أبى جهل كان أشدهم بأسا واقداما وهو يقصد الاسنة بنفسه فقيل له اتق الله وارفق بنفسك فقال يا قوم أنا كنت أقاتل عن الاصنام فكيف اليوم وأنا أقاتل فى طاعة الملك العلام وانى أرى الحور متشوقين الى ولو بدت واحدة منهن الى أهل الدنيا لاغنيتهن عن الشمس والقمر ولقد صدقنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما وعدنا ثم سل سيفه وغاص فى الروم ولم يزدد الا اقداما وقد عجبت الروم من حسن صبره وقتاله فبينما هو كذلك اذ حمل عليه البطريق هربيس صاحب حمص وبيده حربة عظيمة تضىء وتلهب فهزها فى كفه وضربه بها فوقعت فى قلبه ومرقت من ظهره فانجدل صريعا وعجل الله تعالى بروحه الى الجنة فلما نظر خالد بن الوليد الى ذلك وابن عمه قد وقع صريعا أقبل عليه حتى وقف عليه وبكا وقال يا ليت عمر بن الخطاب نظر الى ابن عمى صريعا حتى يعلم أنا اذا لاقينا العدو ركبنا الاسنة ركوبا قال ولم يزالوا فى الاهوال الشديدة حتى هجم الليل عليهم وتراجعت

الروم الى مدينتهم وغلقوا الابواب وطلعوا على الاسوار وتراجعت المسلمون الى رحالهم وخيامهم وباتوا ليلتهم يتحارسون فلما أصبح الله بالصباح قال الامير أبو عبيدة رضى الله عنه معاشر المسلمين ما بالكم قد صدركم هؤلاء القوم وبعد الطمع فيهم فما بالكم هزمتم وجزعتم منهم والله ألبسكم عافية مجللة وسلامة سابغة والله والله ما أظفركم على بطارقة الروم وفتح لكم الحصون والقلائع فما هذا التقصير والله تعالى مطلع عليكم فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه هؤلاء فرسان الروم أشد الرجال ليس فيهم سوقة ولا جبان وقد تعلم أن ما يكون أشد الحرب على الزمان لانهم ممنوعون عن الذرارى والنسوان فقال أبو عبيدة رضى الله عنه فما الرأى عندك يا أبا سليمان يرحمك الله فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه أيها الامير قد رأيت من الرأى اننا نكشف للقوم غدا وندع لهم سوانا وأبلنا فاذا تباعدنا عن مدينتهم وتبعنا خيلهم وتباعدوا عن مدينتهم وصاروا معنا عطفنا عليهم ومزقناهم بالاسنة ونقطع ظهورهم لبعدهم عن مدينتهم فقال أبو عبيدة نعم الرأى ما رأيت يا أبا سليمان ولقد أشرت وأحسنت قال وتواعد المسلمون على أن ينكشفوا بين يدى الروم وأن يتركوا لهم سوارهم فلما أصبح الصباح فتحت أبواب حمص وخرجت الروم من جميع الابواب وزحفوا يريدون القتال فسألوهم العرب القتال وأوروهم التقصير والخوف وطمعوهم فى أنفسهم وجعلوا ينحرفون عن قتالهم حتى تضاحى النهار وانبسطت الشمس وطاب الحرب وطمعت الروم فى المسلمين لما بان لهم من تقصيرهم فشدوا الروم بالحملة عليهم فانهزمت العرب من بين أيديهم وتركوا اسوارهم قال نوفل بن عامر قال حدثنا عرفجة بن ماجد التميمى عن سراقة الفهمى وكان ممن حضر يوم حمص قال لما انهزمت العرب أمام الروم وتبعنا هربيس البطريق فى خمسة آلاف فارس على خمسة آلاف شهب وكانوا أشد الروم قال سراقة بن عامر وانهزمنا أمام القوم كأننا نطلب الزراعة وحوسية وأدركتنا البطارقة وبعضهم مال الى السواد طمعا فى الزاد والطعام (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان بحمص قسيس كبير السن عظيم القدر عند الروم قد حبلته التجارب وعرف أبواب الحيل والخداع وكان عالما من علماء الروم وقد قرأ التوراة والانجيل والزبور والمزامير وصحف شيث وابراهيم وأدرك بعض حوارى عيسى ابن مريم عليه السلام فلما أشرف ذلك القسيس ونظر الى العرب وقد ملك الروم سوادهم جعل يصيح ويقول وهو ينادى وحق المسيح ان هذه خديعة ومكر ومكيدة من مكائد العرب وان العرب لا تسلم أولادها وابلها ولو قتلوا عن آخرهم قال وجعل القسيس يصيح وأهل حمص قد وقعوا فى النهب وليس يغنيهم سوى الزاد والطعام

والبطريق هربيس قد الح فى طلب المسلمين فى خمسة آلاف فارس فلما بعدوا عن المدينة صاح الامير ابو عبيدة رضى الله عنه برفيع من صوته اعطفوا على الروم كالسباع الضارية والعقبان الكاسرة ووردوا عليهم كردوس واحد حتى أحاطوا بالبطريق وأصحابه من كل جانب وداروا بهم مثل الحلقة المستديرة وأحدقوا بهم كاحداق البياض بسواد العين وبقيت الروم فى أوساطهم كالشامة السوداء فى الثور الابيض فعند ذلك نعست العلوج فى نشابها على العرب والمسلمون يكبرون عليهم مثل الاسود الضارية ويحومون عليهم كالحوم النسور ويضربونهم بالسيوف ويصرعونهم عياناً وشمالاً حتى نكسوا أكثرهم قال عطية بن فهر الزبيدى فلما نظرت الروم الى فعلنا بهم تكاثبت علينا فلما حميت الحرب ابتدر خالد بن الوليد رضى الله عنه من وسط العسكر وهو على جواد اشقر وعليه جوشن مذهب كان لصاحب بعلبك أهداه له يوم فتح بعلبك وكان خالد بن الوليد رضى الله عنه قد عمم نفسه بعمامة حمراء وكانت تلك العمامة عمامته فى الحرب وحمل بهدر كالاسد الجردان وقد امتضى سيفه من غمده وهو يهدر حتى طار منه الشرار ونادى برفيع صوته رحم الله رجلاً جرد سيفه وقوى عزمه وقاتل أعداءه فعندها امتضت المسلمون سيوفهم وصدموا الروم صدمة عظيمة ونادى الامير ابو عبيدة يا بنى العرب قاتلوا عن حريمكم ودينكم وأموالكم فان الله مطلع عليكم وناصركم على عدوكم قال وكان معاذ بن جبل قد انفرد فى خمسمائة فارس الى السواد والاموال وانقضى على الروم فاشعرت الروم والعلوج بمن انغمس فى الغارة وجعل الزاد والرحال والامتعة الا والطعن قد أخذهم بأسنة الرماح من كل جانب كأنها السنة النار المضرمة ونادى معاذ يا فتيان العرب اطلبوا الباب لئلا ينجو أحد من الروم برحالنا وأولادنا فجعل المسلمون يطلبون الابواب وكانت علوج الروم قد غرقت فى رحال المسلمين فلما نظروا الى معاذ وقد حمل عليهم فى رجاله فمادت وقد رمت الرحال وطابت الهرب فانقلب منهم من نقلب وقتل من قتل قال صهيب بن سيف الفزارى فوالله ما افلت من الخمسة الآلاف الذين كانوا مع هربيس صاحب حمص الا ما ينوف عن مائة فارس قال واتبعنا القوم الى الابواب فكان أعظم المصيبة قتلنا اياهم على الابواب لان أكثر الرجال من العواصم وغيرهم كانوا فى المدينة قال سعيد بن زيد شهدت يوم حمص وكنت ممن أولع بعدد القتلى فعددت خمسة آلاف وستة غير أسير وجريح فدنوت من الامير أبو عبيدة رضى الله عنه وقلت البشارة أيها الامير فانى قد عددت خمسة آلاف وستة غير اسير وجريح فقال الامير أبو عبيدة بشرت بخير يا سعيد يا ابن زيد فهل ترى قتل بطريقهم هربيس فقال سعيد بن زيد أيها الامير اذا كان قتل بطريقهم هربيس فما

قتله

قتله غيري فقال الامير أبو عبيدة وكيف علمت أنه قتيلك يا سعيد فقال سعيد بن زيد أيها الامير اني رأيت فارسا عظيم الخلقة طويلا ضخما أحمر اللون وبيده سيف معجون وعليه لامة حربه صفتها كذا وكذا وهو في وسط الروم كأنه البعير الهائج فحملت عليه وقلت في حملتي اللهم اني أقدم قدرتك على قدرتي وعليتك على عليتي اللهم اجعل قتله على يدي وارزقني أجره فقال له أبو عبيدة ما أخذت سلبه يا سعيد قال لا ولكن علامتي فيه نبلة من كنانتي أثبتها في قلبه فخر يهوي عن جواده ونفرت عنه أصحابه فلحقته فضربته بسيفي ضربة فصرمت حقوته ونبلتي في قلبه فقال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه أدركوه رحمكم الله وسلموا سلبه الى سعيد ففعلوا ذلك (قال الواقدي رحمه الله تعالى) ولما أخذت الحرب أوزارها أخذ المسلمون الاسلاب والدروع والشهابي ومثلوا الجميع أمام الامير أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه فأخرج منها الخمس لبيت مال المسلمين وقسم الباقي على المجاهدين قال ووقع الصياح والبكاء في حمص على من قتل منهم من فرسان الكفار ورجالهم قال واجتمع مشايخ حمص ورؤساؤهم الى بيعتهم وتحدثوا مع القسوس والرهبان على أن يسلموا حمص الى المسلمين وخرج علماؤهم ورؤساؤهم الى أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه وصالحوهم على تسليم المدينة اليه وأن يكونوا تحت زمامه وامامه فصالحهم أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه وقال لست أدخل مدينتكم حتى نرى ما يكون بيننا وبين الملك هرقل وأراد أهل حمص أن يكرموا المسلمين بالاقامة والعلوفة فنهاهم الامير أبو عبيدة عن ذلك ولم يدخل أحد من المسلمين الى حمص الا بعد وقعة اليرموك كل ذلك لتتقرب المسلمون الى الروم بالعدل وحسن الصحبة قال جرير ابن عوف حدثنا حميد الطويل قال حدثني سنان بن راشد اليربوعي قال حدثنا سلمة ابن جريج قال حدثنا النجار وكان ممن يعرف فتوح الشام قال لما صالحنا أهل حمص بعد قتل هربيس خرج أهل حمص ودفنوا قتلاهم فافتقدنا القتلاء الذين استشهدوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدنا قد استشهد من المسلمين مائتان وخمسة وثلاثون فارسا كلهم من حمير وهمدان الا اثنين رجلا من أهل مكة وهم عكرمة بن أبي جهل وصابر بن جري والريس بن عقيل ومروان بن عامر والمنهال بن عامر السلمي بن عم العباس رضي الله تعالى عنه وجمع بن قادم وجابر بن خويلد الربعي فهؤلاء من جملة المسلمين الذين استشهدوا يوم حمص والباقون من اليمن وهمدان ومن أخلاط الناس.

(ذكر وقعة اليرموك)

(قال الواقدي رحمه الله تعالى) وانقلبت الاخبار الى الملك هرقل ان المسلمين قد فتحوا

حمص والرستن وشيزر وقد أخذوا المدينة التي بعثها الى فريبس البطريق فبلغ ذلك منه دون النفس وأقام ينتظر الجيوش والعساكر من أقصى بلاد الروم لانه قد كان كاتب كل من يحمل الصليب فما مضى عليه الا أيام قلائل حتى صار أول جيوشه عنده بانطاكية وآخره في رومية الكبرى وانه بعث جيشا الى قيسارية ساحل الشام يكون حفظه على عكة وطبرية وبعث بجيش آخر الى بيت المقدس وأقام ينتظر قدوم ماهان الارمني ملك الارمن وقد جمع من الارمن مالم يجمعه أحد من أعالى الملك هرقل وبعد أيام قدم على الملك هرقل الى لقائه في أرباب دولته فلما قرب منه ترجل ماهان وجنوده وكفروا بين يديه ورفعوا أصواتهم بالبكاء والنحيب مما وصل اليهم من فتح المسلمين بلادهم فنهاهم عن ذلك وقال يا أهل دين النصرانية وبني ماء المعمودية قد حذرتكم وخوفتكم من هؤلاء العرب ولم تقبلوا مني فوحق المسيح والانجيل الصحيح والقربان ومذبح العمدان لا بد لهؤلاء العرب أن يملكوا ما تحت سريري هذا والان البكاء لا يصلح الا للنساء وقد اجتمع لكم من العساكر مالم يقدر عليه ملك من ملوك الدنيا وقد بذلت مالي ورجالي كل ذلك لاذب عنكم وعن دينكم وعن حريمكم فتوبوا للمسيح من ذنوبكم وانووا للرعية خيرا ولا تظلموا وعليكم بالصبر في القتال ولا يخاصم بعضكم على بعض ولا تحاسدوا واياكم والعجب فانه ما نزل بقوم الا ونزل عليهم الخذلان واني أريد أن أسألكم وأريد منكم الجواب عن ما أسألكم عنه فقالت العظماء من الروم والملوك اسأل أيها الملك عما شئت قال ألستم اليوم أكثر عددا وأعز مددا من العرب وأكثر جمعا وأكثر خيلا وأعظم قوة فمن أين لكم هذا الخذلان وكانت الفرس والترك والجرامقة تهاب سطوتكم وتفزع من حربكم وشدتكم وقد قصدوا اليكم مرارا ورجعوا منكسرين والان قد علوا بكم العرب وهم أضعف الخلق عراة الاجساد جياع الاكباد ولا عدد ولا سلاح وقد غلبوكم على بصرى وحوران ويوم اجنادين ودمشق وبعلبك وحمص قال فسكت الملوك عن جوابه فعندها قام قسيس من كبير عالم بدين النصرانية وقال أيها الملك أما تعلم لم نصرت العرب علينا قال لا وحق المسيح فقال القسيس أيها الملك لان قومنا بدلوا عن دينهم وغيروا ملتهم وجحدوا باجابة المسيح عيسى ابن مريم صلوات الله وسلامه عليه وظلموا بعضهم وليس فيهم من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وليس فيهم عدل ولا احسان ولا يعملوا بالطاعات وضيعوا أوقات الصلوات وأكلوا الربا وارتكبوا الزنا وفشت فيهم المعاصي والفواحش وهؤلاء العرب طائعون لربهم متبعون دينهم رهبان بالليل صوام بالنهار ولا يفترون عن ذكر ربهم ولا عن الصلاة على نبيهم وليس فيهم ظلم ولا عدوان ولا يتكبر بعضهم على بعض

شعارهم الصدق ودثارهم العبادة وان حملوا علينا الا يرجعون وان حملنا عليهم فلا يولون وقد علموا أن الدنيا دار الفناء وان الآخرة هي دار البقاء (قال الواقدي) ولما سمع القوم ذلك والملك هرقل ما قاله القسيس قال وحق المسيح لقد صدقت بهذا نصرة العرب علينا لا محالة واذا كان فعل قومنا ما ذكرت فلا حاجة لي في نصرتهم واني قد عولت أن أصرف هذا الجيوش والعساكر الى بلادها وآخذ أهلي ومالي وأنزل من أرض سورية وأروح الى أسبوك يعني القسطنطينية فأكون هناك آمنا من العرب قال فلما سمع القوم ذلك من كلام الملك صفقوا بين يديه وقالوا أيها الملك لا تفعل ولا تخذل دين المسيح فيطالبك بذلك يوم القيامة وتعيرك الملوك بذلك ويستضعفون رأيك وأيضا تشمت بنا أعداؤنا اذا أنت خرجت من جنة الشام وسكن بعدنا فيها العرب وقد اجتمع لنا مثل هذا الجيش الذي ما اجتمع لملك من ملوك الدنيا ونحن نلقى العرب ونصبر على قتالهم ولعل المسيح أن ينصرنا عليهم فاعزم وقدم من شئت واترك كنا ننهض الى قتال العرب قال ففرح الملك هرقل بقولهم ونشاطهم وعول على أن يبعث الجيش مع خمس ملوك من الروم فأول ما عقد لواء من الديباج المنسوج بالذهب الاحمر وعلى رأسه صليب من الجوهر وسلمه الى تناطرملك الروسية وضم اليه مائة ألف فارس من الصقالبة وغيرهم وخلع عليه وتوجه ومنطقه وسوره ثم عقد لواء آخر من الديباج الابيض فيه شمس من الذهب الاحمر وعلى رأسه صليب من الزبرجد الاخضر وسلمه الى جرجير وهو ملك عمورية وملورية وخلع عليه وسوره ومنطقه وضم اليه مائة ألف فارس من الروم والقرادنة ومن سائر الاجناس الرومية ثم عقد لواء ثالثا من الدستري الملون وعليه صليبا من الذهب الاحمر وسلمه الى الديرجان صاحب القسطنطينية وضم اليه مائة ألف فارس من المفليط والافرنج والقلن وخلع عليه ومنطقه وسوره ثم عقد لواء رابعا مرصعا بالدر والجوهر عليه قبضة من الذهب وعليه صليبا من الياقوت الاحمر وسلمه الى ماهان ملك الارمن وكان يحبه محبة عظيمة لانه كان من أهل الشجاعة والتدبير وقد قاتل عساكر الفرس والترك وهزمهم مرارا فلما عقد له اللواء خلع عليه الثياب التي كانت عليه وتوجه وسوره ومنطقه وقلده بالقلائد التي لا يتقلدها الا الملوك الاكابر وقال له يا ماهان قد وليتك على هذا الجيش كله ولا أمر على أمرك ولا حكم على حكمك ثم قال لقناطير وجرجير والديرجان وقورين وهم ملوك الجيش اعلموا أن صلبانكم تحت صليب ماهان وأمركم اليه فلا تصنعوا أمرا الا بمشورته ورأيه واطلبوا العرب حيث كانوا ولا تفشلوا وقاتلوا عن دينكم القديم وشرعكم المستقيم وافترقوا على اربع طرق فانكم ان أخذتم على طريق واحدة

لم تسعكم وتم لكون الارض ومن عليها ثم خلع على جبلة بن الايهم الغساني وضم اليه العرب المتنصرة من غسان ولخم وجذام وقال لهم كونوا في المقدمة فان هلاك كل شئ بجنسه والحديد لا يقطعه الا الحديد ثم أمر القسوس أن يغمسوهم في ماء المعمودية ويقرؤا عليهم ويصلوا عليهم صلاة الموتى قال حدثنا نوفل بن عدى عن سراقة عن خالد قال أخبرنا قاسم مولى هشام بن عمرو بن عتبة وكان ممن حضر فتوح الشام كله قال فكانت جملة من بعث الملك هرقل الى اليرموك من العساكر ستمائة ألف فارس من سائر طوائف أهل الكفر ممن يعتقد الصليب قال حدثنا جرير بن عبد الله عن يونس بن عبد الاعلى أن جملة من بعث الملك هرقل سوى جيش ادطا كية الى اليرموك سبعمائة ألف فارس قال راشد بن سعيد الحميرى كنت أحضر اليرموك من أوله الى آخره قال لما أشرفت علينا عساكر الروم باليرموك ونحن قد صعدت على منشر من الارض مرتفع وأقبلت الروم بالرايات والصلبان فعددت عشرين راية فلما استقرت الروم باليرموك بعث الامير أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه روماس صاحب بصرى ليحزر عدد القوم قال فتفكر روماس وغاب عنا يوما وليلة ثم عاد الينا فلما رأيناه اجتمعنا عنده وسأل أبو عبيدة روماس عن ذلك فقال أيها الامير سمعت القوم يذكرون أن عددهم ألف ألف فلا أدرى أنهم يتحدثون بذلك ليسمع جواسيسنا ويحدثوك بذلك أم لا فقال أبو عبيدة يا روماس كم عهدك وكم يكون تحت كل راية في عساكر الروم فقال أيها الامير أما ما عهدنا في عساكر الروم فتحت كل راية خمسون ألف فارس فلما سمع أبو عبيدة ذلك قال الله أكبر أبشروا بالنصر على الاعداء ثم قرأ الآية كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ثم ان الملك هرقل لما قلد أمر جيوشه لماهان ملك الارمن وأمره بالنهوض الى قتال المسلمين ركب الملك هرقل وركب الروم وضربوا بوق الرحيل وخرج الملك هرقل ليشيع عساكره على باب فارس وسار معهم يوصيهم وقال لقناطر وجرجير والدرجان وقورين ليأخذ كل رجل منكم طريقا وأمر كل واحد منكم نافذ على جيشه فاذا لقيتم العرب فالامر فيكم لماهان ولا يد على يده واعلموا انه ليس بينكم وبين هؤلاء الا هذه الوقعة فان غلبوكم فلا يقعدوا ببلادكم بل يطلبوكم حيث سلكتم ولا يقنعوا بالمال دون النفس ويتخذون حريمكم وأولادكم عبيدا فاصبروا على القتال وانصروا دينكم وشرعكم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ثم وجه قناطر بجيشه على طريق جبلة واللاذقية وبعث جرجير على طريق الجادة العظمى وهى أرض العراق وسومين وبعث قورين على طريق حلب وحماه وبعث الدرجان على أرض العواصم وسار

ماهان فى أثر القوم بجيوشه والرجالة أمامه يحتون له الارض ويزيلون من طريقهم الحجارة وكانوا لا يمرون على بلد ولا على مدينة الا أغمروا أهلها ويطالبونهم بالعلوفة والاقامات ولا قدرة لهم بذلك فيدعون عليهم ويقولون لا ردكم الله سالمين قال وجبلة ابن الايهم فى مقدمة ماهان ومعه العرب المتنصرة من غسان ولخم وجزام (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى من أثق به ان الطاغية هرقل لما بعث جيوشه الى قتال المسلمين وكان للامير أبى عبيدة فى جيوش الروم عيون وجواسيس من المعاهدين يتعرفون له الاخبار فلما وصل جيش الروم الى شيرز فارقهم عيون أبى عبيدة وساروا طالبين عسكر المسلمين فلم يجدوهم على حمص فسألوهم عنهم فأخبروهم أنه رحل لان الامير أبا عبيدة رضى الله تعالى عنه لما فتح حمص ترك عندهم من يأخذ الخراج والذى تركه عندهم رجال من أهل حمص من كبرائهم ورؤسائهم وجعل الجواسيس يسيرون حتى وصلوا الى الجابية وحضروا بين يدى الامير أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه واخبروه بما رأوه من عظم الجيوش والعساكر فلما سمع أبو عبيدة ذلك عظم عليه وكبر لديه وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وبات قلقا لم تغمض له عين خوفا على المسلمين فلما طلع الفجر أذن فصلى بالمسلمين فلما فرغ من صلاته أقسم على المسلمين أن لا يبرحوا حتى يسمعوا ما يقول ثم قام فيهم خطيبا وحمد الله تعالى وأثنى عليه وذكر النبى صلى الله عليه وسلم وترحم على أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ودعا للمسلمين بالنصر وقال يا معاشر المسلمين اعلموا رحمكم الله ان الله ابتلاكم ببلاء حسن لينظر كيف تعملون وذلك عندما صدقكم الوعد وأيدكم بالنصر فى مواطن كثيرة واعلموا أن عدوين أخبرونى ان عدو الله هرقل قد استنجد علينا من كان ببلاد الشرك وقد سيرهم اليكم وأثقلهم بالزاد والسلاح يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون واعلموا أنهم قد ساروا اليكم فى طرق مختلفة ووعدهم طاغيتهم أن يجتمعوا بازائكم على قتالكم واعلموا أن الله معكم وليس بكثير من يخذله الله تعالى وليس بقليل من يكن الله تعالى معه فما عندكم من الرأى رحمكم الله تعالى ثم قال لبعض عيونه قم واخبر المسلمين بما رأيت فقام الرجل وأخبر الناس بما رأى من الجيوش الثقيلة وعددها وعديدها فعظم ذلك على المسلمين وداخل قلوب رجال منهم الهيبة والجزع وجعل بعضهم ينظر الى بعض ولم يرد أحد منهم جوابا فقال أبو عبيدة رضى الله عنه ما هذا السكوت عن جوابى رحمكم الله فشيروا على برأيكم فان الله عز وجل يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فتكلم رجل من أهل السبق وقال أيها الامير

أنت رجل لك رومة ومكان وقد نزلت فيك آية من القرآن وأنت الذى حملك رسول الله صلى الله عليه وسلم أمين هذه الامة فقال عليه السلام لكل أمة أمين وأمين هذه الامة أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه عامر بن الجراح فشر أنت علينا بما يكون فيه الصلاح للمسلمين فقال الامين أبو عبيدة رضى الله عنه انما أنا رجل منكم تقولون وأقول وتشيرون وأشير والله الموفق فى ذلك فقام اليه رجل من أهل اليمن وقال أيها الامير الذى نشير به عليك أن تسير من مكانك وتنزل فى فرجة من وادى القرى فتكون المسلمين قريبا من المدينة والنجدة الينا تصل اليها من الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه واذا طلب القوم أثرنا وأقبل الينا كنا عليهم ظاهرين فقال الامير أبو عبيدة رضى الله عنه اجلسوا رحمكم الله فقد أشرتم بما عندكم من الرأى وانى برحتنا من موضعى هذا كره لى عمر بن الخطاب ذلك ويعنفى ويقول تركت مدائن فتحها الله على يديك وانزحت عنها وكان ذلك هزيمة منك ثم قال شيروا على برأيكم رحمكم الله تعالى فقام اليه قيس بن هبيرة المرادى وقال يا أمير المؤمنين لا ردنا الله الى أهلنا سالمين ان خرجنا من الشام وكيف ندع هذه الانهار المتفجرة والزروع والاعناب والذهب والفضة والديباج ونرجع الى قحط الحجاز وجدبه وأكل خبز الشعير ولباس الصوف ونحن فى مثل هذا العيش الرغد فان قتلنا فالجنة موعدنا ونكون فى نعيم لا يشبه نعيم الدنيا فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه صدق والله قيس بن هبيرة وبالحق نطق ثم قال يا معاشر المسلمين أترجعون الى بلاد الحجاز والمدينة وتدعون لهؤلاء الاعلاج قصورا وحصونا وبساتينا وأنهارا وطعاما وشرابا وذهبا وفضة مع ما لكم عند الله عز وجل فى دار البقاء من حسن الطعام ولقد صدق قيس بن هبيرة فى قوله لنا ولسنا ببارحين من مكاننا هذا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين قال فوثب قيس بن هبيرة وقال صدق الله قولك أيها الامير وأعانك على ولا ننلك ولا تبرح من مكانك وتوكل على الله وقاتل أعداء الله فان فاتنا فتح عاجل فما يفوتنا ثواب آجل فقال أبو عبيدة رضى الله عنه شكر الله فضلك وغفر لسائلك والرأى رأيك وتتابع قول المسلمين بحسن رأيهم الا خالد بن الوليد رضى الله عنه فانه ساكت لا يقول شيأ فقال أبو عبيدة رضى الله عنه يا أبا سليمان أنت الرجل الجرىء والفارس الشهم وملك رأى عزم فما تقول فيما قال قيس بن هبيرة فقال خالد رضى الله تعالى عنه نعم ما أشار به قيس الا أن الرأى عندى غير رأيه ولكن لا أخالف المسلمين فقال ان كان عندك رأى فيه صلاح فهيت به وكما رأيك نتبع فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه اعلم أيها الامير انك ان أقمت فى مكانك هذا فانك تعين على نفسك لان هذه

الجابية قريبة من قيسارية وفيها قسطنطين بن الملك هرقل فى أربعين ألف فارس وأهل الاردن قد اجتمعوا خوفا منكم والذى أشير به عليكم أن ترحلوا من منزلكم هذا وتجعلوا ادرعات خلف ظهوركم حتى ينزلوا اليرموك ويكون المدد من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه منكم متلاحقا بكم وأنتم على فتح لقتال عدوكم وهى أرض واسعة لمجال الخيل قال فلما نطق خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه بهذا الكلام قال المسلمون نعم ما أشار به خالد وقال أبو سفيان بن حرب أيها الامير افعل برأى خالد بن الوليد رضى الله عنه وادعه الى ما يلى الرمادة فيكون بين عساكرنا وعساكر الروم المقيمة بالاردن لئلا ندهى منهم عند رحيلنا فانه سيكون لرحيلنا ورحيل عسكرنا بين هذه الاشهار ضجة عظيمة وجلبة هائلة فيداخل عدوكم فيكم الطامع فان أقبلوا يريدون غارة ومكيدة تقيهم خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه بمن معه فقال خالد بن الوليد والله يا ابن حرب لقد نطقت من ضميرى وهكذا الرأى عندى فعند ذلك أمر أبو عبيدة الناس بالرحيل من الجابية فرحلوا ودعا أبو عبيدة بجيش خالد بن الوليد الذى أقبل به من أرض العراق وهو جيش الزحف وهو يومئذ أربعة آلاف فارس وأمر خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه أن يسيرهم ويكون على طلائع المسلمين وحرسهم من وراء ظهورهم قال ووقعت الضجة للمسلمين عند رحيلهم حتى سمع ضجيجهم من مسيرة فرسخين وطلبوا اليرموك وسمعوا الروم المجتمعة بالاردن ضجة المسلمين عند رحيلهم فظنوا انهم هاربون الى الحجاز لما بلغهم من جيش هرقل فطمعوا فيهم وهموا بالغارة على أطرافهم فلقيهم خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه وصاح خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه بمن معه وصاح خالد بن الوليد فى رجاله وقال دونكم والقوم فهذه علامة النصر قال فامتض المسلمون السيوف ومدوا الرماح وحمل خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه وحمل ضرار بن الازور رضى الله تعالى عنه والمرقال وطلحة ابن نوفل العامرى وزاهد بن الاسد وعامر بن الطفيل وابن أكال الدم ومثل هؤلاء الفرسان المعدودين للبراز فلم يكن للروم طاقة بهم فولوا منهزمين والمسلمون يقتلون ويأسرون حتى وصلوا الى الاردن فغرق فيهم خلق كثير ورجع خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه وأما الامير أبو عبيدة فانه نزل باليرموك وترك ادرعات من خلفه وكان هناك تل عظيم فعمد أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه الى نساء المسلمين وأولادهم وأصعدهم على ذلك التل وأقام الحراس والطلائع على سائر الطرقات فلما وصل خالد ابن الوليد رضى الله تعالى عنه بالاسارى والغنائم فرح أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه فرحا شديدا وقال أبشروا رحمكم الله تعالى هذه علامة النصر والظفر وأقام المسلمون

باليرموك وهم مستعدون لقتال عدوهم كأنهم ينتظرون وعداوعدهم وبلغ الخبر الى قسطنطين بن الملك هرقل بأن المسلمين قد نزلوا باليرموك وان ملوك الروم سائرون لقتالهم فبعث رسولا الى الملك يستضعف رأيهم فى ابطاء أمرهم ويحثهم على قتال المسلمين فلما ورد رسوله الى ماهان دعا بالملوك والبطارقة وقرأ عليهم كتاب قسطنطين ابن الملك هرقل وأمرهم بالمسير فسارت جيوش الروم يتلو بعضها بعضا لا يمرون ببلد من مدائن الشام التى فتحها المسلمون الا يعنفوا أهلها ويقولون لهم ياويلكم تركتم أهل دينكم وملتكم وملتم الى العرب فيقولون لهم أنتم أحق بالملامة منا لانكم هربتم منهم وتركتونا للبلاء نصالح عن أنفسنا فيعرفون الحق فيسكتون ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى اليرموك فنزلوا بدير يقال له دير الجبل وهو بالقرب من الرمادة والجولان وجعلوا بينهم وبين عسكر المسلمين ثلاث فراسخ طولا وعرضا فلما تكاملت الجيوش باليرموك أشرفت سوابق الخيل على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان جبلة بن الايهم فى المقدمة فى ستين ألف فارس من العرب المتنصرة من غسان ولخم وجزام وهم على مقدمة ماهان ولما نظر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كثرة جيوش الروم قالوا لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم قال عطية بن عامر فوالله ما شبهت عساكر اليرموك الا كالجراد المنتشر اذا سد بكثرته الوادى قال ونظرت الى المسلمين وقد ظهر منهم القلق وهم لا يفترون من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وأبو عبيدة رضى الله تعالى عنه يقول ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين قال وأخذ المسلمون أهبتهم ودعا الامير أبو عبيدة بجواسيسه من المعاهدين وأمرهم أن يدخلوا عساكر الروم يجسون له خبر القوم وعددهم وعديدهم وسلاحهم قال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه أنا أرجو من الله تعالى أن يجعلهم غنيمة لنا (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما نزل ماهان بعساكره بازاء المسلمين على نهر اليرموك أقام أياما لم يقاتل ولا يدنيهم حربا (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان تأخير ماهان لامر وذلك أن رسولا ورد عليه من الملك هرقل يقول له لا تعجز الحرب بينك وبين المسلمين حتى تبعث اليهم رسولا وتوعدهم عما كل سنة بمال كثير وهدايا لصاحبهم عمر بن الخطاب ولكل أمير منهم ويكون لهم من الجابية الى الحجاز فلما وصل الرسول الى ماهان قال هيهات ان كانوا يجيبون الى ذلك أبدا فقال له جرجير وهو من بعض ملوك الجيش وما عليك فى هذا الذى ذكره الملك هرقل من المشقة فقال ماهان أخرج أنت اليهم وادع منهم رجلا عاقلا وخاطبه بالذى سمعت واجتهد فى ذلك قال فلبس جرجير ثياب الديباج

وتعصب بعصابة من الجوهر وركب شهباء عاليا بسرج من الذهب الأحمر المرصع بالدر والجوهر وخرج معه ألف فارس من المدينة وسار حتى أشرف على عساكر المسلمين فأوقف جرجير أصحابه وقرب من المسلمين ووقف بإزائهم وقال يا معاشر العرب أنا رسول من الملك ماهان اليخرج الى أميركم والمقدم عليكم حتى نعرض عليه مقالتنا لعلنا نصطلح ولا نسفك دم بعضنا بعضا قال فسمعه المسلمون فأعلموا الأمير أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه بذلك فخرج بنفسه اليه وعليه ثوب من كرابيس العراق وعلى رأسه عمامة سوداء وهو متقلد بسيفه وسار الى أن وصل الى جرجير ورفس فرسه حتى التفت أعناق خيلهما والناس ينظرون اليهما فقال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه يا أخا الكفر قل ما أنت قائل واسأل عما تريد فقال جرجير يا معاشر العرب لا يغرنكم أن تقولوا هزمنا عساكر الروم في مواطن كثيرة وفتحنا بلادها وعلونا أكثر أرضها فانظروا الآن ما قد أتاكم من العساكر فان معنا من سائر الاجناس المختلفة وقد تحالف الروم أن لا يفروا ولا ينهزموا وان يموتوا عن آخرهم وليس لكم على ما ترون من طاقة فانصرفوا الى بلادكم وقد نلتم ما نلتم من بلاد الملك هرقل وقد عول الملك ان يدع الاحسان اليكم وهو يهب لكم ما أخذتم من بلادهم منذ ثلاث سنين وقد أخذتم السلاح والذهب والفضة وقد كنتم حين قدمتم الشام منكم على رجليه ومنكم عريان فأجيبوا الى ما دعوتكم اليه والا كنتم من الهالكين فقال الأمير أبو عبيدة رضي الله عنه أما ما ذكرت من عساكر الروم انهم لا يفرون ولا ينهزمون فلو رأت الروم أشفار سيوفنا هربت ناكصة على أعقابها وأما قولك وتهويلك لنا بكثرة عددكم فقد رأيت قلتنا وضعف أجسامنا كيف لقينا جموعكم وكثرتها وعظم عددها وسلاحها وأحب الاشياء الينا يوم مشاجرتكم بالحرب والقتال حتى يعرف من الذي يثبت للحرب فلما سمع جرجير كلام الامير أبي عبيدة التفت الى رجل من أصحابه يقال له يهيل فقال يا يهيل الملك هرقل كأنه أعرف بهؤلاء العرب منا ثم ألوى رأس جواده ورجع الى ماهان وأخبره بما قال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه فقال يا ماهان أدعيتهم الى الموعد فقال لا وحق المسيح اني لم أفاتحه في شيء من ذلك لكن أبعث لهم بعض العرب المتنصرة فان العرب يميل بعضهم الى بعض قال فعندها دعا ماهان بجبلة بن الايهم الغساني وقال يا جبلة اخرج الى هؤلاء وخوفهم من كثرتنا وتواتر عددنا وألق في قلوبهم الرعب وأحط بهم مكرك قال فخرج جبلة ابن الايهم وسار حتى قرب من عساكر المسلمين ونادى برفيع صوته يا معاشر العرب يخرج الى رجل من ولد عمرو بن عامر لأخاطبه بما أرسلت به فلما سمع الامير أبو عبيدة

رضى الله تعالى عنه كلام جبلة بن الايهم قال قد بعث اليكم القوم بأبناء جنسكم يريدون الخديعة بصلة الرحم والقرابة فابعثوا اليه رجلا من الانصار من ولد عمرو بن عامر فأسرع اليه بالخروج عبادة بن الصامت الخزرجي رضى الله تعالى عنه وقال لابى عبيدة رضى الله تعالى عنه أيها الامير أنا أخرج اليه وأنظر ماذا يقول فأجيبه عنه ثم خرج عبادة نحوه بجواده الى أن وقف امام جبلة بن الايهم فنظر جبلة الى رجل أسمر طويل عميق السمرة كأنه من رجال شنوءة فهابه ودخل الرعب فى قلبه من عظيم خلقته وكان عبادة بن الصامت بن الخطاط رضى الله تعالى عنه فقال له جبلة يافتى من أى الناس أنت فقال عبادة أنا من ولد عمرو بن العاص فقال جبلة حييت أبيت فمن أيها أنت فقال أنا عبادة بن الصامت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسأل عما تريد فقال جبلة يا ابن العم انما اخرجت اليكم لانى أعلم ان أكثركم من الرحم والقرابة فخرجت اليكم ناصحا ومشيرا واعلم ان هؤلاء القوم الذين قد نزلوا بارضكم معهم جنود لا قبل لكم بها وحلها عساكر وحصون وقلاع وأموال ولا تقولوا كسرناهم وهزمنا عساكر الروم واعلم ان الحرب دول وسجال وان هزمو كم هؤلاء القوم لا يكون لكم ملجأ غير الموت وهؤلاء القوم ان انهزموا يرجعون الى بلادهم وعساكرهم والخزائن والحصون وما قد نلتم بيلا فحدوه وامضوا الى بلادكم سالمين قال عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه ياجبلة أما علمت مالقينا من جموعكم المتقدمة بأجنادين وغيرها وكيف نصرنا الله عليكم وهرب طاغيتكم ونحن نعلم أنه من بقى من جموعكم قد تيسر علينا أمره ونحن لا نخاف ممن يقدم علينا من جموعكم وقد ولغنا فى الدماء فلم نجد أحلى من دماء الروم وأنا ياجبلة أدعوك الى دين الاسلام وتدخل مع قومك فى ديننا وتكون على شرفك فى الدنيا والآخرة ولا تكن تابع علج من علوج الروم تفديه بنفسك من المهالك وأنت رجل من سادات العرب وملوكهم وان ديننا ظاهر أوله وآخره يظهر كما ظهر أوله فاتبع سبيل من أناب الى الحق وصدق به وقل لا اله الا الله محمد رسول الله اللهم صل عليه وعلى آله وصحبه وسلم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فغضب جبلة بن الايهم من كلام عبادة بن الصامت فقال لست مفارقا دينى فقال عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه فان أبيت ما كنت عليه من الكفر فاياك ان تلقانى فى الوعيد الاول فان لنا وقعة عظيمة فان أخذتك شفار سيوفنا فلا تتخلص من شفارها ودعنا وعساكر الروم فهم أهون علينا فان أبيت الاما أنت عليه حل بك مثل مايحل بهم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فغضب جبلة بن الايهم وقال عبادة تخوفنى من سيوفكم أما نحن عرب مثلكم رجل

لرجل فقال عبادة بن الصامت قد علمنا انك انما خرجت الينا مخادعا ومغبنا واسنا كأنتم يا ويلكم نحن على قلتنا نوحد ربنا ونتبع سنة نبينا محمد وان وراءنا عساكر تملا الاقطار وتسد الاقفار فقال جبلة لست أعرف وراءكم جيشا غير هذا الجيش ولا فيهم من ينصركم غيرهم فقال عبادة بن الصامت كذبت والله يا ابن الايهم فى قولك وان وراءنا رجالا أنجادا وأبطالا شدادا يرون الموت مغنما والحياة مغرما كل واحد بنفسه يلقى جيشا حافلا يا ويلك أنسيت عليا وسطوته وعمر وشدته وعثمان وبراعته والعباس وبطعنه والزبير مع ما يجتمع اليهم من فرسان المسلمين من مكة والطائف واليمن وغير ذلك قال فلما سمع جبلة ذلك من كلام عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه قال يا ابن العم أنا ما خرجت الا أريد النصيحة لكم فان أبيتم ذلك فاسأل قومك يجيبونا الى الصلح فقال عبادة بن الصامت لا صلح بيننا الا باداء الجزية أو الاسلام أو السيف حكم بيننا وبينكم والله لولا أن الغدر يقبح بنا العلوتك بسيفى هذا فلما سمع جبلة كلام عبادة وانه قد حاف عليه فى الكلام لم يرد عليه جوابا غير أنه أثنى رأس جواده وأتى الى ماهان فزعا مرعوبا وقد امتلأ قلبه رعبا من كلام عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه فلما وقف بين يدى ماهان تبين فى وجهه الجزع والفزع فقال لجبلة ما وراءك فقال أيها الملك انى خوفت وأرعبت ومشيت فكان ذلك كله عندهم بالسوى وقالوا ما بيننا الا الحرب والقتال فقال له ماهان فما هذا الفزع الذى أراه فى وجهك وما هم عرب مثلكم وأنتم عرب مثلهم وقد بلغنى انهم ثلاثون ألف فارس وأنتم ستون ألف فارس أن يقاتل الرجلان منكم الرجل الواحد منهم دونك يا جبلة فسر أنت وابن عمك من العرب المتنصرة الى قتالهم وأنا وراءكم فان ظفرتم بهم كان الملك مشتركا بيننا وبينكم وتكونون أقرب الناس الينا ويسلم اليكم ما فتحوه العرب من بلاد الشام (قال الواقدى) وجعل ماهان يرغب جبلة فى العطاء ويلينه ويحرضه على القتال للمسلمين حتى أجابه الى ذلك وأخبر قومه وبنى عمه من بنى غسان ولخم وجرام وغيرهم من العرب المتنصرة وأمرهم باخذ الاهبة للحرب والقتال ففعل القوم ذلك وركبوا فى سابغ الحديد والزرد النضيد وهم ستون ألف فارس ما يخالفهم من غير العرب أحد يقدمهم جبلة بن الايهم وعليه درع من الذهب الاحمر متقلد بسيف من عمل التبابعة وعلى رأسه الراية التى عقدها له الملك هرقل فسار جبلة نحو الصحابة فى ستين ألف فارس حتى أشرف على عساكر المسلمين وأبو عبيدة رضى الله عنه يتحدث مع عبادة بن الصامت بما جرى بينه وبين جبلة بن الايهم اذ أشرفت عليهم العرب المتنصرة فلما رآهم المسلمون صاح بعضهم على بعض يا معاشر المسلمين قد أقبلت عليكم العرب

المتنصرة الى قتالكم فما أنتم قائلون قالوا نقاتلهم ونرجو من الله تعالى النصر عليهم والمعونة على غيرهم وهموا بالحملة فصاح عليهم خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه وقال اصبروا رحمكم الله ولا تعجلوا حتى أكيدهم بمكيدة يكون بها فقال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه أيها الأمير ان القوم قد استعانوا علينا بالعرب المتنصرة وهم أضعاف عددنا وان نحن قاتلناهم بجمعنا كله كان ذلك وهنا منا وضعفا وأريد ان أبعث لهم رجالا من بني عمهم يكلمونهم في شأن ردهم عنا فان فعلوا كان ذلك كسرة لهم وللمشركين ووهنا عظيما وان أبوا الا الحرب وا قتال خرج منا نفر يسير يردونهم على أعقابهم بعزة الله عز وجل قال فتعجب أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه وقال يا أبا سليمان إعمل ما تريد فعند ذلك دعا خالد بن الوليد بقيس بن سعيد وعبادة بن الصامت الخزرجي وجابر بن عبد الله وأبي أيوب بن خالد بن يزيد رضوان الله عليهم اجمعين فلما وقفوا بين يديه قال لهم يا انصار الله تعالى ورسوله هؤلاء العرب المتنصرة يريدون قتالكم وهم غسان ولخم وجزام وهم بنو عمكم في النسب فاخرجوا اليهم وخاطبوهم واجتهدوا في ردهم عن حربكم وقتالكم فان فعلوا ذلك والا أخذهم السيف منا ومنكم وكان القتال لهم كفؤا (قال الواقدي رحمه الله تعالى) فخرج أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العرب المتنصرة فوجدوا جبلة بن الايهم قد نزل بازاء المسلمين يريد حربهم وقتالهم فلما قربوا من بني غسان نادى جابر بن عبد الله وقال يا معاشر العرب من لخم وغسان وجزام انسابكم وعمكم ونريد الدنو اليكم قال فأذن لهم جبلة بالدنو اليه فدخلوا عليه فاذا هو في مضرب من الديباج وقد فرش بالحرير الاصفر وهو جالس وحوله ملوكه وملوك الجفنة فحيا بتحية ملوك العرب فرفع جبلة أقدارهم وأدنى مزارهم وقال يا بني العم انتم من الرحم ومن القرابة واني خرجت اليكم من جهة هذا الجيش الذي يرهقكم فخرج الى رجل منكم فافرط علي في المقال فما الذي أتى بكم الى فكان أول من كلمه جابر بن عبد الله وقال يا ابن العم لا تأخذ علينا فيما نتكلم به مساحبنا فان ديننا لا يقوم الا بالحق والنصيحة وان النصيحة لك منا واجبة لانك ذو قرابة ورحم وقد أتيناك ندعوك الى دين الاسلام وتكون من أهل ملتنا ويكون لك ما لنا وعليك ما علينا فان ديننا شريف ونبينا ظريف فقال ما أحب ذلك غير اني متين بديني وأنتم يا معاشر الاوس والخزرج رضيتم لانفسكم أمرا ونحن رضينا لانفسنا أمرا لكم دينكم ولنا ديننا فقال له الانصار ان كان ما تحب ان نفارق دينكم الذي انت عليه فاعتزل عن قتالنا لننظر ان تكون العاقبة والغلبة فان كانت لنا وأردت الدخول في ديننا قبلناك وكنت منا وأخانا وان أقمت على دينك قنعنا منك

بالجزية وأقررناك على بلدك وفي مواطن كثيرة من آبائك وأجدادك فقال جبلة أخشى ان تركت حربكم وقتالكم وكانت الدائرة للقوم لا آمن ان يتقوى على بلدى لان الروم لا ترضى منى الا أن أكون مقاتلا لكم وقد رأسوني على جميع العرب وأنا لو دخلت دينكم كنت دينا لا اتبع ولا أتبع فقال الانصار فان أبيت ما عرضناه عليك فان ظفرنا بك قتلناك ولكن بيننا وبينهم متصل فاعتزل عنا وعن سيوفنا فانها تفلق الهام وتبرى العظام فتكون الوقعة بغيرك أحب الينا من الوقعة بك وبمن معك قال وكانت الانصار يريدون بهذا الكلام تخويفه وترغيبه كى ينصرف عنهم وجبلة يأبى ذلك وقال وحق المسيح والصليب لابد ان أقاتل عن الروم ولو كان لجميع الاهل والقرابة فقال له قيس بن سعيد ياجبلة أبيت الا أن يحتوى الشيطان على قلبك فيهوى بك في النار فتكون من الهالكين وانما أتينا لندعوك الى دين الاسلام لان رحلك متصل برحنا فان أبيت فستعاين منا حربا شديدا يشيب فيه الطفل الصغير ثم وثب قيس بن سعيد وقال لقومه امضوا على بركة الله تعالى وعونه وحسن طلعته فبعدا وسحقا فقام جبلة فاستعد للقتال عدته قال فركبوا الانصار خيولهم ورجعوا الى الامير أبو عبيدة وخالد بن الوليد رضى الله تعالى عنهما وأعلموهم بمقالة جبلة وانه ما يريد الا القتال فقال خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه أبعده الله تعالى فوعيش عاش فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين لينظرن منا جبلة ما ينظر ثم قال خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه اعلموا معاشر المسلمين ان القوم في ستين ألف فارس من العرب المتنصرة وهم حزب الشيطان ونحن ثلاثون ألف فارس من حزب الرحمن ونريد ان نلقى هذا الجمع الكبير فان قاتلنا جبلة بجمعنا كله كان ذلك وهنا منا ولكن ننتدب منا أبطالا ورجالا الى قتال هؤلاء العرب المتنصرة فقال أبو سفيان صخر بن حرب لله درك يا أبا سليمان فلقد أصبت الرأى فاصنع ما تريد وخذ من الجيش ما أحببت فقال انى قد رأيت من الرأى ان ننتدب من جيشنا ثلاثين فارسا فيلقى كل واحد ألفى فارس من العرب المتنصرة. (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلم يبق أحد من المسلمين الا عجب من مقالة خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه وظنوا انه يمزح بمقالته وكان أول من خاطبه في ذلك أبو سفيان صخر بن حرب وقال يا ابن الوليد هذا الكلام منك جدا أو هزلا فقال خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه لا وعيش عاش فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قلت لاحد افقال أبو سفيان فتكون مخالفا لامر الله تعالى ظالما لنفسك وما أظن ان لك في هذا المقالة مساعدا ولو قاتل الرجل منا مائتين كان ذلك أسهل من قولك يقاتل الرجل منا ألفين وان الله عز وجل رحيم بعباده فرض علينا ان

الرجل ما يقاتل الرجلين والمائة والمائتين والالف والالفين وأنت تقول ثلاثون رجلا منا تلقى الستين ألف فارس فما يجيبك أحد الى ذلك وان أجابك رجل لما قلته فانه ظالم لنفسه معين على قتله فقال خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه يا أبا سفيان كنت شجاعا فى الجاهلية فلا تكن جبانا فى الاسلام وانظر لمن انتخب من رجال المسلمين وأبطال الموحدين فانك اذا رأيتهم علمت أنهم رجال قد وهبوا أنفسهم لله عز وجل وما يريدون بقتالهم غير الله تعالى ومن علم الله عز وجل ذلك من ضميره كان حقيق على الله ان ينصره ولو سلك مقطعات النيران فقال أبو سفيان يا أبا سليمان الامر كما ذكرت وما أردت بقولى الاشفقة على المسلمين فان قد صح عزمك على ذلك فاجعل القوم ستين رجلا ليقاتل الرجل منهم ألف فارس من العرب المتنصرة فقال الامير أبو عبيدة رضى الله عنه نعم ما أشار به أبو سفيان يا أبا سليمان فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه والله يا أيها الامير ما أردت بفعلى هذا الا مكيدة لعدونا لانهم اذا رجعوا الى أصحابهم منهزمين بقوة الله عز وجل ويقولون لهم من لقيكم فيقولون لقينا ثلاثون رجلا فيداخلهم الرعب ما ويعلم ماهان ان جيشنا كهؤلاء فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه ان الامر كما ذكرت الا انه اذا كان ستون رجلا ما يكونون عصبة ومعينا بعضهم بعضا فقال خالد رضى الله تعالى عنه أنا أنتدب من المسلمين رجالا أعرف صبرهم وقرارهم واقدامهم فى الحرب وأعرض عليهم هذه المقالة فان أحبوا لقاء الله ورغبوا فى ثواب الله عز وجل فانهم يستجيبون الى ذلك وان أحبوا الحياة الدنيا والبقاء فيها ولم يكن فيهم من يطيب نفسه للموت فيا خالد الا أن يبذل مهجته لله عز وجل والله الموفق لما يحبه ويرضاه قال أبو عبد الله حدثنا عمرو بن سالم عن جده يربوع بن عدى قال كنت بين يدى خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه وقد دعا بستين رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأول من دعا به خالد بن الوليد قال أين عمر التميمى أين شرحبيل بن حسنة كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم أين خالد بن سعيد ابن العاص أين يزيد بن أبى سفيان الاموى أين صفوان بن أمية الجمحى أين سهل بن عمر العامرى أين ضرار بن الازور الكندى أين رافع بن عميرة الطائى أين يزيد الخيل أبيض الركابين أين حذيفة بن اليمانى أين قيس بن سعيد أين كعب بن مالك الانصارى أين سويد بن عمر الغنرى أين عبادة بن الصامت أين جابر بن عبد الله أين أبو أيوب الانصارى أين عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهم أجمعين أين عبد الله بن عمر بن الخطاب أين العدوى أين رافع بن سهل أين يزيد بن عامر أين عبيد بن أوس أين مالك بن نصر أين نصر بن الحارث أين عبد الله بن ظفر أين أبو

لبابة بن المنذر أبن عوف أبن عابس بن قيس أبن عبادة بن عبد الله الانصاري أبن رافع بن غصرة أبن عبيد بن عبد الله أبن معقب بن قيس أبن هلال بن انصابر يوم أحد وقد ذكرهم الله تعالى في كتابه فان تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين أبن أسيد الساعدي أبن كلال بن الحارث المازني أبن حمزة بن عمر الاسلمي أبن يزيد بن عامر (قال الواقدي رحمه الله تعالى) وقد سمى خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه الرجال الذين دعاهم لقتال جبلة بن الايهم الا اني اختصرت في ذكرهم وقدمت ذكر الانصار رضي الله تعالى عنهم لان خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه انتخب أكثر الرجال من الانصار فلما كثر النداء فيهم قالت الانصار ان خالد اليوم يقدم ذكر الانصار ويؤخر المجاهدين من ولد المغيرة بن قصي ويوشك انه يختبرهم أو يقدمهم للمهالك ويشفق على ولد المغيرة (قال الواقدي رحمه الله تعالى ورضي عنه) فلما سمع خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه ذلك من قولهم أقبل يخط بجواده حتى توسط جميع الانصار وقال لهم والله يا أولاد عامر ما دعوتكم الا لما ارتضيته منكم وحسن يقيني بكم وبايمانكم فأنتم من رسخ الايمان في قلبه فقالوا انك صادق في قولك يا أبا سليمان ثم صافحه القوم (قال الواقدي رحمه الله تعالى) فلما انتخب خالد بن الوليد من فرسان المسلمين ستين رجلا كل واحد منهم يلقى جيشا بنفسه قال لهم خالد بن الوليد رضي الله عنه يا أنصار الله ما تقولون في الحملة معي على هذا الجيش الذي قد أتى يريد حربكم وقتالكم فان كان لكم صبر والله أيدكم بنصره مع صبركم وهزمتم هؤلاء العرب المتنصرة فاعلموا انكم بجيش الروم غالبون فاذا هزمتم هؤلاء العرب ووقع الرعب في قلوبهم فينقلبوا خاسرين فقالوا يا أبا سليمان افعل بنا ما تريد والق ما تشاء فوالله انقاتلن أعداءنا قتال من ينصر دين الله ونتوكل على الله تعالى وقوته ونبذل في طلب الآخرة مهجتنا فجزاهم خالد بن الوليد رضي الله عنه خيرا وكذلك الامير أبو عبيدة رضي الله عنه وقال لهم تأهبوا رحمكم الله وخذوا أسلحتكم وعدتكم وليكن بالسيف ولا يأخذ أحد منكم رمحا فان الرمح خوان ربما زاغ عن الطعن ولا تأخذوا السهام فانها مانيا متحصنة منها المخطي ومنها المصيب والسيف والجحف عليها تدور دوائر الحرب واركبوا خيولكم السبق النواجي ولا يركب الرجل منكم الا جواده الذي يذل به وتواعدوا ان الملتقى عند قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم قال فقدموا على أهاليهم وودعوهم فاما ضرار بن الازور فانه عمد الى خيمته ليستعد بما يريد ويسلم على أخته خولة رضي الله تعالى عنها بنت الازور فلما لبس لامة حربه قالت له أخته خولة يا أخي مالي أراك تودعني وداع من أيقن بالفراق اخبرني بما قد عزمت عليه فأخبرها

ضرار بما قد عزم عليه وانه يريد يلقى العدو مع خالد بن الوليد رضي الله عنه فبكت خولة وقالت يا أخي افعل ما تريد أن تفعل والق عدوك وأنت مؤمن بالله تبارك وتعالى فانه لكم ناصر وان عدوك لا يقرب اليك أجلا بعيدا ولا يبعد عنك أجلا قريبا فان حدث عليك حدث أو لحقك من عدوك نائبة والله العظيم شأنه لا هدأت خولة على الارض أو تأخذ بثارك وبكى ضرار بن الازور لبكائها واستعد آلة الحرب وكذلك الستون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يناموا طول ليلتهم حتى ودعوا أولادهم وأهاليهم وباتوا في بكاء وتضرع وهم يسألون الله تعالى النصر على الاعداء الى أن أصبح الله بالصباح فصلى بهم الامير أبو عبيدة رضي الله عنه صلاة الفجر فلما فرغ من صلاته كان أول من أسرع الى الخروج خالد بن الوليد رضي الله عنه وحرض أصحابه على الخروج وهو ينشد ويقول

ثم هبوا جميعا اخوتي أرواحا * نحو العدو نبتغي الكفاحا
نرجو بذلك الفوز والنجاحا * اذا بذلنا دونه أرواحا
ويرزق الله لنا صلاحا * بالنصر في الغدو والرواحا

(قال الواقدي رحمه الله تعالى) وأنشد بيتا آخر لم ندر ما هو وخرج امام المسلمين وأصحابه يتقدمون اليه واحدا بعد واحد حتى اجتمع اليه الستون رجلا الذي انتخبهم وكان آخر من أقبل عليه الزبير بن العوام رضي الله عنه ومعه زوجته أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهي سائرة الى جانب أخيها عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهي تدعو لهم بالسلامة والنصر وهي تقول لاخيها يا أخي لا تفارق ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الحملة اصنع كما يصنع ولا تأخذكم في الله لومة لائم قال وودع المسلمون الستين أصحابهم وساروا أجمعهم وخالد بن الوليد رضي الله عنه في أوساطهم كأنه أسد قد أفترس في غابه الاسود ولم يزالوا حتى وقفوا ازاء العرب المتنصرة (قال الواقدي رحمه الله تعالى) ونظرت العرب المتنصرة الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أقبلوا نحوهم وهم نفر يسير فظنوا انهم رسل يطلبون الصلح والمواعدة فصاح جبلة بالعرب المتنصرة وحرضهم ليرهب على المسلمين ونادى يا آل غسان اسرعوا الى نصرة الصليب وقاتلوا من كفر به فبادروا بالاجابة وأخذوا الاهبة للحرب ورفعوا الصليب واصطفوا للقتال وقد طلعت الشمس على لامة الحرب فلمع شعاعها على الحديد والزرد والبيض كأنها شعل نار ووقفوا ينظرون ما يصنعون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أن قاربوا من ان العرب المتنصرة ونادى خالد بن الوليد رضي الله عنه يا عبدة الصلبان ويا أعداء الرحمن

علم انهم ما خرجوا الى الحرب والطعان فلما سمع جبلة كلام خالد رضى الله عنه علم انهم ما خرجوا رسلا وانما خرجوا للقتال فخرج جبلة من بين أصحابه وقد اشتهر بلامة حربه وهو يقول

نحن المعظمة للصليب * ومن به تسطوا على من عاندنا بغيا لنا
علونا حقيقا بالمسيح وأمه * والحرب تعلم انها ميراثنا
انا خرجنا والصليب امامنا * لكى تبدد شملكم رجالنا

ثم قال جبلة من الصائح بنا والمستنهض لنا فى قتالنا فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه أنا فاخرج الى حومة الحرب فقال جبلة نحن قد رتبنا أمورنا لحربكم وقتالكم وأنتم تتربصون عن قتالنا فوحق المسيح لا أجبناكم الى الصلح أبدا فارجعوا الى قومكم واخبروهم انما ما نريد الا القتال قال فأظهر خالد التعجب من قوله وقال له يا جبلة أتظن اننا خرجنا رسلا اليك فقال جبلة أجل فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه لا تظن ذلك أبدا فوالله ما خرجنا الا لحربكم وقتالكم فان قلتم اننا شرذمة قليلة فان الله ينصرنا عليكم فقال جبلة يا فتى قد غررت بنفسك وبقومك اذ خرجت الى قتالنا ونحن سادات غسان ولخم وجزام فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه لا تظن ذلك وانما منفردون فقتالكم رجل منا الالف منكم وتخلف منا رجال هم أشهى الى الحرب من العطشان الى الماء البارد فقال جبلة يا أخى بنى مخزوم لقد كنت أفضلك فى عقلك وأروم بك مرام الابطال حتى سمعت منك هذا الكلام انك أنت وستون رجلا ترومون قتالنا ونحن سادات غسان وأبطال الزمان ها أنا أحمل بهذه الستين ألف فارس فلا يبقى منكم أحد ثم صاح جبلة بقومه يا آل غسان الحملة فلما سمعوا كلام سيدهم حملت الستون ألف فى وجه خالد بن الوليد والستين رجلا فثبت لهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتبك الحرب بينهم فما كنت تسمع الا همهمة الرجال وزمجرة الابطال ووقع السيف على البيض الصقال حتى ما ظن أحد من المسلمين ولا من المشركين ان خالدا ومن معه ما ينجو منهم أحد فبكى المسلمون وأخذهم القلق على اخوانهم وجعل بعضهم يقول لقد غر خالد بن الوليد بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهلكهم والروم تقول ان جبلة أهلك هؤلاء القوم فهؤلاء العرب حاصل بأيدينا لا محالة ولم يزل القوم فى الحرب والقتال حتى قامت الشمس فى كبد السماء قال عبادة بن الصامت ولله در خالد بن الوليد رضى الله عنه والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما والفضل بن العباس وضرار بن الازور وعبد الله بن عمر بن الخطاب رضوان الله عليهم أجمعين لقد رأيت هؤلاء الستة وقد أقرنوا منا كبهم فى الحرب وجعل

بعضهم بعضى بعض وهم لا يفترقون وزادت الحرب اشتعالا وخرقت الاسنة صدور الليوث حتى بلغت الى خزائن القلوب لانقطاع الآجال ولم يزالوا فى القتال الشديد الذى ما عليه من مزيد قال عبادة بن الصامت فحملت معهم وكنت فى جملتهم وقلت يصيبنى ما أصابهم ونادى خالد بن الوليد وقال يا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا هذا المحشر وقد أعطى خالد القلب منا وتلاحى بينهم القتال حمل خالد بن الوليد وهاشم والمرقال وتكاثرت عليهم الرجال فلله در الزبير بن العوام والفضل بن عباس وهم ينادون اقرحوا يا معاشر الكلاب وتباعدوا عن الاصحاب نحن الفرسان هذا الزبير بن العوام وأنا الفضل بن العباس أنا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبادة بن الصامت رضى الله عنه فوحق رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أحصيت للفضل بن العباس عشر بن حملة يحملها عن خالد بن الوليد حتى أزال عنه الرجال والابطال وحملوا على المشركين حملة عظيمة ولم يزالوا فى القتال يومهم الى أن جنحت الشمس الى الغروب والمسلمون قد أجهدهم القلق على اخوانهم فأما الامير أبو عبيدة رضى الله عنه فانه صاح بالمسلمين وقال يا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هاك خالد بن الوليد ومن معه لا محالة وذهبت فرسان المسلمين فاحملوا بارك الله فيكم لننظر ما كان من أمر اخواننا فكل أجاب الى قوله واشارته الا أبا سفيان صخر بن حرب رضى الله عنه فانه قال للامير أبى عبيدة رضى الله عنه لا تفعل أيها الامير فانه لا بد للقوم أن يتخلصوا ونرى ما يكون من أمرهم قال فلم يلتفت أبو عبيدة رضى الله عنه الى كلامه وهم أن يحمل وقد أخذه القلق فبينما هو كذلك واذا بجيش العرب المتنصرة منهزمون وأصوات الصحابة رضى الله عنهم قد ارتفعت بالتهليل والتكبير كل ينادى لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله والعرب المتنصرة منهزمة على أعقابها كأنما صاح بهم صائح من السماء فبدد شملهم وأقبل خالد بن الوليد من وسط المعمعة يلتهب بما لحقه من التعب وكذا أصحابه الذين كانوا معه قال وان خالد بن الوليد افتقد أصحابه الستين رجلا فلم يجد منهم الا عشرين فجعل يلطم على وجهه وهو يقول أهلكت المسلمين يا ابن الوليد فما عذرك غدا عند الرحمن وعند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فبينما هو مفكر فى ذلك اذ أقبل عليه الامير أبو عبيدة رضى الله عنه وفرسان المسلمين وأبطال الموحدين فنظر أبو عبيدة رضى الله عنه الى خالد بن الوليد وما يصنع بنفسه وقد اشتغل عن متابعة المشركين فقال أبو عبيدة يا أبا سليمان الحمد لله على نصر المسلمين ودمار المشركين فقال خالد بن الوليد اعلم أيها الامير ان الله قد هزم الجيش ولكن أعقبتك الفرحة قرحة فقال أبو عبيدة رضى الله عنه وكيف

ذلك فقال خالد أيها الامير فقدت أربعين رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيهم الزبير بن العوام بن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم الفضل بن
العباس وجعل خالد بن الوليد رضى الله عنه يسمى فرسان المسلمين واحدا بعد واحد
حتى سمى أربعين رجلا فاسترجع أبو عبيدة رضى الله عنه وقال لاحول ولاقوة الا بالله
العلى العظيم وقال لخالد لا بدلي أن يعلمك بهلاك المسلمون فقال سلامة بن الاحوص السلمى
أيها الامير دونك والمعركة فاطلب فيها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فان رأيتموهم والا فالقوم فى الاسرى أو قد تبعوا المشركين فأمر أبو عبيدة فاتوا بهوادى
النيران وكان الظلام قد اعتكر فافتقدوا المعركة بين القتلى فاذا قتل من العرب المتنصرة
خمسة آلاف فارس وسيدان من ساداتهم وهما رفاعة بن مطعم الغسانى والآخر
شداد بن الاوس ووجدوا قد قتل من المسلمين عشرة رجال منهم اثنان من الانصار
أحدهما عامر الاوسى والآخر سلمة الخزرجى فقال أبو عبيدة رضى الله عنه يوشك
أن بعض الصحابة قد تبع المشركين فقال أبو عبيدة رضى الله عنه اللهم ائتنا بالفرج
القريب ولا تفجعنا بابن عمة نبيك الزبير بن العوام ولا بابن عمك الفضل بن العباس ثم
قال أبو عبيدة معاشر المسلمين من يقف لنا أثر القوم ويتعرف خبر الصحابة وأجره على
الله عز وجل فكان أول من أجابه خالد بن الوليد رضى الله عنه فقال له الامير أبو عبيدة
لا تفعل يا أبا سليمان لانك تعبان من شدة الحرب فقال خالد والله لا يمضى فى طلبهم
غيرى ثم غير جواده بفرس من خيول المسلمين وهو فرس حازم بن جبير بن عدى بن بنى
النجار فركبه خالد بن الوليد رضى الله عنه وطلب آثار القوم وتبعه جماعة من المسلمين
فما سار خالد غير بعيد حتى سمع خالد التهليل والتكبير فأجابهم بمثله فأقبل القوم
وفى أوائلهم الزبير بن العوام والفضل بن العباس وهاشم المرقال فلما نظر خالد اليهم
فرح فرحا شديدا ورحب بهم وسلم عليهم وقال خالد بن الوليد رضى الله عنه للفضل بن
العباس يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان أمركم فقال يا أبا سليمان
هزم الله المشركين وردهم على أدبارهم مدبرين فتبعنا آثارهم وان رجالا منا أسروا
فرجونا خلاصهم فلم نرهم ولا شك انهم قتلوا فقال خالد رضى الله عنه ان القوم
فى الاسر لا محالة فقال له الزبير بن العوام من أين علمت ذلك يا أبا سليمان فقال خالد
رضى الله عنه انا لم نجد فى المعركة غير عشرة رجال ونحن عشرون وأنتم خمسة وعشرون
وقد أسر خمسة رجال لا محالة وكانت الاسرى رافع بن عميرة وربيعة بن عامر وضرار بن
الازور وعاصم بن عمرو ويزيد بن أبى سفيان فعظم ذلك على المسلمين ورجعوا الى أبى
عبيدة رضى الله عنه فلما نظر الى الفضل بن العباس والى الزبير بن العوام والمرقال بن

هاشم وقد رجعوا سالمين فرحين بما نصرهم الله على الكافرين سعيد على قربوس سرجه شكر الله تعالى فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه معاشر المسلمين لقد ابدأت مهجتى أن أقتل فى سبيل الله تعالى فلم أرزق الشهادة فمن قتل من المسلمين كان أجله قد حضر ومن أسر كان خلاصه على يدى ان شاء الله تعالى قال وباتت الفرسان فى فرح وسرور وباتت الروم فى نوح عظيم حتى كسرت حامية عسكرهم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى من أثق به ان الامير أبا عبيدة رضى الله عنه لما نظر الى عساكر الروم معولة على قتاله كتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من أبى عبيدة عامر بن الجراح عامله سلام عليك فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم واعلم يا أمير المؤمنين ان كلب الروم هرقل قد استغذ علينا كل من يحمل الصليب وقد سار القوم الينا كالجراد المنتشر وقد نزلنا باليرموك بالقرب من أرض الرمادة والخولان والعدو فى ثمانمائة ألف مقاتل غير التبع وفى مقدمهم ستون ألفا من العرب المتنصرة من غسان ولخم وجذام فأول من لقينا جبلة بن الايهم فى ستين ألف فارس وأخرجنا اليه ستين رجلا فهزم الله تعالى المشركين على أيديهم وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم وقتل من أصحابنا عشرة رجال وهم رافلة وجعفر بن المسيب ونوفل بن ورقة وقيس بن عامر وسلامة بن سلامة الخزرجى وأسر منهم خمسة رجال وهم رافع بن عميرة وربيعة بن عامر وضرار بن الازور وعاصم بن عمرو ويزيد بن أبى سفيان ونحن على نية الحرب والقتال فلا تغفل عن المسلمين وأمددنا برجال من الموحدين ونحن نسأل الله تعالى أن ينصرنا وينصر الاسلام وأهله والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته وطوى الكتاب وسلمه الى عبد الله بن قرط الازدى وأمره أن يتوجه الى مدينة يثرب قال عبد الله بن قرط فركبت من اليرموك يوم الجمعة فى الساعة بعد العصر وقد مضى من شهر ذى الحجة اثنى عشر يوما والقمر زائد النور فوصلت يوم الجمعة فى الساعة الخامسة والمسجد قد غص بالناس فأنخت ناقتى على باب جبريل عليه السلام وأتيت الروضة وسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وصليت فيها ركعتين ونشرت الكتاب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال فضجت المسلمون عند رؤيته وتطاولت الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقبلت يديه وسلمت عليه فلما فتح عمر الكتاب انتقع لونه وتزعزع كونه وقال انا لله وانا اليه راجعون فقال عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب والعباس وعبد الرحمن بن عوف وطلحة وغيرهم من الصحابة يا أمير المؤمنين أطلعنا على ما فى هذا الكتاب من أمر اخواننا المسلمين

فقام عمر رضي الله عنه ورقي المنبر خطيبا وقرأ الكتاب على الناس فلما سمعوا ما فيه
ضجوا بالبكاء شوقا الى اخوانهم وشفقة عليهم وكان أكثر الناس بكاء عبد الرحمن بن
عوف رضي الله عنه وقال يا أمير المؤمنين ابعث بنا اليهم ولو قدمت أنت الى الشام لشد
بك ظهور المسلمين فوالله ما أملك الا نفسي ومالي وما أبخل بهما على المسلمين قال فلما سمع
عمر بن الخطاب كلام عبد الرحمن بن عوف ونظر الى اشفاق المسلمين وجزعهم على
اخوانهم أقبل على عبد الله وقال يا ابن قرط من المقدم على عساكر الروم فقلت خمسة
بطارقة أحدهم ابن أخت الملك هرقل وهو فورين والد بربان وقناطر وجرجير ومعهم لباسهم
تحت صليب ماهان الارمني وهو الملك على الجميع وجبلة بن الايهم الغساني مقدم على
ستين ألف فارس من العرب المتنصرة فاسترجع عمر وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم ثم قرأ عمر يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون
ثم قال ما تشيرون به علي رحمكم الله فقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه أبشروا رحمكم
الله تعالى فان هذه الوقعة يكون فيها آية من آيات الله تعالى يختبر بها عباده المؤمنين
لينظر أفعالهم وصبرهم فمن صبر واحتسب كان عند الله من الصابرين واعلموا ان هذه
الوقعة هي التي ذكرها الي رسول الله صلى الله عليه وسلم التي يبقى ذكرها الى الابد هذه
المدبرة المهلكة فقال العباس على من هي يا ابن أخي فقال يا عماه على من كفر بالله
واتخذ معه ولدا فثقوا بنصر الله عز وجل ثم قال لعمر يا أمير المؤمنين اكتب الى عاملك
أبي عبيدة كتابا واعلمه فيه ان نصر الله خير له من غوثنا ونجدتنا فيوشك انه في أمر
عظيم فقام عمر ورقي المنبر وخطب خطبة وجلت بها القلوب وذرفت منها العيون وذكر
فضل الجهاد ثم نزل وصلى بالمسلمين فلما فرغ من صلاته كتب الى أبي عبيدة كتابا يقول
فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى أمين الامة أبي عبيدة بن
الجراح ومن معه من المجاهدين والانصار سلام عليكم فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو
وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أما بعد فان نصر الله خير لكم من معونتنا
واعلموا أنه ليس بالجمع الكثير يهزم الجمع القليل وانما يهزم بما أنزل الله من النصر وأن
الله عز وجل يقول لن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين وربما
نصر الله العصابة القليلة عددها على العصابة الكثيرة وما النصر الا من عند الله وقد
قال تعالى فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر الآية فيا طوبى للشهداء ويا طوبى لمن
يتكل على الله فالق العدو بمن معك من المسلمين ولا تيأس بمن صرع من المسلمين فقد
رأيت من صرع بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما عجزوا عن عدوهم في مواطن
كثيرة حتى قتلوا في سبيل الله ولم يهابوا لقاء الموت في جنب الله تعالى بل جاهدوا

فى سبيل الله حق جهاده وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين فاذا ورد عليك كتابى هذا فاقرأه على المسلمين وأمرهم أن يقاتلوا العدو فى سبيل الله عز وجل واقرأ عليهم يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ثم طوى الكتاب وسلمه الى عبد الله بن قرط وقال له يا ابن قرط اذا أشرفت على المسلمين وقد استوى الصفوف فسر بين صفوف الموحدين وقف على أصحاب الرايات منهم وخبرانك رسولى اليهم وقل لهم ان عمر بن الخطاب يسلم عليكم ويقول لكم يا أهل الايمان أصدقوهم الحرب عند اللقاء وشدوا عليهم شد الليوث واضربوا هاماتهم بالسيوف وليكونوا عليكم أهون من الذباب فانكم المنصورون عليهم ان شاء الله تعالى ثم اقرأ عليهم الا ان حزب الله هم الغالبون قال عبد الله بن قرط قلت له يا أمير المؤمنين ادع الله تعالى لى بالسلامة والسرعة فى السير فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه اللهم احفظه وسلمه واطوله البعيد انك على كل شئ قدير قال عبد الله بن قرط وخرجت من المسجد من باب الحبشة فقلت فى نفسى لقد أخطأت فى الرأى اذ لم أسلم على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فما أدرى أراه بعد اليوم أم لا قال عبد الله فقصدت حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة رضى الله عنها جالسة عند قبره وعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه والعباس جالسان عند القبر والحسين فى حجر على والحسن فى حجر العباس رضى الله عنهم وهم يتلون سورة الانعام وعلى رضى الله عنه يتلو سورة هود فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال على رضى الله عنه يا ابن قرط عولت على المسير الى الشام فقلت نعم يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أظن ان أصل اليهم الا والجيش قد التقى والحرب دائر واذا أشرفت عليهم ولا يرون معى مددا ولا نجدة خشيت عليهم أن يهنوا ويجزعوا وكنت أحب أن أصل اليهم قبل التقائهم بعدوهم حتى أعظهم وأصبرهم فقال على رضى الله عنه فما منعك أن تسأل عمر بن الخطاب أن يدعو لك أما علمت يا ابن قرط ان دعاه لا يرد ولا يحجب وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه لو كان نبى بعدى لكان عمر بن الخطاب أليس هو الذى يوافق حكمه حكم الكتاب حتى قال المصطفى صلى الله عليه وسلم لو نزل من السماء الى الارض عذاب ما نجى منه الا عمر بن الخطاب أما علمت ان الله تعالى أنزل فيه آيات بينات أما هو الزاهد التقى أما هو العابد العدوى أما هو المشبه بنوح النبى فان كان هو قد دعا لك فقد قرن بالاجابة فقال عبد الله بن قرط ما ذكرت شيأ الا وأنا عارف به من فضل عمر بن الخطاب

رضي الله عنه ولكني أردت الزيادة من دعائك ودعاء العباس بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاسيما عند قبر الرسول المعظم المكرم قال فرفع العباس رضي الله عنه يديه وعلي رضي الله عنه كذلك وقال اللهم انا نتوسل بهذا النبي المصطفى والرسول المجتبى الذي توسل به آدم فأجيبت دعوته وغفرت خطيئته الا سهلت على عبد الله طريقه وطويت له البعيد وأيدت أصحاب نبيك بالنصر انك سميع الدعاء ثم قال سر يا عبد الله يا ابن قرط فالله تعالى أكرم من أن يرد دعاء عمر وعباس وعلي والحسن والحسين وأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد توسلت اليه بأكرم الخلق عليه قال عبد الله بن قرط فخرجت من الحجرة وأنا فرح مستبشر واستويت على كور المطية وركبت الفلاة وأنا فرح بدعاء علي وعباس وعمر رضي الله عنهم أجمعين قال عبد الله خرجت من المدينة بعد العصر من يومي ذلك الذي دخلت فيه المدينة وأنا أرقب الطريق فلما اختلط الظلام وأسبل الليل سجفه أرخيت زمام المطية فحسبت انها تطير بي ولم أزل سائر الثلاثة أيام فلما كان صلاة العصر من اليوم الثالث أشرفت على اليرموك وسمعت ضجيج آذان المسلمين قال الراوي فقصدت خيمة الامير أبي عبيدة رضي الله عنه وأنخت ناقتي وسلمت عليه وذلك منذ فارقته عشرة أيام فأخبرته بدعاء عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب والعباس والحسن والحسين رضي الله عنهم فقال أبو عبيدة صدقت يا ابن قرط وانهم لكرام على الله عز وجل وان دعاهم لا يرد ثم قرأ الكتاب على المسلمين فطابت قلوبهم بذلك وقالوا أيها الامير ما منا الا من يطلب الشاهدة فالله تعالى يبلغنا اياها (قال الواقدي) حدثني عمرو بن العلاء قال حدثنا ماجد عن الثقاة قال لما سار عبد الله بن قرط من المدينة يوم الجمعة فلما كان يوم السبت وقد صلينا الصبح خلف عمر بن الخطاب ونحن نقرأ من القرآن ما تيسر اذ سمعنا ضجة عظيمة وجلبة هائلة ففزعت قلوبنا فخرجنا مبادرين واذا نحن بقوم من اليمن من صدوان وارض سبا وحضرموت وقد اجتمعوا للجهاد وهم في ستة آلاف يقدمهم جابر بن خدول الربعي فترجلت ساداتهم وسلموا على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأمرهم بالنزول فلما أقبل الظلام جاءت ألف فارس من مكة والطائف ووادي نخلة وثقيف يقدمهم سعيد بن عامر وسلموا على عمر ونزلوا بازاء أهل اليمن فلما كان يوم الاحد جمل عمر ضعيفهم وزودهم وعقد راية حمراء على قناة تامة وسلمها الى سعيد بن عامر قال سعيد بن عامر فهممت بالمسير فقال عمر على رسلك يا ابن عامر حتى أوصيك ثم أقبل عمر بن الخطاب يمشي راجلا ومعه عثمان بن عفان والعباس وعلي بن أبي طالب وعبد الرحمن بن عوف فلما قربوا من الحرب وقف عمر والناس حوله وقال لسعيد

ابن عامر ياسعيد انى وليتك على هذا الجيش ولست بخير رجل منهم الا أن تتق الله فاذا سرت فارفق بهم ما استطعت ولا تشتم أعراضهم ولا تحقر صغيرهم ولا تؤثر قويهم ولا تتبع هواك فانه ان بلغنى عنك ما تحب تقدمت منى ما تحب ولا تسألك المفاوز واقطع بهم السهل ولا ترقدهم على جادة الطريق والله تعالى خليفتى عليك وعلى من معك من المسلمين فقال له على بن أبى طالب كرم الله وجهه اسمع وصية امامك أمير المؤمنين الذى ختم الله تعالى به الاربعين وسميت به الامة مؤمنين وهو الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تطيعوه تهتدوا وترشدوا فسر ياسعيد واذا وصلت الى أبى عبيدة والتقى بكم الجيش الذى لا يلقون مثله وصعب عليكم أمره فاكتبوا الى أمير المؤمنين عمر حتى يوجهنى اليكم حتى أقلب أرض الشام على من فيها من المشركين ان شاء الله تعالى قال فسار سعيد بن عامر وهو يقول

فسير بجيش من رجال أعزة * على كل محبوك من الخيل يصبر
الى ابن جراح وصحب نبينا * لنصره والله بالدين ينصر
على كل رجيم لعين ملعن * تراه على الصلبان يحمل ويكفر

قال وسار يجد السير قال سعيد بن عامر وكنت عارفا ببلاد الشام وطرقه وكنت أسير اليه فى السنة مرة أو مرتين عسعاما من غير جادة طريق أسير على الكوا كب فلما سرت من المدينة وأنا بين يدى المسلمين وسلكت بهم على طريق بصرى فضللت عن الطريق وعدلت عن الجادة وأنا محترس من العدو وخائف على المسلمين فجعلت أحيد عن العمارات وأسلك الفلاة توفيقا من الله واكراما وانعاما بعباده المؤمنين فما صلت أشكل على الطريق كأنى ما سلكته يوما قط ووقفت متحيرا حتى لاح لى المسلمون ولم أعلمهم بأمرى ولا انى ضللت عن الطريق وأنا أقول لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فسرت يومين وليلتين وأنا أتيه بالناس والمسلمون يسألونى عن ذلك وأنا أقول لهم انى على طريق فلما كان فى اليوم العاشر من مسيرنا من المدينة اذ لاح لى جبل عظيم فنظرت اليه وحققته فلم أعرفه فعلمت انى غررت وانى بالمسلمين وأنا أقول فى نفسى أترى هذا جبل بعلبك وقد سهل علينا الطريق وكان الجبل قد لاح لنا من بعيد من أول النهار وما أدركناه الا والليل قد أقبل فلما سرنا بقربه اعترضنا واديا عظيما فيه شجرة عظيمة كبيرة قال فلما تأملت الشجرة عرفتها وقلت لاصحابى أبشروا واعلموا انا وصلنا الى بلاد الشام بفتح المسلمين الوادى وادابه وعرايس فيه جادة ولا طريق فلحق المسلمين من هوله تعب عظيم قال سعيد بن عامر وكان أكثر المسلمين رجالة وانما كان يحمل بعضهم بعضا ويعقبونه على ظهور الخيل والابل فلما نظرت المسلمون الى وحشة ذلك الوادى ومسلكه

قالوا يا سعيد انا نظن انك قد أخطأت الطريق بنا وسلكت بنا غير طريقنا فأرحنا في هذا الوادي قليلا فقد أضر بنا المسير قال فأجبتهم الى ذلك وكان في الوادي عين ماء غزير فنزل المسلمون عليها فشربوا وأسقوا خيلهم وابلهم ورعت الخيل والجمال ورق الشجر ونام أكثر الناس وبعضهم يصلي على محمد قال سعيد بن عامر وكنت جلست في آخر الناس أحرسهم وأنا أتلو القرآن العظيم وادعو الله لنا بالسلامة اذ غلبتني عيني فنمت فرأيت في منامي كأني في جنة خضراء كثيرة الاشجار والاثمار وكأني آكل من ثمرها وأشرب من أنهارها وأجني من ثمرها وأناول أصحابي وهم يأكلون وأنا فرح مسرور فبينما أنا كذلك اذ خرج من بين تلك الشجر أسد عظيم فرآني في وجهي وهم أن يفترس بي وأنا من ذلك فزع مرعوب اذ خرج على الاسد أسدان عظيمان فصرعاه في موضعه فسمعت له خوارا عظيما فانتبهت من نومي وحلاوة ذلك الثمر في في والاسود تتمثل بين يدي قال سعيد بن عامر ففسرتها انها غنيمة يأخذها المسلمون ويمنعنا منها مانع ونظفر به فقلت في نفسي الجنة هي الشهادة قال سعيد بن عامر ولم أزل جالسا أتلو القرآن وأنا قلق اذ سمعت هاتفا يهتف بي عن يمين الوادي وهو يقول

يا عصبة الهادي الى الرشاد * لا تفزعوا من هذا الواد
ما فيه من جن ولا معاد * ستعلمون يا معاشر العباد
لطف الذي يرفق بالاولاد * ويطرح المحبة في الاكباد
سيصنع الله بكهل شاد * وتغنموا المال مع الاولاد

قال سعيد بن عامر فلما سمعت شعر الهاتف وما يبشر به من الغنيمة سجدت لله تعالى شكرا واستيقظ المسلمون لصوت الهاتف قال سعيد بن عامر وكنت قد حفظت من الهاتف بيتا وحفظ سماح ثلاثة أبيات وأنشدني اياها وفرح المسلمون بما سمعوا من الهاتف وطابت قلوبهم بالغنيمة وأقام المسلمون في الوادي حتى أصبح الصباح وصلى بهم سعيد بن عامر صلاة الفجر فلما طلعت الشمس خرجت المسلمون من الوادي وحققت تلك الارض والجبل واذا به جبل الرقيم فلما رأيته عرفته فرفعت صوتي بالتكبير وقلت الله أكبر وكبرت المسلمون لتكبيري وقالوا ما الذي رأيت يا ابن عامر فقلت وصلنا الى بلاد الشام وهذا جبل الرقيم قال سعيد وأكثر من معي طامعة العرب قالوا يا سعيد وما الرقيم وما تعرفه فحدثتهم بحديث الرقيم قال سعيد فعجبوا من ذلك ثم أقبلت بهم الى المغار فصلوا فيه ثم سرنا حتى أشرفنا على بلاد عمان قال سعيد بن عامر فعدلت الى قرية هناك يقال لها الجناب فنظرت الى دهاقين القرية وهم خارجون منها ومعهم الاهل والاولاد فلما رآهم المسلمون حملوا عليهم من غير اذن لهم وأخذوا بعضهم أسارى فرجع القوم الى

القرية وكان فيها حصن منيع فتحصنوا فيها منا قال سعيد بن عامر فقربت من الحصن
وصحت بهم وقلت يا ويلكم ما بالكم كنتم خارجين من قريتكم فرجعتم فأشرف
على واحد منهم وقال لي يا معاشر العرب اعلموا أننا كنا خارجين من المدينة ففزعنا
منكم وذلك أن صاحب عمان بعث الينا وأمرنا بالمسير الى عمان فنكون من تحت كنفه
في عمان والآن يا معاشر العرب هل لكم أن تكون في زمانكم وأمانكم قال سعيد
نعم فوقع الصلح بيننا على عشرة آلاف دينار وكتبت لهم كتاب الصلح فلما هممت بالمسير
قالوا يا معاشر العرب قد صالحناكم ونحن خائفون من قومنا واعلموا أن نقيطاس
صاحب عمان لا بد أن نلقى منه شدة عظيمة فلو ظفرتم به كان خيرا لنا ولكم فقلت وكيف
نظفر به فقالوا ان الملك ماهان مقدم العساكر قد بعث الينا حتى نسير الى الساحل
الى قيسارية ليكون مع قسطنطين بن الملك هرقل يدا واحدة وان أنتم ظفرتم بصاحب
عمان ملكتم غنيمة جسيمة فقال سعيد بن عامر رضي الله عنه وفي كم يكون جيش
عمان فقالوا في خمسة آلاف فارس ولكن قد وقع خوفكم في قلوبهم فلن يغلبوا اذا
أبدا فقال سعيد بن عامر يا معاشر المسلمين ما تقولون في لقاء هذا البطريق صاحب
عمان وأخذ غنيمته فقالوا افعل ما تريد فان قتله الله على أيدينا كان ذلك صلاحا
للمسلمين ووهنا على المشركين فقال سعيد بن عامر لأهل القرية على أي طريق يأتي
القوم فقالوا على هذا الطريق قال فدلونا على طريق عمورية قال فسرنا الى واد
عظيم وكمنا فيه يوما وليلة فلم يأتنا أحد فلما أصبح الصباح قال سعيد يا معاشر المسلمين ان
الذي وجهنا اليه عمر بن الخطاب من نجدة أبي عبيدة والمسلمين أفضل من مقامنا هنا
فاخرجوا رحمكم الله فانا اذا أشرفنا على المسلمين في سبعة آلاف فارس كان ذلك وهنا
على المشركين وذلة للكافرين فقال المسلمون يا ابن عامر ان قلوبنا اتوقت بالغنيمة فلا
تحرمنا ذلك قال فبينما هم في المحاورة اذ أشرف عليهم جماعة من القسوس والرهبان
وعليهم ثياب الشعر وفي أيديهم الصلبان وقد حلقوا أوساط رؤسهم فابتدر المسلمون
اليهم وأخذوهم وأوقفوهم بين يدي سعيد بن عامر فقال لهم من أنتم وكان فيهم قس
كبير فكلم سعيدا وقال نحن رهبان هذه الأديرة والصوامع ونريد الى قسطنطين
ولد الملك هرقل حتى ندعو للعساكر بالنصر قال سعيد فادعوا وما دعاء الكافرين
الا في ضلال فما وراءكم من الأخبار قالوا وراءنا صاحب عمان في خمسة آلاف فارس
من فرسان النصرانية وعباد الصليب فقال سعيد اللهم اجعلهم غنيمة لنا ثم قال
سعيد للقسيس الذي خاطبه اسمع أيها الشيخ ان نبينا أمرنا أن لا نتعرض لراهب حبس
نفسه في صومعته ولولا أنكم تنذرون عين العدو لخلينا سبيلكم ثم أمر المسلمين أن

يوثقوهم كتافا فاوثقوهم بزنانيرهم التى فى أوساطهم فبينما نحن كذلك اذ أشرف علينا جيش عمان والرجال أمامهم يعزلون لهم الدروب فلما أشرفوا على المسلمين حمل عليهم المسلمون من غير أهبة ورفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير ووضعوا فيهم السيف فقتلوا الرجالة عن آخرهم فأخبر صاحب عمان عن ذلك فلما نظر الى صنع المسلمين أمر أصحابه بالحملة فحملوا عليهم حملة عظيمة واقتتلوا اقتتالا شديدا قال سعيد بن عامر وثارت الى المسلمين وهم يقتلون الروم قتلا ذريعا وهم يضجون بالتهليل والتكبير فلما نظر البطريق صاحب عمان ما صنع المسلمون بأصحابه ولى منهزما طالب عمان وتبعه قومه وتبعهم المسلمون وبعضهم مال الى الغنيمة والبطريق نقيطاس صاحب عمان فى الهرب وكان قد سبق فوقف حتى تلاحق به المنهزمون من قومه قال فبينما هو كذلك اذ أشرف عليهم خيل من ورائهم تسرع بركابها وقد أطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة وهم زهاء عن ألف فارس يقدمهم فارسان كأنهما أسدان أحدهما الزبير بن العوام والآخر الفضل بن العباس فحملوا على الروم فقتلوهم قتلا ذريعا وحمل الزبير بن العوام على نقيطاس بطريق عمان وهو واقف تحت الصليب فطعنه الزبير فقلبه عن جواده وعجل الله بروحه الى النار وأقبل الفضل بن العباس يجندل الفرسان وينكس الابطال قال وأشرف سعيد بن عامر على الموضع فرأى الحرب قائما فظن أنه وقع بينهم الخلاف فلما قربوا منهم سمعوا التهليل والتكبير فقالوا هذه دعوة الحق لمن قالها فاقتحم سعيد بن عامر المعركة فسمع الفضل بن الفضل وهو يتمنى باسمه ويقول أنا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سعيد بن عامر فوالله ما انفلت من القوم أحد فقلت لله درك يا ابن العباس ومن معك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معى الزبير بن العوام بن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سعيد بن عامر فوالله ما انفلت من القوم أحد الا بين أسير وقتيل وغنم المسلمون غنيمة عظيمة وسلم بعضهم على بعض وأقبل الزبير على سعيد بن عامر وقال يا ابن الطفيل ما الذى حبسك عن المسير جهتنا وقد جاءنا سالم بن نوفل العدوى وأخبرنا بمسيرك الينا وقد ساءت بك ظنوننا فأرسلنا أبو عبيدة لنغار على عمان والحمد لله على سلامة المسلمين ودمار المشركين ثم أمر الزبير برؤس القتلى فسلخت وحملتها العرب على أسنة الرماح فكانت الرؤس أربعة آلاف رأس والاسرى ألف أسير قال وأطلق سعيد بن عامر الرهبان وسار المسلمون حتى أشرفوا على أبى عبيدة رضى الله عنه ورفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير وأجابهم جيش المسلمين بمثل ذلك فانزعجت قلوب الروم لذلك ونظروا الى ثمانية آلاف فارس والرؤس معهم على الاسنة فبهتوا الذلك وحدث سعيد بن عامر أبا عبيدة بالنصر وغنيمة

الروم فسجد شكراً لله عز وجل وأمر بالألف أسير فضربت أعناقهم والروم ينظرون اليهم قال قطبة بن سويد وأخبرت الروم انه لم ينج أحد من جيش عمان (قال الواقدي) رحمه الله تعالى لما أسر الخمسة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتم لفقدهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أكثرهم غما أبو عبيدة بن الجراح وأقبل على البكاء والتضرع ويدعو لمن أسر بالخلاص وأما الخمسة فانهم مثلوا بين يدي ماهان لعنه الله تعالى وعضب عليه فلما نظر اليهم استحقرشأنهم وقال لجبلة بن الايهم من هؤلاء قال أيها الملك هؤلاء قوم من جيش المسلمين وقد كانوا ستين رجلا فقتلت أكثرهم وأسرت هؤلاء وما بقي في عسكرهم من يخاف غائلته الا رجل واحد وهو الذي يبثهم ويرمي بهم كل المرامي وهو الذي فتح أركة وتدمر وحوران وبصرى ودمشق وهو الذي كسر عساكر اجنادين وتسع توما وهربيس وقتلهم في مرج الديباج وأسر ابنة الملك هرقل وهو خالد بن الوليد قال فلما سمع ماهان ذلك قال لابد لي ما أحتال على هذا الرجل حتى أحصله عندي وأقتله مع هؤلاء الخمسة أسرى ثم دعا ماهان برجل من الروم اسمه جرجة وكان حكيما فاضلا عند الروم فصيحا بلسان العرب فقال يا جرجة أريد أن تمضي الى هؤلاء العرب وتقول لهم أن يبعثوا الي رسولا وليكن هذا الرسول الرجل المسمى بخالد قال فركب جرجة وسار نحو عساكر المسلمين فالتقى خالد بن الوليد فقال له ما الذي تريد فقال ان الملك ماهان قد بعثني اليكم حتى تبعثوا رجلا منكم فلعل الله أن يحقن دماءنا ودماءكم فقال خالد بن الوليد رضي الله عنه أنا أكون الرسول اليه وأوقف رسول الروم بين يديه ويدي أبي عبيدة رضي الله تعالى عنهما وأخبره انه يريد المسير الى ماهان فقال أبو عبيدة أمض يا أبا سليمان بارك الله تعالى فلعل الله تعالى أن يهديهم أو يدعونا للصلح وأداء الجزية فيحقن الدماء على يدك فحقن دم رجل واحد أحب الى الله تعالى من أهل الشرك جميعا فقال خالد بن الوليد رضي الله عنه أنا أطلب من الله تعالى العون ثم وثب خالد بن الوليد رضي الله عنه الى خيمته ولبس خفين عربية وتعمم بعمامة سوداء وشد وسطه بمنطقة من الاديم وتقلد بسيفه الذي استلبه من مسيلمة الكذاب يوم اليمامة وأمر عبده هماما أن يأخذ قبته الحمراء وكانت من الاديم الطائفي وفيها شمعات من الذهب الاحمر وحليتها من الفضة البيضاء وكان خالد قد اشتراها من امرأة ميسرة بن مسروق العبسي بثلثمائة دينار فحملها على بغل وركب خالد جواده فلما هم بالمسير قال له أبو عبيدة يا أبا سليمان خذ معك رجالا من المسلمين يكونون لك عونا فقال خالد أيها الامير أحب ذلك ولكن لا اكراه في الدين وليس لي عليهم طاعة فأمر أنت بمن شئت فلما سمع المسلمون كلام خالد بن الوليد رضي

الله عنه قال معاذ بن جبل يا أبا سليمان انك من أهل الفضل ولو أمرتنا بأمر امتثلناه
لانك سائر فى طاعة الله تعالى ورسوله (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فاستركب
معه مائة فارس من المجاهدين والانصار منهم المرقال بن عتبة بن وقاص وشرحبيل
ابن حسنة وسعيد بن زيد بن عمر بن نفيل العدوى وميسرة بن مسروق العبسى وقيس
ابن هبيرة المرادى وسهل بن عمرو العامرى وجرير بن عبد الله البجلى والقعقاع
ابن عمر التميمى وجابر بن عبد الله الانصارى وعبادة بن الصامت الخزرجى والاسود
ابن سويد المازنى وذو الكلاع الحميرى والمقداد بن الاسود الكندى وعمرو بن معدى
كرب الزبيدى رضى الله تعالى عنهم أجمعين ولم يزل خالد ينتقب مثل هؤلاء السادات
رضى الله عنهم حتى كمل منهم مائة فارس كل فارس منهم يرد جيشا وحده فأخذوا زينتهم
واشتهروا بلباس الحرب وتوشحوا بالابراد وتعمموا بالعمائم وتمنطقوا بالخناجر وتقلدوا
بالسيوف وركبوا الخيل العتاق وسار خالد بن الوليد رضى الله عنه وعن يمينه معاذ بن
جبل وعن شماله المقداد بن الاسود الكندى والمائة فارس محدقون به قال معاذ بن
جبل رضى الله عنه وسرنا ونحن نعلن بالتهليل والتكبير قال نصر بن سالم المازنى
فنظرت الى أبى عبيدة رضى الله عنه حين سار خالد بن معه يقرأ آية من القرآن
ودموعه جارية على خده فقلت أيها الامير ما يبكيك فقال يا ابن سالم هؤلاء والله
أنصار الدين فان أصيب رجل منهم فى امارة أبى عبيدة رضى الله عنه فما يكون
عذرى عند رب العالمين وعند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه (قال
الواقدى رحمه الله تعالى) فلما أشرف خالد بن الوليد رضى الله عنه ومن معه على
عساكر الروم فنظر المسلمون الى جيش الروم وهم خمسة فراسخ فى العرض وعن
نوفل بن دحية أن خالد بن الوليد لما ترجل عن جواده وترجل المائة جعلوا يتبخترون
فى مسيرهم ويجرون حمائل سيوفهم ويخترقون صفوف الحجاب والبطارقة ولا يهابون
أحدا الى أن وصلوا الى النمارق والفراش الديباج ولاح لهم ماهان وهو جالس على
سريره فلما نظر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ما ظهر من زينته وملكه
عظموا الله تعالى وكبروه وطرحت لهم الكراسى فلم يجلسوا عليها بل رفع كل واحد
منهم ما تحته وجلسوا على الارض فلما نظر ماهان الى فعلهم تبسم وقال يا معاشر العرب
لم تأبون كرامتنا ولم أزلتم ما تحتكم من الكراسى وجلستم على الارض ولم تستعملوا
الادب معنا ودستم على فراشنا قال فقال خالد بن الوليد ان الادب مع الله تعالى أفضل
من الادب معكم وبساط الله أطهر من فرشكم لان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم
قال جعلت لى الارض مسجدا وطهورا ثم قرأ قوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم

ومنها نخرجكم تارة أخرى قال حدثني عاصم بن رماح الزبيدي قال حدثنا ورقة بن عبد الله الشيباني قال حدثنا طرفة بن شيبة الخولاني عن عمه جرير قال قال خالد ابن الوليد رضي الله عنه قال لم يكن بين خالد وماهان ترجمان يبلغ عنهما بل كان يحدثان كلاهما فقال خالد يا ماهان اني أكره أن أبدأك بالكلام تكلم أنت بما تريد فاني لست أبالي بما تتكلم به ولكل كلام جواب فان شئت تتكلم وان شئت بدأتك قال ماهان أنا أبدؤكم الحمد لله الذي جعل سيدنا الروح المسيح وكلمه وملكنا أفضل الملوك وأمتنا خير الامم قال فعظم ذلك على خالد بن الوليد وقطع خالد كلامه فقال الترجمان لا تقطع كلام الملك يا أخا العرب واستعمل حسن الادب فأبى خالد أن يسكت بل قال الحمد لله الذي جعلنا نؤمن بنبينا ونبيكم وجميع الانبياء وجعل أميرنا الذي وليناه أمورنا وهو كبعضنا لو زعم أنه ملك علينا لعزلناه فلسنا نرى أن له فضلا علينا الا أن يكون أتقى لله عز وجل منا وقد جعل الله أمتنا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتقر بالذنب وتستغفر منه وتعبد الله تعالى وحده لا شريك له قال فاصفر وجه ماهان وسكت قليلا ثم قال الحمد لله الذي أبلانا وأحسن البلاء الينا وأغنانا من الفقر ونصرنا على الامم وأعزنا ومنعنا من الضيم ولسنا فيما خولنا الله فيه من نعيم الدنيا بطرين ولا باغين على الناس وقد قدم يا معاشر العرب طائفة منكم يغشوننا ويلتمسون نائلنا ورفدنا وجوائزنا فنحسن اليهم ونكرمهم ونكرم ضعيفهم ونعظم قدرهم ونتفضل عليهم ونفي لهم بالوعد وكنا نظن أن العرب كلها تعرف لنا ذلك من جميع القبائل وتشكرنا عليه لما أسدينا عن آبائنا الجليلة لهم فما شعرنا حتى جئتمونا بالخيل والرجل وظننا أنكم تطلبون منا ما طلب اخوانكم فاذا أنتم على خلاف رأي أولئك جئتم تقتلون الرجال وتسبون النساء وتغنمون الاموال وتهدمون الاطلال وتطلبون أن تخرجونا من أرضنا وتغلبونا على بلادنا وقد طلب مثل ذلك من كان قبلكم ممن هو أكثر منكم عددا وأكثر أموالا وسلاحا وظهرا فرددناهم خائبين وجلين خائفين بين قتيل وجريح وطريد وطريح فأول ما فعلنا ذلك بملك فارس فرده الله على عقبيه بالخيبة والذل وكذلك فعلنا بملك الترك وملك الجرامقة وغيرهم وأنتم لم يكن في أمة من الامم أصغر منكم مكانا ولا أحقر شأنا لانكم أهل الشعر والوبر والبؤس والشقاء وانكم مع ذلك تظلمون في بلادكم وبلادنا وحوالينا أمة كثيرة العدد وشوكتنا شديدة وعصبتنا عقلية وانما أقبلتم علينا من هيا كم لانكم خرجتم من جدوبة الارض وقحط المطر فجلبتم الى بلادنا وأفسدتم كل الفساد وركبتم مراكب ليست كمراكبكم ولبستم ثيابا ليست كثيابكم وتمتعتم ببنات الروم البيض الاوانس فجعلتموهن خدمات لكم وأكلتم

طعاماً لبس كطعامكم وملئت أيديكم من الذهب والفضة والمتاع الفاخر وقد
لقينا كم الآن ومعكم أموالنا وما غنمتموه من قومنا وأهل ديننا وقد تركناه لكم
لا نطالبكم به ولا ننازعكم فيه ولا نعتب عليكم فيما تقدم من فعالكم والآن
فاخرجوا من بلادنا فان أبيتم الانصراف عنا عزمنا عليكم عزمة فنتركهم كأمس
وان جنحتم للصلح نأمر لكل واحد منكم في عسكركم بمائة دينار وثوب ولاميركم أبي
عبيدة بألف دينار ولخليفتكم عمر بن الخطاب بعشرة آلاف دينار على أنكم تحلفوا لنا
أن لا تعودوا الى حربنا (قال الواقدي رحمه الله تعالى) وماهان يرغب تارة ويرهب
أخرى وخالد مطرق لا يتكلم حتى فرغ ماهان من كلامه فقال خالد ان الملك قد تكلم
فأحسن وسمعنا كلامه ونتكلم نحن ويسمع كلامنا ثم قال خالد بن الوليد رضي الله عنه
الحمد لله الذي لا اله الا هو فلما سمع ماهان ذلك مد يده الى السماء وقال نعم ما قلت يا عربي
فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المرتضى ونبيه المجتبى
صلى الله عليه وسلم فقال ماهان ما أدري محمد رسول الله أم لا ولعله كما تقول وتزعم
وتذكر فقال خالد رضي الله عنه حسب الرجل دينه ثم قال أفضل الساعات وخيرها
الساعات التي يطلع الله فيها رب العالمين فالتفت ماهان الى قومه وقال بلسانه
انه رجل عاقل ويتكلم بالحكمة فقال خالد ما الذي قلت لقومك فأخبره بمقالته
فقال خالد ان كنت أوتيت العقل فالله تعالى المحمود على ذلك وقد سمعنا نبينا محمداً
صلى الله عليه وسلم يقول لما خلق الله تعالى العقل وصوره وقدره قال له أقبل فأقبل
ثم قال له أدبر فأدبر فقال الله تعالى وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أحب الي منك
بك تنال طاعتي وتدخل جنتي فقال ماهان اذا كنت بهذا العقل والفهم فلم جئت
بهؤلاء معك قال خالد ابن الوليد رضي الله عنه جئت بهم لاشاورهم قال ماهان
وأنت مع جودة عقلك وحسن رأيك وبصيرتك تحتاج الى مشورة غيرك قال خالد نعم
بهذا أمر الله عز وجل نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى في كتابه العزيز
وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله وقال صلى الله عليه وسلم ما ضاع امرؤ
عرف قدره ولا ضاع مسلم استشار فأنا وان كنت ذا رأي وعقل كما تزعم وكما بلغك فاني
لا أستغني عن رأي ذي رأي ومشورة أصحابي قال ماهان وهل في عسكركم من له رأي
مثل رأيك وحزم مثل حزمك قال نعم ان في عسكرنا أكثر من ألف فارس لا يستغنى
عن رأيهم ولا عن مشورتهم فقال له ماهان ما كنا نظن ذلك فيكم وانما كان يبلغنا
عنكم أنكم طماعة جهال لا عقول لكم يغار بعضكم على بعض وتنهبون أموال بعضكم
بعضاً فقال له خالد رضي الله عنه ان ذلك كان شأن أكثرنا حتى بعث الله عز وجل

فينا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فهدانا الرشد وعرفنا سبيلنا وفهمنا الخير من الشر والهدى من الضلال فقال ماهان يا خالد انك قد اعجبتني بما أراه من رأيك وبصيرتك وقد أحببت أن أحاورك فتكون أخي وخليلي فقال خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه وافرحاه ان تمم الله مننه عليك فنكون اذا سعيدا ولا نفترق فقال ماهان وكيف ذلك قال خالد تقول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله الذي بشر به عيسى ابن مريم فاذا فعلت ذلك كنت أخي وكنت أخاك وتكون خليلي وأكون خليلك ولا نفترق الا لامر يحدث فقال ماهان أما ما دعوتني اليه من الترك لديني والدخول في دينكم فالى ذلك من سبيل فقال خالد بن الوليد وكذلك أيضا لا سبيل الى مصافاتي وأنت مقيم على دينك دين الضلال قال ماهان فاني أريد أن ألقي الحشمة بيني وبينك وأكلمك كلام الاخ لاخيه فأجبني على كلامي الذي دعوتك اليه حتى أسمع ما تقول . قال خالد أما بعد فانك تعلم أن الذي ذكرته مما فيه قومك من الغنى والعز ومنع الحريم والظهور على الاعداء والتمكن في البلاد فنحن عارفون به وكلما ذكرته من انعامكم على جيرانكم من العرب فقد عرفناه ولكن انما فعلتم ذلك ابقاء على نعمتكم ونظرا منكم لانفسكم وذراريكم وزيادة لكم في مالكم وعزا لكم فتستكثروا جمعكم وتقووا الشوكة على من أرادكم وأما ما ذكرته من فقرنا ورعينا الابل والشاء فأما من لم يرع وأكثرنا رعاة ومن رعى منا كان له الفضل على من لم يرع وأما قولك بأننا أهل فقر وفاقة وبؤس وشقاء فنحن لا ننكر ذلك وانما ذلك من أجل انا كنا معاشر العرب أنزلنا الله تعالى منزلا ليس فيه أنهار ولا أشجار ولا زرع الا قليل وكنا أهل جاهلية جهلاء لا يملك الرجل منا الا فرسه وسيفه وأباعره وشياهه ويأكل قوينا ضعيفنا لا يأمن بعضنا البعض الا في أربع أشهر الحرم نعبد من دون الله الاصنام والاوثان التي لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ونحن عليها مكبون ولها ماملون فبينما نحن كذلك على شفا حفرة من النار من مات منا مات مشركا وصار الى النار ومن بقي منا كان كافرا بربه قاطعا لرحمه حتى بعث الله لنا نبيا نعرف حسبه ونسبه هاديا مهديا رسولا نبيا واماما نقيا طاهرا أظهر الاسلام بدعوته ودحض المشركين بكلمته جاءنا بقرآن مبين وصراط مستقيم ختم الله تعالى به النبيين وأمرنا بعبادة رب العالمين نعبده لا نشرك به شيأ ولا نتخذ من دونه وليا ولا نجعل لربنا صاحبة ولا ولدا ولا شريك له ولا ضد له ولا ند له ولا نسجد للشمس ولا للقمر ولا للنور ولا للنار ولا للصليب ولا للقربان ولا نسجد الا لله وحده لا شريك له ونقر بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم أنزل الله عليه كلامه الذي هدانا به مولانا فاستجبنا له وأطعنا أمره فكان مما أمرنا به أن

نجاهد من لا يدين بديننا ولا يقول بقولنا فمن كفر بالله واتخذ معه شريكا جل ربنا وتعالى عن ذلك لا تأخذه سنة ولا نوم فمن اتبعنا كان أخانا وصار له ما لنا وعليه ما علينا ومن أبى الاسلام فالجزية يؤديها الينا عن يد وهم صاغرون فاذا أداها حقن بها ماله ودمه وولده ومن أبى الاسلام والجزية أن يؤديها فالسيف حكم بيننا وبينه حتى يقضى الله جل جلاله بحكمه وهو خير الحاكمين ونحن ندعوكم الى هذه الثلاثة خصال ليس غيرها اما أن تقولوا لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أو الجزية فى كل عام على كل محتلم من الرجال وليس على من لم يبلغ الحلم جزية ولا على امرأة ولا على راهب منقطع فى صومعته قال ماهان فهل بعد قول لا اله الا الله غير هذا فقال خالد نعم أن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتحجوا البيت الحرام وتجاهدوا من كفر بالله تعالى وتأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر وتوالوا فى الله وتعادوا فى الله فان أبيتم ذلك فالحرب بيننا وبينكم حتى يورث الله أرضه من يشاء والعاقبة للمتقين قال ماهان فافعل ما تشاء فانا لا نرجع عن ديننا ولا نؤدى الجزية وأما ما ذكرت من أن الارض لله يورثها من يشاء من عباده فلقد صدقت فانها لم تكن لنا ولا لكم بل كانت لقوم غيرنا وغيركم وقاتلناهم عليها حتى ملكناها منهم والحرب بيننا وبينكم فابرزوا على اسم الله تعالى فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه ما أنتم بأشهى منا الى الحرب وكأنى بجيوشكم وقد انهزمت والنصر يقدمنا وتساق أنت والحبل فى عنقك ذليلا حقيرا وتقدم بين يدى عمر بن الخطاب فيضرب عنقك قال فلما سمع ماهان كلام خالد بن الوليد غضب غضبا شديدا قال فلما نظرت البطارقة والحجاب والهرقلية والقياصرة الى غضب ماهان هموا بقتل خالد الا أنهم صبروا ينتظرون أمره فقال ماهان لخالد وقد استوثق غضبا وحق المسيح لاحضرن أصحابك الخمسة الاسارى وأضرب أعناقهم وأنت تنظر اليهم فقال له خالد اسمع ما أقول لك يا ماهان أنت أقل وأذل وأحقر من ذلك واعلم أن هؤلاء الذين فى يدك هم منا ونحن منهم فوحق صاحب الدعوة المستجابة وحق بيعة أبى بكر الصديق رضى الله عنه وخلافة عمر بن الخطاب لان قتلتهم لاقتلنك بسيفى هذا ويقتل كل رجل منا من قومى بعدد قومك ثم وثب خالد رضى الله عنه من موضعه وامتشق سيفه من غمده وفعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كفعله وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله وجردوا سيوفهم وهاجوا كالجمال أو كالسباع الضوارى واستقتلوا وأيقنوا بالشهادة فى ذلك المكان قال الشيخ أبو عبد الله محمد الواقدى مؤلف هذا الكتاب والله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة ما اعتمدت فى أخبار

هـذا الفتوح الا الصدق وما نقلت أحاديثه الا عن ثقاة وعن قاعدة الحق لا ثبت فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهادهم حتى أرغم بذلك أهل الرفض الخارجين عن السنة والفرض اذ لولاهم بمشيئة الله لم تكن البلاد للمسلمين ولا انتشر علم هذا الدين فلله درهم لقد جاهدوا في الله حق جهاده ونصروا دينه وثبتوا للقاء الاعداء وبذلوا جهدهم ونصروا وصبروا وما قصروا حتى زحزحوا الكفر عن سريره وتقهقر لا جرم وقد قال فيهم الملك المقتدر فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر (قال الواقدي رحمه الله تعالى) حدثني مسلم بن عبد الحميد عن جده رافع بن مازن قال كنت مع خالد يوم سرنا الى ماهان وكنا في سرادقه فلما جذبنا السيوف وهممنا بالقوم وما في أعيننا من جيوش الروم شيء وقد أيقنا بالحشر من ذلك الموضع. (قال الواقدي رحمه الله تعالى) فلما رأى ماهان الحقيقة منا ومن خالد وتبين الموت في شفار سيوفنا نادى ماهان مهلا يا خالد لا تمكن بهذه العجلة هلاك وأنا أعلم أنك ما قلت ذلك القول الا أنك رسول والرسول يحمل ولا يتحمل وانما أنا تكلمت بما تكلمت لاختبركم وأنظر ما عندكم والآن فيا آخذك فارجع الى عسكرك واعزم على القتال حتى يعطي الله تعالى النصر لمن يشاء فلما سمع ذلك أغمد سيفه وقال يا ماهان ما تصنع في هؤلاء الاسرى فقال ماهان أطلقهم كرامة لك وأخلي سبيلهم ويكونون عونا لك وان تعجزونا في الحرب غدا ففرح خالد بذلك وأمر ماهان بتخلية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأطلقوا من وثاقهم وهم خالد بالمسير فقال ماهان يا خالد اني كنت أحب أن يصلح الامر بيني وبينكم واني أسألك حاجة فقال خالد سل ما تريد فقال ان قبتك هذه الحمراء قد أعجبتني واني أريد أن تهبها لي وانظر في عسكري ما أعجبك من شيء فأهبه لك فقال خالد والله لقد فرحتني اذ طلبت ما أملكه وأما هي فهو هبة لك وأما ما عرضت علي من عسكرك فلا حاجة لي فيه فقال ماهان لله درك أنت تكرمت وأجملت فقال خالد رضي الله عنه وأنت أيضا قد تكرمت علينا بما صنعت من اطلاق أصحابي من الاسر ثم انثنى خارجا من عند ماهان وأصحابه من حوله وقدم له جواده فركبه وركب أصحابه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر ماهان أصحابه وحجابه أن يسيروا معهم حتى يبلغوهم أمانهم قال ففعل القوم ذلك ووصل خالد وأصحابه الى الامير أبي عبيدة رضي الله عنهم أجمعين وسلموا عليه وفرح المسلمون بخلاص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدث خالد أبا عبيدة بكل ما جرى لهم ثم قال خالد وحق المنبر والروضة ان كان ماهان أطلق لنا أصحابنا الا فزعا من سيوفنا فقال أبو عبيدة حين سمع ما جرى لخالد ولماهان من الخطاب والجدال هذا رجل حكيم الا أن الشيطان

غلب على عقله فعلى ما افترقتم قال على أننا نلتقي معهم ويعطى الله النصر لمن يشاء فلما سمع أبو عبيدة رضى الله عنه ذلك جمع عظماء المسلمين وقام فيهم خطيبا فحمد الله تعالى وأثنى عليه وذكر النبي صلى الله عليه وسلم وأخبرهم أن العدو يصبحهم بالقتال في غداة غد وأمرهم بالأهبة وأقبل فرسان المسلمين يحرض بعضهم بعضا وأقبل خالد على أصحابه وهم عسكر الزحف وقال لهم اعلموا أن هؤلاء الكفرة الذين نصركم الله عليهم في المواطن الكثيرة قد حشروا لكم حشور بلادهم وإني دخلت الى عسكرهم ونظرت اليهم فكأنهم النمل وأصحاب عدة بلا قلوب ولا لهم من ينصرهم عليكم وهذه الوقعة بيننا وبينهم وقد أيقنا أن القتال في غداة غد وأنتم أهل البأس والشدة فما عندكم رحمكم الله تعالى قال فتكلم أصحاب خالد وقالوا أيها الأمير القتال بغيتنا والقتل في سبيل الله تعالى مسرتنا ولا نزال نصبر لهم على الحرب والطعن والضرب حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ففرح خالد بقولهم وقال لهم وفقكم الله تعالى وأرشدكم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلم يبق أحد منهم تلك الليلة إلا وقد أخذ عدته وأهبته واستعد آلة الحرب والقتال وباتوا فرحين بالجهاد والثواب وخائفين من العقاب فلما أصبح القوم ولاح الفجر أذن المؤذنون في عسكر المسلمين حتى ارتفعت لهم جلبة عظيمة بالتوحيد وأسبغوا الوضوء لصلاتهم خلف أبي عبيدة فلما صلوا وركبوا خيولهم الى قتال عدوهم وعبوا صفوفهم القتال وكانوا ثلاثة صفوف متلاصقة الصف لا يرى آخره وأقبل خالد بن الوليد على أبي عبيدة رضى الله عنه وقال أيها الأمير من تجعل في الميسرة قال كنانة بن مبارك الكناني أو قال عمرو بن معدي كرب الزبيدي والله أعلم أيهما كان فولاه الميسرة وأمره أن يكون مكانه في الميسرة ففعل وفيهم كنانة وقيسا قال فسار لما أمره أبو عبيدة رضى الله عنه (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثني فضالة بن عامر قال حدثني موسى بن عوف عن جده يوسف بن معن قال كان هذا الغلام كنانة عارفا بالحرب صاحب شجاعة وغارة وقد ذكر أنه كان من شجاعته وشدة فراسته كان يخرج من حي قومه بني كنانة وحده ويسير حتى يأتي أحياء العرب المعادين له فاذا أشرف عليهم صرخ بهم وانتمى باسمه فتثور الرجال على أعناق الخيل فلا تزال يقاتلهم ويقاتلونه فان ظفر بهم كان مراده وان رأى منهم غلبة وعظم عليه أمرهم نزل عن جواده وسعى بين أيديهم فلا يلحقون منه الا الغبار (قال الواقدى رحمه الله تعالى) لما ولاه أبو عبيدة وقف حيث أمره والتفت أبو عبيدة الى خالد وقال يا أبا سليمان قد وليتك على الخيل والرجل فول أمر الرجالة من حيث شئت فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه سأولي أمرهم رجلا لا يؤتى المسلمون من قبله

ثم نادى بهاشم بن عتبة بن أبي وقاص وقال له قد ولاك الامير على الرجالة فقال أبو عبيدة رضي الله عنه انزل ياهاشم وكن معهم رحمك الله وانا أوافقك (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ورتب أبو عبيدة صفوف المسلمين وعبأهم قال خالد بن الوليد رضي الله عنه ابعث الآن الى أصحاب الرايات وقل لهم يسمعون منى فدعا أبو عبيدة رضي الله عنه بالضحاك بن قيس وقال له يا ابن قيس اسرع الى أصحاب الرايات وقل لهم ان الامير أبا عبيدة يأمركم أن تسمعوا لخالد وتطيعوا أمره ففعل الضحاك ذلك وجعل يدور على أصحاب الرايات حتى انتهى الى معاذ بن جبل وقال له مثل ذلك قال معاذ بن جبل سمعا وطاعة ثم أقبل معاذ على الناس وقال أما انكم قد أمرتم بطاعة رجل ميمون الغرة مبارك الطلعة فان أمركم بأمر فلا تخالفوه فيما يأمركم به فما يريد غير صلاح المسلمين والاجر من رب العالمين فقلت لمعاذ بن جبل انك لتقول في خالد قولا عظيما فقال ما أقول الا ما قد عرفته فلله دره قال الضحاك فرجعت الى خالد وأخبرته بما تكلم به معاذ بن جبل وبما أثنى عليه وقال هو أخي في الله تعالى ولقد سبقت له ولأصحابه سوابق لا يفعلها خالد بن الوليد في يساله قال الضحاك فرجعت الى خالد وأخبرته ولقيت معاذ بن جبل فسألته وأخبرته بما قال خالد وبما أثنى وما ذكره من أمره بما ورد على من شأنه فقال معاذ والله انى أحبه في الله تعالى وأرجو من الله أن يكون قد أثابه بحسن نيته ونصيحته للمسلمين (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما رمى الضحاك بن قيس أصحاب الرايات بقول أبي عبيدة بالطاعة لخالد بن الوليد رضي الله عنه فجعل يسير بين الصفوف ويقف على كل راية ويقول يا أهل الاسلام ان الصبر قد عزم ان شاء الله تعالى والفشل والجبن سببان من أسباب الخذلان فمن صبر كان الله ناصره على عدوه لان الله معه ومن صبر على حد السيوف فانه اذا قدم على الله تعالى أكرم منزلته وشكر له فعله وسعيه والله يحب الشاكرين قال ومازال خالد رضي الله عنه يقول هذا الكلام لاهل كل راية حتى مر بجماعة الناس ثم ان خالدا جمع اليه خيل المسلمين من أهل الشدة والصبر ومن شهد معه الزحف فقسمهم أربع أرباع فجعل على أحدهم قيس بن هبيرة المرادى وقال له أنت فارس العرب فكن على هذه الخيل واصنع كما أصنع وجعل على الربع الآخر ميسرة ابن مسروق العبسى وأوصاه بمثل ذلك ودعا عامر بن الطفيل على الربع الثالث وأوصاه بمثل ذلك ووقف خالد مع عسكر الزحف (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلم تطلع الشمس الا وقد فرغوا من تعبية صفوفهم للحرب وأما ماهان الارمنى فانه أمر الروم بالزينة والاهبة للحرب ففعلوا ذلك الا ان المسلمين كانوا أسرع في التعبية قبل

وزحف عسكر الروم الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونظر الروم الى تعبيتهم وكان عسكر المسلمين صفوفهم كالبنيان المرصوص وكان الطير تظلهم والصفوف متلاصقة والرماح مسرعة مشتبكة قال فلما رأى الروم ذلك داخلهم الفزع والجزع وألقى الله الرعب فى قلوبهم ثم ان ماهان عبا عسكره فجعل العرب المتنصرة من غسان ولخم وجذام فى مقدمة الصفوف وجعل عليهم جبلة وقدم أمامهم صليب من الفضة زنته خمسة أرطال وهو مطلى بالذهب وفى أربع أركانه أربع جواهر تضىء كأنها الكواكب (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى سنان بن أوس الربعى قال حدثنى عدى بن الحارث الهمدانى وكان ممن حضر الفتوح من أوله الى آخره قال وكانت الصفوف التى صفها ماهان ثلاثين صفا كل صف منها مثل عسكر المسلمين كله وقد أظهر ماهان بين الصفوف الاقسة والرهبان وهم يتلون الانجيل ويترغون وأكثر من الرايات والاعلام والصلبان فلما تكاملت صفوفهم واذا ببطريق عظيم الخلقة قد برز وعليه درع مذهب ولامة حرب مليحة وفى عنقه صليب من الذهب مرصع بالجوهر وتحته فرس أشهب وكان البطريق من عظماء الروم ممن يقف عند سرير الملك فلما برز جعل يطمطم بكلام الروم بصوت كالرعد فعلم المسلمون أنه يطلب البراز فتوقف المسلمون عن الخروج اليه فصاح خالد وقال يا أصحاب رسول الله هذا العلج الاغلف يدعوكم لقتاله وأنتم تتأخرون فان لم تخرجوا اليه والا خرج خالد وهم بالخروج واذا بفارس قد خرج من المسلمين على برذون أشهب عظيم الخلقة يشبه برذون المشرك وعلى المسلم لامة حسنة وعدة سابغة وقصد نحو البطريق فلم يكن فى رجال خالد من يعرف الفارس الذى خرج فقال خالد لهمام مولاى اخرج الى هذا الفارس وانظر من هو من المسلمين ومن أى العرب هو ومن قومه فمضى همام يهتف به وقد هم أن يقرب من البطريق فصاح به من أنت يا ذا الرجل من المسلمين رحمك الله فقال أنا روماس صاحب بصرى فلما أخبر خالد به قال اللهم بارك فيه وزد فى نيته فلما صار بازاء العلج كلمه بلسانه فقال الرومى وقد عرفه يا روماس كيف تركت دينك وصبوت الى هؤلاء القوم فقال روماس هذا الدين الذى دخلت فيه دين جليل شريف فمن دخل فيه كان سعيدا ومن خالفه فقد ضل ثم حمل روماس على العلج وحمل العلج على روماس وتقاتلا ساعة حتى عجب الجمعان منهما فوجد العلج من روماس غفلة فضربه ضربة صعبة أسال دمه قال فأحس روماس بالضربة وقد وصلت اليه فأثنى راجعا نحو المسلمين فاتبعه العلج طالبا له لا يقصر عن طلبه وكاد أن يدركه فصاح به فرسان المسلمين من الميسرة والميمنة فقوى قلب روماس وداخل العلج الجزع والخوف من صياحهم والهلع وقصر عن طلبه ودخل

روماس عسكر المسلمين والدم على وجهه فائر فأخذه جماعة من المسلمين فشدوا جراحه وشكروه على فعله ووعدوه بالغفران من الله تعالى وهنوه بالسلامة قال ولما رجع روماس منهزما أعجب العلج بنفسه وأظهر عناده وطمطم في كلامه وطلب البراز فهم أن يخرج اليه ميسرة بن مسروق العبسي فقال له خالد يا ميسرة ان وقوفك في مكانك أحب الي من خروجك الى هذا العلج وأنت شيخ كبير وهذا علج عظيم الخلق والشان شجاع ولا أحب أن تخرج اليه فانه لا يكاد الشيخ الكبير يقاوم بالشاب الحدث ولا سيما ان شعرة من مسلم أحب الى الله تعالى من جميع أهل الشرك فرجع ميسرة الى مكانه وهم أن يخرج اليه عامر بن الطفيل أيها الامير انك قد علمت قدر هذا الرومي الذميم وأدخلت في قلوب المسلمين منه الرعب فقال خالد ان الفرسان تعرف أكفاءها في الحرب وما يخفى على ما هو فيه من الشجاعة والشدة وأنت لا تقوم به لانه ما برز بين أصحابه وبين شجاعته الا وهو فارس في قومه فقف في مكانك فوقف عامر بن الطفيل في مكانه ولم يخالف قال والعلج يدعو الى البراز والحرب وأقبل الى خالد الحارث بن عبد الله الازدي فلما وقف بين يديه قال أيها الامير اخرج اليه قال خالد لعمري ان لك جسارة وقوة وشدة وما علمتك الا شهما فان شئت أن تخرج فاخرج على اسم الله واعزم فأخذ الازدي أهبته وهم أن يخرج فقال خالد رضي الله عنه على رسلك يا عبد الله حتى أسألك فقال اسأل قال خالد هل بارزت أحدا قبله قال لا قال فارجع يا ابن أخي ولا تخرج فانك غريب الخروج وهذا فارس قد جرب الحرب وجربته وعرف مصادرها وما أحب أن يخرج اليه الا رجل مثله بصير بالحروب وجعل خالد يقول ذلك وينظر الى قيس بن هبيرة فقال يا أبا سليمان اني أظنك تعرض بي واياي تعني أنا أبرز اليه قال خالد ابرز على اسم الله تعالى فانك كفؤ والله تعالى يعينك عليه وخرج قيس بن هبيرة وأجرى جواده حتى لين عريكته وكسر حدته ثم سرحه نحو البطريق وهو يقول بسم الله وعلى بركة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرب من البطريق فلما نظر العلج الى فعاله علم أنه فارس شديد من فرسان المسلمين فعدل نحوه وقصد اليه وتجاولا قال فبادره قيس بن هبيرة وضربه على هامته فالتقاها العلج في جحفته فقد سيف ابن هبيرة الجحفة ووصل الى البيضة فاشتبك فيها وهم أن يخرج سيفه فامتنع عليه وضرب العلج قيس بن هبيرة على حبل عاتقه فثبت للضربة والتقيا بعد الضربتين فطرح العلج نفسه عليه يريد أسره وهو جبار من الجبابرة وكان قيس بعد رجوعه من قتال أهل الردة قد عود نفسه الصيام والقيام وهو نحيف الجسم فلما نظر قيس الى العلج وقد ظهر عليه انجذب من يده وبعد عنه وجعل ينظار اليه شزرا

ويضمر له مكرا الا أن سيفه قد خرج من يده فأثنى عنان فرسه يريد عسكر المسلمين ليأخذ سيفا ويعود الى القتال وقد آيس من نفسه فلما عطف راجعا صاح العلج فى أثره وسعى فى طلبه فقصر قيس بن هبيرة فى سيره وقال فى نفسه أنت مرادك الشهادة وتهرب من هذا العلج فرجع الى العلج فصاح به خالد ياقيس سألتك بالله ورسوله الا رجعت وتركت حدها على فقال قيس ياخالد لقد أقسمت على بعظيمين ولكن ان رجعت اليك أتزيد فى أجلى قال لا قال فلم أختار القرار وأكون من أصحاب النار بل أصبر وأفوز بالغفران من الله تعالى ثم انه عطف على قرنه وليس فى يده سيف بل استل خنجرا كان معه على وسطه قال ونظر خالد الى قيس بن هبيرة وليس فى يده سيف فقال من يأخذ هذا السيف ويدفعه الى قيس ابتغاء ثواب الله تعالى قال عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنا ياأباسليمان فقال خالد أنت والله له ياابن الصديق ثم أخذ عبد الرحمن سيفه ولحق قيس بن هبيرة يريد أن يناوله السيف فلما نظرت الروم الى عبد الرحمن وقد لحق بقيس ظنوا أنه يريد أن يعاون قيسا على صاحبهم فخرج عليه بطريق آخر وأقبل الى صاحبه ووقف بازائه قال فدفع عبد الرحمن السيف الى ابن هبيرة ووقف معه وجعل البطريق الآخر يكلم بكلام لا يفهمه عبد الرحمن فقال عبد الرحمن ياويلك ما الذى تقول فما نعرف كلامك فخرج اليه ترجمان وقال له يامعاشر العرب أليس ذكرتم أنكم أصحاب نصفة وحق قال عبد الرحمن بلى قال الترجمان فما رأينا من نصفتكم شيأ يخرج فارسان الى فارس قال عبد الرحمن انما خرجت لاعطى صاحبى هذا السيف وأرجع ولو خرج الينا منكم مائة لواحد ما كبر علينا ولا عظم لدينا وها أنتم ثلاثة وأنا واحد وأنا لكم كفؤ قال فأخبر الترجمان صاحبه بذلك فجعل ينظر اليه شزرا فقال عبد الرحمن ياقيس قد تعبت فقف وتفرج على وانظر ما يكون منى ومنهم ثم حمل عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما على الذى كان يخاطبه فطعنه فى نحره أخرج السنان يلمع من ظهره فوقع منجدلا ونظر العلجان الى صاحبهما منجدلا فحملا على عبد الرحمن وقصداه وأراد قيس بن هبيرة أن يعاونه عليهما فقال له عبد الرحمن سألتك برسول الله صلى الله عليه وسلم وبحق أبى بكر الا تركت عبد الرحمن يصطلى بهما فان قتلت فأنت شريكى فى الثواب واقرئ عائشة منى السلام وقل لها أخوك قد لحق بنعلك وأبيك فتأخر قيس عنه وقد عجب من فعاله فحمل عبد الرحمن على أحد العلجين وهو الاول فطعنه برمحه فاشتبك السنان فى دراعته فرمى عبد الرحمن الرمح من يده وامتضى سيفه وقام فى الركاب وضرب العلج بسيفه ضربة طرحه بها نصفين ونظر العلج الثالث

الى عبد الرحمن وجراءته فبقى حائرا متعجبا من حاله ونظر قيس الى البطريق وهو متحير باهت وبانت له فيه غفلة فقال ما وقفك يا قيس وحمل على البطريق وضربه ضربة هشم بها هامته وسقط الى الارض صريعا فلما نظرت الروم الى أصحابهم قال بعضهم لبعض ما هؤلاء العرب الا شياطين (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وأخبر ماهان بفعالهم فقال لقومه ان الملك كان أخبرهم هؤلاء القوم وحق المسيح لقد أعلم أن لكم أمرا فان لم تحملوا عليهم بكثرتكم والا فما يقوم لكم قائمة قال فأتاه بطريق من البطارقة وسار ماهان فى أذنه طويلا ثم انزاح عنه وقد اصفر وجه ماهان وسكت كأنه أخرس فاستخبر ماهان عما حدثه البطريق فلم يخبرهم قال فحدث من رأى ذلك انه سأل جبلة بن الايهم فقال انما أخبر ماهان بخبر الثلاثة وفيهم البطريق الاول قال ماهان انهم منصورون عليكم فقال له البطريق فى أذنيه أيها الملك الحق ما قلت اعلم أنى رأيت البارحة فى منامى كأن رجالا نزلوا من السماء الى الارض وهم على دواب بلق وشهب وعليهم كامل السلاح وأحدقوا بهؤلاء العرب ونحن قيام بازائهم لا يخرج أحد من عسكرنا الا قتلوه حتى أتوا على أكثرنا وأظن أنهم هؤلاء الذين نراهم فى المقتلة لان واحدا منهم قتل ثلاثة منا وما هم الا منصورون علينا من السماء قال فكسر هذا قلب ماهان فلم يردوا بابا فاجتمع القوم يسألون عما قاله البطريق فلم يخبرهم فلما أكثروا عليه السؤال تكلم فيهم كالخطيب وقال يا أهل هذا الدين اسكم ان لم تقاتلوا كنتم من الخاسرين وغضب عليكم المسيح وان الله عز وجل لم يزل لدينكم ناصرا ومظهرا وان لله الحجة عليكم أن بعث رسولا وأنزل عليه كتابا ولم يتبع رسولكم الدنيا وأمركم أن لا تتبعوها وفى كتابه لا تظلمون فانه لا يحب الظالم ولا الظالمين فلما اتبعتم الدنيا وظلمتم ونالقتم نصر أعدائكم عليكم فما عذركم عند خالقكم وقد تركتم أمر نبيكم وما أنزل عليكم فى كتاب ربكم وهؤلاء العرب بازائكم يريدون قتل فرسانكم وسبى ذراريكم ونسائكم وأنتم على المعاصى والذنوب ولا تخافون من علام الغيوب فان نزع الله سلطانكم من أيديكم وأظهر عدوكم عليكم فذلك بحق منه وعدل لانكم لا تأمرون بالمعروف ولا تنهون عن المنكر (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فكان ماهان لما سمع كلام البطريق الذى رأى فى المنام أمره أن يكتمه وأما قيس بن هبيرة وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق فأخذا أسلابهم وأسلابهم ورجعا الى المسلمين فدفعا السلب الى أبى عبيدة فقال هو لكم ومن قتل فارسا فله سلبه فكذا عهد الينا عمر بن الخطاب فأخذ السلب ووقف قيس فى موضعه الذى أقامه خالد فيه ورجع عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق الى ميدان الحرب فجال بين الصفين وكان قد ركب أشهب البطريق الذى قتله فرآه

لا ينبعث

لا ينبعث تحته كما عهد من خيل العرب فرجع وغيره من تحته بفرس غيره وحمل على ميمنة الروم فشوش صفوفهم وقتل منهم فارسين ورجع فحمل على القلب ثم انثنى على الميسرة فرشق بالسهام فرجع حتى وقف فى صدر الجيش وجعل يقرع الروم باسمه ويدعو الى البراز فخرج اليه علج من علوج الروم فما جال غير ساعة حتى قتله فخرج اليه آخر فقتله فقال خالد اللهم ارعه بعينك واحفظه فان عبد الرحمن قد اصطلى اليوم الحرب بنفسه ثم ان خالدا صاح به يا عبد الرحمن بحق شيبة أبيك وبيعته الا رجعت الى مكانك فرجع حين أقسم عليه قال حزام بن غنم قلت لرجل ممن شهد اليرموك أكانت النساء معكم مشاهدون القتال قال نعم احداهن أسماء بنت أبى بكر زوجة الزبير بن العوام وخولة بنت الازور ونسيبة بنت كعب وأم ابان زوجة عكرمة بن أبى جهل وعزة بنت عامر بن عاصم الضمرى مع زوجها مسلمة بن عوف الضمرى ورملة بنت طليحة الزبيرى ورعلة وأمامة وزينب وهند ويعمر ولبنا وأمثالهن رضى الله تعالى عنهن فلقد كن يقاتلن قتالا يرضين به الله ورسوله (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى عبد الملك بن عبد الحميد وكان قد شهد وقعة اليرموك قال أولها شرارا ونارا وآخرها ضرام الحرب وان كل يوم يأتى من القتال أصعب من اليوم الآخر قال عمر بن جرير فشهدنا فى اليوم الاول حربا يسيرا وذلك أن ماهان أمر عشرة من الصفوف أن تحمل على المسلمين بعد أن قتل عبد الرحمن من قتل وحمل المسلمون عليهم فالتقت الرجال بالرجال فنظر أبو عبيدة وكان واقعا الى ماهان ولم يحمل على المسلمين فعلم أن الامر يصعب فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وجعلوا يتلون قوله تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قال ولم يزل الحرب بين الفريقين من قيام الشمس فى قبة السماء الى أن همت بالغروب ولم ينفصل الجمعان حتى فرق الليل بينهم فحينئذ افترق الجمعان وهم ما يعرفون الا بالشعار وخرج كل قوم من العرب يهتفون بشعارهم وينادون بأنسابهم ورجعت كل فئة الى مكانها واستقبل المسلمون نساؤهم فسارت تجعل المرأة مرطها تمسح به عن وجه زوجها وتقول له ابشر بالجنة يا ولى الله وبات المسلمون فى خير وسرور وأوقدوا النيران وذلك أن القتل فى أول يوم لم يتبين فى الفريقين بل قتل من الروم يسير ومن المسلمين عشرة رجلان من حضرموت أحدهما يقال له مازن والثانى يقال له صارم وثلاثة من عسفان رافع ومجلى وعلى وواحد من الانصار وهو عبد الله بن الاخرم وثلاثة من بجيلة وواحد من مراد وهو أخو قيس بن هبيرة فحزن عليه قيس لما فقده فعلم أنه فى القتلى فأخذ معه قيسا وخرج معه رجال من قومه حتى أتوا موضع

المعركة وفتشوا عليه فلم يروه فلما هم بالرجوع اذ نظر الى نار قد اقبلت من جهة الروم يطلبون مكان الوقعة وهم يطلبون بطريقا كان معظما عندهم فقال قيس لجماعته أخمدوا ناركم فوالله لآخذن بثار أخي من هؤلاء القوم قال فاخمدوا نارهم ورقدوا بين القتلى وتأهبوا للقتال واذا بالروم قد أتوا وهم نحو مائة وهم في زينة عظيمة وآلة وعدة وكان مع قيس سبعة من قومه فقالوا له ان القوم مائة ونحن سبعة وقد منا من التعب فقال قيس ارجعوا أنتم واني والله أطلب الموت لا أريد غيره وأجاهد في الله حق جهاده فعجبوا من قوله ووقفوا معه وقفة الكرام وأقبلت الاعلاج يريدون المعركة ويدورون بين القتلى وقد وقعوا بالعلج وهو الذي برز أولا وقتله ابن أبي بكر الصديق فلما احتملوه وولوا يريدون عسكرهم صاح فيهم قيس من ورائهم وتابعه أصحابه بالصياح فذهلوا ورموا البطريق ووضع المسلمون السيف فيهم وجعلوا يقتلونهم قتلا ذريعا وكان قيس اذا ضرب فيهم يقول هذا عن ابن أخي قال فقتل منهم ستة عشر رجلا وقتل أصحابه اكثر القوم وانفلت الباقون فلما فرغ قيس من القوم عاد يطلب ابن أخيه نحو عسكر الروم فسمع أنينا فأقبل نحوه فاذا هو ابن أخيه لسويد بن بهرام المرادي فلما عرفه بكى فقال ما أبكاك يا ابن أخي فقال يا عماه اني تبعت القوم فرجع الى واحد منهم وطعنني في صدري واني لأعالج منها أمرا عظيما وهؤلاء الحور العين حداي ينتظرون خروج روحي قال فبكى قيس وقال يا ابن أخي لكل أجل كتاب وأمل أن يكون في أجلك طول فقال هيهات والله يا عم اتقدوان تحملني الى عسكر المسلمين فأموت هناك قال اجل قال ثم احتملته على ظهري وأقبلت به الى عسكر المسلمين وقصدت به الى رحله وسجيته وسمع أبو عبيدة بمجيء قيس فأتى اليه ورأى الغلام يجود بنفسه فجلس عند رأسه وبكى وبكت المسلمون فقال له أبو عبيدة كيف تجدك يا ابن أخي فقال بخير والله وغفران وجزى الله محمدا عنا خيرا ولقد صدقنا في قوله وهذه الحور تنادي وتشخص فات قال فما برحنا حتى واريناه التراب قال وأخبر قيس بمن قتل في تلك الليلة من المشركين ففرح فرحا شديدا وعلم ان ذلك علامة النصر قال وبات الناس في ليلتهم يقرؤن القرآن ويصلون ويسألون المعونة والنصر قال وأما ماهان فانه لما رجع الى عسكره اجتمع اليه البطارقة والرهبان والقسوس فقدم له طعام ومد وله سماطا فلم يأكل منه شيئا مما وقع في نفسه من الرؤيا التي رآها البطريق وكان ماهان يود لو ترك الامر وصالح على أداء الجزية ولكنه كان مغلوبا وأقبلت الملوك والاقسة والبطارقة والرهبان على ماهان وقالوا ما بال الملك امتنع عن الطعام فان كان ذلك من غمه على من مات وعلى ما جرى عليه من الحرب

فان

فان الحرب سجال فيوم لك ويوم عليك واعلم أيها الملك ان القوم بنا ظافرون وما تملكهم الا أن تحول عليهم فلا يبقى منهم أحد قال ماهان ما أظنكم غير منصورين الا من تغيير أديانكم والجور في سلطانكم فبهذا نصرت العرب عليكم فقام اليه رجل وقال أيها الملك عشت الدهر وأنا رجل من أهل دينكم وكان لي مائة رأس من الغنم وكان فيها ولدي يرعاها فضرب عظيم من عظماء أصحابك الفسطاس الى جانبها ثم انه عدا عليها فأخذ منها حاجته وأخذ بقيتها أصحابه فجاءته زوجتي تشكو اليه انتهاب غنمي فلما رآها أمر بها فادخلت اليه فطال مكثها عنده فلما رأى ولدها ذلك دنى من الفسطاس فاذا هو يجامع امه فصاح الغلام فأمر البطريق بقتل الغلام فقتل فأتيت أريد خلاص ولدي وزوجتي فأمر بي فضربت بالسيف فالتقيت الضربة بيدي فقطعها ثم انه اخرج يده فاذا هي مقطوعة قال فغضب ماهان عند ذلك غضبا شديدا وقال للمعاهدي أتعرف هذا البطريق الذي فعل بك ذلك قال نعم هو هذا وأومى بيده الى بطريق من البطارقة فنظر اليه ماهان مغضبا قال فغضب البطريق وغضب البطارقة لغضبه ومالوا على المعاهدي فضربوه بأسيافهم حتى قطعوه وماهان ينظر اليهم فزاد غضبه وقال خذلتم وهلكتم وحق المسيح ياويلكم ترجون النصر وأنتم تفعلون هذه الفعال أما تخافون القصاص غدا ان الله ينتقم منكم وينزع منكم صالح ما أعطاكم ويعطيه غيركم لمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فوالله أنتم الآن عندي كالكلاب وسوف ترون عاقبته غدا لما يورد كم والى أي مصير مصيركم يكون قال ثم انه قام وتركهم فلما انصرف القوم ولم يبق عنده الا بطريق واحد قال له أيها الملك والله ان القوم لكما تقول وما أظن الا انا مغلوبون واعلم اني رأيت في مناحي كأن رجالا نزلوا من السماء على خيل شهب فأحدقوا بهؤلاء العرب وعليهم كامل السلاح ونحن وقوف بازائهم فنظر اليهم ولا يخرج منا أحد الا قتلوه حتى أتوا على اكثرنا وذكر له كما قال ذاك الاول فأقبل ماهان يفكر طول ليلته فيما يصنع في أمر المسلمين فلما أصبح الصباح عبى المسلمون صفوفهم ونظروا الى عسكر الروم واذا فيه ارتعاج وانزعاج فعلموا أن لهم أمرا (قال أبو عبيدة) دعوهم ولا تبغوا عليهم فان الباغي مخذول قال واجتمعت البطارقة والملوك الاربعة الى ماهان وهم قناطر وجرجير والدير جان وقورين وهم أصحاب الجيش يستأذنوه في الحرب فقال ماهان وكيف لي ان اقاتل بقوم يظلمون ان كنتم احرارا فقاتلوا عن سلطانكم وامنعوا عن حريمكم فقالوا الآن بنا الحرب فوحق المسيح لانفارقهم حتى ننفيهم من الشام الى بلادهم أو يقتلونا أو نقتلهم فثق بقولنا وانهض بنا اليهم فاذا عزمت على القتال فدع كل واحد منا يقاتل يوما حتى تعرف من منا أفرس وأشد

ويضعر المسلمون من المطاولة ونجمع عيالنا وأطعالنا وأموالنا فان كانت على العرب رددنا كل شيء الى مكانه وان كانت للعرب علينا ألحقوا ببلادهم وقومهم ويكون الامر بيننا وبينهم في يوم واحد أو يومين فقال ماهان لعنه الله هذا هو الرأى أمهلوا الى أن اكتب الى الملك بمثل ذلك ثم انه كتب الى هرقل أما بعد فأسأل الله أيها الملك لك ولجيشك النصر ولاهل سلطانك العز والنصر وانك بعثتني فيما لا يحصى من العدد وانى قدمت على هؤلاء العرب فنزلت بساحتهم واطمعتهم فلم يطمعوا وسألتهم الصلح فلم يقبلوا وجعلت لهم جعلا على أن ينصرفوا فلم يفعلوا وقد دخل جند الملك منهم فزعا شديدا وانى خشيت أن يكون الفشل قد عمهم والرعب قد دخل فى قلوبهم وذلك لكثرة الطالع فيهم وقد جمعت ذوى الرأى من أصحابى وذوى النصيحة للملك وقد اجمع رأينا على النهوض اليهم جميعا في يوم واحد ولا نزايلهم حتى يحكم الله بيننا فان أظهر الله عدونا علينا فارض بقضاء الله واعلم ان الدنيا زائلة عنك فلا تأسف على مافات منها ولا تغبط منها بشيء في يدك والحق بمعاقلك وبدار ملكك بالقسطنطينية وأحسن الى رعيتك يحسن الله اليك وارحم ترحم وتواضع لله يرفعك الله فانه لا يحب المتكبرين ولقد علمت في احضار أميرهم خالد ومنيته وارغبته فما أجاب ورأيته على الحق مقيما فأردت ان افتك به وأمكر فخفت عاقبة المكر والغدر وما نصر هؤلاء الا بالعدل واتباع الحق بينهم والسلام ثم طوى الكتاب وبعث به مع أصحابه من العلوج (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وبقى ماهان سبعة أيام أخر بعد الوقعة الاولى لم يقاتل المسلمين ولم يقاتلوه وبعث أبو عبيدة برجل من عيونه ينظر ما الذى أخر الروم عن القتال فغاب الرجل يوما وليلة ثم عاد وأخبر أبا عبيدة ان ماهان قد كاتب الملك وهو منتظر الجواب فقال خالد بن الوليد ما تأخر ماهان عن قتالنا الا وقد حصل فزع فى قلبه فارحف بنا اليهم فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه لا تعجل فان العجلة من الشيطان (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان أبو عبيدة رجلا لين العريكة يحب الرفق فلما كان في اليوم الثامن نظر ماهان الى تلهف أصحابه الى الحرب والقتال فعزم على أن يلقى بهم المسلمين وقد فرح بنشاطهم فدعا برجل من المتنصرة من لخم وقال له اذهب فادخل هؤلاء العرب وتجسس لى أخبارهم وانظر ما عندهم قال فمضى اللخمى حتى دخل عسكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقام فيهم يوما وليلة يطوف في عسكرهم وليس أحد من المسلمين ينكره وهم آمنون وليس لهم همة الا اصلاح شأنهم والصلاة والقرآن والتسبيح وليس فيهم عدوان ولا ظلم ولا أحد يتعدى على أحد وقصد الى الموضع الذى فيه أبو عبيدة رضى الله عنه فنظر اليه كأنه أضعف ضعيف فى العرب

ساعة يجلس على الارض وساعة ينام عليها فاذا كان وقت الصلاة قام وأسبغ الوضوء وأذن المؤذنون وصلى بالناس ونظر المتنصر الى المسلمين وهم يصنعون كصنعه فقال المتنصر ان هذه طاعة حسنة ويوشك انهم ينصرون قال ورجع الى ماهان وحدثه بما رأى من القوم وما عاينه وقال أيها الملك انى جئتك من قوم يصومون النهار ويقومون الليل ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر رهبان فى الليل ليوث بالنهار ولو سرق واحد منهم ولو كان كبيرهم قطعوه ولو زنى رجموه لا يغلب هواهم على الحق بل الحق عندهم طالب وأميرهم كاضعف من فيهم الا انه مطاع فى قوله عندهم ان قام قاموا وان جلس أو قعد قعدوا ومناهم القتال وشهوتهم النزال ومرادهم أن يموتوا شهداء فى قتالكم وانما تأخرهم عن قتالكم الا ليكون البغى عليكم اذا بدأتموهم فقال ماهان هؤلاء القوم منصورون غير انى قد وجدت حيلة أعملها عليهم فقال المتنصر ما الحيلة أيها الملك فقال ماهان ألست زعمت انهم لا يبدون بالقتال حتى نقاتلهم فنكون نحن الباغين قال نعم قال فانا لا نطلب الحرب بل نطاول بيننا وبينهم ونوهمهم على حين غفلة دون عدة ولا أخذ فى حذرهم فعسى أن نظفر بهم قال ثم ان ماهان جمع الملوك وجعل يعقد لهم الرايات والصلبان حتى عقد على ستين ومائة صليب تحت كل صليب عشرة آلاف وكان أول صليب عقده لتناطر وكان نظيره فى الرتبة وأمره أن يكون فى الميمنة ثم عقده صليبا للديرجان وضم اليه الارمن والنعد والنوبة والروسية والصقالبية ثم عقد لابن اخت الملك صليبا على الافرنج والهرقلية والقياصرة والبرفل والدوقس وعقد لجبلة بن الايهم عقدا وضم اليه المتنصرة ولخم وجزام وغسان وضبيعة وأمره أن يكون على المقدمة وقال أنتم عرب وأعدانا عرب والحديد لا يقطعه الا الحديد ثم فرق الاعلام فى اجناد عسكره فلما انفجر الصبح وبان الصباح وأضاء نوره ولاح حتى كان فرغ من تعبية جيوشه ورتب طلائعه وأمر بمضرب له فضربت على كثيب عال على جانب اليرموك يشرف منه على العسكرين واوقف عن يمينه ألف فارس عتاة حماة الروم شاكين فى السلاح وعن يساره كذلك وهم المليكة وأصحاب السرير وأمرهم باليقظة وقال أى كرب يكون على العرب أعظم من هذا لانكم على تعبية وهم على غير أهبة فاذا طلعت الشمس ورأيتم المسلمين على غير تعبية فاحملوا عليهم من كل جانب ومكان فما هم فى عسكرنا الا كالشامة البيضاء فى جلد الثور الاسود هكذا سمعت ابا دبن غالب الحميرى يذكر وكان من المعمرين قال حدثنى جواد بن اسيد السكاسكى عن أبيه أسد بن علقمة فلما انشق الفجر أذن المؤذنون وتقدم أبو عبيدة وصلى بالناس وهو لا يعلم بمكيدة ماهان فقرأ فى أول ركعة والفجر وليال عشر حتى قرأ ان ربك لبالمرصاد اذ هتف

بهم هاتف وهم فى الصلاة وهو يقول ظفرتم بالقوم ورب العزة ومايغنى عنهم كيدهم شيأ وما اجرى الله هذه الآية على لسان أميركم الا بشارة لكم فلما سمع المسلمون كلام الهاتف عجبوا مما سمعوا ثم قرأ فى الركعة الثانية والشمس وضحاها الى قوله فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها واذا بالهاتف يقول تم المقال وصح الزجر وهذه علامة النصر فلما فرغ أبو عبيدة من صلاته قال يامعاشر المسلمين هل سمعتم الهاتف قالوا نعم سمعنا قائلا يقول كذا وكذا فقال أبو عبيدة والله هذا هاتف النصر وبلوغ الامل فابشروا بنصر الله ومعونته فوالله ليظفركم الله وليرسلن عليهم سوط عذاب كما انزل على القرون الاول ثم قال أبو عبيدة معاشر القوم انى رأيت الليلة فى منامى رؤيا تدل على النصر على الاعداء والمعونة من الملأ الاعلى فقالوا اصلح الله شأن الامير وما الذى رأيت قال رأيت كأنى واقف باذاء أعدائنا من الروم اذ زحف بنا رجال وعليهم ثياب بيض لم أر كهيئتها احسن البياض لها اشراق ونور يغشى الابصار وعلى رؤسهم عمائم خضر وبأيديهم رايات صفر وهم على خيول شهب فلما أخذوا مصافهم حولى قالوا تقدموا على عدوكم ولا تهابوهم فانكم غالبون فانه ناصركم ثم دعوا برجال منكم وسقوهم بكاس كأن معهم فيه شراب وكأنى أنظر عسكرنا وقد دخل عسكر الروم فلما رأونا ولوا بين أيدينا منهزمين فقال رجل من المسلمين اصلحك الله أيها الامير وأنا رأيت الليلة رؤيا فقال أبو عبيدة خيرا يكون ان شاء الله تعالى ما الذى رأيت يرحمك الله فقال رأيت كأنا خرجنا نحو عدونا فصاففناهم للحرب واذا قد انقضت عليهم من السماء طيور بيض لهم اجنحة خضر ومخاليب كمخاليب النسور فجعلت تنقض عليهم كانقضاض العقبان فاذا جاءت للرجل منهم ضربته ضربة فيقع قطعا قال ففرح المسلمون بتلك الرؤيا وقال بعضهم لبعض أبشروا فقد أمدكم الله وأيدكم بالنصر وأيدكم بملائكته تقاتل معكم كما فعل بكم يوم بدر قال وسر أبو عبيدة بذلك وقال هذه رؤية حسنة وهى حق وتأويلها النصر وانى أرجو من الله تعالى النصر وعاقبة المتقين فقال رجل من المسلمين أيها الامير ما وقوفنا عن هؤلاء الكلاب الاعلاج وما انتظارك للحرب وعدو الله يريد كيدنا باطالته وما تأخرنا الا بلية يريد أن يوقعنا فيها فقال أبو عبيدة ان الامر أقرب مما تظنون قال سعيد بن رفاعة الحميرى فبينما نحن كذلك اذ سمعنا الاصوات قد علت والرقاقات قد ارتفعت من كل جانب يهتفون بالقتال وان الروم قد زحفت الينا فظن أبو عبيدة ان المسلمين قد كبسوا فى وجه السحر فقام وقنا وكان على حرس المسلمين تلك الليلة سعيد بن زيد عمرو بن نفيل العدوى رضى الله تعالى عنه اذ أقبل سعيد وهو ينادى النفير النفير حتى وقف امام أبى عبيدة ومعه رجل من

المتنصرة

المتنصرة فقال أيها الامير ماهان أكاد المسلمين بتخلفه عن الحرب وها هو قد عبا عساكره وصف جيوشه وزحف الينا زحف من يريد الكبسة لنا ونحن على غير أهبة ولا عدة وهذا الرجل قد أقبل الينا راغبا فى الاسلام محذرا الناس من بأسه ويزعم ان ماهان قد قدم الينا حماة البطارقة وقد اتفق رأيهم على أن يقاتلنا كل ملك من ملوكهم بمن معه وهذا أصعب القتال ونظر المسلمون الى رايات الروم تقرب منهم والصلبان تدنو فقال أبو عبيدة لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم قال أين أبو سليمان خالد بن الوليد فأجابه بالتلبية فقال له أنت لها يا أبا سليمان فابرز فى أبطال المسلمين وصد عن الحريم الى أن تأخذ الرجال صفوفها وتستعد بآلة حربها فقال حبا وكرامة فنادى خالد بن الزبير بن العوام أين عبد الرحمن بن أبى بكر أين الفضل بن العباس أين يزيد ابن أبى سفيان أين ربيعة بن عامر أين ميسرة بن مسروق العبسى أين ميسرة بن قيس أين عبد الله بن أنيس الجهنى أين صخر بن حرب الاموى أين عمارة الدوسى أين عبد الله بن سلام أين غانم الغنوى أين المقداد بن الاسود الكندى أين أبو ذر الغفارى أين عمرو بن معدى كرب الزبيدى أين عمار بن ياسر العبسى أين ضرار بن الازور أين عامر الطفيل أين ابان أين عثمان بن عفان وجعل خالد يدعوهم رجلا بعد رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل رجل منهم يلقى جيشا فاجتمعوا الى خالد بأجمعهم واشتغلوا بالحرب واشتغل أبو عبيدة بترتيب الصفوف وتعبية العساكر فأقبل أبو سفيان الى أبى عبيدة وقال له أيها الامير مر نساءنا ان يعلوا على هذا التل قال نعم الرأى ما رأيت فأمرهن بذلك ففعلوا وعلون على التل وحصن أنفسهن وأولادهن ومعهن الاطفال والاولاد فقال لهن أبو عبيدة خذوا بأيديكن أعمدة البيوت والخيام واجعلن الحجارة بين أيديكن وحرضن المؤمنين على القتال فان كان الامر لنا والظفر فكن على ما أنتن عليه وان رأيتن أحدا من المسلمين منهزما فاضربن وجهه بأعمدتكن وأحصبنه بحجارتكن وأرفعن اليه أولادكن وقلن له قاتل عن أهلك وولدك وعن دين الاسلام فقلن النساء أيها الامير أبشر بما يسرك (قال الواقدى رحمه الله تعالى ورضى عنه فلما حصن أبو عبيدة النساء على التل أقبل يعبى جيشه وقد ابتدر الناس القتال بعد ما عباهم ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين وقدم أصحاب الرايات وكانت راية المهاجرين صفراء وفيها أبيض وأخضر وأسود وسائر القبائل أيضا راياتهم مختلفة وجعل المهاجرين والانصار فى القلب وأظهر المسلمون العدة والسلاح وجعل عسكره ثلاث صفوف فصف فيه النبالة من أهل اليمن وصف فيه أصحاب الخيل والعدة وقسم الخيالة ثلاثة فرق فجعلها فى الثلاثة صفوف واستعمل عليهم ثلاثة من المسلمين أحدهم

عبان بن حرملة العامري والثاني مسلمة بن سيف اليربوعي والثالث القعقاع بن عمرو التميمي ووقف المسلمون تحت راياتهم ووقف أبو عبيدة تحت رايته التي عقدها له أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يوم مسيره الى الشام وهي راية رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفراء التي سار بها يوم خيبر قال ومع خالد راية العقاب وكانت سوداء وجعل على الرجالة شرحبيل بن حسنة وعلى الجناح الأيمن يزيد بن أبي سفيان وعلى الايسر قيس بن هبيرة فلما ترتبت الصفوف سار أبو عبيدة بين الصفوف وجعل يحرض المؤمنين على القتال ويقول ان تصبروا وتصبروا وان الله ينصركم ويثبت أقدامكم والزموا الصبر فان الصبر منجاة من الكرب ومرضاة للرب ومقمعة للعدو ولا تزايلوا صفوفكم ولا تنقضوا ابنيتكم ولا تخطوا خطوة الا وأنتم تذكرون الله ولا تبدؤهم بالقتال حتى يبدؤكم وشرعوا الرماح واستتروا بالدرق والزموا الصمت الا من ذكر الله ولا تحدثوا حدثا حتى آمركم ثم رجع الى مقامه من القلب فوقف فيه ثم خرج من بعده معاذ بن جبل فطاف على الناس محرضا لهم يقول يا أهل الدين ويا أنصار الهدى والحق اعلموا رحمكم الله تعالى ان رحمة الله لا تنال الا بالعمل والنية ولا تدرك بالمعصية والتمني بغير عمل مرض ولا تدخل الجنة الا بالاعمال الصالحة مع رحمة الله ولا يؤتي الله الرحمة والمغفرة الواسعة الا للصابرين والصادقين ألم تسمعوا قوله جل من قائل وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيأ ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون واستحيوا من الله ان يراكم فرارا من عدوكم وأنتم في قبضته ليس لكم ملجأ من دونه ولم يزل معاذ يقول ذلك الى أن رجع الى مقامه ثم خرج سهل بن عمرو فمشى بين الصفوف وهو شاكي السلاح راكب فرسه متقلد بسيفه وهو يقول مثله ثم رجع وخرج من بعده أبو سفيان فطاف بين الصفوف وهو شاكي السلاح راكب فرسه متقلد بسيفه معتقل رمحه وهو يقول معاشر العرب الكرام السادة العظام وقد أصبحتم في ديار الاعلاج منقطعين عن الاهل والاوطان ووالله لا ينجيكم منهم الا الطعن الصائب في أعينهم والضرب المدارك في هاماتهم وبذلك تبلغون أربكم وتنالون الفوز من ربكم واعلموا ان الصبر في مواطن البأس مما يفرج الله به الهم وينجي به من الغم فاصدقوا القتال فان النصر ينزل مع الصبر فان صبرتم ملكتم بلادهم وأمصارهم واستعبدتم ابناءهم ونساءهم وان وليتم فليس بين أيديكم الا مغاور لا ينقطع الا بالزاد الكثير والماء الغزير ولا ترجعوا الى دور ولا الى قصور فامنعوا بسيوفكم وجاهدوا في الله حق جهاده ولا تموتن الا وأنتم مسلمون قال

ثم خرج من بين الصفوف وأقبل على النساء وهن على التل وفيهن المهاجرات وبنات الانصار وغيرهن من نساء المسلمين ومعهن أولادهن فقال لهن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان النساء ناقصات عقل ودين فكن ممن احتفظن على أديانهن وقدمن في ذلك النية وحرضن أزواجكن على القتال ومن رجع منهم منهزما فاضربن وجهه بالحجارة وأضربن جواده بالعمد وأظهرن أولادكن لازواجكن حتى يرجعوا قال فوقف النساء وهن مستعدات متنمرات مرتجزات باشعارهن ورجع أبو سفيان الى موضعه وهو يقول معاشر المسلمين قد حضر ما ترون وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم والجنة امامكم والشيطان والنار وراءكم وأقبل حتى وقف مكانه ولم تغن مكيدة ماهان شيأ ورجعت الروم الى ورائها حين نظروا خالدا زحف اليهم في خمسمائة فارس فخافوا لذلك ورجعوا حتى اصطفت الصفوف وعبا المسلمون كتائبهم فقال ماهان ما يوقفكم عن قتالهم فازحفوا اليهم فزحف الروم الى المسلمين فنظر خالد الى جيش عظيم عرمرم قال وكان ماهان قد أنفذ ثلاثين ألفا من عظمائهم فحفروا لهم في الميمنة حفائر ونزلوا فيها وشدوا أرجلهم بالسلاسل واقترن كل عشرة في سلسلة التماسا لحفظ عسكرهم وحلفوا بعيسى ابن مريم والصليب والقسيسين والرهبان والكنائس الاربع ان لا يفروا حتى يقتلوا عن آخرهم فلما نظر خالد الى ما صنعوا قال لمن حوله من جيش الزحف هذا يوشك ان يكون يوما عظيما ثم قال اللهم أيد المسلمين بالنصر ثم أقبل الى أبي عبيدة وقال أيها الامير ان القوم قد اقترنوا في السلاسل وزحفوا الينا بالقواضب ويوشك ان يكون على الناس وقال لهم ان العدو عدده كثير وما ينجيكم الا الصبر ثم قال لخالد فما الذي ترى من الرأي يا أبا سليمان (قال الواقدي) وكان ماهان قدم من الروم من عرفت شجاعته وعلمت براعته واشتهر بالثبات في بلادهم وهم مائة ألف فلما نظر خالد اليهم شهد لهم بالفروسية وانهم من أهل الشدة وقال لابي عبيدة ان الرأي عندي ان توقف في مكانك الذي أنت فيه سعيد بن زيد وتقف أنت من وراء الناس في مائتين أو ثلثمائة من أصحابك فاذا علموا الناس انك من ورائهم استحوا من الله ثم منك أن لا يفروا قال فقبل أبو عبيدة مشورته ودعا سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة فأوقف أبو عبيدة مكانه ثم انتخب أبو عبيدة مائتين فارس من اليمن وفيهم رجال من المهاجرين والانصار ووقف بهم من وراء الجيش بحذاء سعيد بن زيد قال حدثني ورقة بن مهلهل التنوخي وكان صاحب راية أبي عبيدة يوم اليرموك قال وكان أول من فتح باب الحرب يوم اليرموك بجيش السلاسل غلام من الازد حدث أكيس فقال لابي عبيدة أيها الامير اني أردت ان أشفي قلبي وأجاهد عدوي وعدو الاسلام وابذل نفسي

فى سبيل الله تعالى لعلى أرزق الشهادة فهل تأذن لى فى ذلك وان كان لك حاجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرنى بها قال فبكى أبو عبيدة وقال اقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم منى السلام وأخبره انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا قال ثم ان الغلام الازدي جواده وحمل يريد الحرب فخرج اليه علج من الروم قام من الرجال على فرس أشهب فلما رآه الغلام تصدى له وقد احتبس نفسه فى سبيل الله تعالى فلما قرب منه قال

لابد من طعن وضرب صائب * بكل لدن وحسام قاضب

لعلى ان أنال من ربى المواهب * فى جنة الخلد من أعلا المراتب

قال وبعد شعره حمل كل منهما على صاحبه وابتدأ الغلام الازدى للرومى بطعنة فجدله صريعا وأخذ عدته وجواده وسلمهم لرجل من قومه وعاد الى البراز فخرج اليه آخر فقتله وثالث ورابع فقتلهم فخرج اليه خامس فقتل الازدى فغضب الازد عند ذلك ودنت من صفوف المشركين فعندها أقبلت الروم وزحفت كالجراد المنتشر حتى دنا طرفهم من ميمنة المسلمين فقال أبو عبيدة ان أعداء الله قد زحفوا عليكم فتكلموهم واعلموا ان الله معكم فثبتوا انفوسكم بالصبر والصدق واللقاء والنصر من الله ثم لحظ الى السماء بطرفه وقال اللهم اياك نعبد واياك نستعين ولك نوحد ولا نشرك بك شيأ وان هؤلاء أعداؤك يكفرون بك وبآياتك ويتخذون لك ولدا اللهم زلزل أقدامهم وارعب قلوبهم وأنزل علينا السكينة وألزمنا كلمة التقوى وأنجز لنا ما وعدتنا يا من لا تخلف الميعاد اللهم انصرنا عليهم يا من قال فى كتابه العزيز واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير قال فبينما هو يدعو بهذه الدعوات اذ حملت الروم على ميمنة المسلمين وكان فيها الازد ومذحج وحضرموت وخولان فحملت عليهم الروم حملة منكرة فصبروا لهم صبر الكرام وقاتلوا قتالا شديدا وثبتوا لهم ثباتا حسنا وحملت عليهم كتيبة ثانية فصبروا صبرا جميلا وحملت عليهم كتيبة ثالثة فأزالوا المسلمين عن الميمنة فابتدر منهم عمرو بن معدى كرب الزبيدى وهو المقدم على زبيد والامير عليهم وهم يعظمونه لما سبق من شجاعته فى الجاهلية وكان يوم اليرموك قد مر له من العمر مائة وعشرون سنة الا أن همته الشجاعة فلما نظر الى قومه وقد انكشفوا صاح فى قومه يا آل زبيد يا آل زبيد تفرون من الاعداء وتفزعون من شرب كأس الردى أترضون لانفسكم بالعار والمذلة ما هذا الانزعاج من كلاب الاعلاج أما علمتم أن الله مطلع عليكم وعلى المجاهدين والصابرين فاذا نظر اليهم وقد لزموا الصبر فى مرضاته وثبتوا القتال أمدهم بنصره وأيدهم بنصره فأين تهربون من الجنة أرضيتم بالعار

ودخول النار وغضب الجبار قال فلما سمعت زبيد كلام سيدهم عمرو بن معدي كرب تراجعوا اليه وعطفوا عليه عطفة الابل على أولادها فاجتمعوا حوله وهم زها عن خمسمائة فارس وراجل وشدوا على القوم شدة واحدة وحملت معهم حمير وحضرموت وخولان وحملوا حملة صعبة فأزالوا الروم عن أماكنهم وحملت دوس مع أبي هريرة وهو رايته وهو يحرض قومه على القتال ويقول أيها الناس سارعوا الى معانقة الحور العين في جوار رب العالمين ومامن موطن أحب الى الله من هذا الموطن ألا وان الصابرين قد فضلهم الله على غيرهم الذين لم يشهدوا مشهدهم فلما سمعت دوس كلامه طافوا به وحملوا على الروم حملة منكرة ودارت بينهم الحرب كما تدور الرحا وتكاثرت جموع الروم على ميمنة المسلمين فعادت الخيل تنكص بأذنابها راجعة على أعقابها منكشفة بانكشاف الغنم بين أيادي الاسد ونظرت النساء خيل المسلمين راجعة على أعقابها فنادت النساء يابنات العربيات دونكم والرجال ردوهم من الهزيمة حتى يعودوا الى الحرب قالت سعيدة بنت عاصم الخولاني كنت في جملة النساء يومئذ على التل فلما انكشفت ميمنة المسلمين صاحت بنا عفيرة بنت غفار وكانت من المترجلات البارزات ونادت يانساء العربيات دونكن والرجال واحملن أولادكن على أيديكن واستقبلوهم بالتحريض فأقبلت النسوة يرجمن وجوه الخيل بالحجارة وجعلت ابنة العاص بن منبه تنادي قبح الله وجه رجل يفر عن حليلته وجعلن النساء يقلن لازواجهن لستم لنا ببعولة ان لم تمنعوا عنا هذه الاعلاج قال العباس بن سهل الساعدي كانت خولة بنت الازور وخولة بنت ثعلبة الانصارية وكعوب ابنة مالك بن عاصم وسلمى ابنة هاشم ونعم ابنة فياض وهند ابنة عتبة بن ربيعة ولبنة ابنة جرير الحميرية متحزمات وهن امام النساء والمزاهر معهن وخولة تقول هذه الابيات

يا هاربا عن نسوة ثقات * لها جمال ولها ثبات
يسلمهن نظرا الى المنسات * تملك نواصيهن مع البنات
أعلاج سوء فسق عتات * ينلن منا أعظم الشتات

قال ورجعت الفرسان تحرض الفرسان على القتال فرجع المنهزمون رجعة عظيمة عند ماسمعوا تحريض النساء وخرجت هند ابنة عتبة وبيدها مزهر ومن خلفها نساء من المهاجرين وهي تقول الشعر الذي قالته يوم أحد وهو هذا

نحن بنات طارق * نمشي على النمارق
مشي القطا الموافق * فيدي مع المرافق

ومن أبى نفارق * أن تغلبوا نعانق
أوتدبروا نفارق * فراق غير وامق
هل من كريم عاشق * يحمى عن العوانق

قال ثم استقبلت خيل ميمنة المسلمين فرأتهم منهزمين فصاحت بهم الى أين تنهزمون والى أين تفرون من الله ومن جنته وهو مطلع عليكم ونظرت الى زوجها أبى سفيان منهزما فضربت وجه حصانه بعمودها وقالت له الى أين يا ابن صخر ارجع الى القتال وابذل مهجتك حتى تمحص ما سلف من تحريضك على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الزبير بن العوام ولما سمعت كلام هند لأبى سفيان ذكرت يوم أحد ونحن بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فعطف أبو سفيان عندما سمع كلام هند وعطف المسلمون معه ونظرت الى النساء وقد حملن معهم وقد رأيتهن يسابقن الرجال وبأيديهن العمدين أرجل الخيل ولقد رأيت منهن امرأة وقد أقبلت الى علج عظيم وهو على فرسه فتعلقت به فلا زالت به حتى نكسته عن جواده وقتلته وهى تقول هذا بيان نصر الله المسلمين قال الزبير بن العوام وحمل المسلمون حملة منكرة لا يريدون غير رضاء الله ورسوله وقاتلت الازد مع أبى هريرة وفشى فيهم القتل وأصيب منهم خلق كثير لانهم التقوا الصدمة الاولى بانفسهم واستشهد منهم ما لم يستشهد من غيرهم قال سعيد بن زيد وكان القتال فى الميمنة شديدا وكان المسلمون ينهزمون تارة ويعودون مرة وساعة تصبر وساعة تتأخر قال ونظر خالد بن الوليد الى الميمنة وقد وصلت الى القلب فصاح بمن معه من الخيل ومال عليهم قالوا وكانوا زهاء عن ستة آلاف فكبر وحمل على الروم فنكى بهم نكاية عظيمة حتى كشف أعداء الله عن الميمنة والقلب الى أن ردت الى مواضعها ووقف خالد امامهم يطارد من كان قريبا للمسلمين قال فانكسر الروم امام خالد ونظر خالد الى فرسانه فرآهم متبددين فنادى يا أهل الاسلام والايمان ويا حملة القرآن ويا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قد تبينت فى الروم الكسرة العظيمة ولم يبق عند القوم من الجلد والقتال الا ما رأيتم وقد كسر الله حدتهم فردوا عليهم الكسرة وشدوا عليهم الكرة رحمكم الله فوالذى نفس خالد بيده انى لارجو أن يمنحكم الله أكتافهم فنادى المسلمون من كل جانب احمل حتى نحمل معك قال فامتض خالد سيفه وحمل وحملت أصحابه معه قال عبد الرحمن بن الحميد الجمحى كنت ممن حمل مع خالد والله لقد انكشفت الروم بين أيدينا وولت كما تولى الغنم بين يدى الاسد وتبعهم المسلمون وكانت الحملة على ميمنة الروم فانكشفوا انكشافا قبيحا وأما المسلسلة فلم يبرحوا من مواضعهم وكانوا يرمون بالسهام وهم حماة القوم قال عبد الرحمن وكان خالد

اماماً فى حملته ونحن من ورائه وكان شعارنا يا محمد يا منصور أمت أمت فلم يزل خالد فى حملته ونحن من ورائه حتى وصل الى الديرجان وكان قائماً فى موضعه الذى أقامه فيه ماهان ومعه صليب من الجوهر ومعه أصحابه ينتظرون حملته فيحملون معه فلما وصلت خيل خالد الى موضعه قالت له البطارقة أيها الملك أما لك أن تحمل فنحمل معك أو تولى فقد خالطنا خيل العرب فقال لاصحابه اعلموا ان يوم السوء لا أحبه ولا أحب أن أراه ولا أحضره وقد أحضرني الملك الى هذا الموقف وأنا كاره ولكن لفوا وجهي ورأسي فى هذا الثوب حتى لا أرى الحرب قال فلفوا وجهه ورأسه فى ثوب ديباج والناس يقتتلون حتى انهزمت الروم بين أيدى المسلمين ووصلوا الى الديرجان وهو ملفوف الرأس فحمل عليه ضرار بن الازور فقتله (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان من حسن صنع الله تعالى بالمسلمين ان جرجير وقناطر اختلفوا وتنازعوا وكان جرجير فى الميمنة مع الارمن وقناطر فى الميسرة تحته فقال جرجير لقناطر احمل على العرب فما هذا وقت الوقوف فقال قناطر تأمرنى أن أحمل وكيف لا تحمل أنت فقال جرجير لقناطر وكيف لا آمرك وأنا أمير عليك فقال قناطر كذبت أنت أمير وأنا أمير عليك ولكنى فوقك وأنت مأمور لى بالطاعة فاختلفا وغضب جرجير من قول قناطر فحمل على المسلمين حملة شديدة وكانت حملته على كنانة وقيس وخثعم وجزام وقضاعة وعاملة وغسان وهم يومئذ فيما بين الميسرة والقلب فكشف الروم المسلمين حتى زالت عن مصافهم ولم يبق منهم الا أصحاب الرايات فقاتلوا من يليهم قتالا شديدا وركب الروم أكتاف المسلمين المنهزمين الى أن دخلوا معهم الى عسكرهم فاستقبلهم النساء بالعمد يضربن وجوه الخيل ويرمين وجوهها بالحجارة وينادين بهم الى أين تنهزمون يا أهل الاسلام عن الامهات والاخوات والبنين والبنات أتريدون أن تسلمونا للاعلاج قال منهال الدوسى فلقد كن النساء أشد علينا غلظة من الروم فتراجع المسلمون عن الهزيمة ينادى بعضهم بعضا وتواصوا بالخلط والصبر وعطفوا على الروم عطفة عظيمة قال وكان قنامة بن أيشم الكنانى امام المسلمين يضرب فى أعراض المشركين تارة بالسيف وتارة بالرمح حتى كسر ثلاث رماح وهو يقول

سأحمل فى الروم الكلاب النوابح ❁ وأضربهم ضربا بحد الصفائح

وأرضى رسول الله خير مؤمل ❁ نبي الهدى للدين ناصح

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) ثم حمل حتى كسر سيفين وجعل كلما كسر رمحا أو سيفا يقول من يعيرنى سيفا أو رمحا فى سبيل الله وأجره على الله ثم نادى يا معاشر قيس خذوا نصيبكم من الاجر والصبر فان الصبر فى الدنيا عز ومكرمة وفى الآخرة رحمة

وفضيلة فاصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون قال فأجابه قوم ونشطوا للقتال قال قتامة بن أشيم الكنانى فما رأيت مثل حملة قتامة وقومه ولقد اختلطوا بهم واختلفنا بينهم قال ورجع خالد من حملته ومعه ألفان من أصحابه وقد وضعوا السيوف فى الروم وقتلوهم قتلا ذريعا والقتل لا يبان فيهم لكثرتهم وأقبل خالد على الناس من كرته ورأى الناس يقولون جزى الله قتامة بن الاشيم خيرا عن الاسلام وشكره وجزاه خيرا قال وأقبلت ذرعة ابنة الحارث منحدرة من على التل وهى تقول ما فعل خالد ما فعل خالد حتى وقفت بين يديه وقالت يا ابن الوليد أنت من العرب الفرار انما الرجال بأمرائها فان ثبتوا ثبتت الرجال معهم وان انهزموا انهزمت الرجال معهم فقال لها خالد ما كنت من المنهزمين وما كنا نقاتل الا فى الاعلاج فقالت قبح الله وجه عبد نظر الى أميره ثابتا وهو منهزم عنه (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ونظر ماهان لعنه الله الى الميمنة من عسكره وقد عركت عراك الاديم فبعث اليهم يحرضهم على القتال فعندها خرج علج من الروم وعليه سابغ السلاح كانه قطعة جبل وهو على شهباء عظيم الخلقة وبرز بين الصفين وجال على شهبته وسار القتال فخرج اليه غلام من الازد فجال معه جولة حتى قتله العلج ثم دعا البراز فهم أن يخرج اليه معاذ بن جبل فقال أبو عبيدة يا معاذ سألتك بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ما ثبت مكانك ولزمت رايتك ولزومك الراية أحب الى من برازك الى هذا العلج فوقف معاذ بالراية ونادى يا معاشر المسلمين من أراد فرسا يقاتل عليه فى سبيل الله فهذا فرسى وسلاحى فجاءه ولده عبد الرحمن فقال أنا يا أبت وكان غلاما ما بلغ الحلم قال فلبس السلاح وركب الجواد وقال يا أبت أنا خارج الى هذا العلج فان صبرت فالمنة لله على وان قتلت فالسلام عليك وان كان لك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة فأوصنى بها فقال له معاذ يا بنى أقرأه منى السلام وقل له جزاك الله عن أمتك خيرا ثم قال يا بنى اخرج وفقك الله لما يحب ويرضى فخرج عبد الرحمن بن معاذ الى العلج كانه شعلة نار وحمل على العلج وضربه بالسيف فثنى عنه العلج ومال اليه وضربه على رأسه فقطع العمامة وشجه شجة فاضحة أسال دمه فلما رأى العلج ذلك الدم ظن أنه قتيل فتأخر الى ورائه لينظر كيف يسقط عن جواده فلما نظر عبد الرحمن الى العلج وقد تأخر عنه انثنى راجعا الى المسلمين فقال له معاذ ما بك يا بنى قال قتلنى العلج قال له ما الذى تريد من الدنيا يا بنى ثم انه شد جرحه قال فعندها طعن العلج وحمل فردته الازد قال أبو عبيدة فمن له منكم فخرج اليه عامر بن الطفيل الدوسى وكان من أصحاب الرايات ممن شهد اليمامة مع خالد بن الوليد وكان قد رأى يوم اليمامة فى منامه فى قتال مسيلمة الكذاب كان امرأة لقيته ففتحت له

فرجها فدخل فيه ونظر اليه ابنه فاسرع ليدخل مكانه ثم استيقظ وقص ذلك على المسلمين فلم يدر أحدا ما تأويلها فقال ابن الطفيل أما أنا فاعرف تأويلها قالوا وما تأويلها يا ابن الطفيل قال تأويلها انى أقتل لأن المرأة التى أدخلتنى فرجها هى الارض وابنى سيصيبه جراح ويوشك أن يلتقى بى قال فقاتل يوم اليمامة وأبلى بلاء حسنا وسلم ولم يلحقه أذى فلما كان يوم اليرموك وشهد فيه الحرب خرج الى قتال العلج وهو كانه شعله حريق أو صاعقة وطعن البطريق وكان قتادة قد شهدت معه المشاهد فاندقت بين يديه وأمضى سيفه وهزه وضرب به العلج على عاتقه أخلط أعضاءه فتنكس العلج صريعا عن جواده وأسرع عامر بن الطفيل ورمى به الى المسلمين وسلمه الى ولده وانثنى عليه راجعا نحو الروم وحمل على الميمنة وعلى الميسرة وعلى القلب ثم قصد المتنصرة فقتل منهم فارسا ودعا للبراز فخرج اليه جبلة بن الايهم وعليه درع من الديباج المثقل بالذهب وتحتها درع من دروع التبابعة وعليه بيضة تلمع كشعاع الشمس وتحته فرس من نسل خيول عاد فلما خرج جبلة الى عامر بن الطفيل قال له من أى الناس أنت قال أنا من دوس قال جبلة انك من القرابة فابق على نفسك وارجع الى قومك ودع عنك الطمع فقال له عامر قد اخبرتك من أنا ومن قبيلتى فأنت من أى العرب قال أنا من غسان وأنا سيدها جميعها أنا جبلة بن الايهم الغسانى وانما خرجت اليك حين نظرت اليك وقد قتلت هذا البطريق الشديد وهو نظير ماهان وجرجير فى الشجاعة فعلمت انك كفؤ فخرجت لاقتلك وأحظى عند ماهان وهرقل بقتلك فقال عامر بن الطفيل أما ما ذكرت من شدة القوم وعظم خلقهم فالله أشد منعة وهو مهلك الجبابرة وأما قولك انك تحظى بقتلى عند مخلوق مثلك فانى أريد أن أحظى بجهادى عند رب العالمين بقتالك وحمل عامر على جبلة بن الايهم والتقيا بضربتين فخرجت ضربة عامر بن الطفيل غير ممكنة وخرجت ضربة جبلة ممكنة فقطع من قرنه الى كتفه فسقط عامر قتيلا فجال جبلة على مصرعه ووقف يعجب بنفسه وبما صنع وطلب البراز فخرج اليه ولد المقتول وهو جندب بن عامر بن الطفيل وكانت معه راية أبيه فأقبل الى أبى عبيدة وقال ايها الامير ان أبى قد قتل وأريد أن آخذ بثاره أو أقتل فادفع رايتك لمن شئت من دوس فأخذ أبو عبيدة الراية ودفعها لرجل من دوس فحملها وخرج جندب الى قتال جبلة بن الايهم وهو ينشد ويقول

سأبذل مهجتى أبد الانى * أريد العفو من رب كريم
وأضرب فى العدا جهدى بسيفى * وأقتل كل جبار لئيم
فان الخلد فى الجنان حقا * يباح لكل مقدام سليم

قال ودنى من جبلة وقال له اثبت يا قاتل أبي لاقاتلنك فقال جبلة ومن أنت من المقتول
قال ولده قال جبلة ما الذى حملكم على قتل نفوسكم وأولادكم وقتل النفوس محرم قال
جندب ان قتل النفس فى سبيل الله محمود عند الله وبه ينال بها الدرجة العالية فقال
له جبلة انى لا أريد قتالك فقال جندب وكيف أرجع وأنا المفجوع بأبي والله لا رجعت
أو آخذ بثار أبي أو ألحق به ثم حمل على جبلة وجعلا يقتتلان وقد شخصت نحوهما
الابصار ونظر جبلة الى الغلام وما أبدا من شجاعته فعلم انه شديد البأس صعب المراس
فأخذ منه حذره وغسان ترمق صاحبها ورأت الغلام جندب وقد ظهر على صاحبهم
وفاز به فى الحرب فصاح بعضهم على بعض وقالوا ان هذا الغلام الذى برز الى سيدكم
غلام نجيب وان تركتموه ظهر عليه فانجدوه ولا تدعوه فتناهب فرسان غسان للجملة
ليستنقذوه ونظر المسلمون الى جندب وما قد ظهر منه من شجاعته وشدته ففرحوا
بذلك ونظر الامير أبو عبيدة الى ذلك وما فعل فبكى وقال هكذا يكون من يبذل مهجته
فى سبيل الله اللهم تقبل له فعله قال جابر بن عبد الله شهدت قتال اليرموك فما رأيت
غلاما كان أنجب من جندب بن عامر بن الطفيل حين قاتل جبلة وبعد ذلك انه
حمل على جبلة وضربه ضربة أوهنه بها وضربه جبلة فقتله وعجل الله بروحه الى الجنة
ولحق مقام أبيه عامر بن الطفيل وجال جبلة على مصرعه وطلب البراز فصاح به قومه
ارجع الينا فقد قضيت ما يجب عليك فرجع وهو معجب بنفسه حتى وقف تحت
صليبه قال وبعث اليه ماهان يشكره وأصيب المسلمون بعامر بن الطفيل وولده
جندب قال وبعدها صاحت دوس الجنة الجنة خذوا بثار سيدكم عامر وساعدتها
الازد وكانوا أحلافهم وحملوا على غسان ولخم وجذام وتناشدوا الاشعار فصاح أبو
عبيدة بالمسلمين وقال أيها الناس سارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة ومعانقة الحور
العين فى جنات النعيم فما من موطن أحب الى الله من هذا الموطن ألا وان الصابرين
وفضلهم الله على غيرهم ممن لم يشهد مشهدهم هذا ولما سمعت الازد ذلك حملت مع دوس
وكان شعارهم يومئذ الجنة الجنة (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى موسى بن محمد
عن عطاء بن مراد قال سألت رجالا من عدة ما كان شعار المسلمين يوم اليرموك فأخبرت
ان شعار أبي عبيدة أمت أمت وشعار عبس يا للعبسى وشعار التيم من اخلاط الناس
يا أنصار الله وشعار خالد ومن معه يا حزب الله وشعار زهير الفتح الفتح وشعار دارم
والسكاكس الصبر الصبر وشعار بنى مراد يا نصر الله انزل فهذه كانت شعار المسلمين
يوم اليرموك قال فلما حملت دوس وتبعها الازد وقصدت الى العرب المتنصرة وطلبت
صليبهم وخرقتهم خرقة صعبة حتى وصلوا الى الصليب فطلب رجل منهم حامل العلم الذى

لغسان فارداه عن فرسه ووقع الصليب من يده منكوسا وقتل من الازد ودوس رجال الا انهم كانوا مثل الشامة البيضاء في جلد البعير الاسود ثم كرت غسان تريد أخذ صليبهم فاقتتلوا عنده قتالا شديدا حتى قتلوا خلقا كثيرا (قال الواقدي رحمه الله تعالى) حدثني هشام بن عمارة عن أبي الحريري عن نافع عن جبير بن الحويرث عن عبد الله ابن عدي قال شهدت اليرموك فكان المسلمون خمسة وعشرين ألفا فغضب الحويرث وقال كذب من حدثك بهذا الحديث فان المسلمين كانوا يوم اليرموك احدى وأربعين ألفا وقد أديت اليك ما سمعته ممن أثق به من الرواة (قال الواقدي رحمه الله تعالى) وهذا أثبت الاقاويل لان المسلمين كانوا يوم أجنادين اثنين وثلاثين ألفا وجاءت الامداد بعد ذلك (قال الواقدي رحمه الله تعالى) حدثني ابن أبي نمرة عن عبد الحميد بن سهل عن جده قال لما حملت الازد يوم اليرموك ودوس ودوخة المشركين دوخة عظيمة وحملت المشركون حملة هائلة فانكشف المسلمون وكان صاحب لوائهم عياض بن غنم الاشعري فولى منهزما واللواء بيده فصاح به الناس انما ثبات القوم وأهل الحرب بالويتهم فابتدر لاخذه عمرو بن العاص وخالد بن الوليد كلاهما تسابقان اليه فأخذه عمرو ولم يزل يقاتل به حتى انهزمت الروم وفتح الله على أيدي المسلمين وكان اليوم الثالث من اليرموك يوما شديدا انهزمت فيه فرسان من المسلمين ثلاث مرات كل مرة تردهم النساء بالحجارة والعمد ويلوحون بالاطفال اليهم فيرجعون الى القتال ولم يزل القتال قائما الى ان أقبل الليل بسواده ورجعت الروم الى مواضعها والقتل فيهم كثير وفي المسلمين قليل الا ان الجراح فيهم ناشئة من النشاب فلما دخل الليل بسواده ورجعت كل فرقة الى أماكنها وباتوا تحت السلاح قال وأما المسلمون فما كانت همتهم الا الصلاة وبعد ذلك شدوا الجراح وصلى بهم أبو عبيدة رضي الله عنه وقال أيها الناس اذا عظم البلاء فانتظروا الفرج فانه يأتي من عند الله فأضرموا نيرانكم وتحارسوا وأظهروا التهليل والتكبير وقام أبو عبيدة يمشي في الناس وخالد بن الوليد يتفقدون الجرحى وهم يقولون أيها الناس ان عدوكم يألم كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وباتوا طول ليلهم كله وهم طائفون على المسلمين الى أن أصبح الصباح قال وانحازت الروم الى جانب اليرموك مع ماهان الارمني فجمع بطارقته ووبخهم وزجرهم وقال لهم قد علمت أن هذا يكون منكم وقد رأيت من فشلكم وخوفكم وجزعكم من هؤلاء العرب الضعاف قال فاعتذروا اليه وقالوا غدا نبارزهم فان فينا فرسانا وشجعانا لم يقاتلوا شيأ وغدا تصدقهم الحرب فيكون لنا العاقبة قال فسكت عن توبيخهم وأمرهم أن يتأهبوا لذلك وبات الفريقان يتحارسون وقد رعبت الروم من كثرة القتلى فيهم وأما المسلمون

فانهم أقوى قلوبا الشدة دينهم ويقينهم قال فلما أصبح الصباح وصلى بهم أبو عبيدة صلاة الخوف واذا بالصلبان قد بدت وبرايات القوم قد طلعت في عدد الشوك والشجر كانهم لم يلاقوا قتالا قط فوقفوا في مصافهم ونصب ماهان سريره على الكثيب الذي كان عليه بالامس وهو يشرف منه على العساكر فأمرهم أن يعبوا مصافهم فلما نظر أمير المؤمنين الى سرعة الروم صاح كل أمير برجاله وحرضهم على القتال فانقلبوا من الصلاة الى خيولهم ولبسوا السلاح وركبوا خيولهم ورجع كل أمير الى مكانه وهو يعظ أصحابه ويومهم ويعدهم من الله بالنصر وسار أبو عبيدة بين الصفوف وهو يصف لهم فضل الجهاد وما أعد الله للمجاهدين الصابرين وخلف على الذراري والنساء والاموال والاولاد عمر بن سعيد بن عبد الله الانصاري وجعل من الرومان خمسمائة في الميمنة وخمسمائة في الميسرة وخمسمائة في القلب وطاف أبو عبيدة عليهم وقال لهم معاشر الرماة ارموا مراكزكم فان رأيتم القوم زحفوا اليكم فارشقوهم بالنبال واذكروا الله عند رميكم ولا تتركوها مفرقة ولتخرج سهامكم كانها من كبد قوس واحد فان هم زحفوا اليكم فاثبتوا امكانكم حتى يأتيكم أمري نفعلوا ما أمرهم به الامير وتقدم أبو سفيان الى ولده يزيد والراية في يده وحوله أصحابه وقد عزم على الجلاد والجهاد فقال يا بني ان أحسنت أحسن الله اليك وعليك بتقوى الله والصبر فاتق الله حق تقاته وانصر دين الله وشرع نبيه صلى الله عليه وسلم واياك والجزع فما قضاه ربنا قد أمضاه فاصبر مع أصحابك صبر أولي العزم واياك ثم اياك أن يراك الله منهزما فتبوء بغضب من الله قال يزيد سأصبر جهدي وطاقتي والله أسأله أن يكون معينا لي وناصرا ثم صاح يزيد برجاله وهز الراية وندبهم الى القتال وحمل على من يليه من الروم فقاتلوا قتالا عظيما ولم يزالوا حتى أنكوا العدو نكاية عظيمة وأبلوا بلاء حسنا وكان قتالهم من جانب القلب ولم يزالوا كذلك حتى برز اليه بطريق من البطارقة وبيده رمح وعليه صليب من الذهب وحوله زهاء عشرة آلاف فارس من الروم فحملوا على الميمنة وكان فيها عمرو بن العاص ومن معه فرجعوا على أعقابهم منهزمين حتى دخلت الروم في أوائل عسكر المسلمين مما يلي عمرو ومن معه وهم يتراجعون على الرجال فيكرون تارة ويرجعون تارة حتى تكاثرت عليهم الروم فكشفوهم حتى ألصقوهم بالتل الذي عليه النساء وأحاطوا بالتل فصاحت امرأة أين أنصار الدين أين حماة المسلمين وكان الزبير بن العوام جالسا عند زوجته أسماء بنت أبي بكر الصديق يداوي عينه وكان أرمد فلما سمع صوت المرأة وهي تنادي أين أنصار الدين قال يا أسماء ما لهذه المرأة تصيح أين أنصار الدين فقالت له عفرة ابنة عثمان يا ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم انهزمت ميمنة المسلمين

حتى

حتى الجأهم الروم الينا وأحاطوا بنا الاعلاج وهذه الانصار مستصرخة بأنصار الدين فقال الزبير والله انى أنا من أنصار الدين ولا يرانى الله جالسا فى مثل هذا الوقت قال ثم طرح الخرقة عن عينه واستوى جالسا على متن جواده وأخذ قناته وتسمى باسمه وقال فى حملته أنا الزبير بن العوام أنا ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يطعن فيهم طعنا متداركا حتى ردهم على أعقابهم وخيلهم تنكص باذنابها قال ليث بن جابر فلله در الزبير بن العوام لقد رد الروم بنفسه وحده اذ حمل عليهم وما كان معه من العرب غيره حتى ردهم الى عسكرهم وتراجعت خيل عمرو ورجاله وهو ينادى الرجعة الرجعة الحزم الحزم يا أهل الاسلام الصبر الصبر وتراجعوا بعد ادبارهم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وحمل جرجير الارمنى فى ثلاثين ألفا من الارمن على شرحبيل بن حسنة كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكشف أصحاب شرحبيل بن حسنة ولم يثبت غيره لقتال الروم فى عصبة من قومه دون الخمسمائة فجعل شرحبيل يحمل على الارمن وهو يقول يا أهل الاسلام لا فرارا من الموت الصبر الصبر قال فتراجعوا أصحابه اليه وحملوا على الارمن فردوهم على أعقابهم وجعلوا يضربون فيهم حتى أصابوا من الارمن ما لم يصبه الارمن منهم فرجع شرحبيل الى مكانه ودار به أصحابه فجعل يعنفهم بالقتال ويقول لهم ما الذى أصابكم حتى انهزمتم أمام هؤلاء الكفرة وأنتم الحماة البررة وأهل القرآن وعباد الرحمن أما سمعتم قوله عز وجل ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير وقال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة وأنتم تهربون فقالوا يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم زلة من الشيطان مثل يوم أحد وحنين وها نحن معك فاحمل حتى نحمل معك فجزاهم خيرا ووقف مكانه وكان موقفه مما يلى سعيد بن زيد وقد لزموا مواقفهم لم يتحركوا التماسا للحفيظة ونظر قيس بن هبيرة الى خيل شرحبيل وقد تراجعت فحمل بمن معه ونادى هو وأصحابه بشعارهم وكان شعارهم يا نصر الله انزل يا منصور امت امت وكان هذا شعارهم يوم بدر وأحد وحمل خالد ابن الوليد بمن معه من ذات اليمين وحمل قيس من ذات الشمال فقاتلوهم قتالا شديدا ولله در الزبير بن العوام وهاشم بن المرقال وخالد بن الوليد لقد حملوا حملة عظيمة حتى قربوا من سرادقات ماهان وتواقعت الروم على سرادقات ماهان وخيامه فلما نظر ماهان الى ذلك نزل من سريره هاربا وصاح بالروم وعنفهم فتراجعوا يطلبون القتال وصاح أبو عبيدة بسعيد بن زيد فحمل بمن معه وهو ينادى لا اله الا الله يا منصور امت امت فأقبلوا يقتلون فى الروم قتلا ذريعا فبينما المسلمون فى حملتهم اذ سمعوا قائلا يقول يا نصر الله

ابرل بالنصر الله اقرب أيها الناس الثبات الثبات قال عامر بن أسلم فتأملنا الصارخ ماداه وإذا هو أبو سفيان وتحت رايته ابنه يزيد قال وشدت الامراء بأجمعهم على من يليهم وقاتلوا قتالا شديدا ولم يكن في الروم أثبت من أصحاب السلاسل فانهم ثبتوا في أماكنهم عندون من أتاهم وأما الروم وهم مائة ألف رام وكانوا اذا رشقوا واسهامهم نحو العرب يستترون الشمس فلولا النصر والمعونة من الله لكاد المسلمون أن يهلكوا وانفصل المسلمون فرحين مستبشرين والمشركون قد هلك أكثرهم وطلع علج من أعلاج الروم كأنه نخلة باسقة وعليه درع مذهب وعلى رأسه بيضاء مذهبة وعليها صليب من ذهب مرصع بالجوهر وهو راكب على شهباء وعليه زرد من حديد وبيده رمح فجال وأشهر نفسه وسأل البراز فنظر المسلمون الى عظم خلقته وهول جثته فجعلوا ينظرون اليه فقال أبو عبيدة لابهم ولكم ما ترون من عظم خلقته فكم رأيتم من هو عظيم خلقة ولا لب له فمن له منكم أن يخرج اليه واستعينوا بالله عليه قال فخرج اليه عبد من عبيد العرب وبيده سيفه وحجفته وهو راجل فلما أراد أن يدنو من العلج صاح به مولاه ذو الكلاع الحميري ارجع فخرج اليه ذو الكلاع وجال عليه وكان ذو الكلاع من أهل الشدة والبأس فتواقفا كل منهما راصين وتطاعنا طعنا شديدا أشد من الجمر ثم انهما تجاذبا سيوفهما والتقيا فضرب ذو الكلاع العلج ضربة وضربه العلج ضربة وكان سيف العلج قاطعا وساعده قويا فقطع سيفه درقة ذي الكلاع وسيفه وزرده وما تحته من الثياب ووصلت الضربة الى عضده الايسر فجرحه جرحا بليغا وثقلت يده فلما نظر ذو الكلاع الى ما لحقه من العلج عطف بجواده يريد المسلمين ونظر العلج الى ذي الكلاع قد انعطف راجعا فصاح بجواده ليلحقه وكان فرس ذي الكلاع سابقا فلم يلحقه حتى لحق بالمسلمين فأتى قومه والدم يفور من جرحه فاجتمع فرسان قومه فقال لهم يا فرسان حمير اياكم أن تتكلوا في قتالكم على السلاح ومنعته ولكن اتكلوا في قتالكم على الله عز وجل قالوا وكيف ذلك أيها السيد قال لاني رددت عبدي عن القتال شفقة عليه اذ ليس معه لامة حرب وقلت اني أفرس منه وأجود عدة ولامة فصنع بي هذا الاغلف ما ترون والله ما لحقني قبلها في حرب مثلها فشدوا جرحه ووقف مكانه ثم انه صاح بقومه يا رجال حمير ان كان سيدكم قد رجع كالا فأيما منكم من يأخذ بثاره فانتدب فارس من فرسان حمير وعليه صنائع اليمن من الابراد والحبر كأنه جمرة نار وحمل نحو العلج مصمما وجال جولة عظيمة وطعنه طعنة أثبتها في صدره وأرداه قتيلا وعجل الله بروحه الى النار فهم الحميري أن ينزل عن جواده ويأخذ سلبه فحمل عليه كردوس من الروم ليكشفوه عنه فردهم الحميري صاغرين ثم رجع اليه

وأخذ سلبه وأقبل به على أبي عبيدة فأعطاه اياه فدفع السلب الى قومه ورجع الى مقامه فى القتال فخرج اليه آخر فقتله وخرج اليه علج رابع فقتل الحميرى ونزل ليأخذ سلب الحميرى فرماه رجل من رماة الانصار بنبلة فوضعها فى لبته فجدله صريعا وعجل الله بروحه الى النار قال فصلبت الروم على وجوهها وهابوا جميع المسلمين وكان ذلك البطريق الذى قتل بالنبلة من عظمائهم ويقال انه كان صاحب باباس فصاح بهم ماهان وسكنهم عن اضطرابهم وخرج الى القتال ملك اللان واسمه مربوس وعليه لامة الملوك وعليه دباجة وفى وسطه منطقة مرصعة بالجوهر فجال بين الصفين وأشهر نفسه وقال أنا ملك اللان فلا يبرز لى الا أميركم فخرج اليه شرحبيل ابن حسنة كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيده لواؤه وعليه درع من حبر ممنطق بمنطقة من الاديم وهو على جواده فقال أبو عبيدة من هذا الذى خرج قالوا انه شرحبيل بن حسنة فبعث اليه أبو عبيدة يقول له ادفع الراية لمن شئت واخرج من غير راية فلما سمع ذلك سلم الراية لرجل من قومه وقال له قف بها موضعى فان قدر على سلم الراية الى الامير أبى عبيدة يدفعها لمن يريد وان رجعت أخذتها فأخذها الرجل وخرج شرحبيل كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو ملك اللان وهو يقول

سأحمل فى الشام بنى الاعاد * بكل مشفق لدن حداد
فيا بؤسا لقيصر يوم تأتى * وجمع الروم شرد فى البلاد

قال فسمع البطريق شعر شرحبيل فلم يفهمه وكان يفهم قليلا بالعربية فقال له ياعربى ما الذى تقول قال أقول كلاما تقوله العرب عند الحرب تشجع بها نفوسها وتثق بوعد الله الذى وعد به نبينا فقال ملك اللان وما الذى وعدكم به نبيكم فقال شرحبيل وعدنا الله أن يفتح لنا الارض فى الطول والعرض ونملك الشام ونكون من الظافرين بنصر الله لنا قال ملك اللان ان الله لا ينصر من يبغى وأنتم تبغون علينا وتطلبون ما ليس لكم بحق فقال شرحبيل نحن قوم أمرنا الله أن نفعل ذلك والارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وانى أراك تعرف كلام العرب فلو تركت ما أنت عليه من عبادة الصليب ودخلت فى دين الاسلام كنت من أهل الجنة وسعدت فقال ملك اللان ما أترك دين المسيح أبدا فان دينه حق فقال له شرحبيل لا تقول انه اله معبود ولا تقول صلب وقتل فان الله سبحانه وتعالى أحياه فى الارض ما يشاء ثم قال ملك اللان لن أرجع عن قولى ثم استخرج صليبا من عنقه فرفعه ووضعه على عينه وأقبل يستنصر به فغضب شرحبيل من فعاله فقال له

یاویلك تبالك ولمن معك ولمن يقول بقولك ثم جال عليه وأخذ فى القتال وجالا جولانا عظيما فرمقتهما الابصار وجعل المسلمون يدعون لشرحبيل بالنصر والمعونة ونظر شرحبيل الى شدة الكافر فانطردبين يديه كأنه منهزم واتبعه عدو الله فلما علم شرحبيل انه قاربه فتل عنان جواده فطعنه بقناته يريد أن يجعلها فى نحره فزاغ المشرك عن الطعنة ونجى منها سالما ثم قال معاشر العرب أنتم لا تدعون الخديعة والمكر فقال شرحبيل ويلك أما علمت أن الحرب خدعة والمكر رأسها فقال العلج فما الذى نفعلك من حيلك قال وتضاربا حتى انقطع السيفان فى أيديهما فاعتنقا معانقة شديدة وكان المشرك أعظم جثة وأشد منعة وكان شرحبيل نحيف الجسم من كثرة الصيام والقيام قال فضغط عليه المشرك ضغطة أرجفه بها وهم أن يقتلعه من سرجه والفريقان ينظران اليهما قال ضرار بن الازور فداخلنى والله الغيظ فقلت فى نفسى ويحك ياضرار يقتل هذا العلج كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت تنظر اليه فما يمنعك من نصرته (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فخرج ضرار نحوهما يسعى على قدميه كالظبية الحمصاء حتى قرب منهما ولا يعلمان به جميعا وكان فى يده خنجر فضرب به العلج من ورائه أطلع الخنجر من قلبه فسقط العلج قتيلا وخلص شرحبيل من الضغطة قال فلما سقط العلج عن ظهر جواده نزل اليه شرحبيل وسلب ما كان عليه من لامة حربه وركب ضرار جواده وانثنى راجعا هو وشرحبيل نحو المسلمين فهنأهما المسلمون شرحبيل وشكروا ضرارا على فعله قال ثم ان شرحبيل أخذ سلب العلج فنازعه ضرار فيه فقال السلب لى وانا قتلته فقال شرحبيل أنا آخذ السلب فأتيا أبا عبيدة فخاف أبو عبيدة أن يحكم بينهما فلا يرضون بحكمه فكتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول يا أمير المؤمنين ان رجلا خرج الى البراز وقاتل علجا من الاعلاج وبلغ معه الجهد الى جهد جهيد فخرج آخر من المسلمين فأعان الرجل وقتل العلج قال ولم يسم أبو عبيدة الرجلين فالسلب لمن هو فجاء الجواب من عمر بن الخطاب ان السلب للقاتل فأخذ السلب أبو عبيدة من شرحبيل وأعطاه الى ضرار فقال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ورضى عنه ولما قتل ضرار ملك اللان غضبت الروم فخرج فارس شجاع وطلب البراز فخرج اليه الزبير بن العوام رضى الله عنه فقتله وأخذ سلبه وخرج اليه ثان وثالث ورابع فقتلهم وأخذ أسلابهم فقال خالد لابى عبيدة ان الزبير قد تجرد للروم وبذل نفسه لله ولرسوله وأنا أخاف عليه من التعب فصاح عليه أبو عبيدة وأقسم عليه فرجع الزبير الى مقامه قال وخرج من الروم بطريق فخرج اليه خالد بن الوليد وكان ملك الروسية فقتله خالد وكان زوج بنت ملك اللان فقوم سلبه

وتاجه

وتاجه ومنطقته وصليبه ودرعه بخمسة عشر ألفا قال فأخبر ماهان بذلك فغضب وقال هذان منا قد قتلوا في يوم واحد وانى أظن أن المسيح لا ينصرنا ثم أمر الرماة أن يرموا عن يد واحد فرموا بسهامهم وأطلقوها نحو المسلمين دفعة واحدة مائة ألف سهم فكان النشاب يقع فى عساكر المسلمين كسقوط البرد من السماء فكثر الجراح فى الناس وعور من المسلمين سبعمائة عين فسمى يوم التعوير ذلك اليوم وكان ممن أصيب بعينه المغيرة بن شعبة وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل التميمى وأبو سفيان صخر بن حرب وراشد بن سعيد وكان الرجل بعد ذلك يلقى الرجل فيقول له ما الذى أصاب عينك فيقول الآخر لا تقل مصيبة بل هى محنة من الله قال وعظم وقع السهام فى عسكر المسلمين حتى ما كنت تسمع الامن يصيح واعيناه وابصراه واحد قتاه وعظم اضطراب المسلمين من ذلك قال فجذبت العرب أعنة خيولها راجعة قال ونظر ماهان اللعين الى اضطراب جيش المسلمين فحرض الرماة والروم وصاح برجاله وزحفت المسلسلة نحو المسلمين فهالهم ذلك وحمل جرجير وقناطر وفورين وقال ماهان اثبتوا على الحملة وارموا العرب بالنشاب فزادت الرماة فى رميها وزحفت المسلسلة بحدها والبوارق تلمع من أكف الرجال كقبا بس النيران والحرب قائمة على ساق وأخذ المسلمون على أنفسهم الاشفاق مما نزل بهم ووصل اليهم من قلع الاحداق قال عبادة ابن عامر فنظرت الى جيش الشرك وهو نحونا سائر وفرسان المسلمين متأخرة وخيولهم ناكصة فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم اللهم أنزل علينا نصرك الذى نصرتنا به فى المواطن كلها ثم صحت فى رجال حمير تهربون من الجنة الى النار ماهذا الفرار أما تخافون العار أما أنتم بين يدى الجبار أما هو عالم الاسرار أفررتم من الكفار قال فما أجابنى والله أحد كأنهم صم لا يسمعون قال فقلت كان قبيلتك صمت عن الجواب فجعلت أهتف بقبائل العرب فكل قد شغل بنفسه عن اجابتى فجعلت أكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فما كان غير بعيد حتى نزل النصر من الله وذلك ان المسلمين انقلبوا راجعين نحو تل النساء ولم يثبت غير أصحاب الرايات قال عبد الله بن قرط الاسدى شهدت القتال كله فلم أرقتالا أشد من يوم التعوير ورجعت الخيل على أذنابها وقاتلت الامراء بأنفسها والرايات بأيديهم حتى أن أبو عبيدة ويزيد بن أبى سفيان وعمرو بن العاص والمسيب بن نجبة الفزارى وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق والفضل بن العباس يقاتلون قتالا شديدا قال عبد الله بن قرط فقلت فى نفسى وكم مقدار ما يقاتلون هؤلاء وهم نفر يسير حتى ساعدنا النساء اللاتى شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد فيداوين الجرحا ويسقين الماء

ويبرزن الى القتال ولم أر امرأة من نساء قريش بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في اليمامة مع خالد مثل ما قاتلن نساء قريش يوم اليرموك حين دهمهن القتال وخالط الروم المسلمون فضربن بالسيوف ضربا وجيعا وذلك في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان قد انضم النساء المهاجرات وغيرهن وقامت الحرب على ساق وتنادين النساء بأنسابهن وامهاتهن وألقابهن وجعلن يقاتلن قتال الموت ويضربن وجوه الخيل بالعمد ويلوحن بالاطفال وجعلن النساء بعضهن يقاتلن المشركين وبعضهن يقاتلن المسلمين حتى يرجعوا الى قتال المشركين وبعضهن يسقين الماء وبعضهن يشدون الجراح قال فبينما هن يقاتلن وقد هجمت الرجال حتى انهزم من نساء لخم وجذام وخولان فخرجت خولة بنت الازور وأم حكيم ابنة حكيم بنت الحارث وسلمى بنت اؤى وجعلن يضربن في وجوههن ورؤسهن بالعمد ويقلن اخرجنا من بيننا فاتتن توهن جمعنا قال فرجعن نساء لخم وجذام يقاتلن قتال الموت وقاتلت أم حكيم بنت الحارث أمام الخيل بالسيف وما تسمع يومئذ صوت أحد من النساء غير صوت واعفا يعفا وأما أم حكيم فانها جعلت تنادي يا معاشر العرب احصدوا الغلوف بالسيوف وأما أسماء بنت أبي بكر فانها أقرنت عنانها بعنان زوجها الزبير بن العوام فما كانت تضرب ضربة الاضربت مثلها قال فتراجع المسلمون الى القتال حين رأوا النساء يقاتلن قتال الموت ويقول الرجل لمن يليه ان لم نقاتل نحن هؤلاء والا فهن أحق بالخدور من النساء فلله در نساء قريش يوم اليرموك (قال الواقدي رحمه الله تعالى) حدثني عبد الرحمن بن الفضل عن يزيد بن أبي سفيان عن مكحول قال كانت وقعة اليرموك في رجب سنة خمسة عشر من الهجرة قال أبو عامر وحملت خولة بنت الازور على علج من الاعلاج كان قد حمل عليها فاستقبلته وجعلت تشاغله بالسيف فضربها العلج بسيفه على قصتها أسال دمها وسقطت الى الارض فصاحت عفيرة بنت عفان حين نظرتها صريعة ونادت فجع والله ضرار في أخته فأخذت رأسها على ركبتها والدم قد صبغ شعرها كالشقائق فقالت لها كيف تجدك قالت أنا بخير ان شاء الله تعالى ولكني هالكة لا محالة فهل لك علم بأخي ضرار فقالت عفيرة يا ابنة الازور ما رأيته فقالت خولة اللهم اجعلني فداء أخي ولا تفجع به الاسلام قالت عفيرة فجهدت أن تقوم معي فلم تقم فحملناها الى أن أتينا بها موضعها فلما كان الليل رأيتها وهي تدور تسقي الرجال وكأن ما بها ألم قط ونظر اليها أخوها والضربة في رأسها فقال لها ما بك فقالت ضربني علج قتلته عفيرة فقال لها يا أختاه ابشري بالجنة فقد أخذت لك بثار الضربة مرارا وقتلت منهم أعدادا قال ولم تزل الحرب من أول النهار وكلما قرب الليل

يزيد ويشتمل ضرامها وأبو عبيدة يقاتل برايته والامراء يفعلون كفعله الى أن فصل بينهما الظلام وقد قتل من الروم يوم التعور اربعون ألف أو يزيدون ونقل عن خالد انه انقطع في يده ذلك اليوم تسعة أسياف ولقد أخبرنا عن خالد بن الوليد ممن قتل قتال يوم اليرموك وشاهده قال كان يعد قتال خالد بمائة رجل من شجعان الرجال قال حازم بن معن وبرز من المشركين في قلب الوقعة أصحاب الديباج والحرير والقباطي على الخيول الشهب والبلق كأنها من الجبال الراسيات فلما برزوا غاصوا في القلب وكروا كرة واحدة ورفعوا في وسطهم صليبا من الجوهر وحملت ميمنتهم على ميسرتنا وميسرتهم على ميمنتنا فسترونا بين أيديهم كأنا نعام في الفلاة أو حمر مستنفرة فنظر أبو عبيدة الى المسلمين وقد شردوا الى النساء والنساء يضربن وجوههم فجعل يصيح بهم الله الله لا تعموا الاسلام بهزيمتكم واتقوا ربكم قال كان بين يدي أبي عبيدة رجل من حمير اسمه نجم بن مفرج وكان من خطباء العصر وأفصح العرب لسانا وأجرئها جنانا وكان رفيع الصوت مدنعسا من بني محارث فقصده العرب والفصحاء يسمعون ما ينطق به من نظمه ونثره (قال الواقدي رحمه الله تعالى) حدثني عبد الملك بن محمد عن أبيه عن حسان بن كعب عن عبد الواحد عن عوف عن موسى بن عمران اليشكري قال رأيت نصر بن مازن وهو بجامع النيل يحدث عن وقعة اليرموك قال ما رد الناس عن الهزيمة بعد قضاء الله ونصرة الاسلام الاعلام رجل من بني محارب يقال له نجم بن مفرج وكان لا يتكلم الا بالسجع يؤلفه بحسن نظمه ولقد حفظنا منه يوم اليرموك ما نحن نذكره عنه ولقد بلغني أن البلغاء الفصحاء المتأخرين مثل الاصمعي وأبي عبيدة اللغوي ينسجان على منواله في حسن كلامه فكان من جملة ما وعظ به المسلمين يوم اليرموك وقت هزيمتهم أيها الناس هذا يوم ما بعده وقد دنا منكم قربه من بعد وان تنالوا الجنة الا بالصبر على المكاره وتالله لا بد من هول الجهاد كاره وينشد مفرد

ولله في عرض السموات جنة * ولكنها محفوفة بالمكاره

وأعلا الدرجات درجة الشهاده فأرضوا عالم الغيب والشهاده وهذا الجهاد قد قام على ساقه وبدى النفاق في أسواقه وأخفى نفاقه في انفاقه وأنتم أصحاب نبي العصر فما يستم من الثبات والنصر بشروا روح المصطفى بثباتكم وقدموا العزم بصفاء نياتكم واياكم أن تولوا الادبار فتستوجبوا عذاب النار بغضب الجبار فوالذي قدر الاقدار وأدار الفلك الدوار وكل شئ عنده بمقدار لقد تزين لكم الحور العين بأيديهم أباريق وكأس من معين فمن طلب دار البقا هان عليه

ما يلقى فحققوا أملكم تنالوا بغيتكم واطعنوا الصدور تنالوا الحور وشرعوا الاسنة تنالوا الجنة واغتنموا الصبر يكتب لكم الاجر بشروا المؤمنين بحسن عملكم واياكم أن تضلوا عن سبيلكم لاترافقوا الكفار فى جهنم واعدلوا عن طريق قولهم ووافقوا من سلف من أسلافكم فى فعلهم واسمعوا ما نزل فى القرآن من أجلكم وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيأ ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون سيروا فقد سبق المقرون واجتهدوا فقد فاز المجتهدون يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون قال وحمل خالد بن الوليد بعصابة حمراء وهو يقرع الروم باسمه ويقول أنا خالد بن الوليد فبرز اليه بطريق يقال له النسطور وعليه الديباج فاقبل يدعو خالدا ويطمطم وخالد فى القتال لا يشعر به ولا يدرى ما يقول فعند ما سمعه يطمطم عطف عليه فاقتتلا قتالا شديدا فبينما هما فى أشد القتال اذ كبا بخالد الجواد فوقع الفرس على يديه وهوى خالد على أم رأسه فقال الناس لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وخالد يقول حى حى فعلا البطريق على ظهر خالد من عثرته وقد سقطت قلنسوته من رأسه فصاح قلنسوتى رحمكم الله فأخذها رجل من قومه من بنى مخزوم وناولها اياها فأخذها خالد ولبسها فقيل له فيما بعد يا أبا سليمان أنت فى مثل هذا الحال من القتال وأنت تقول قلنسوتى فقال خالد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حلق رأسه فى حجة الوداع أخذت من شعره شعرات فقال لى ما تصنع بهؤلاء يا خالد فقلت أتبرك بها يا رسول الله وأستعين بها على القتال قتال أعداءى فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم لا تزال منصورا ما دامت معك فجعلتها فى مقدمة قلنسوتى فلم ألق جمعا قط الا انهزموا ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم شدها بعصابة حمراء وحمل على النسطور وضربه على عاتقه فأخرج السيف من علائقه وانكسر من بقى من ملوكهم وكرهوا البراز بعد ذلك فكان يدعوهم الى البراز فلا يخرج اليه أحد ولم يزل يضرب فيهم بسيفه حتى كل فأشفق عليه الحارث بن هشام المخزومى فقال لابى عبيدة أيها الامير لقد قضى خالد ما يجب عليه وأدى السيف حقه ولو أمرته أن يريح نفسه قال فمشى أبو عبيدة اليه وجعل يعزم عليه أن لا يتقدم ويسأله أن يتعهد نفسه فقال خالد أيها الامير أما أنا والله لاطلبن الشهادة بكل وجه فان أخطأتنى فالله يعلم نيتى وحمل فلم يرجع عن حملته حتى حلاها وذلك أن كل المسلمين استعفوه فى حملته وأقبلوا على القتال من بعد هزيمتهم والنساء أمام الرجال ولم

يزل الحرب بين الفريقين حتى انقلبت الروم على أعقابها وقد قتل منهم ألوف عديدة وأما أصحاب السلاسل فانحطم أكثرهم ووطئتهم الخيل بحوافرها ولم يزل القتال بينهم حتى مالت الشمس بغروبها وانفصل الجمعان وقد جرت الدماء بينهم وانفرشت الارض بالقتلى والجراح فاشية فى الجمعين الا أن فى الروم أكثر ورجع كل قوم الى صلاح شأنهم ومداوات جراحاتهم وأما النساء فأصلحن الطعام وشدوا الجروح وداووا السقام ولم يقل أبو عبيدة لاحد من المسلمين من يكن الليلة على حرس المسلمين لما عندهم من التعب بل انه تولى الحرس بنفسه ومعه جماعة من المسلمين قال فبينما هو يدور اذ رأى فارسين قد لقياه وهما يدوران يدورانه فكلما قال لا اله الا الله قالا محمد رسول الله فقرب أبو عبيدة منهما فاذاهما الزبير بن العوام وزوجته أسماء بنت أبي بكر الصديق فسلم عليهما وقال يا ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الذى أخرجكما قال الزبير نحرس المسلمين وذلك أن أسماء قالت لى يا ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك أن المسلمون مشتغلون بأنفسهم فى هذه الليلة عن الحرس بما لحقهم من التعب فى الجهاد بطول يومهم فهل لك أن تساعدنى على حرس المسلمين فأجبتها الى ذلك فشكرهما أبو عبيدة وعزم عليهما أن يرجعا فلم يفعلا ولم يزالا الى الصباح (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى أبو عبيدة عن صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن ابن جبير أن أبا الجعيد كان رئيسا من رؤساء أهل حمص فلما اجتمعت الروم على المسلمين فى اليرموك دخلوا على حمص ونزلوا فى بلد تسمى الزراعة وكان أبو الجعيد هذا قد جعله مسكنه لطيب هوائها ومائها وانتقل من حمص اليها فانزل عسكر الروم على الزراعة عنده وكان فيها عرس لابى الجعيد وزوجته تزف عليه فى تلك الليلة قال فتكلف أبو الجعيد بضيافة الروم وأكرمهم وأطعمهم وسقاهم الخمر فلما فرغ من أمورهم قالوا هات امرأتك الينا فأبى عن ذلك وسبهم فأبوا الا أخذ العروس فلما شنع عليهم بذلك عمدوا الى العروس وأخذوها غصبا عليه وعبثوا بها بقية ليلتهم فبكى أبو الجعيد من قهره ودعى عليهم فقتلوا أولاده وكان له ولد من زوجة غيرها قال فأقبلت أم الفتى فأخذت رأس ولدها فى خمارها وأقبلت به الى مقدم ذلك الجيش ورمت الرأس اليه وشكت حالها وقالت له انظر ما صنع أصحابك لولدى فخذ بحقى فلم يعبأ بكلامها فقالت له أم الفتى والله لتنصر العرب عليكم ورجعت وهى تدعو عليه فما كان الا يسير حتى هلكوا فى أيد المسلمين قال فلما كان يوم اليرموك بعد ما قتل النسطور أتى أبو الجعيد الى عساكر المسلمين وقال والخالد اعلم أن هذا الجيش النازل بازائكم جيش عظيم ولو سلموا أنفسهم اليكم لاقتل لما فرغتم من قتلهم

الا فى المدة الطويلة فان كدتهم لكم فى هذه الليلة بكيدة تظفرون بها عليهم ماذا تعطونى قالوا نعطيك كذا وكذا ولا نؤديك جزية أنت وولدك وأهل بيتك ونكتب لك بذلك عهدا الى آخر عقبكم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما استوثق منهم لنفسه مضى الى الروم وهم لا يعلمون وأتى الى وهو واد عظيم مملوء ماء فانزل الروم الى جانبه وقال لهم ان هذا المنزل لا ينزل به العرب وأنا سأكيد لكم العرب بمكيدة تهلكون بها قال وجعل الياقوصة فيما بين الروم والعرب ولم يعلم أحد من الروم ما عمقها قال فلما كان يوم التعوير وعلم أبو الجعيد أن النصر للعرب وأن العرب هم المنصورون جاء أبو الجعيد الى أبى عبيدة فوجده يطوف ثلث الليلة هو وجماعة من المسلمين المهاجرين فقال لهم ما قعودكم قالوا وما نصنع قال اذا كانت ليلة غدا كثروا من النيران ثم رجع الى الروم ليصب عليهم حيلة فلما كانت الليلة الثانية أوقد المسلمون أكثر من عشرة آلاف نار ولما اشتعلت النيران أقبل اليهم أبو الجعيد فقالوا قد أشعلنا النيران كما أردت فما بعد ذلك قال أريد منكم خمسمائة رجل من أبطالكم حتى أشير اليهم بما يصنعون (قال الواقدى) فاختار من المسلمين خمسمائة رجل من جملتهم ضرار ابن الازور وعياض ورافع وعبد الله بن قرط وعبد الله بن ياسر وعبد الله بن أوس وعبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبى بكر وغانم بن عبد الله ومثل هؤلاء السادات فلما اجتمعوا سار بهم أبو الجعيد على غير الجادة وقصد بهم عسكر الروم فلما كادوا يخالطونهم أخذ أبو الجعيد منهم رجالا ودلهم على المخاضة ولم يكن يعلم بها أحد سواه ممن سكن اليرموك وقال لهم ناوشوهم الحرب ثم انهزموا ودعونى واياهم ففعلوا ذلك وصاحوا فيهم وجالوا ثم انهزموا واقدامهم نحو المخاضة فعند ذلك صاح أبو الجعيد برفيع صوته يا معاشر الروم دونكم ومن انهزم بهؤلاء المسلمون قد أوقدوا نيرانهم وعولوا على الهرب قال فأقبلت الروم على حال عجلة يظنون أن ذلك حقا فبعضهم ركب جواده عريان وبعضهم راجلا وساروا فى طلب المنهزمين وأبو الجعيد يغدو بين أيديهم الى أن أوقفهم على الياقوصة وقال لهم هذه المخاضة دونكم واياهم فأقبلوا يتساقطون فى الماء كتساقط الجراد حتى هلك فى الماء ما لا يعد ولا يحصى عددا ولا يدركه حسبان فسمتها العرب الياقوصة لمقص الروم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) هذا ما جرى للروم ولا يعلم الاول بما جرى للآخر حتى أصبحوا ونظروا المسلمين فى أماكنهم فعلموا أنهم قد هموا فى الليل وقل عددهم وتبدد شملهم فقال بعضهم لبعض من كان الصائح فى ليلتنا قال الرجل الذى عبثتم بزوجته وقتلتم ولده وقد أخذ بثاره منكم قال فلما أصبح ماهان وعلم الحقيقة وعلم ما نزل بأصحابه علم أنه هالك لا محالة وأن العرب ظاهرون

عليه فبعث الى قورين فقال ماترى أن أصنع وقد ظهرت العرب علينا وان حملوا علينا حملة لم يفلت منا أحد فهل لك أن تسألهم أن يؤخروا القتال حتى نفعل الحيلة فى خلاص أنفسنا فقال قورين افعل ذلك قال فدعا ماهان برجل من لخم وبعثه الى المسلمين يقول لهم اعلموا أن الحرب سجال والدنيا زوال وقد مكرتم بنا فلا تبغوا فالبغى له مصرع وأخروا الحرب عنا يومنا هذا فاذا كان غد يكون الانفصال بيننا وبينكم قال فأقبل اللخمى الى أبى عبيدة وبلغه الرسالة فهم أبو عبيدة أن يجيبهم الى ذلك فمنعه خالد من ذلك وقال له لا تفعل أيها الامير فما عند القوم خبر بعد ذلك فقال أبو عبيدة ارجع الى صاحبك وقل له لا نؤخر عنك القتال وانا على عجل من أمرنا فرجع الرسول الى ماهان فأعلمه بجواب أبى عبيدة فعظم عليه وكبر لديه وكفر وتجبر وقال لقد كنت أتربص بنفسى عن العرب أرجو بذلك الصلح فوحق الصليب لا يبرزلهم غيرى ثم صرخ بالروم وأصحاب سرير الملك ومن كان يتكل عليه فى الشدائد وأمرهم أن يأخذوا الاهبة فاستعدوا وخرج ماهان فى مقدم الجيش والصليب أمامه واذا بالمسلمين أخذوا مصافهم للقتال وذلك أن أبا عبيدة صلى بالمسلمين صلاة الفجر وأمرهم بالسرعة للقتال وأخذ مواضعهم للعرب ففعلوا وقد أيقنوا أنهم منصورون على عدوهم وصف أبو عبيدة أصحاب الرايات ووقف هو وخالد فى الخيل المعروفة بخيل الزحف وطلعت الشمس وخرج جرجير هو وبعض ملوك الروم ودعا البراز وقال لا يبرزلى الا أمير العرب فسمعه أبو عبيدة فسلم الرايات الى خالد وقال هو وأنت للرايات يا أبا سليمان فان عدت من قتاله فالرايات لى وان هو قتلنى فامسك راياتك حتى يرى عمر رأيه فقال خالد أنا لقتاله دونك فقال أبو عبيدة لا هو طلبنى ولا بدلى من الخروج اليه وأنت شريكى فى الاجر فخرج أبو عبيدة وما أحد من المسلمين الا وهو كاره لذلك فأقبلوا يسألونه فلج فى الخروج فتركوه ورأيه فلما قرب أبو عبيدة من جرجير وعاينه قال له أنت أمير هذا الجيش فقال أبو عبيدة أنا ذلك وقد أجبتك الى ما طلبت من أمر البراز فدونك وعرصة الميدان فاما هزمتكم أو قتلتك وأقتل ماهان بعدك فقال جرجير أمة الصليب تغلبكم وحمل جرجير على أبى عبيدة وحمل أبى عبيدة على جرجير وطال بينهما القتال وبقى خالد ينظر الى أبى عبيدة ويدعوله بالسلامة والنصر وجميع المسلمين تدعو اله قال وانطرد جرجير أمام أبو عبيدة وأخذ فى اعراض الجيش وطلب فى انطراده جيش المشركين فى الميمنة وتبعه أبو عبيدة على أثره فعندها عطف عليه جرجير وخرج كأنه الابرق والتقيا بضربتين فكان أبو عبيدة أسبق فوقعت الضربة على عاتق جرجير خرجت من علائقه فكبر عند ذلك أبو عبيدة وكبر المسلمون ووقف أبو عبيدة

على مصرع جرجير وجعل يتعجب من عظم جثته ولم يأخذ من سلبه شيأ فنادى به خالد لله درك أيها الامير ارجع الى رايتك فقد قضيت ما يجب عليك فلم يرجع أبو عبيدة فأقسم عليه المسلمون أن يرجع فرجع وأخذ الراية من يد خالد ونظر ماهان الى جرجير فعظم ذلك عليه وكبر لديه لانه كان ركنا من أركانهم وهمّ بالهزيمة ثم قال فى نفسه ماذا يكون عذرى عند هرقل ولابد أن أبرز الى الحرب فان قتلت فقد استرحت من العار وان سلمت كان لى عند الملك عذر أحسن ما أولى الادبار ثم انه أعلم رجاله أنه يريد المبارزة بنفسه وأخذ عدته ولبس زينته وخرج كأنه جمل ذهب يلمع ثم جمع اليه البطارقة والقسس والرهبان وقال لهم ان الملك هرقل كان أعلم منكم بهذا الامر وانه أراد الصلح فخالفتموه فها أنا أبرز اليه بنفسى فتقدم اليه بطريق من بطارقة السرير وكان ذو نسك ودين وكان يعظم الكنائس والرهبان ويتبع ما فرض عليه فى الانجيل وكان يقرب من جرجير فى النسب فلما علم بقتله عظم عليه وقال وحق الصليب لابرز الى المسلمين وآخذ بالثار فاما أن ألحق به واما أن أقتل قاتله ثم قال لماهان قد تعين على الجهاد وأنا أؤدى فرض المسيح ولا بدلى من المبارزة قال فتركه ماهان فخرج وكان اسمه جرجيس وكان عليه درع وعلى الدرع ثوب حديد متقلد بسيفه ومعه قطاربة وعوذته الاقسة وبخروه ببخور الكنائس وأقبل اليه راهب عمورية وأعطاه صليبا كان فى عنقه وقال هذا الصليب من أيام المسيح تتوارثه الرهبان ويتبركون فهو ينصرك فأخذه جرجيس ونادى البراز بكلام عربى فصيح حتى ظن الناس أنه عربى من المتنصرة فخرج اليه ضرار بن الازور كأنه شعلة نار فلما قاربه ونظر اليه والى عظم جثته ندم على خروجه بالعدة التى أثقلته فقال فى نفسه وما عسى يغنى هذا الباس اذا حضر الاجل ثم رجع موليا فظن الناس أنه ولى فزعا فقال قائل منهم ان ضرار قد انهزم من العلج وما ضبط عنه قط انه انهزم وهو لا يكلم أحدا حتى سار الى خيمته ونزع ثيابه وبقى بالسراويل وأخذ قوسه وتقلد بسيفه وجحفته وعاد الى الميدان كأنه الظبية الخمصاء فوجد مالكا النخعى قد سبقه الى البطريق وكان مالك من الخطاطا اذا ركب الجواد تسحب رجليه على الارض فنظر ضرار فاذا بمالك ينادى بالعلج تقدم يا عدو الله يا عابد الصليب الى الرجل الحبيب ناصر محمد الحبيب ولم يجبه العلج لما داخله من الخوف منه قال فجال عليه وهم أن يطعنه فلم يجد للطعنة مكانا لما عليه من الحديد فقصد جواده وطعنه فى خصرته فأطلع السنان يلمع من الجانب الآخر فنفر الجواد من حرارة الطعنة وهم مالك أن يخرج الرمح فلم يقدر لانه قد اشتبك فى ضلوع الجواد وهو على ظهره لم يقدر أن يتحرك لانه مزرد فى ظهر الجواد بزنانير الى سرجه فنظر المسلمون الى ضرار وقد

أسرع اليه مثل الظبية حتى وصل اليه وضربه بسيفه على هامته فشطرها نصفين وأخذ سلبه فناداه مالك وقال ماهذا يا ضرار تشاركنى فى صيدى فقال ما أنا بشريكك وانما أنا صاحب السلب وهو لى فقال مالك أنا قتلت جواده فقال ضرار رب ساع لقاعد أكلا غير حامل فتبسم مالك وقال خذ صيدك هنالك الله به قال ضرار انما أنا مازح فى كلامى خذه اليك فوالله ما آخذ منه شيأ وهو لك وأنت أحق به منى ثم انتزع سلب العلج وحمله على عاتقه وما كاد أن يمشى به وهو يتصبب عرقا قال زهير بن عابد ولقد رأيته وهو يسير به وهو راجل ومالك فارس حتى طرحه فى رحل مالك فقال أبو عبيدة بأبى وأمى والله قوم وهبوا أنفسهم لله وما يريدون الدنيا قال فلما قتل البطريق انقص جناح ماهان فصاح بقومه وجمعهم اليه وقال لهم اسمعوا يا أصحاب الملك وبلغوه عنى أنى ما تركت جهدى فى نصرة هذا الدين وحاميت عن الملك وقاتلت عن نعمته وما أقدر أغالب رب السماء لانه قد نصر العرب علينا وملكهم بلادنا والآن مالى وجه أرجع به الى الملك حتى أخرج الى الحرب وأبرز الى مقام الطعن والضرب وعزمت أن أسلم الصليب الى أحدكم وأبرز الى قتال المسلمين فان قتلت فقد استرحت من العار ومن توبيخ الملك لى وان رزقت النصر وآثرت فى المسلمين أثرا ورجعت سالما علم الملك أنى لم أقصر عن نصرته فقالوا أيها الملك لا تخرج الى الحرب حتى نخرج نحن الى القتال قبلك فاذا قتلنا افعل بعدنا ما شئت قال فحلف ماهان بالكنائس الاربع لا يبرز أحد قبله قال فلما حلف أمسكوا عنه وعن مراجعته ثم انه دعا بابن له فدفع اليه الصليب وقال قف مكانى وقدم لماهان عدة فأفرغها عليه (قال الواقدى) وبلغنا أن عدته التى خرج بها الى الحرب تقومت بستين ألف دينار لان جميعها كان مرصعا بالجوهر فلما عزم على الخروج تقدم له راهب من الرهبان فقال له أيها الملك ما ترى لك الى البراز سبيلا ولا أحبه لك قال ولم ذلك قال لانى رأيت لك رؤيا فارجع ودع غيرك يبرز فقال ماهان لست أفعل والقتل أحب الى من العار قال فتركوه وودعوه وخرج ماهان الى القتال وهو كأنه جبل ذهب يبرق وأقبل حتى وقف بين الصفين ودعا الى البراز وخوف باسمه فكان أول من عرفه خالد بن الوليد فقال هذا ماهان هذا صاحب القوم قد خرج ووالله ما عندهم شئ من الخير قال وماهان يرعب باسمه فخرج اليه غلام من الاوس وقال والله أنا مشتاق الى الجنة وحمل ماهان وبيده عمود من ذهب كان تحت فخذه فضرب به الغلام فقتله وعجل الله بروحه الى الجنة قال أبو هريرة رضى الله عنه فنظرت الى الغلام عندما سقط وهو يشير باصبعه نحو السماء ولم يمهله ما لحقه فعلمت أن ذلك فرحا لما عاين من الحور العين قال فجال ماهان على مصرعه

وقوى قلبه ودعا الى البراز فسارع المسلمون اليه فكل يقول اللهم اجعل قتله على يدى وكان أول من برز مالك النخعى الاشتر رضى الله عنه وتساوا فى الميدان فابتدر مالك لماهان بالكلام وقال له أيها العلج الغلف لا تغتر بمن قتلته وانما صاحبنا اشتاق الى لقاء ربه وما منا الا وهو مشتاق الى الجنة فان أردت مجاورتنا فى جنات النعيم فانطق بكلمة الشهادة أو أداء الجزية والا فأنت هالك لا محالة فقال له ماهان أنت صاحبي خالد بن الوليد قال لا أنا مالك النخعى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماهان لا بد لى من الحرب ثم حمل على مالك وكان من أهل الشجاعة فاعتمدوا على القتال فأخرج ماهان عاموده وضرب به مالكا على البيضة التى على رأسه فغاصت فى جبهة مالك فشترت عينيه فمن ذلك اليوم سمى بالاشتر قال ولما رأى مالك ما نزل به من ضربة ماهان عزم على الرجوع ثم فكر فيما عزم عليه فدبر نفسه وعلم أن الله ناصره قال والدم فائر من جبهته وعدو الله يظن أنه قتل مالكا رهو ينظره متى يقع من ظهر فرسه واذا بحامل قد حمل وأخذته أصوات المسلمين يا مالك استعن بالله يعينك على قرنيك قال مالك فاستعنت بالله عليه وصليت على رسول الله وضربته ضربة عظيمة فقطع سيفى فيه قطعا غير موهن فعلمت أن الاجل حصين فلما أحس ماهان بالضربة ولى ودخل فى عسكره (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ولما ولى ماهان بين يدى مالك الاشتر منهزما صاح خالد بالمسلمين يا أهل النصر والبأس احملوا على القوم مادام وافى دهشتهم ثم حمل خالد ومن معه من جيشه وحملت كل الامراء بمن معهم وتبعهم المسلمون بالتهليل والتكبير فصبرت لهم الروم بعض الصبر حتى اذا غابت الشمس وأظلم الافق وانكشفت الروم منهزمين بين أيديهم وتبعهم المسلمون يأسرون ويقتلون كيف شاؤا فقتلوا منهم زهاء عن مائة ألف وأسروا أمثالها وغرق وافى الياقوصة منهم مثلها وأمم لا تحصى وتفرق بينهم فى الجبال والاودية وخيول المسلمون من ورائهم يقتلون ويأسرون ويأتون من الجبال بالاسارى ولم نزل المسلمون يقتلون ويأسرون الى راق الليل وقال أبو عبيدة اتركوهم الى الصباح فتراجعت المسلمون وقد امتلأت أيديهم من الغنائم والسرادقات وانية الذهب والفضة والزلازل والنمارق والطنافس (قال الواقدى) ووكل أبو عبيدة رجالا من المسلمين بجمع الغنائم وبات المسلمون فرحين بنصر الله حتى اذا أصبحوا فاذا ليس للروم خبر ووقع أكثرهم فى الياقوصة فى الليل قال عامر بن ياسر حدثنى نوفل بن عدى عن جابر بن نصر عن حامد بن مجيد قال أراد أبو عبيدة يحصى عدد المشركين فلم يقدر أن يحصى ذلك فأمر بقطع القصب من الوادى وجعل على كل قتيل قصبة ثم عدوا القصب فاذا القتلى مائة ألف وخمسة

آلاف والاسارى أربعون ألف غير ماغرق فى الياقوصة وقتل من المسلمين أربعة آلاف ووجد أبو عبيدة رؤساء فى اليرموك فلم يعلم هم من العرب أم من الروم قال ثم انه صلى على قتلى المسلمين فى طلبهم الى الجبال والاودية واذا هم براع قد استغاثهم فسألوه هل مر بك أحد من الروم قال نعم مر بى بطريق ومعه زهاء عن أربعين ألفا (قال الواقدى) وكان ذلك ماهان لعنه الله تعالى فاتبعهم خالد بن الوليد وجعل يقفو أثرهم ومعه عسكر الزحف فادركهم على دمشق ولما أشرف عليهم كبر وكبر المسلمون وحملوا ووضعوا فيهم السيف فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وكان ماهان قد ترجل عن جواده وقيل انه ترجل ينكر نفسه وسلم من القتل فأتاه رجل من المسلمين فحاماه عن نفسه فقتله الرجل وكان قاتله النعمان بن جهاة الازدى وعاصم بن خوال اليربوعى وقد اختلفوا فى أيهما قتل ماهان (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وخرج أهل دمشق الى لقاء خالد وقالوا له نحن على عهدنا الذى كان بيننا وبينكم قال خالد أنتم على عهدكم ومضى فى طلب الروم يقتلهم حيث وجدهم حتى انتهى الى ثنية العقاب وأقام تحتها يوما ثم مضى الى حمص ونزل بها وبلغ ذلك أبا عبيدة فسار حتى لحق به فى منزمه قال والامراء فى طلب الروم من كل جهة من جهة الشام ثم اجتمعوا وعادوا الى دمشق وجمع أبو عبيدة الغنائم وأخرج منها الخمس وكتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتاب البشارة والفتح بسم الله الرحمن الرحيم وصلوات الله على نبيه المصطفى ورسوله المجتبى صلى الله عليه وسلم من أبى عبيدة عامر بن الجراح أما بعد فأنا أحمد الله الذى لا اله الا هو وأشكره على ما أولانا من النعم وخصصنا به من كرمه ببركات نبى الرحمة وشفيع الامة صلى الله عليه وسلم واعلم يا أمير المؤمنين أنى نزلت اليرموك ونزل ماهان مقدم جيوش الروم بالقرب منا ولم ير المسلمون أكثر جمعا منه فاقضى الله تلك الجموع ونصرنا عليهم بمنه وكرمه وفضله فقتلنا منهم زهاء عن مائة ألف وخمسة آلاف وأسرنا منهم أربعين ألفا واستشهد من المسلمين أربعة آلاف ختم لهم بالشهادة فوجدت فى المعركة رؤسا مقطوعة لم أعرفها فصليت عليها ودفنتها وقتلت ماهان على دمشق قتله عاصم بن حوال وقد كان قبل وقعة الانفصال نصب عليهم رجلا منهم يقال له أبو الجعيد من أهل حمص حيلة فألقاهم فى موضع يقال له الياقوصة فغرق منهم مالا يحصى عددهم الا الله تعالى وأما من قتل من المشركين فى الاودية والجبال من المنهزمين وغيرهم فأخذت عدتهم تسعون ألفا وقد ملكنا أموالهم وخيولهم وحصونهم وبلادهم وكتبنا اليك هذا الكتاب بعد الفتح ونزلنا فى دمشق والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وعلى جميع المسلمين وطوى الكتاب وختمه ودعا بحذيفة بن اليمان ودفع الكتاب اليه وضم

اليه عشرة من المهاجرين والانصار وقال لهم سيروا بكتاب الفتح والبشرة الى أمير المؤمنين وبشروه بذلك وأجركم على الله فأخذ حذيفة الكتاب وسار هو والعشرة من وقتهم وساعتهم يجدون السير ليلا ونهارا حتى قربوا من المدينة (قال الواقدى رحمه الله تعالى) قال عبد الله بن عوف المالكى عن أبيه قال لما هزم الله الروم فى اليرموك وكان من أمرهم ما كان رأى عمر بن الخطاب ليلة هزيمة الروم رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فى الروم ومعه أبو بكر الصديق رضى الله عنه وكان عمر يسلم عليهما ويقول يا رسول الله ان قلبى مشغول على المسلمين وما صنع الله بهم وقد بلغنى أن الروم فى ألف ألف وستين ألف فقال يا عمر ابشر فقد فتح الله على المسلمين وقد انهزم عدوهم وقتل كذا وكذا ثم تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا الآية قال فلما كان من الغد صلى عمر بالناس صلاة الفجر وأعلم الناس بما رأى فى منامه قال فاستبشر المسلمون وفرحوا وعلموا أن الشيطان لا يتمثل بالنبى صلى الله عليه وسلم وورخوا تلك الليلة فكانت كما ذكره النبى صلى الله عليه وسلم فسجد عمر لله شكرا ووصله الكتاب وقرأه عمر على الناس وارتفعت أصوات المسلمين بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير ثم قال يا حذيفة هل قسم أبو عبيدة الغنائم فقال يا أمير المؤمنين هو منتظر كتابك وأمرك فدعا عمر بدواة وقرطاس وكتب الى أبو عبيدة كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب الى عامله بالشام سلام عليك فانا أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد فرحت بما فتح الله به على المسلمين من نصرتهم وانهزام عدوهم فاذا وصل اليك كتابى هذا فاقسم الغنيمة بين المسلمين وفضل أهل السبق واعط كل ذى حق حقه واحفظ المسلمين واكلأهم واشكرهم على صبرهم وفعالهم وأقم بموضعك حتى يأتيك أمرى والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته وطوى الكتاب وسلمه لحذيفة بن اليمان فأخذه حذيفة وسار حتى ورد على أبى عبيدة فوجده على دمشق فسلم عليه وعلى المسلمين وناوله الكتاب فلما قرأه على المسلمين قسم الغنائم فأصاب الفارس أربعة وعشرين ألف مثقال من الذهب الاحمر والراجل ثمانية آلاف وكذلك من الفضة وأعطى الفرس الهجين سهما والفرس العتيق سهمين وألحق القادمين بالعراب فلما فعل أبو عبيدة ذلك قال أصحاب الجرد ألحقنا بالعراب فقال أبو عبيدة انى قسمت عليكم كما قسم النبى صلى الله عليه وسلم الغنيمة بين أصحابه فلم يقبلوا قوله فكتب الى عمر بذلك يعلمه باختلاف الناس فى الخيل والهجين والعراب فكتب اليه عمر يقول

أما بعد فقد علمت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تتعدى حكمه فاعط الفارس العربي سهمين والهجين سهما واعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عرب العربي وهجن الهجين يوم خيبر فجعل للهجين سهما وللعربي سهمين فلما ورد الكتاب على أبي عبيدة وقرأه على المسلمين قال ما أراد أبو عبيدة أن يحقر رجلا منكم ولكن تبعت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال الواقدي رحمه الله تعالى) ولما قسم أبو عبيدة الغنائم على المسلمين قال له خالد بن الوليد ان رجلا من المسلمين تشفع بي اليك أن تلحقه فرسه الهجين بفرسه العتيق العربي وتعطيه سهمين فأبى أبو عبيدة وقال والله ان سف التراب أحب الي من ذلك وروى عثمان بن الزبير قال شهدت جدي الزبير بن العوام يوم اليرموك ومعه فرسان يعقب عليهما للقتال يركب هذا يوما وهذا يوما فلما كان وقت قسم الغنائم أعطاه أبو عبيدة ثلاثة أسهم له سهم ولفرسه سهمين فقال الزبير ما تصنع بي كما صنع بي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر كان معي فرسان فأسهمني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر خمسة أسهم لفرسي أربعة وأعطاني سهما وقال المقداد بن عمرو كنت أنا وأنت يوم بدر ومعنا فرسان لا غيرهما فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم سهما سهما لفرسنا قال أبو عبيدة انك لصادق يا مقداد الا أنا أتبع فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطى الزبير وأقبل جابر بن عبد الله الانصاري فشهد عند أبو عبيدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى الزبير يوم خيبر خمسة أسهم فلما فعل ذلك أتى رجال من رجال العرب لكل واحد منهم أربعة افراس وخمسة أفراس فقالوا الحقونا بالزبير قال فاستأذن عمر في ذلك فقال صدق الزبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاه يوم خيبر خمسة أسهم فلا تعطي غيره مثله وروى عروة عن أبي الزبير قال أبق الزبير غلاما كان قد وقع بيده يوم غنيمة عمان فهرب منه فلما كان يوم اليرموك قبل قسم الغنائم عرفه فقبض عليه وأخذ بيده فقال له الموكل على حفظ الغنيمة لست أدعك فبينما هما في المحاورة اذ أقبل أبو عبيدة فقال ما بالكما فقال الزبير أيها الامير هذا غلامي وصل الي من غنيمة عمان وهرب مني وقد رأيته الآن فلا بدلي منه فقال أبو عبيدة صدق ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم هو له وأنا سلمته له من غنيمة عمان فسلمه اليه وأخذه الزبير قال زيد المرادي هربت منا جارية الى العدو وظفرنا بها يوم اليرموك في قسم الغنائم فكلمنا أبا عبيدة فيها فكتب الى عمر فرد اليه الجواب ان كانت جارية حربية ففيها السهام والا فلا سبيل اليها وان كانت لم تجر فيها السهام فردوها فكان القوم لا يرضون بهذا من أبي عبيدة فقال أبو عبيدة والله الذي لا اله الا هو هذا كتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بحكم

بما أمرتكم فقبل قوله ودفع الجارية الى القسم (قال الواقدى) حدثنى لؤى بن عبد ربه عن سالم مولى حذيفة بن اليمان عن القاسط بن سلمة عن عدى بن عاصم عن حذيفة عن فتوح الشام قال لما هزم الله الروم باليرموك على يد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغ الخبر الى هرقل بهزيمة جيشه وقد قتل ماهان وجرير وغيرهم قال علمت ان الامر يصل الى هنا ثم قام ينتظر ما يجرى من المسلمين

(ذكر فتح مدينة بيت المقدس)

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) وأما ما كان من المسلمين فانهم أقاموا على دمشق شهرا فجمع ابو عبيدة أمراء المسلمين وقال لهم أشيروا على بما أصنع وأين أتوجه فاتفق رأى المسلمين الى قيسارية واما الى بيت المقدس فما الذى ترون من الرأى فقالوا أنت الرجل الامين وما نسير الى موضع الا ونحن معك فقال معاذ بن جبل اكتب الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فحيث أمرك فسر واستعن بالله فقال أصبت الرأى يا معاذ وكتب الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يعلمه انه قد عزم على قيسارية أو الى بيت المقدس وأنا منتظر ما تأمرنى به والسلام وأرسل الكتاب مع عرفجة بن ناصح النخعى وأمره بالمسير فسار حتى وصل المدينة فأوصل الكتاب لعمر رضى الله عنه فقرأه على المسلمين واستشارهم فى الامر فقال على رضى الله تعالى عنه يا أمير المؤمنين مر صاحبك ان يسير الى بيت المقدس فيحدقون بها ويقاتلون أهلها فهو خير الرأى وأكبره واذا فتحت بيت المقدس صرف جيشه الى قيسارية فانها تفتح بعدها ان شاء الله تعالى كذا أخبرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صدقت يا أبا الحسن فكتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب الى عامله بالشام أبى عبيدة أما بعد فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه وقد ورد على كتابك وفيه تستشيرنى فى أى ناحية تتوجه وقد أشار ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسير الى بيت المقدس فان الله سبحانه وتعالى يفتحها على يديك والسلام عليك ثم طوى الكتاب ودفعه الى عرفجة وأمره أن يعجل المسير فسار على قدم أبى عبيدة فوجده على الجابية فدفع الكتاب اليه فقرأه على المسلمين ففرحوا بالمسير الى بيت المقدس فعندها دعا أبو عبيدة بخالد بن الوليد وعقد له راية وضم اليه خمسة آلاف فارس من خيل الزحف وسرحه الى بيت المقدس ثم دعا بزيد بن أبى سفيان وعقد له راية على خمسة آلاف وأمره ان يلحق بخالد الى بيت المقدس وقال له يا ابن أبى سفيان ما علمتك الا ناصحا فاذا أشرفت على بلد ايليا فارفعوا أصواتكم بالتهليل والتكبير واسألوا الله بجاه نبيه ومن سكنها من الانبياء والصالحين ان يسهل فتحها على أيدى المسلمين فأخذ يزيد

الراية وسار بريد بيت المقدس فسار ثم دعا شرحبيل بن حسنة كاتب وحي النبي صلى الله عليه وسلم وعقد له راية وضم اليه خمسة آلاف فارس من أهل اليمن وقال له سر بن معك حتى تقدم بيت المقدس وانزل بعسكرك عليها ولا تختلط بعسكر من تقدم قبلك ثم دعا بالمرقال بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص وضم اليه خمسة آلاف فارس من جمع المسلمين وسرحه على أثر شرحبيل بن حسنة وقال له انزل على حصنها وأنت منعزل عن أصحابك ثم عقد راية خامسة فسلمها المسيب بن نجية الفزاري وأمره أن يلحق بأصحابه وضم اليه خمسة آلاف فارس من النخع وغيرهم من القبائل وعقد راية سادسة وسلمها الى قيس بن هبيرة المرادي وضم اليه خمسة آلاف فارس وسيره وراءهم ثم عقد راية سابعة وسلمها الى عروة بن مهلهل بن زيد الخيل وضم اليه خمسة آلاف فارس وسيره وراءهم فكان جملة من سرحه أبو عبيدة الى بيت المقدس خمسة وثلاثين ألفا وسارت السبعة امراء في سبعة أيام في كل يوم أمير وذلك كله يرهب به أعداء الله فبقي كل يوم ينزل عليهم أمير بجيشه فكان أول من طلع عليهم بالراية خالد بن الوليد فلما أشرف عليهم كبر وكبر أصحابه فلما سمع أهل بيت المقدس ضجيج أصواتهم انزعجوا وتزعزعت قلوبهم وصعدوا على أسوار بلادهم فلما نظروا الى قلة المسلمين استحقروهم وظنوا ان ذلك جميع المسلمين فنزل خالد ومن معه من ما يلي باب أريحا وأقبل في اليوم الثاني يزيد بن أبي سفيان وفي اليوم الثالث شرحبيل بن حسنة وأقبل في اليوم الرابع هشام بن المرقال وأقبل في اليوم الخامس المسيب بن نجية وأقبل في اليوم السادس قيس بن هبيرة فنزل في قبلتهما وأقبل في اليوم السابع عروة بن مهلهل بن زيد الخيل فنزل مما يلي طريق الرملة قال عبد الله بن عامر بن ربيعة الغطفاني مانزل أحد من المسلمين على بيت المقدس الا وكبر وصلى ما قدره الله عليه ودعا بالنصر والظفر على الأعداء ويقال ان خالدا كان هو وأبو عبيدة قال فلما مضى العسكر قام أبو عبيدة وخالد وبقية المسلمين والذراري والسواد والغنم وما أفاء الله على المسلمين من المواشي والاموال فلم يبرح من مكانه قال وأقام العسكر على بيت المقدس ثلاثة أيام لا يبارزهم حرب ولا ينظرون رسولا فلم يأت اليهم ولا يكلمهم أحد من أهلها الا انهم قد حصنوا أسوارهم بالمجانيق والعرادات والطوارق والسيوف والدرق والجواشن والزرد الفاخر قال المسيب بن نجية الفزاري مانزلنا ببلد من بلاد الشام فما رأينا أكثر زينة ولا أحسن عدة من بيت المقدس ومانزلنا بقوم الا وتضعضعوا النا ودخلهم الهلع وأخذتهم الهيبة الا أهل بيت المقدس نزلنا بازائهم ثلاثة أيام فلم يكلمنا منهم أحد ولا ينطقون غير ان حارسهم شديد وعدتهم كاملة فلما كان في اليوم الرابع قال رجل من البادية لشرحبيل

ابن حسنة أيها الامير كأن هؤلاء القوم صم فلا يسمعون أم بكم فلا ينطقون أم عمى فلا يبصرون ازحفوا بنا اليهم فلما كان فى اليوم الرابع وقد صلى المسلمون صلاة الفجر كان أول من ركب من المسلمين من الامراء الى حرب أهل بيت المقدس يزيد بن أبى سفيان فاشهر سلاحه وجعل يدنو من سورهم وقد أخذ معه ترجمانا يبلغه عنهم مايقولون فوقف بازاء سورهم بحيث يسمعون خطابه وهم صامتون فقال لترجمانه قل لهم أمير العرب يقول لكم ماذا تقولون فى اجابة الدعوة الى الاسلام والحق وكلمة الاخلاص وهى كلمة لا اله الا الله محمد رسول الله حتى يغفر لكم ربنا ماسلف من ذنوبكم وتحقنون بها دماءكم وان أبيتم ولم تجيبونا فصالحوا عن بلدكم كما صالح غيركم ممن هو أعظم منكم عدة وأشد منكم ودا وان أبيتم هاتين الخالتين حل بكم البوار وكان مصيركم الى النار قال فتقدم الترجمان اليهم وقال لهم من المخاطب عنكم فكلمه قس من القساقسة عليه مدارع الشعر وقال أنا المخاطب عنهم ماذا تريد فقال الترجمان ان هذا الامير يقول كذا وكذا ويدعوكم الى احدى هذه الخصال الثلاث اما الدخول فى الاسلام أو أداء الجزية واما السيف قال فبلغ القس لمن وراءه ماقال الترجمان قال فضجوا بكلمة كفرهم وقالوا لا نرجع عن دين العز والقبول وان قتلنا أهون علينا من ذلك فبلغ الترجمان ذلك ليزيد قال فمشى الى الامراء وأخبرهم بجواب القوم وقال لهم ما انتظاركم بهم فقالوا ان الامير أبا عبيدة ماأمرنا بالقتال ولا بحرب القوم بل بالنزول عليهم ولكن نكتب الى أمين الامة فان أمرنا بالزحف زحفنا فكتب يزيد بن أبى سفيان الى أبى عبيدة يعلمه بما كان من جواب القوم فما الذى تأمر فكتب اليهم أبو عبيدة يأمرهم بالزحف وانه واصل فى أثر الكتاب فلما وقف المسلمون على كتاب أبى عبيدة فرحوا واستبشروا وباتوا ينتظرون الصباح (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ولقد بلغنى ان المسلمين باتوا تلك الليلة كأنهم ينتظرون قادما يقدم عليهم من شدة فرحهم بقتال أهل بيت المقدس وكل أمير يريد ان يفتح على يديه فيتمتع بالصلاة فيه والنظر الى آثار الانبياء قال فلما أضاء الفجر أذن المؤذنون وصلت الناس صلاة الفجر قال فقرأ يزيد لاصحابه ياقوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا الآية فيقال ان الامراء أجرى الله على ألسنتهم فى تلك الصلاة ان قرؤا هذه الآية كأنهم على ميعاد واحد فلما فرغوا من الصلاة نادوا النفير النفير ياخيل الله اركبى قال وأول من برز للقتال حمير ورجال اليمن وبرز المسلمون للحرب كأنهم اسود ضارية ونظروا اليهم أهل بيت المقدس وقد انشرحوا القتالهم فقرأقسهم ورشقوا المسلمين بالنشاب فكانت كالجراد فجعل المسلمون يتلقونها بدرقهم فلم يزل الحرب بينهم من الغداة الى

الغروب يقاتلون قتالا شديدا ولم يظهروا فزعا ولا رعبا ولا يطمعونهم في بلدهم فلما
غربت الشمس تراجعوا الناس وصلى المسلمون ما فرض الله عليهم وأخذوا في اصلاح
شأنهم وعشائهم فلما فرغوا من ذلك أوقدوا النيران واستكثروا منها لان الحطب
عندهم كثير فبقي قوم يصلون وقوم يقرؤن وقوم يتضرعون وقوم نائمون مما لحقهم من
التعب والقتال فلما كان من الغد بادر المسلمون اليهم وذكروا الله كثيرا وأثنوا
عليه وصلوا على رسوله صلى الله عليه وسلم وتقدمت رماة النبل وأقبلوا يرمون
ويذكرون الله وهم يضجون الى الله بالدعاء (قال الواقدي رحمه الله تعالى) ولم يزل
المسلمون في القتال عدة أيام وأهل بيت المقدس يظهرون الفرح وأنه ليس على قلوبهم
من هم ولا جزع فلما كان اليوم الحادي عشر أشرفت عليهم راية أبي عبيدة يحملها
غلامه سالم ومن ورائها فرسان المسلمين وأبطال الموحدين وقد أحدقوا بأبي عبيدة
وخالد عن يمينه وعبد الرحمن بن أبي بكر عن يساره وجاءت النسوان والاموال وضج
الناس ضجة واحدة بالتهليل والتكبير فأجابتهم القبائل ووقع الرعب في قلوب أهل
بيت المقدس فانقلب كبارهم وعظماؤهم وبطارقتهم الى البيعة العظمى عندهم وهي
القمامة فلما وقفوا بين يدي جاليقهم وكانوا يعظمونه ويجلونه فلما سمعوا تلك الضجة
دخلوا عليه ووقفوا بين يديه وسجدوا له فقالوا يا أبانا قد قدم أمير القوم الينا ومعه بقية
المسلمين وهذه الضجة بسببه فلما سمع بتركهم وجاليقهم انتقع لونه وتغير وجهه وقال
هي هي قالوا وما ذلك أيها البترك والاب الكبير قال وحق الانجيل ان كان قدم أميرهم
فقد دنى هلاككم والسلام قالوا وكيف ذلك قال لا نجد في العلم الذي ورثناه عن
المتقدمين ان الذي يفتح الارض في الطول والعرض هو الرجل الاسمر الاحور المسمى
بعمر صاحب نبيهم محمد فان كان قد قدم فلا سبيل لقتاله ولا طاقة لكم بنزاله ولا بد لي
ان أشرف عليه وانظر اليه والى صورته فان كان هو عملت في مصالحته وأجيبه الى
ما تريدون وان كان غيره فلا نسلم اليه قط لان مدينتنا لا تفتح الا على يد من ذكرته لكم
والسلام ثم انه وثب قائما والقسوس والرهبان والشمامسة من حوله وقد رفعوا
الصلبان على رأسه وفتحوا الانجيل بين يديه ودارت البطارقة من حوله وصعد على
السور من الجهة التي فيها أبو عبيدة فنظر الى المسلمين وهم يسلمون عليه ويعظمونه
ثم يرجعون الى القتال كأنهم الاسد الضارية فناداهم رجل ممن كان يمشي بين
يدي البترك فقال يا معاشر المسلمين كفوا عن القتال حتى نستخبركم ونسألكم قال
فأمسك الناس عن القتال فناداهم رجل من الروم بلسان عربي فصيح اعلموا ان صفة
الرجل الذي يفتح بلدنا هذه وجميع الارض أصل صفته عندنا فان كان هو أميركم هذا

فلم نقاتلكم بل نسلم اليكم وان لم يكن هو فلا نسلم اليكم أبدا (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما سمع المسلمون ذلك أقبل نفرمنهم الى أبى عبيدة وحدثه بما سمعوه قال فخرج أبو عبيدة اليهم الى أن جاءهم فنظر البترك اليه وقال ليس هو هذا الرجل فأبشروا وقاتلوا عن بلدكم ودينكم وحريمكم فلما سمعوا قوله رفعوا أصواتهم وأعلنوا بكلمة كفرهم وأقبلوا يقاتلون القتال الشديد وعاد البترك الى القمامة ولم يخاطب أبا عبيدة بكلمة واحدة بل أمر قومه بالحرب والقتال وعاد أبو عبيدة الى أصحابه فقال خالد ما كان منك أيها الامير فقال لا علم لى غيرا نى خرجت اليهم كما رأيت وأشرف على شيطان من شياطينهم الذى يضاهم فما هو غيران نظر لى وتأملنى حتى ضجوا ضجة واحدة وولى عنى ولم يكلمنى فقال خالد يوشك أن يكون لهم فى ذلك تأويل ورأى فنقف عليه ونعلم ما هو ثم قال شدوا عليهم الحرب والقتال فشدوا عليهم المسلمون (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان نزلوا المسلمون على بيت المقدس فى أيام الشتاء والبرد وظنت الروم ان المسلمين لا يقدرون عليهم فى ذلك الوقت قال وزحف المسلمون اليهم وبرزت النبالة من أهل اليمن وهم أصحاب القسى ورشقوهم بالنبل وكانوا غير محترزين من النبل لقلة اكتراثهم بها حتى رأوا النبل ينكسهم على رؤسهم من وراء ظهورهم وهم لا يشعرون قال مهلهل لله در عرب اليمن فلقد رأيتهم يرمون بالنبل والرامون منهم يأتون من سورهم كالغنم فلما رأوا ما صنع بهم النبل احترزوا منه وستروا السور بالجحف والجلود وبما يرد النبل قال ونظرت الروم الى ضرار بن الازور وقد أقبل نحو الباب الاعظم وعليه بطريق كبير وعلى رأسه صليب من الجوهر وحوله غلمان وعليهم الطوارق وبأيديهم القسى الموترة والعمد وهو يحرض القوم على القتال قال عوف بن مهلهل فنظرت الى ضرار وقد قصد نحوه وهو يختفى ويستتر الى أن قرب من البرج الذى عليه البطريق ثم أطلق اليه نبلة قال عوف فنظرت الى النبلة مع علو هذا الجدار وقد خرجت من قوس ضرار والبرج عال رفيع فقلت وما تكون هذه ال[illegible] هذا الجدار وما الذى تصنع فى هذا العلج وعليه هذه اللامة اللامعة فأقسم بالله لقد وقعت هذه النبلة فى فيه فتردى الى أسفل برجه فسمعت للقوم ضجة عظيمة وجولة هائلة فعلمت انه قتل قال ولم يزل أبو عبيدة منازل بيت المقدس أربعة أشهر كاملة وما من يوم الا ويقاتلهم قتالا شديدا والمسلمون صابرون على البرد والثلج والمطر فلما نظر أهل بيت المقدس الى شدة الحصار وما نزل بهم من المسلمين قصدوا القمامة ووقفوا بين يدى بتركهم وسجدوا بين يديه وعظموه وقالوا له يا أبانا قد دام علينا حصار هؤلاء العرب ورجونا ان يأتينا مدد من قبل الملك ولا شك انه اشتغل عنا بنفسه من أجل هزيمة

جيشه الا انهم أشهى منا للقتال وانهم من يوم نزلوا علينا لم نخاطبهم بكلمة واحدة
ولم نجبهم احتقارا منا بهم والآن قد برح الخفاء وعظم علينا الامر وانا نريد منك ان
تشرف على هؤلاء العرب وتنظر ما الذى يريدون منا فان كان أمرهم قريبا الى ما يريدون
و يطلبون وان كان صعبا فتحنا الابواب وخرجنا اليهم فاما أن نقتل عن آخرنا واما
ان نهزمهم عنا فأجابهم البترك الى ذلك واشتهر بلباسه وصعدمعهم على السور وحمل
الصليب بين يديه واجتمع القسوس والرهبان حوله وبأيديهم الاناجيل مفتحة
والمباخر حتى أشرف على المكان الذى فيه أبو عبيدة فنادى منهم رجل بلسان فصيح
العربية يامعاشر العرب ان عمدة دين النصرانية وصاحب شريعتها قد أقبل يخاطبكم
فليدن منا أميركم فأخبروا أبو عبيدة بقالهم فقال والله انى لأجيبه حيث دعانى
ثم قام أبو عبيدة وجماعته من الامراء والصحابة ومعه ترجمان فلما وقف بازائه فقال لهم
الترجمان ما الذى تريدون منا فى هذه البلد المقدسة ومن قصدها يوشك ان الله يغضب
عليه و يهلكه فأخبره الترجمان بذلك فقال قل لهم أنا منكم انها بلدة شريفة ومنها
اسراء نبينا الى السماء ودنا من ربه كقاب قوسين أو أدنى وانها معدن الانبياء وقبورهم
فيها ونحن أحق منكم بها ولا نزال عليها أو يملكنا الله اياها كما ملكنا غيرها قال
البترك فالذى تريدون منا قال أبو عبيدة خصلة من ثلاث أولها ان تقولوا لا اله الا الله
وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله فان أجبتم الى هذه الكلمة كان لكم مالنا
وعليكم ما علينا قال البترك انها كلمة عظيمة ونحن قائلوها الا أن نبيكم محمدا مانقول
انه رسول قال أبو عبيدة كذبت ياعدو الله انك لم توحد قط وقد أخبرنا الله فى كتابه
انكم تقولون المسيح ابن الله لا اله الا الله سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا
قال البترك هذه خصلة لا نجيبكم اليها فالخصلة الثانية فقال أبو عبيدة تصالحونا عن
بلدكم أو تؤدوا الجزية الينا عن يد وأنتم صاغرون كما أداها غيركم من أهل الشام قال
البترك هذه الخصلة أعظم علينا من الاولى وما كنا بالذى ندخل تحت الذل والصغار
أبدا فقال أبو عبيدة مانزال نقاتلكم حتى يظفرنا الله بكم ونستعبد أولادكم ونساءكم
ونقتل منكم من خالف كلمة التوحيد واعتكف على كلمة الكفر فقال البترك
فانا لا نسلم مدينتنا أو نهلك عن آخرنا وكيف نسلمها ولقد استعددنا بها آلة الحرب
والحصار وفيها العدة الحسنة والرجال الشداد ولسنا كمن لاقيتم من أهل المدن الذين
اذعنوا لكم بالجزية فانهم قوم غضب عليهم المسيح فادخلهم تحت طاعتكم ونحن
فى بلد نامن اذا سأل المسيح ودعاه أجاب دعوته فقال أبو عبيدة كذبت والله ياعدو
الله ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان

الطعام فقال أنا اقسم بالمسيح انكم لو أقمتم علينا عشر ين سنة ما تفتحوها أبدا وانما تفتح لرجل صفته ونعته فى كتبنا وليس نجد صفته ونعته معك أبدا فقال أبو عبيدة وما صفة من يفتح مدينتكم قال البترك لا نخبركم بصفته لكن نجد فى كتبنا وما قرأناه من علمنا أنه يفتح هذه البلد صاحب محمد اسمه عمر يعرف بالفاروق وهو رجل شديد لا تأخذه فى الله لومة لائم ولسنا نرى صفته فيكم قال فلما سمع أبو عبيدة ذلك من كلام البترك تبسم ضاحكا وقال فتحنا البلاد ورب الكعبة ثم أقبل عليه وقال له اذا رأيت الرجل تعرفه قال نعم وكيف لا أعرفه وصفته عندى وعدد سنينه وأيامه قال أبو عبيدة والله خليفتنا وصاحب نبينا فقال البترك ان كان الامر كما ذكرت فقد علمت صدق قولنا فاحقن الدماء وابعث الى صاحبك يأتى فاذا رأيناه وتبيناه وعرفنا صفته ونعته فتحنا له البلد من غيرهم ولا نكد واعطينا الجزية فقال أبو عبيدة فانى أبعث اليه بأن يسير الينا أفتصبرون القتال أم نكف عنكم فقال البترك معاشر العرب ألا تدعون بغيكم ونخبركم ونحن قد صدقناكم فى الكلام طلبا لحقن الدماء وأنتم تأبون الا القتال قال أبو عبيدة نعم لان ذلك أشهى الينا من الحياة نرجو به العفو والغفران من ربنا قال فأمر أبو عبيدة بالكف عنهم وانصرف البترك (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فجمع أبو عبيدة الامراء والمسلمين اليه وأخبرهم بما قال البترك فرفع المسلمون أصواتهم بالتهليل والتكبير وقالوا أيها الامير واكتب الى أمير المؤمنين بذلك فلعله يسير الينا ويفتح هذه البلد علينا فقال شرحبيل بن حسنة اصبروا وقولوا لهم ان الخليفة معنا ويتقدم خالد بن الوليد اليهم فاذا نظروا اليه فتحوا الباب وكفينا التعب وكان خالد أشبه الناس بعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما فلما أصبح الصباح قال له الترجمان قد جاء الخليفة وكان قد قال أبو عبيدة لخالد فركبا جميعا وقالوا قد جاء الرجل الذى تطلبوه فعرفوا البترك فاقبل الى أن وقف على السور وقال له قل له يتقدم بحيث نراه عيانا فتقدم خالد فتبينه وقال وحق المسيح كأنه هو ولكن باقى العلامات ما هى فيه فيحق دينك من أنت فقال أنا من بعض أصحابه فقال البترك يا فتيان العرب كم يكون هذا الخداع بكم وحق المسيح لئن لم نر الرجل الموصوف ما نفتح لكم ولا يرجع أحدنا يكلمكم ولو أقمتم علينا عشرين سنة ثم ولى ولم يتكلم فقال المسلمون عند ذلك اكتبوا الى أمير المؤمنين عرفوه بذلك فعسى ان يأتى ويتشرف بهذه البقعة فكتب أبو عبيدة كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم الى عبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من عامله أبى عبيدة عامر بن الجراح أما بعد سلام عليك فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم واعلم يا أمير المؤمنين انا منازلون لاهل مدينة ايليا نقاتلهم

أربعة أشهر كل يوم نقاتلهم ويقاتلونا ولقد لقي المسلمون مشقة عظيمة من الثلج والبرد والأمطار إلا أنهم صابرون على ذلك ويرجون الله ربهم فلما كان يوم كتبت اليك الكتاب أشرف علينا بتركهم الذي يعظمونه وقال انهم يجدون في كتبهم انه لا يفتح بلدهم إلا صاحب نبينا واسمه عمر وانه يعرف بصفته ونعته وهو عندهم في كتبهم وقد سألنا حقن الدماء فانك تسير الينا بنفسك وتجدنا لعل الله أن يفتح هذه البلدة علينا على يديك ثم انه طوى الكتاب وختمه وقال يا معاشر المسلمين من ينطلق بكتابي هذا وأجره على الله فأسرع بالاجابة ميسرة بن مسروق العبسي وقال أنا أكون الرسول وأرجع مع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ان شاء الله تعالى قال أبو عبيدة فخذ الكتاب بارك الله فيك فأخذه ميسرة واستوى على ناقة له كوماء ولم يزل سائرا الى أن دخل المدينة فدخلها ليلا وقال والله لا نزلت عند أحد من الناس فأناخ ناقته على باب المسجد وعقلها ودخل المسجد وسلم على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى قبر أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ثم أتى مكانا في المسجد فنام وكان له ليال عدة لم ينم فأخذته عيناه فما استيقظ الا على آذان عمر وكان عمر يغلس في الآذان فلما أذن دخل المسجد وهو يقول الصلاة رحمكم الله قال ميسرة فقمت وتوضأت وصليت خلف عمر صلاة الفجر فلما انحرف في محرابه قمت اليه وسلمت عليه فلما نظر الى صافحني واستبشر وقال ميسرة ورب الكعبة ثم قال ما وراءك يا ابن مسروق قلت الخير والسلامة يا أمير المؤمنين ثم ناوله الكتاب فقرأه على المسلمين فاستبشروا به فقال ما ترون رحمكم الله فيما كتب به أبو عبيدة فكان أول من تكلم عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه فقال يا أمير المؤمنين ان الله قد أذل الروم وأخرجهم من الشام ونصر المسلمين عليهم وقد حاصر أصحابنا مدينة ايليا وضيقوا عليهم وهم في كل يوم يزدادون ذلا وضعفا ورعبا فان أنت أقمت ولم تسر اليهم رأوا انك بأمرهم مستخف ولقتالهم مستحقر فلا يلبثوا الا اليسير حتى ينزلوا على الصغار ويعطوا الجزية فلما سمع عمر ذلك من مقال عثمان جزاه خيرا وقال هل عند أحد منكم رأى غير هذا فقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه نعم عندي غير هذا الرأي وأنا أبديه لك رحمك الله فقال عمر وما هو يا أبا الحسن قال ان القوم قد سألوك وفي سؤالهم ذل وهو فتح للمسلمين وقد أصاب المسلمين جهد عظيم من البرد والقتال وطول المقام واني أرى انك ان سرت اليهم فتح الله هذه المدينة على يديك وكان في مسيرك الأجر العظيم في كل ظمأ ومخمصة وفي قطع كل واد وصعود جبل حتى تقدم اليهم فاذا أنت قدمت عليهم كان لك وللمسلمين الأمن والعافية والصلاح والفتح ولست آمن أن ييئسوا منك ومن قبولك الصلح

ان يمسكوا حصنهم ويأتيهم المدد من بلادهم وطاغيتهم فيدخل على المسلمين من ذلك الهم والبلاء لا سيما بيت المقدس عندهم وهو معظم واليه يحجون ولا يتخلفون عنه والصواب أن تسير اليهم ان شاء الله تعالى قال ففرح عمر بن الخطاب بمشورة على رضى الله تعالى عنه وقال لقد أحسن عثمان النظر فى المكيدة للعدو وأحسن على المشورة للمسلمين فجزاهم الله خيرا ولست آخذ الا بمشورة على فما عرفناه الا محمود المشورة ميمون الغرة ثم ان عمر رضى الله تعالى عنه أمر الناس بأخذ الاهبة للمسير معه والاستعداد فأسرع المسلمون الى ذلك واستعدوا وتأهبوا وأمر عمر أن يكونوا خارج المدينة ففعلوا ذلك وأتى عمر المسجد فصلى فيه أربع ركعات ثم قام الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليه وعلى أبى بكر رضى الله تعالى عنه واستخلف على المدينة على بن أبى طالب وخرج من المدينة وأهلها يشيعونه ويودعونه (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وخرج عمر من المدينة وهو على بعير له أحمر وعليه غرارتان فى احداهما سويق وفى الاخرى تمر وبين يديه قربة مملوءة ماء وخلفه جفنة للزاد وخرج معه جماعة من الصحابة قد شهدوا اليرموك وعادوا الى المدينة منهم الزبير وعبادة ابن الصامت وسار عمر نحو بيت المقدس فكان اذا نزل منزلا لا يبرح منه حتى يصلى الصبح فاذا انفتل من الصلاة يقبل على المسلمين ويقول الحمد لله الذى أعزنا بالاسلام وأكرمنا بالايمان وخصنا بنبيه عليه الصلاة والسلام وهدانا من الضلالة وجمعنا بعد الشتات على كلمة التقوى وألف بين قلوبنا ونصرنا على عدونا ومكن لنا فى بلاده وجعلنا اخوانا متحابين فاحمدوا الله عباد الله على هذه النعمة السابغة والمنن الظاهرة فان الله يزيد المستزيدين الراغبين فيما لديه ويتم نعمته على الشاكرين ثم يأخذ الجفنة يملأها سويقا ويصف التمر حولها ويقرب للمسلمين ويقول كلوا هنيئا مريئا فيأكل ويأكل المسلمون معه ثم يرحل فلم يزل كذلك فى مسيره قال عمرو بن مالك العبسى كنت مع عمر بن الخطاب حين سار الى الشام فمر على ماء الجرام وعليه طائفة منهم نزول والماء يدعى ذات المنار فنزل بالمسلمين عليه فبينما هو كذلك وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله اذ أقبل اليه قوم من جرام فقالوا يا أمير المؤمنين ان عندنا رجلا له امرأتان وهما أختان لاب وأم قال فغضب عمر وقال على به فأتى بالرجل اليه فقال له عمر ما هاتان المرأتان قال الرجل زوجاتى قال فهل بينهما قرابة قال نعم هما أختان قال عمر فما دينك ألست مسلما قال بلى قال عمر أوما علمت أن هذا حرام عليك والله يقول فى كتابه وأن تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف فقال الرجل ما علمت وما هما على حرام فغضب عمر وقال كذبت والله انه لحرام عليك

ولتخلين سبيل أحدهما والا ضربت عنقك قال الرجل أفتحكم على قال اى والله الذي لا اله الا هو فقال الرجل ان هذا دين ما أصبنا فيه خيرا ولقد كنت غنيا عنه ان أدخل فيه قال عمر أدن منى فدنى منه فخفق رأسه بالدرة خفقتان وقال له أتتشاءم بالاسلام ياعدو الله وعدو نفسه وهو الدين الذى ارتضاه الله للملائكة ورسله وخيرته من خلقه خل ياويلك سبيل أحدهما والا جلدتك جلدة المفترى فقال الرجل كيف أصنع بهما وانى أحبهما ولكن أقرع بينهما فمن خرجت القرعة عليها كنت لها وهى لى وان كنت لهما جميعا محبا فأمرهم فاقترع فوقعت القرعة على أحدهما فأمسكها وأطلق سبيل الثانية ثم أقبل عليه عمر وقال له اسمع ياذا الرجل وعى ما أقول لك انه من أسلم فى ديننا ثم رجع عنه قتلناه فاياك أن تفارق الاسلام واياك يبلغنى انك قد أصبت أخت امرأتك التى فارقتها فانك ان فعلت ذلك رجمتك (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وسار عمر حتى مر على حى من بنى مرة فاذا بقوم منهم قد أقاموا فى الشمس يعذبون فقال لهم عمر ما بال هؤلاء يعذبون فقيل عليهم خراج فهم يعذبون قال فما يقولون قال يقولون ما نجد ما نؤدى فقال عمر دعوهم ولا تكلفوهم مالا يطيقون فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تعذبوا الناس فى الدنيا يعذبكم الله يوم القيامة فخلى سبيلهم ثم سار حتى اذا كان بوادى القرى أخبروه أن شيخا على الماء وله صديق يوده فقال له صديقه هل لك أن تجعل لى فى زوجتك نصيبا وأكفيك رعى ابلك والقيام عليها ولى فيها يوم وليلة ولك فيها يوم وليلة قال له الشيخ قد فعلت ذلك ورضى فلما أخبر عمر بذلك أمر بهما فأحضرا فقال ياويلكما ما دينكما قالا الاسلام قال عمر فما الذى بلغنى عنكما قالا وما هو فأخبرهما عمر بما سمعه من العرب فقال له الشيخ قد كان ذلك يا أمير المؤمنين فقال عمر أما علمتما ان ذلك حرام فى دين الاسلام قالا لا والله ما علمنا ذلك فقال عمر للشيخ وما دعاك أن صنعت هذا القبيح قال أنا شيخ كبير ولم يكن لى أحد أثق اليه ولا أتكل عليه فقلت ياهذا أتكفينى الرعى والسقى وتعيننى على دوابى وأنا أجعل لك نصيبا فى امرأتى والآن اذا علمت أنه حرام فلا أفعله فقال عمر خذ بيد امرأتك فلا سبيل عليها ثم قال للشاب اياك أن تقرب منها فانه ان بلغنى ذلك ضربت عنقك ثم ارتحل عمر يريد بيت المقدس حتى اذا دنا من أول الشام وأشرف عليه قال أسلم بن برقان مولى عمر فلما أشرفنا على الشام وأشرف عليه المسلمون نظرنا الى طائفة من خيل المسلمين فقال عمر للزبير أسرع وانظر ما هذه الخيل فأسرع الزبير اليها فلما قرب منها واذا هى خيل من اليمن قد بعث بهم أبو عبيدة يأخذون له خبر عمر رضى الله عنه قال الزبير فسلموا على وقالوا يا أخى من أين أقبلت فقلت من

مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا كيف خلفت أهلها قالت بخير قالوا فما فعل عمر هل قدم علينا أم لا قال الزبير من أنتم قالوا نحن من عرب اليمن قد وجهنا أبو عبيدة لنأخذ له خبر عمر قال فرجع الزبير الى عمر وحدثه قال أصبت يا أبا عبد الله فأقبل علينا تبع آخر فسلموا علينا وسألونا عن عمر فقال لهم ها أنا عمر فما تريدون قالوا يا أمير المؤمنين قد ذرفت العيون وطالت الاعناق بالتطاول الى قدومك فلعل الله أن يفتح بيت المقدس على يدك (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ثم رجعوا على أعقابهم حتى أشرفوا على عسكر المسلمين وأبي عبيدة ونادوا بأصواتهم أبشروا يا مسلمين بقدوم عمر قال فارتج الناس وهموا أن يركبوا الاستقباله بأجمعهم فقال لهم أبو عبيدة عزيمة على كل رجل أن لا يخرج عن مركزه ثم سار أبو عبيدة فى أناس من المهاجرين والانصار حتى أشرف بمن معه على عمر قال ونظر عمر الى أبي عبيدة وهو لابس سلاحه متنكب قوسه وهو راكب على قلوصة مغطى بعباءة قطوانية وخطام قلوصة من شعر فلما نظر أبو عبيدة الى عمر رضى الله عنهما أناخ قلوصه وأناخ عمر بعيره وترجل كلاهما ومد أبو عبيدة يده فصافح عمر وتعانقا جميعا وسلم بعضهما على بعض وأقبل المسلمون يسلمون على عمر ثم ركبا جميعا وجعلا يتسايران امام الناس وهم يتحادثان ولم يزالا كذلك حتى نزلا ببلد القدس فلما نزلا صلى عمر رضى الله عنه بالمسلمين صلاة الفجر ثم خطبهم خطبة حسنة وقال فى خطبته الحمد لله الحميد المجيد القوى الشديد الفعال لما يريد ثم قال ان الله تعالى قد أكرمنا بالإسلام وهدانا بمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام وأزاح عنا الضلالة وجمعنا بعد الفرقة وألف بين قلوبنا من بعد البغضاء فاحمدوه على هذه النعمة تستوجبوا منه المزيد فقد قال الله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد ثم قرأ من يهدى الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا قال فلما أتى عمر ذلك قام قس من النصارى كان حاضرا بين يديه فقال ان الله لا يضل أحدا فلما كررها قال عمر انظروا ان عاد الى قوله فاضربوا عنقه فعرف الناس ما قال عمر فأمسك ومضى عمر فى خطبته فقال أما بعد فانى أوصيكم بتقوى الله عز وجل الذى يبقى ويفنى كل شئ سواه الذى بطاعته ينفع أولياءه وبمعصيته يضر أعداءه أيها الناس أدوا زكاة أموالكم طيبة بها قلوبكم وأنفسكم لا تريدوا بها جزاء من مخلوق ولا شكرا افهموا ما توعظون به فان الكيس من أحرز دينه وان السعيد من اتعظ بغيره ألا ان شر الامور مبتدعاتها وعليكم بالسنة سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم فالزموها فان الاقتصار فى السنة خير من الاجتهاد فى البدعة والزموا القرآن فان فيه الشفاء والثواب أيها الناس انه قد قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم

كقيامي فيكم وقال الزموا أصحابي ثم الذين يلونهم ثم يظهر الكذب حتى يشهد من لم يستشهد ويحلف من لم يحلف فمن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة وأن تعوذوا من الشيطان ولا يخلون أحد منكم بامرأة فانهن من حبائل الشيطان ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن والصلاة الصلاة فلما فرغ من خطبته جلس فجعل أبو عبيدة يحدثه بالقي من الروم وعمر باهت فتارة يبكي وتارة يهدى فلم نزل كذلك الى أن حضرت صلاة الظهر فقال الناس يا أمير المؤمنين اسأل بلالا أن يؤذن لنا وكان بلال مقيما ببلد فلما بلغه ان الناس قد نزلوا على بيت المقدس أتى اليهم وشاهد قتالهم وجعل يقاتل معهم فلما بلغه ان عمر قد وصل سار مع أبي عبيدة حتى سلم على عمر فعظم قدره فلما حضرت صلاة الظهر وسأل المسلمون عمر أن يسأل بلالا وقال له يا بلال ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألون أن تؤذن لهم وتذكرهم أوقات نبيهم صلى الله عليه وسلم فقال بلال نعم فلما قال الله أكبر خشعت جلودهم واقشعرت أبدانهم قال فلما قال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله بكى الناس بكاء شديدا حتى كادت قلوبهم أن تنصدع عند ذكر الله ورسوله فلما فرغ بلال من صلاته وجلس قال بلال يا أمير المؤمنين ان أمراء المسلمين وأجناد الشام يأكلون لحوم الطيور والخبز النقي ومالا يلحق ضعفاء الناس ومالا تناله أيديهم وان الكل يفنى وما له الى التراب ومصيرنا اليه فقال له يزيد بن أبي سفيان ان سعر بلادنا هذه رخيص وانا لانصيب ما قاله بلال ها هنا بمثل ما كنا نقوت به أنفسنا مدة من الزمان في الحجاز فقال عمر ان الامر كما ذكرت فكلوا هنيئا مريئا ولست أبرح من مكاني حتى تجمعوا الى من في المنازل يعني أن تكتبوا الى فقراء المسلمين ممن في المدن والقرى فأفرض لكل أهل بيت ما يجزيهم من البر والشعير والعسل والزيت وما يحتاجون اليه ومالا بد لهم منه ثم قال عمر هذا لكم من أمرائكم غير ما يأتيكم مني من بيت مال المسلمين فان قطعت عنكم أمراؤكم فأمروني حتى أعزلهم عنكم ثم أمرهم بالرحيل فلما هم بالركوب على بعيره وعليه مرقعة من صوف وفيها أربعة عشر رقعة بعضها من أديم (قال الواقدي رحمه الله تعالى) بلغني ممن أثق به أنها كانت مرقعة من صوف فقال له المسلمون يا أمير المؤمنين لو ركبت بدل بعيرك جوادا ولبست ثيابا بيضاء قال الزبير أحسب انها كانت من ثياب مصر تساوي خمسة عشر درهما وطرح على عاتقه منديل من كتان ليس هو جديد ولا بالخلق دفعه اليه أبو عبيدة وقدم اليه برزون أشهب من براذين الروم فلما صار عمر على ظهره جعل البرزون يلهج به فلما نظر عمر الى البرزون وفعاله نزل عنها مسرعا وقال اقيلوا عثرتي أقال الله عثرتكم يوم القيامة فقد كاد أميركم أن يهلك بما دخل قلبي من العجب والكبر واني

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من الكبر ولقد كاد أن يملكنى ثوبكم الابيض وبرزونكم الهلج ثم ان عمر رضى الله تعالى عنه نزع ما كان عليه ثم عاد الى لبس مرقعته (قال الواقدى) كنا يوما نقرأ فتوح الشام وفتوح بيت المقدس عند قبر أبى حنيفة وكان الفتوح يقرأ على عبادة بن عرف الدينورى وكان من أهل الفضل وكان يسجع بكلامه فلما وصل الى ما ذكرناه من لبس عمر لمرقعته قال قد سمح خاطرى بما أنا قائله (قال الواقدى) قلت قل ولا تخف الصدق فهو فى الناروان الصدق أمانة والكذب خيانة قال لما لبس عمر مرقعته وجعل يتبختر فى اشتمال فقره والكائنات تتعجب من زهده وصبره عندها تزينت له الدنيا بملابسها وتراءت له فى حال أمنيتها بواسطة حدثان مشيتها وقد جعلت أشباح شهواتها على قمة رأس مرآتها وأقبلت راكعة فى حلة مراودته مطلقة أعنة الطمع فى طلب زوال مجاهدته معرضة بملابس جمالها على سوق معارضته فى سناء قلة مرآة تبهرجها فى عين مشاهدته واقفة على قدم الاستدراج الى ترك خدمته باقلة ودادها ذريعة الى وصلته وعمر قد أمسك عرى طاعته بيد عصمته فلما نصبت له حبائل بلاها ولم تره وقع فى اشراك هواها أسمعت ظاناً فى معناها قد شغفها حباً انا النراها قالت يا عمر قد وليت أرضى فلا بد من القيام بغرضى فالولاية لا تقوم الا بملابس المنيه والمآكل الشهيه والظلم فى الرعيه فقال عمر اذهبى فلست من رجالك ولا ممن يقع فى حبالك ولا فى أوحالك أما علمت انى قد تجردت لمعاندتك ولا حاجة لى فى مشاهدتك وها أنا قد كنت على قدم تجردت لاقامة دعوة سيد الامم حتى أفتح بلاد الروم والعجم ثم أشهر فى وجهها ما رم احتمادة من معنى قوله وجاهدوا فى الله حق جهاده (قال الواقدى رحمه الله تعالى ورضى عنه) فاستحسنت هذا الكلام وأحققت ما قاله فى هذا الموضع لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا قال وان عمر سار يريد العقبة وصعودها الى بيت المقدس فلقيه قوم من المسلمين وعليهم ثياب الديباج مما أخذوه من اليرموك فأمر عمر أن يحث التراب فى وجوههم وأن تحرق عليهم ولم يزل على ذلك حتى أشرف على بيت المقدس فلما نظر اليها قال الله أكبر الله أكبر اللهم افتح لنا فتحا يسيرا واجعل لنا من لدنك سلطانا نصيرا ثم سار واستقبلته العشائر والقبائل وأصحاب العقود وسار عمر حتى نزل بالموضع الذى كان فيه أبو عبيدة وضربت له خيمة من شعر وجلس فى كرها على التراب ثم قام يصلى أربع ركعات (قال الواقدى) وعلت للمسلمين ضجة عظيمة وصياح مزعج بالتهليل والتكبير فسمع أهل بيت المقدس الضجة والجلبة فقال لهم البترك يا ويلكم ما شأن العرب قد ارتفعت لهم جلبة من غير

شئ فأشرفوا عليهم وانظروا ماشأنهم (قال الواقدى) فأشرف عليهم رجل ممن يعرف العربية فقال يامعاشر العرب أخبرونا ماقصتكم قالوا ان أمير المؤمنين عمر قد قدم علينا من مدينة نبينا وهذه الضجة من فرحة المسلمين به قال فرجع وأعلم البترك فأطرق الى الارض ولم يتكلم فلما كان الغد وصلى عمر بالناس صلاة الفجر قال لابى عبيدة ياعامر تقدم الى القوم وأعلمهم انى قد أتيت قال فخرج أبو عبيدة وصاح بهم وقال ياأهل هذه البلدة ان صاحبنا أمير المؤمنين قد ورد فما تصنعون فيما قلتم قال فأعلموا البترك فخرج من كنيسته وعليه المسوح وترجل الرهبان والقسس والاساقفة معه وقد حمل بين يديه صليب لايخرجونه الا فى عيدهم وسار معه الباطليق وهو الوالى عليهم وهو يقول للبترك ياأبانا ان كنت تعرفه معرفة حقيقية والا نفتح له ودعنا وهؤلاء العرب فاما أن نبيدهم واما أن يبيدونا قال البترك أنا أفعل ذلك ثم صعد على السور ووقف الباطليق الى جانبه والصليب امامهم وأشرف على أبى عبيدة وقال ماتشاء أيها الشيخ الباهى قال أبو عبيدة هذا أمير المؤمنين عمر وليس عليه أمير قد أتى فاخرجوا اليه واعقدوا معه الأمان والذمة وأداء الجزية فقال البترك ياذا الرجل ان كان صاحبك الذى ليس عليه أمير قد أتى فدعه يدنو منا فانا نعرفه بنعته ونعته وأفردوه من بينكم وليقف بازائنا حتى نراه فان كان صاحبنا الذى نعته فى الانجيل نزلنا اليه وعقدنا معه الامان وأقررناله بالجزية وان كان هو غير الذى نجد نعته فى الانجيل وصفته فما لكم عندنا غير القتال قال فرجع أبو عبيدة الى عمر وأخبره بما قاله البترك فهم عمر بالقيام فقال له أصحابه ياأمير المؤمنين أتخرج اليهم منفردا وليس عليك آلة حرب غير هذه المرقعة وانا نخشى عليك منهم غدرا أومكرا فينالون منك فقال عمر قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ثم أمر ببعيره فقدم اليه فاستوى فى ركوبه عليه وعليه مرقعة ليس عليه غيرها وعلى رأسه قطعة عباءة قطوانية وقد عصب بها رأسه وليس معه غير أبى عبيدة رضى الله تعالى عنهما سائر بين يديه حتى قرب من السور ووقف بازاء السور والبترك والباطليق عليه فتكلم أبو عبيدة وقال ياهؤلاء هذا أمير المؤمنين قد أتى فمسح البترك عينيه ونظر اليه وزعق بأعلا صوته هذا والله الذى نجد صفته ونعته فى كتبنا ومن يكن فتح بلادنا على يديه بلا محالة ثم انه قال لاهل بيت المقدس ياويحكم انزلوا اليه واعقدوا معه الامان والذمة هذا والله صاحب محمد بن عبد الله . (قال الواقدى) فلما سمعت الروم كلام البترك نزلوا مسرعين وكان قد ضاقت أنفسهم من الحصار ففتحوا الباب وخرجوا الى عمر بن الخطاب يسألونه العهد والميثاق والذمة ويقرون له بالجزية فلما نظر اليهم عمر على تلك الحالة

تواضع لله وخر ساجدا على قتب بعيره ثم نزل اليهم وقال ارجعوا الى بلادكم ولكم الذمة والعهد اذا سألتمونا وأقررتم بالجزية قال فرجع القوم الى بلدهم ولم يغلقوا الابواب ورجع عمر الى عسكره فبات فيه ليلة فلما كان من الغد قام فدخل اليها وكان دخوله يوم الاثنين وقام بها الى يوم الجمعة وخط بها محرابا من جهة الشرق وهو موضع مسجده فتقدم وصلى هو وأصحابه صلاة الجمعة فهمت الروم بغدرهم وكان أبو الجعيد الذى دهب على الروم باليرموك بيت المقدس أهله وماله فقالوا اما ترى بغدر هؤلاء العرب اذا هم اشتغلوا بصلاتهم وليس معهم آلة حرب ولا ما يحترزون به من الضرب والقتل فقال لهم أبو الجعيد يا قوم لا تعملوا ولا تغدروا بهم فان فعلتم ذلك أقول لهم بما تريدون أن تعملوا بهم فقالوا وما الذى نصنع فقال أبو الجعيد أظهروا للعرب ما لكم من الزينة ومتاع الدنيا فان متاع الدنيا وما فيها لا يصبر صاحبها عنها فان طلبوها بغدر فشأنكم وما تريدون قال فاقبل القوم على ما كانوا يقدرون من المال والمتاع الحسن فأظهروه وصفوه فى طريق المسلمين وشوارعهم فجعل المسلمون ينظرون الى ذلك فى دخولهم وخروجهم وهم يتعجبون منهم ولم يمل أحد منهم ولا يلمسه وهم يقولون الحمد لله الذى أورثنا بارقوم لهم مثل هذا ولو ساوت الدنيا جناح بعوضة لما سقى كافرا منها شربة ماء قال عوف بن سالم فوالله ما من المسلمين من جعل يده على شئ من متاعهم ولا لمسه فقال لهم أبو الجعيد هؤلاء القوم الذى وصفهم الله فى التوراة والانجيل وانهم لا يزالون على الحق ولا يقربهم أحد ما داموا على ما هم عليه (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وأقام عمر فى بيت المقدس عشرة أيام قال شهر بن حوشب سمعت كعب الاحبار يقول ان عمر بن الخطاب لما صالح أهل بيت المقدس ودخلها أقام بها عشرة أيام فأقبلت اليه وكنت فى قرية من فلسطين وتقدمت اليه لأسلم عليه وأسلم على يديه وذلك أن أبى كان أعلم الناس بما أنزل الله على موسى بن عمران وانه كان لى محبا وعلى مشفقا اذ لم يكتم على شيأ الا أعلمنى اياه مما كان يعلم الناس فلما حضرته الوفاة دعانى اليه وقال لى أى بنى انك تعلم انى ما ادخرت عنك شيأ مما كنت أعلمه لانى خشيت أن يخرج بعض هؤلاء الكاذبين وتتبعهم وقد جعلت هاتين الورقتين فى هذه الكوة الذى ترى فلا تتعرض لهما ولا تنظر فيهما الى أن تسمع بخبر نبى يبعث فى آخر الزمان اسمه محمد فان يرد الله بك خيرا فانت تتبعه ثم مات بعد وصيته اياى قال كعب فدفنته فما كان شئ أحب الى من ينقض العزاء حتى أنظر فى الورقتين وأقرأ ما فيهما مكتوب فاذا فيهما لا اله الا الله محمد رسول الله خاتم النبيين لا نبى بعده مولده بمكة دار هجرته طيبة

ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب أمته الحامدون الذين يحمدون الله على كل حال ألسنتهم رطبة بالتهليل والتكبير وهو منصور على كل من عاداه من أعدائه أجمعين يغسلون وجوههم ويستررون أوساطهم اناجيلهم فى صدورهم تراحمهم بينهم تراحم الانبياء بين الامم وهم أول من يدخل الجنة يوم القيامة من الامم قال كعب الاحبار فلما قرأت ذلك قلت فى نفسى وهل علمنى أبى شيأ أعظم من هذا ثم مكثت بعد وفات والدى ماشاء الله الى أن بلغنى أن النبى صلى الله عليه وسلم الموصوف قد ظهر بمكة وهو يظهر مرة بعد أخرى فقلت هو والله لامحالة ولم أزل أبحث على أمره حتى قيل انه خرج ونزل بيثرب فجعلت أترقب أمره حتى غزا غزوات ونصر على أعدائه فتجهزت أريد المسير اليه فبلغنى أنه قد قبض صلى الله عليه وسلم وانقطع الوحى فقلت فى نفسى لعله بالذى كنت أنتظره حتى رأيت فى منامى كان أبواب السماء قد فتحت والملائكة تنزل زمرة بعد زمرة وقائل يقول قد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وانقطع الوحى عن أهل الارض فرجعت الى دار قومى وجاءنا الخبر أنه قد قدم من أمته خليفة اسمه أبو بكر فقلت أقدم عليه فلم ألبث حتى جاء تنا جنوده الى الشام ثم جاء تنا وفاته ثم قيل انه استخلف عليهم رجل أسمر اسمه عمر فقلت لا دخلن هذا الدين حتى أحققه ولم أزل متوقعا على قدوم عمر بن الخطاب رضى الله عنه بيت المقدس وصالح أهلها ونظرت الى وفائهم بعهدهم وما صنع الله بأعدائهم فقلت انهم أمة النبى الامى فحدثت نفسى بالدخول فى هذا الدين فوالله انى ذات ليلة على سطحى واذا أنا برجل من المسلمين يقول يا أهل الكتاب آمنوا بما أنزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا قال كعب فلما سمعت هذه الآية خفت والله أن لا أصبح حتى يحول وجهى فما كان شىء أحب الى من الصباح أن يرد فلما أصبحت غدوت من منزلى وسألت عن عمر فقيل لى أنه ببيت المقدس فقصدت اليه واذا به قد صلى بأصحابه صلاة الفجر عند الصخرة فأقبلت اليه وسلمت عليه فرد على السلام وقال لى من أنت فقلت له أنا كعب الاحبار وانى جئت أريد الاسلام والدخول فيه فانى وجدت صفة محمد صلى الله عليه وسلم وأمته فى الكتب المنزلة أن الله عز وجل أوحى الى موسى عليه السلام انى ماخلقت خلقا أكرم على من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ولولاه ماخلقت جنة ولا نارا ولا سماء ولا أرضا وأمته خير الامم ودينه خير الاديان بعثته آخر الزمان أمته مرحومة وهو نبى الرحمة وهو النبى الامى التهامى القرشى الرحيم بالمؤمنين الشديد على الكافرين سريرته مثل علانيته وقوله لا يخالف فعله القريب والبعيد عنده سواء أصحابه متراحمون متواصلون فقال عمر أحقا ما تقول يا كعب قال انى والله

يسمع ما اقول ويعلم ما تخفى الصدور فقال عمر الحمد لله الذى أعزنا وأكرمنا وشرفنا ورحمنا برحمته التى وسعت كل شئ وهدانا بمحمد صلى الله عليه وسلم فهل لك يا كعب فى الدخول فى ديننا فقال كعب يا أمير المؤمنين ان فى كتابكم الذى أنزل الحكيم أمرد بنكم ذكرا براهيم فقال عمر نعم وقرأ ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون ثم قرأ ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ثم قرأ أفغير دين الله يبغون وله أسلم الآية ثم قرأ ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه الآية ثم قرأ قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما الآية ثم قرأ وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل الآية قال كعب فلما سمعت هذه الآيات قلت يا أمير المؤمنين أنا أشهد أن لا اله الا الله واشهد أن محمد رسول الله ففرح عمر باسلام كعب الاحبار ثم قال هل لك أن تسير معى الى المدينة فتزور قبر النبى صلى الله عليه وسلم وتتمتع بزيارته فقلت نعم يا أمير المؤمنين أنا أفعل ذلك قال وارتحل عمر بعد ان كتب لاهل بيت المقدس كتابا أى عهدا وأقرهم فى بلادهم على الجزية وسار بمن معه من العساكر الى الجابية فأقام بها ودون الدواوين وأخذ الخمس الذى لله مما أفاء الله على المسلمين ثم قسم الشام قسمين فأعطى أبا عبيدة من حوران الى حلب وما يليها وأمره بالمسير الى حلب وأن يقاتل أهلها الى أن يفتحها الله على يديه وأعطى أرض فلسطين وأرض القدس والساحل ليزيد بن أبى سفيان وجعل أبا عبيدة واليا عليه وأمر يزيد أن يحارب أهل قيسارية الى أن يفتحها الله على يديه وكان قد أعطى أكثر الاجناد لابى عبيدة مع خالد وسير عمرو بن العاص الى مصر واستعمل على قضاء حمص عمر بن سعيد الانصارى ثم سار عمر رضى الله عنه يريد مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وأخذ كعب الاحبار معه وكان أهل المدينة يظنون ان عمر يقيم بالشام لما يرون من كثرة خيرها وطيب فواكهها ورخص أسعارها وبما يخبرون عنها انها بلاد الانبياء وهى الارض المقدسة وبها المحشر فبقى الناس يتطاولون نحوه ويخرجون فى كل يوم ينظرونه حتى قدم عمر رضى الله عنه فارتجت المدينة يوم قدومه واستبشروا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم برؤيته وسلموا عليه ورحبوا به وهنوه بما فتح الله على يديه فأول ما بدأ بالمسجد وسلم على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ثم صلى ركعتين ودعا بكعب الاحبار وقال حدث المسلمين بما رأيت فى الورقتين فازداد الناس ايمانا

(قال)

(قال أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدى) حدثنا أحمد بن الحسين بن العباس المعروف بأبى سفيان النحوى قال حدثنا أبو جعفر بن أحمد بن عبيد الناسخ قال حدثنى عبد الله بن أسلم الزهرى وعبد الله بن يحيى الزرقى عمن حدثه ممن تقدم ذكرهم وأسماؤهم أول الكتاب وحديث القوم قريب بعضه من بعض والله يعيذنا من الزيادة والنقصان لان الصدق أمانة والكذب خيانة والله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة ما اعتمدت فى خبر هذا الفتوح الا على الصدق وما حدثت حديثه الا على قاعدة الحق لاثبت فضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهادهم حتى أرغم بذلك أهل الرفض الخارجين عن أهل السنة والفرض اذ لولاهم بمشيئة الله تعالى لم تكن البلاد للمسلمين ولا انتشر علم هذا الدين فلله درهم لقد جاهدوا فى الله حق جهاده لا جرم وقد قال فيهم الملك المقتدر فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر (قال الواقدى) وذلك أنه لما بعث عمر بن الخطاب أبا عبيدة وجعله أصيل الشام وأمره بالمسير الى حلب وانطاكية والمعرق وما يليهم من الحصون وبعث عمرو بن العاص الى مصر ويزيد بن أبى سفيان الى ساحل الشام فنازلهم قيسارية آهلة بالخلق كثيرة الجند وكان عليها اقسطنطين الى نزول يزيد وهذا اقسطنطين بن الملك هرقل وكان معه ثمانون ألفا من الروم والعرب المتنصرة والروسية فلما نظر قسطنطين الى نزول يزيد بن أبى سفيان عليه بعث الى أبيه يستنجده فبعث اليه هرقل بصاحب مرعش وعشرين ألفا من أبطال الروسية ونفذ له المراكب بالزاد والعلوفة فلما نظر يزيد الى ذلك وأن لا قدرة له على ذلك كتب الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يقول بسم الله الرحمن الرحيم من يزيد بن أبى سفيان عامله على بعض الشام الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه انى نازلت أهل قيسارية وهى مدينة آهلة بالخلق كثيرة الجند وليس اليها سبيل وان قسطنطين قد استنجد بأبيه وقد أنجده بصاحب مرعش بعشرين ألفا والمراكب ترد عليه كل يوم بالعلوفة والزاد وأريد النجدة والسلام وبعث الكتاب مع عمرو ابن سالم بن حميد النخعى فلما ورد المدينة وسلم الكتاب الى عمر بن الخطاب فقال عمر من أين هذا الكتاب قال من عاملك يزيد بن أبى سفيان فقرأه فلما أتى على آخره تفكر فى أمر يزيد وما وقع له واذا قد دخل عليه على بن أبى طالب كرم الله وجهه فأراه كتاب يزيد من قيسارية الشام يطلب منه نجدة فقال على لا تغتم على المسلمين فان الله يفتحها على يديك رغما فانجد يزيد وانفذ اليه الكتاب

❋(ذكر فتح مدينة حلب وقلاعها)❋

(قال الواقدي رحمه الله تعالى) كان مع أبي عبيدة عشرون ألفا ومع يزيد وعمرو بن العاص عشرة آلاف (قال الواقدي) فلما وصل كتاب عمر الى أبي عبيدة نفذ الى يزيد ثلاثة آلاف فارس مع حرب بن عدي وبقي أبو عبيدة في سبعة عشر ألفا وأكثرهم من اليمن وكان أبو عبيدة قد صالح أهل قنسرين والعواصم على خمسة عشر ألف مثقال من الذهب ومثلها من الفضة وألف ثوب من أصناف الديباج وخمسمائة وسق من التين والزيت فلما تم الصلح وجاؤا عاصموه من مدينتهم وحاصرهم كتب لهم كتابا وشرط فيه الشرط ودخل أبو عبيدة وحاله حاصرهم في رجال من المؤمنين وسادات المسلمين فخطوا بها مسجدا فبلغ ذلك أهل حلب من الصلح لقنسرين ومسير العرب فاضطربوا اضطرابا شديدا وكان عليهم رئيسان أخوان لاب وأم وكانا يسكنان في القلعة ولم تكن القلعة محيطة بالمدينة بل كانت المدينة منفردة بذاتها وكان البطاريقان يقال لاحدهما يوقنا والآخر يوحنا وكان أبوهما ملك البلد وأعماله وضياعه ورساتيقه الى حدود الضروب والى حدود الفرات وقد ملك حلب سنين لا ينازعه فيها منازع وكان هرقل طاغية الروم يهابه ويوقره ولا يحاربه كل ذلك لبقاء ملكهم واجتماع كلمتهم لانه كان قد انتزع من رومية الى أقصى البلاد فلا يجيش عليه أحد جيشا ولا ينازعه في ملكه لكثرة شره وتدبيره وشدة بأسه فلما نزل بالعواصم استخلص لنفسه قلعة حلب وبناها وحصنها وارتبط في البلاد فلما هلك آل الامر بعده لولده يوقنا وكان الكبير وكان شجاعا بطلا جامعا للاموال مقداما للحروب لا يصطلى له بنار ولا يدفع شره وكان أخوه يوحنا ساكنا قد نزع يده من الرياسة وترهب وكان أعلم الناس في أهل زمانه وانه لما بلغهم الخبر أن أبا عبيدة قد قصد اليهم قال لاخيه يوقنا على ما أعولت قال على قتال العرب ولا أدعهم يقربوا من أرضنا وبلادنا حتى يروا العرب أني لست ممن لقوا من بطارقة الشام ولا من غيرها فقال له أخوه يوحنا وكان قد درس الانجيل وقرأ المزامير وليس له همة الا عمارة الكنائس والاديرة وتشييد المواضع وكثرة الشمامسة والقسوس والرهبان والقيام بأمورهم فلما بلغ هذين الاخوين فتح العواصم عنوة وقنسرين صلحا وان العرب نازلون عليها وان خيلهم تضرب الى الفرات والعواصم والبقاع فأقبل يوحنا على أخيه الاكبر يوقنا وقال يا أخي أريد أن أخلي بك الليلة وأشاورك وأطلعك على سري ورأيي وأشرف على سرك ورأيك قال نعم فلما اجتمعا في الليل في دار كانت لابيهما في القلعة فلما جلس في المشورة أقبل يوقنا على أخيه يوحنا وقال يا أخي الا ما ترى ما نزل بنا من العرب الجياع الاكباد العراة الاجساد وما حل باهل الشام منهم من القتل والنهب وأخذ الاموال فهدوا وما ينزلون مدينة

من مدن الشام الافتحوها وملكوا أهلها فما ترى أن تصنع فى أمر هؤلاء فكأنى بهم وقد أشرفوا علينا (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فقال يوحنا يا أخى اذا قد استشرتنى فى أمرك فانى أنصحك ولا أغشك اذا قبلت النصيحة وان كنت أصغر منك سنا فانى أعلم منك بصيرة فوحق المسيح والقربان لان قبلت مشورتى ليعاونن أمرك ويسلم لك مالك ونفسك فقال يوقنا يا أخى ما علمتك الا ناصحا فما عندك من الرأى فقال الرأى عندى أن ترسل رسولا الى العرب وتبذل لهم ما شاؤا وتسألهم الصلح وتتفق معهم على معلوم يدفع لهم فى كل عام ما دامت الغلبة لهم فلما سمع يوقنا ذلك من كلام أخيه يوحنا أقبل عليه وقد استوثق من الغضب وقال قبحك المسيح ما أعجز رأيك ما ولدتك أمك الا راهبا أو قسيسا ولم أقلدك لا ملكا ولا محاربا ولا مقاتلا والرهبان ليس لهم قلوب لا كلهم العدس والزيت والبقل ولا يأكلون اللحم ولا يعرفون النعيم وليس لهم بالقتال بصيرة ولا بملاقاة الرجال خبرة وأما أنا ملك ابن ملك وليس بينى وبينهم الا الحرب ولا يلبسوا الملوك العجز ويلك كيف نسلم ملكنا للعرب ونعطيهم القياد من أنفسنا من غير حرب ولا قتال قال فلما سمع يوحنا ذلك من أخيه تبسم من كلامه وتعجب كل العجب وقال له يا أخى وحق المسيح ان أجلك قد اقترب لانك صاحب بغى تحب سفك الدماء وقتل النفس وما أظن جموعك أكثر من جموع الملك هرقل التى جمعها باليرموك مع ماهان ويوم اجنادين وهؤلاء القوم قد أيدهم الله علينا فاتق الله ولا تعنف فى قتل نفسك فلما سمع يوقنا كلام أخيه داخله الغضب وقال له قد أكثرت واطلت فى مدحك العرب وانى لست كمن لاقوه من هذه الجموع التى ذكرتها ولا أقاس بهم ومع ذلك اعلم أن كل من ذكرت من أهل المدن وغيرها أسلم بلاده عنوة أو صلحا قبل أن يقاتل أو بلا عذر فى القتال ويبذل المجهود عن نفسه وانما جمعت الاموال من قبلى الى الآن لادفع بها الاذى عن نفسى وانى مجمع على قتال العرب ومحاربتهم فان ظفرنى الصليب بهم وأعاننى المسيح عليهم طلبت العرب الى أن أدخل خلفهم الحجاز وأسود على سائر الملوك وأرجع الى الشام ملكا فلا يقدر هرقل أن ينازعنى وان هزمتنى العرب طلعت الى قلعتى هذه ولزمتها فانى قد أوعيت فيها من الزاد والاوعية والاطعمة ما يكفينى طول دهرى وأكون فيها عزيزا الى أن أموت ولا ألقى يدى الى العرب ولا أبذل أموالى من غير طلب فلا تعارضنى فى شئ من أمر العرب تدعونى فيه الى الصلح الا بطشت بك قبلهم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) واحتوى الشيطان على قلب يوقنا وقد سولت له نفسه العمل فلما سمع يوحنا من أخيه يوقنا هذا المقال قال له كلامك على حرام أبدا حتى ترجع الى رأيى وتعود الى قولى ثم قام عنه مغضبا فلما كان من الغد جمع يوقنا اليه جميع

من القبائل من العسكر من الارمن والمتنصرة وغيرهم وأعرضهم على نفسه فمن أراد سلاحا أعطاه وفرق فيهم الاموال وجعل يهون العرب عليهم ويقول انما هم قليل ونحن أكثر منهم لان جموعهم قد تفرقت منهم جماعة على قيسارية ومنهم من توجه الى مصر (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وعزم على قتال أبى عبيدة قبل أن يصل اليه والى بلده ثم عمد الى بطريق من بطارقته يقال له كراكس وضم اليه ألف فارس ووكله بحفظ بلده وسار يوقنا بمن معه يريد أن يلتقى جيش أبى عبيدة والمسلمين وهو وقومه فى اثنى عشر ألف مدرع غير من كان معه بغير درع ونشرت أمامه الاعلام والصلبان وكان فيهم صليب من الذهب والجوهر ومن حوله ألف غلام عليهم ثياب الديباج المنسوج بالذهب قال صليب بن ثعلبة الكندى وأقام أبو عبيدة على مدينة قنسرين بعد أن فتحها بالصلح بعد أن أتاه اليزيد بكتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه يأمره أن يبعث الى يزيد بن أبى سفيان طائفة من جيشه فبعث له بثلاثة آلاف فارس لابسين السلاح الكامل وعول أبو عبيدة على المسير الى حلب فدعا برجل من بنى ضمرة يقال له كعب ابن ضمرة وكان بطلا معروفا بشدة البأس وكان اذا ثبت على وجه الارض لقتال لا يهاب الجحافل قلت أو كثرت فضم اليه ألف فارس وسيره على مقدمته وقال له يا كعب لا تقاتل جيشا لا تطيقه واختبر أمر هذا العلج واعرف خبره وأنا راحل من ورائك فسار كعب بن ضمرة يريد حلب وكان يوقنا قد قدم أمامه عيونا يأتونه بالاخبار فأتته جواسيسه يخبرونه أن خيول العرب قد أتت تريد بلده وقتاله فقال لهم فى كم أتت العرب قالوا فى ألف فارس وهم على ستة أميال من بلدك نزول قال فكمن يوقنا كمينا ثم سار اليهم بجيشه حتى أشرف عليهم يوقنا بجيوشه وبطارقته فلما أشرف عليهم وهم نزول وهم على نهر يسقون خيلهم ويتوضؤن فبينما هم كذلك اذ أشرف عليهم يوقنا بجيوشه وبطارقته والصليب أمامه فنادى المسلمون بعضهم بعضا واستووا على متن خيولهم وركب كعب بن ضمرة على فرسه وسبق فى أول الخيل وأشرف على جيش يوقنا فحزره أنه فى خمسة آلاف فارس وكان يوقنا قد قسم عسكره شطرين النصف معه والنصف مع الكمين فلما نظر كعب الى يوقنا وجيشه انقلب الى أصحابه وقال يا أنصار دين الله انى نظرت عسكر عدوكم وحزرته فهو فى خمسة آلاف فارس وهم لكم غنيمة ويقاتل الواحد منكم خمسة قالوا بلى والله وأقبل يشجع أصحابه بعضهم بعضا فقرنت الفئة من الفئة وصاح يوقنا بأصحابه ورجاله وغلمانه وعبيده وبطارقته وأمرهم بالحملة على المسلمين فحملوا بأجمعهم حملة صعبة وحمل عليهم المسلمون والتقى الجمعان واشتبك الحرب وقاتل الجمعان قتال الموت وقد أيقن المسلمون بالظفر والغنيمة

اذ طلع عليهم الكمين من ورائهم وأكبوا عليهم جميعا قال مسعود بن علوان العجمي شهدت الخيل التي بعثها أبو عبيدة طلائع مع كعب بن ضمرة وكنت فيها يوم التقى الجمعان وقد خرج علينا الكمين ونحن في القتال ونحن لا نظن أن لهم كمينا يطلع من ورائنا فطلع من وراء ظهورنا واذا بأصوات حوافر الخيل وقد كبت علينا وأيقنا بالهلكة بعدما كنا موقنين بالغلبة وصرنا في وسط عسكر الكفار فلم يكن لنا بد من القتال فافترقت المسلمون ثلاث فرق فرقة منهم منهزمة وفرقة قصدت قتال الكمين وفرقة مع كعب ابن ضمرة قصدت قتال يوقنا ومن معه قال مسعود بن علوان فلله در كندة يومئذ لقد قاتلوا قتالا شديدا وأبلوا بلاء حسنا ووهبوا أنفسهم لله تعالى حتى قتل منهم ذلك اليوم مائة رجل في مقام واحد وعمل أهل الكمين عملا عظيما وكعب بن ضمرة قلعا على المسلمين يجاهد عنهم وهو يجول بالراية وهو ينادي يا محمد يا محمد يا نصر الله انزل معاشر المسلمين اثبتوا انما هي ساعة ويأتي النصر وأنتم الاعلون فاجتمع المسلمون عليه فنظر المسلمون والجراح فيهم فاشية وقتل من المسلمين مائة وسبعون رجلا من الاعيان منهم عباد بن عاصم النخعي وزفر بن أم راضي وحازم بن شهاب المقرئ وسهل بن أشيم ورفاعة بن محصن وغانم بن برد وسهيل بن مفلح وكان ممن شهد يوم السلاسل وتبوك بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد قتال اليمامة مع خالد بن الوليد قال مسعود بن عون والله لقد تأسفنا على قتله ووجدنا فيه أربعين ضربة كلها في مقدمه رضي الله عنه ولم نجد واحدة في ظهره وكان الاعيان أربعين رجلا لان الرجل منا ما قتل حتى قتل أعدادا من المشركين وظهر القتل في المشركين حتى نظروا الى ثبات المسلمين مع قلتهم وما لهم ولهم من قتل منهم فهم المشركون أن ينهزموا فثبتهم يوقنا وقال يا ويلكم ما العرب الا مثل الذئاب ان صدمت ولت وان تركت طمعت ولما نظر كعب بن ضمرة الى من قتل تحت رايته اغتم لذلك غما شديدا فنزل عن فرسه ولبس درعا من فوق درعه وشد وسطه بمنطقته ومسح وجه فرسه ومناخره وقبل بين عينيه وكان قد شهد معه المواطن وجاهد معه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد سماه الهطال فقال يا هطال هذا يومك المحمود عاقبته فاثبت للقتال في طاعة الله ولما استوى على متنه ووقف أمام المسلمين وجعل ينظر الى القتلى وهو متفكر في أمره والراية بيده وهو ينتظر من أبي عبيدة جيشا يقبل عليه أو طليعة تنجده فلم ير لذلك أثرا وذلك أن أبا عبيدة ما قطعه عن المسير اليه الا قدوم أهل حلب عليه وذلك أنه لما سار يوقنا الى حرب المسلمين اجتمع مشايخ أهل حلب والروسية بعضهم الى بعض وقال يا قوم تعلمون أن هؤلاء العرب قد أطاعهم أهل دين

النصرانية والصليب ودخلوا فى دينهم وفيهم من رجع الى دينهم ومنهم من قاتلهم فأما الذى قاتلهم فخسر فقال انكم أن تسيروا الى أمير العرب ونسأله الصلح ونصالح عن مدينتنا وندفع اليه ما حب من أموالنا فان ظفر المسلمون بالبطريق يوقنا نكون نحن آمنين غير وجلين منهم ونفرغنا من بأسهم وان صالح يوقنا القوم نكون نحن قد سبقناه الى الصلح وان غاب ورجع سالما لم نبلغه ولم نعلمه واستوى رأيهم على ذلك فخرج منهم ثلاثون رجلا من رؤسائهم وسلكوا طريقا غير طريق يوقنا حتى أشرفوا على عسكر المسلمين فنادوا الغوث الغوث وكان العرب قد علمت أن الغوث بالرومية هو الامان فمن سمعتموه يقولها فلا تعجلوا عليه بالقتل يطالبكم الله به يوم القيامة وعمر برىء منه فكانت العرب يعرفونها فلما سمع المسلمون منهم ذلك أسرعوا اليهم وأوقفوهم بين يدى أبى عبيدة فقال خالد يوشك ان هؤلاء يطلبون الصلح والامان لانفسهم وهم أهل حلب قال أبو عبيدة أرجو ذلك ان شاء الله تعالى وان صالحونى صالحتهم وهو لا يعلم ما أصابه فيه من الحرب الشديد والقتال العنيد وكان قدومهم عليه ليلا والنيران تضرم بين يديه وكان فى العسكر رجال قيام فى صلاتهم يتلون القرآن فجعل بعضهم يقول لبعض بهذه الفعال تنصرون علينا فلما سمع الترجمان مقالهم أخبر أبا عبيدة وبما قد تناجوا بينهم فقال أبو عبيدة انا قوم قد سبقت لنا العناية من ربنا وانا رجال لا نريد من الله ورسوله بدلا ولن نجزع من قتال الاعداء فأخبرهم الترجمان بذلك ثم قال لهم من أنتم قالوا نحن سكان حلب من تجارها وسوقها ورؤسائها وقد جئنا نطلب منكم الصلح فقال أبو عبيدة فكيف نصالحكم وقد بلغنا أن بطريقكم قد صمم على قتالنا وقد حصن قلعته وحمل فيها ما يقوته سنين واتخذ الجند وأكثر من ذلك وما لكم عندنا صلح فقال أيها الامير ان صاحبنا قد خرج من عندنا يريد حربكم وقتالكم قال أبو عبيدة ومتى خرج قالوا خرج سحرا ونحن من بعده وسلكنا طريقا غير طريقه وانا نرجوا أنه هالك لا محالة لانه ركب البغى ولم يرض بالصلح وقد أطاع هواه ومن أطاع هواه فقد وقع فى شرك الردى فلما سمع أبو عبيدة بخروج البطريق خاف على طليعته منه فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم هلك والله كعب ومن معه انا لله وانا اليه راجعون ثم أطرق الى الارض فقال مشايخ أهل حلب كلم لنا الامير فى الصلح قال فكلمه فقال أبو عبيدة بضجر لا صلح لكم عندنا قال فخاف الشيوخ على أنفسهم وقالوا انا قد اجتمع عندنا من القرايا والرساتيق خلق كثير فان صالحتمونا عمرنا لكم الارض وكنا لكم عونا على عمارتها وعشنا فى ظلكم أيام عدلكم وان أنتم أبيتم ذلك تفر الناس عنكم وطلبوا أقصى البلاد وشاع الخبر عنكم أنكم لا تصالحون

ولا

فلا يبقى حولكم أحد قال فأعلمه الترجمان بما قالوا فجعل ينظر اليهم واذا قد برز من القوم وصاح رجل أحمر الوجه وكان من حكماء الروم فصيح بلسان عربى فقال أيها الامير اسمع ما ألقيه اليك من العلم الذى أنزل الله فى الصحف على الانبياء قال أبو عبيدة قل لنسمع فان كان حقا علمناه وان كان غير حق لم نسمعه ولم نعمل به وكان اسمه دحداح فقال أيها الامير ان الله سبحانه وتعالى أنزل على أنبيائه يقول أنا الرب الرحيم خلقت الرحمة وأسكنتها فى قلوب المؤمنين وانى لا أرحم من لا يرحم من أحسن أحسنت اليه ومن تجاوز تجاوزت عنه ومن عفى عفوت عنه ومن طلبنى وجدنى ومن أغاث ملهوفا آمنته يوم القيامة وبسطت له فى رزقه وباركت له فى عمره وأكثرت له أهله ونصرته على عدوه ومن شكر المحسن على احسانه فقد شكرنى وانا قد أتيناك ملهوفين خائفين فأقل عثراتنا وآمن روعتنا وأحسن الينا قال فبكى أبو عبيدة من قوله وقرأ ان الله يحب المحسنين ثم قال اللهم صل على محمد وعلى جميع الانبياء فهذا والله أرسل نبينا أرسله الله الى جميع الخلق والحمد لله على هدايته لنا ثم أقبل على المسلمين وهم حوله وفيهم الرؤساء من المهاجرين والانصار وقال لهم الحمد لله على هدايته ثم قال ان هؤلاء أهل مصر وسوقة وضياع وهم مستضعفون وقد رأينا أن نحسن اليهم ونصالحهم ونطيب قلوبهم فانه متى كانت المدينة فى أيدينا والسوقة معنا فانهم يميرونا بالعلوفة ويعلمونا بما يعزم عليه عدونا ويكرنوا عونا لنا عليه فقال رجل من المسلمين أصلح الله الامير ان مدينة القوم بالقرب من القلعة ولا نأمن أن القوم يدلون على عوراتنا ويخبرون بأحوالنا وما أتى القوم الا يخدعونا الا ترى الى بطاريقهم وقد خرج يبغى قتالنا وحربنا فكيف يطلب هؤلاء الصلح معنا ولا شك أنهم مكروا بكعب بن ضمرة ومن معه من المسلمين فقال أبو عبيدة أحسن ظنك بالله وثق بالله فان الله ينصرنا ولا يسلط علينا اعداءنا فرحم الله من قال خيرا أو صمت واذا اشترط عليهم النصيحة فى صلحهم للمسلمين ثم أقبل على القوم وقال انى أريد أن تبذلوا فى صلحكم ما بذله أهل قنسرين فقالوا أيها الامير ان قنسرين أقدم من مدينتنا وأكثر جمعا ومدينتنا خالية من السكان لجور صاحبنا لانه قد أخذ أموالنا وغلاتنا وأصعد الكل الى قلعته ولا بقى عندنا الا الضعفاء ومن لا مال له وانا نسألك الترفق بنا والعدل فينا والاحسان الينا فقال أبو عبيدة فما الذى تريدون أن تبذلوا فى صلحكم قالوا نعطى نصف ما أعطى أهل قنسرين فقال أبو عبيدة قد قبلت منكم ذلك على أننا اذا نزلنا بصاحبكم أعنتمونا بالميرة والعلوفة وتبيعون وتشترون فى عسكرنا ولا تكتموا عنا خبرا تكونوا تعلموه من أعدائنا ولا تتركون جاسوسا يتجسس علينا وان رجع اليكم بطريقكم

منهزما فامنعوه أن يصل الى القلعة فقالوا أيها الامير أما قولك أن تمنع البطريق أن لا يصعد الى القلعة فما نجد الى ذلك من سبيل ولا نقول لك ما لا نفعله لان هذا ما لنا به طاقة ولا بمن معه من أعوانه وجنوده قال أبو عبيدة فلا تمنعوه من الصعود الى القلعة وعليكم عهد الله وميثاقه والايمان المؤكدة الغليظة أن تقولوا هذا القول وتوفوا لنا كل شرط تم عليكم ثم حلفهم بالايمان الذى يعرفونها فحلف القوم عن آخرهم وعن رجالهم ودوابهم وأبنائهم ونسائهم وعبيدهم وسائر أهاليهم وانتهوا على ذلك فقال أبو عبيدة انكم قد حلفتم وقد قبلنا قولكم وايمانكم فان أصبنا أحدا قد أخلف أو علم من البطريق علما ولم يعلمنا به فقد وجب عليه القتل وأخذ ماله وولده حلالا لنا لا يبطالنا الله بذمته ومتى نقضتم ما شرطنا عليكم فلا عهد لكم عندنا ولا ذمة لكم علينا وانما عليكم الجزية فى العام المقبل قال سعيد بن عامر التنوخى فرضى أهل حلب بما شرطه عليهم أبو عبيدة وأخذوا عهدهم وكتب أسماؤهم وعزم القوم على الانصراف الى ديارهم فقال لهم أبو عبيدة على رسلكم حتى أبعث معكم من يسير معكم الى مأمنكم فقد وجب علينا حفظكم الى أن تعودوا سالمين الى بلدكم فقال له الدحداح أيها الامير انما نرجع من الطريق الذى جئنا منه وما نريد أحدا يسير معنا فتركهم أبا عبيدة وبات بقية ليلته قلقا على كعب بن ضمرة ومن معه (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ورجع القوم من ليلتهم الى حلب وانفجر الصبح ولم يصلوا فلما أشرفوا على حلب نظر اليهم بعض أعلاج البطريق وهم راجعون فأقبل اليهم وسألهم من أين أقبلتم وما صنعتم فظنوا أنه من أهل حلب فأخبروه بصلحهم مع أبى عبيدة فتركهم ومضى وان القوم استقبلهم أهل حلب فسألوهم فأخبروهم بالصلح ففرحوا بذلك قال وأقبل العلج حتى أشرف على عسكر يوقنا وهو منازل على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أحاط بهم وهو يظن أنه قد ملكهم وهو يتوقع الصباح اذ أتى عليه العلج فقال له أيها البطريق انك غافل عما نزل بك ودهمك قال له وماذاك يا ويلك قال له ان أهل بلدك قد صالحوا العرب وكأنك بهم وقد ملكوا القلعة وأخذوا الاموال والنسوان فلما سمع يوقنا ما أخبره به العلج خشى على قلعته أن يملكوها فى غيبته فانعكس عليه ما كان يؤمله أن يفوز به من الظفر بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد قتل من المسلمين نيفا عن المائتين وكعب قد أجهد نفسه على الحرب وأيقنوا أنهم هالكون لا محالة قال كعب بن ضمرة وكنت ذلك اليوم صاحب القوم وأنا أثبتهم فى الحرب والى الحرب أنهضهم بهمتى وأدفع عنهم بمهجتى فاذا أجحفنى القتال وركبنى الحرب القتام لى أصحابى وأنا مع ذلك أتوقع فرجا من الله تعالى وأرقب راية أبى عبيدة

أن

أن تطلع فبعد علينا ذلك ولم تزل الحرب بيننا يوما وليلة الى الصباح من اليوم الثاني فأقسم بالله ان كان لاحد منا مصلي ولا حصل له زاد يأ كله ولا ماء يشربه وأنا بين اليأس والرجا أترقب طريق قنسرين أن تطلع منه علينا راية الاسلام فما أرى لها أثرا فرأيت عند الصباح جيش العدوّ وقد اضطرب من جوانبه وقد علت لهم ضجة عظيمة من جميع جوانبه فقلت ما هذا الا عدد لحقهم من البلد أو من الملك فالتجأت الى كلمة الشدائد وهي لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قال كعب بن ضمرة فوعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قلت الكلمة حتى رأيت جيش العدوّ وقد انكشف عنا على عقبه فقلت الحمد لله حمد الشاكرين واني أظن أن صائحا صاح بهم من السماء فبدّدهم أو ملائكة نزلت عليهم كيوم بدر فلم أر لهم أثرا قال كعب فهممت أن أتبعهم فصاح المسلمون الى أين يا كعب أما كفاك ما نحن فيه انزل بنا الى الارض وارض بما نحن فيه من التعب والنصب ونؤدي فرضنا ونريح خيولنا فما رد الله عنا هذا القوم الا هو بمشيئته وقدرته قال فنزل كعب وشربوا الماء وأسبغوا الوضوء وصلوا ما فاتهم وأكلوا من زادهم واستقبلوا الراحة (قال الواقدي رحمه الله تعالى) وأبطأ خبر كعب على أبي عبيدة فلما صلى الصبح انتقل من صلاته وأقبل على المسلمين وخاطب من بينهم خالد وقال يا أبا سليمان ان أخاك أبا عبيدة ما رقد الليلة غما وان كان يجب علينا الشكر بما فتح الله علينا وان نفسي تحدثني بان الذين مع كعب بن ضمرة قد قتلوا لما أخبروني هؤلاء الذين يسألون الصلح ان صاحبهم يوقنا قد سار اليهم ولم أر أثرا وأظن أنه صادف أصحابنا فقتلوهم وأفنوهم عن آخرهم فقال خالد والله اني ما نمت مثلك من الغم عليهم فما الذي عزمت أن تصنع قال الرحيل ثم أمر الناس بالرحيل وارتحل وساروا يريدون حلب وعلى المقدمة خالد بن الوليد وعلى الساقة أبو عبيدة فما كان غير بعيد حتى أشرف على المسلمين خالد بن الوليد وهم نيام وقد أقاموا لهم من الديدبان من يحرسهم فلما أشرف عليهم خالد والراية في يده رافعها فوق رأسه فلما رآها الديدبان صاح النفير النفير يا أنصار الدين فثاروا عن مضاجعهم كأنهم أسد ثائرة واستووا في متون خيولهم واستقبلوا صاحب الراية فعرفوه فصاح بعضهم ببعض هذه والله راية الاسلام والمسلمين فحمل خالد وسلم عليهم واتصلت بهم الساقة وأقبل أبو عبيدة فلما نظر كعب بن ضمرة حمد الله وأثنى عليه ونظر الى موضع القتلى مطروحين وما كان من المسلمين ورآهم فلما نظروا الى ذلك عاد فرحهم ترحا واسترجعوا وقالوا لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم انا لله وانا اليه راجعون وسأل كعبا كيف قتل أصحابك هؤلاء ومن قتلهم فأخبره كعب بقتال يوقنا وانه أشرف هو وقومه ومن كان معه على الهلاك حتى

لم يبق فيهم حركة تداموا ليلتنا هذه فلما أصبحنا واذا هم قد صاحوا وانقلبوا راجعين عنا من غير قتال فقال أبو عبيدة فسبحان مسبب الاسباب ليت أبا عبيدة قتل امامهم ولم يقتلوا تحت رايته ثم أمر بدفن المسلمين بعد ماجمعهم زمرا زمرا وصلى عليهم ودفنوهم بأسلابهم ودمائهم ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله يوم القيامة ودماؤهم على أجسادهم اللون لون الدم والريح ريح المسك والنور متلألئ عليهم ويدخلهم الجنة فلما واروهم في حفرتهم قال خالد ان كان عدو الله يوقنا رجع الى القوم وعلم بحطهم لنا فيلقون منه تعبا عظيما فالحق بهم فقد وجب علينا أن نذب عنهم لانهم تحت زمامنا وارتحل أبو عبيدة يريد حلب فلما وصل اليها رأى البطريق وجنوده قد أحدقوا بأهل البلد وهم يريدون قتالهم ويقال لهم ياويلكم صالحتم العرب عن أنفسكم وصرتم عونا لهم علينا قالوا قد فعلنا ذلك وانهم قوم منصورون فقال ياويلكم ان المسيح لا يرضى بفعلكم فوحق المسيح لاقاتلنكم عن آخركم أو تخرجون معي الى قتالهم وتنقضون ما بينكم وبينهم من العهد والميثاق فاخبروني بن في هذا الامر حتى أبدأ به قال فلم يطيعوه على ذلك فقال لعبيده ادخلوا عليهم وأتوني بهم لاقتلهم فقد أخبرني فلان انه لقيهم وعرفني بهم فهجم العبيد عليهم وجعلوا يقتلونهم على فرشهم وأبواب منازلهم فسمع أخوه يوحنا الضجة في البلد وهم في القلعة فنظر الى أخيه وهو يقتل في الناس وقد قتل من أهل البلد ثلثمائة فصاح بهم وبأخيه على رسلك لا تفعل فان المسيح يغضب عليك وقد نهانا أن نقتل عدونا فكيف من هو على ديننا فقال يوقنا لاخيه انهم صالحوا العرب عن البلد وصاروا لهم عونا علينا فقال يوحنا وحق المسيح لابقيت عليك العرب أبدا وان لهم من يقتص منك قال ومن يقتص مني قال المسيح يقتلك كما قتلتهم بغير ذنب فقال يوقنا أنت حملتهم على ذلك وأنت أول من أبطش به ثم عمد الى أخيه وتبادر عليه وجرد سيفه ليعلوه به فلما نظر يوحنا الى أخيه وقد جرد سيفه علم أنه هالك رفع رأسه الى السماء وقال اللهم اشهد على أني مسلم واني مخالف لدين هؤلاء القوم وأنا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ثم قال لاخيه اصنع ما أنت صانع فان كنت قاتلي فاني صائر الى جنات النعيم فورد على يوقنا من اسلام أخيه موردا عظيما ومن أهل بلده ومن فزعه من المسلمين فحمله الغيظ على أن رمى برأس أخيه عن جسده والتفت الى هذا البلد فوجدهم يستغيثون فلا يغاثوا ويسألونه فلا يجيبهم ولا يكف عنهم فكثر منهم الضجيج وعلت الجلبة وقد أخذوا عليهم البلد من سائر جوانبها وقد آيس أهل حلب من نفوسهم واذا أبا الفرج وقد أتى والمعونة وقد أدركتهم وأشرفت عليهم رايات المسلمين وابطال الموحدين وهم ينادون

بكلمة التوحيد ويقدمهم خالد بن الوليد فلما نظر خالد الى أهل حلب ولهم ضجيج بالصياح والبكاء قال لابى عبيدة أيها الامير وهو والله أهل ملكك وزمامك كما ذكرت فصاح بجواده وحمل الراية وزعق فى القوم وقال انفرجوا معاشر الاعلاج عن أهل صلحنا ثم أجاد فيهم بالطعن وحمل المسلمون معه وبذلوا السيف فى الاعلاج فلما نظر يوقنا الى ذلك انهزم الى القلعة ومعه بطارقته قال محصن بن عترة فرج الله عن أهل البلد بقتل الاعلاج يوم حلب فى البلد فمن لجا الى القلعة سلم ومن طلب الهرب قتلناه قال محصن فكان جملة من قتل يوقنا من أهل صلحنا ثلثمائة وقتلنا نحن من أصحابه ثلاثة آلاف أو يزيدون فكانت وقعة عجيبة ففرح المسلمون بها فلما قتل من قتل وفرج الله عن أهل حلب ما يجدون أخبروا أبا عبيدة كيف قتل يوقنا الاخيه يوحنا وبالقصة جميعها (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما سمع يوقنا من سيوف المسلمين وصعد القلعة ومن معه من جنده واستعد للحصار ونصب المجانيق ونشر السلاح على الاسوار وكثر آلة الحصار وأما أهل حلب فانهم أخرجوا العساكر المسلمين أربعين أسيرا من البطارقة فقال لهم أبو عبيدة لاى سبب أسرتم هؤلاء قالوا لانهم من أصحاب يوقنا هربوا الينا فلم نر أن نخفيهم منك لانهم ليسوا منا ولا معنا فى الصلح قال فأعرض عليهم الاسلام فأسلم منهم سبعة وأما الباقون أبوا فضرب رقابهم وقال لهم لقد نصحتم فى صلحكم وسترون منا ما يسركم وسارلكم ما لنا وعليكم ما علينا وهذا بطريقكم قد تحصن فى هذه القلعة فهل تعرفون لنا عورة تدلونا عليها حتى نقاتلهم منها فان فتحها الله علينا جعلناها لكم غنيمة مع ما غنمتم من قومكم حتى نكافئكم بفعلكم الجميل فقالوا أيها الامير والله ما نعرف لها عورة وان يوقنا قد شحن طرقاتها وقطع مسالكها وعرف حجاجها وهذا ما نعلمه ولولا أنه قتل يوحنا لكان أخذها سهلا لكم فقال أبو عبيدة وما جرى له فأخبروه بخبره وحديثه مع أخيه وأنه أسلم بعد ما رفع يديه الى السماء وما ندرى ما قال غير انا سمعنا طرف كلامه وهو يقول اللهم انى أشهد أن لا اله الا أنت وأن عيسى عبدك ورسولك ومحمدا عبدك ورسولك ختمت به الانبياء وجعلته سيد المرسلين ولادين أعلا من دينه فاصنع ما أنت صانع فلما أسلم قتله قال فلما سمع أبو عبيدة ذلك قال فى أى موضع قتله ثم وثب وأخذ خالدا معه وجماعة من المسلمين وأتوا الى موضع قتله وهو رأس سوق الساعة فوجده ملقى على ظهره وهو كأنه البدر ليلة تمامه مشيرا باصبعه الى السماء وقد مات وأصبعه قائمة فأخذه أبو عبيدة وكفنه وصلى عليه ودفنه فى مقام ابراهيم فلما واروه أتى الى أبى عبيدة رجل من المسلمين فقال أصلح الله الامير انظر الى هؤلاء القوم فان كانوا من حزبنا ينصحونا ويدلونا على عورات قومهم

فقال لا والله ما يفعلون ذلك أبدا فعندها أقبل أبو عبيدة على المسلمين وقال أشيروا على رحمكم الله فقال له ذلك الرجل وكان اسمه يونس بن عمرو الغساني وكان رجلا بصيرا بالشام وجباله ومدنه وجميع أرضه وعارف بطرق الشام فقال أصلح الله الامير انظر الى ما أعرفه من البلد وما عندى من الرأى قال أبو عبيدة تكلم يا ابن عمرو فأنت عندنا ناصح للمسلمين فقال ان الله قد فتح على يدك الشام سهله وجبله وحزنه ووعره وقتل من طاغية الكفر وحاميته وأما بقايا عساكرهم فهى من وراء الضروب وهى جبال وعرة ومضايق والقوم قد رعبت قلوبهم مما أباد الله منهم وليس لهم قلوب يقاتلون بها المسلمين فحاصر هذه القلعة وبث الخيل وشن الغارات فى بقايا البلاد وشاطئ الفرات وبالمرزاد يقوم بهم فتبسم خالد من كلام الغسانى وقال هذا والله هو الرأى وأنا أشير عليكم بمشورة أخرى أن نزحف نحو القلعة فلعل الله أن يفتحها فى وقتنا هذا فانى أخشى ان طال بنا المقام أن تعطف علينا جيوش الروم من جهة أخرى فيحيلون بيننا وبينها قال أبو عبيدة يا أبا سليمان لقد أشرت فاحسنت وقلت فصدقت ثم أمر أبو عبيدة بالزحف الى القلعة فترجلت الفرسان عن خيولها وتجردت من ثيابها واختلط العبيد والسادات وافتخرت القبائل وابتدت العشائر وتجاوبوا بالاشعار وتداعوا بالانساب قال مسروق بن مالك فوالله ما رأيت فى قتال حصون الشام يوما كان أعظم من ذلك اليوم لاننا كنا نشبه دوران الحرب كدوران الرحا ثم ما دارت عليه وقد برزنا اليهم فى أول حربهم وتبادرت أبطال اليمن وسادات ربيعة ومضر يتلوا بعضهم بعضا وجعلوا يطلبون القلعة من حيث لا طريق عليها فاذا دنوا منها أخذتهم الحجارة من كل جانب ورموهم بالمجانيق والقرادات وكنت أنا وأصحابى أقرب الناس الى الارض فانزعنا راجعين على أعقابنا يدفع بعضنا بعضا لا نظن أن ينجو منا أحد فوقعت الخذلة فى المسلمين وقد شرخت منا الحجارة خلقا كثيرا فقتلت بعضنا وبعضنا رمته وكان من جملة من قتل يوم حصار قلعة حلب بالحجارة عامر بن الاسلع الربعى ومالك بن غزعل الربعى وحسان بن حنظلة ومروان بن عبد الله وسليمان بن فارغ العامرى وعلاف بن سالم الكلابى وسراقة بن مسلم بن عوف العدوى ورجال من أهل اليمن من آل عامر ومن بنى كلاب وغيرهم وسبعة من بنى عبد الله قال مرزوق ابن مالك فلقد كنا نرى بعد ذلك بسنين خلقا كثيرة عرجاء من يوم حصار قلعة حلب فعندها نصب أبو عبيدة رايته خارج المدينة وجعل ينادى بالمسلمين فاجتمعوا اليه فقال أيها الناس انكم قاتلتم اليوم على غرة فادفنوا الشهداء وشدوا كل من أصابه جرح فانتدب المسلمون الى ذلك وفرح الروم بهزيمة المسلمين وما قد نزل بهم فقال لهم

يوقنا ان العرب لا تدنوا من القلعة بعد هذا اليوم أبدا وان حاصرونا فلا كيدنهم ولا هبطن الى عسكرهم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ولقد حدثنى عبد الله بن سليمان الدينورى وكان ممن نقل أخبار الشام وفتوحه من ثقات المسلمين قال حدثنى عمرو أن يوقنا انتخب ألفين من خيار بطارقته وأبطاله وقال لهم انزلوا مسرعين وليحسن بعضكم بعضا وميلوا على طرف عسكر المسلمين اذا خمدت نيرانهم واغتنموا غرتهم وأقر عليهم وزيره فنزلوا ليلا من القلعة وجعلوا يدورون حول العسكر الى أن أتوا الى مكان وقد خمدت نيرانهم وكان القوم بادية من أهل اليمن مثل مراد وبنى كلاب وعبيد قال عبد الله بن صفوان البكرى كنا تلك الليلة غادين من عدونا آمنين لسكرتنا وقد غفل حرسنا فلم نشعر الا وطماطم الروم قد هجموا علينا وهم ينادون بلغتهم وقد أعلنوا التبهرج بزينتهم فلا نعلم ما يقولون ووضعوا السيف فينا فكان النجيب منا من استوى على جواده وطلب النجاة وهولاء لم من أين دهى ولا كيف يتخلص وقد وقعت الجندلة فى أبطال المسلمين وعساكرهم والقوم ينادون النفير النفير دهينا ورب الكعبة وهم يسرعون الى خيمة أبى عبيدة وينادون أيها الامير كبسنا يوقنا فعندها ركب الامير فى بعض الرجال وجعل يدور حول العسكر فنظر صاحب الروم الى العرب وقد لحقته فصاح بأصحابه من كان أخذ شيأ فليتركه ويطلب نجاة نفسه قال عبد الله بن صفوان أخذوا من رجالنا نحو خمسين رجلا من أخلاط الناس وأكثرهم من ربيعة ومضر مضوا ليجمعوا بعضهم بعضا وهم يطلبون القلعة فلما نظر خالد الى ذلك حمل فى أصحابه واقتطع من الروم زهاء عن مائة رجل ووضع فيهم السيف فقتلهم عن آخرهم فلما وصل أصحاب يوقنا الى القلعة ووصل اليها فتح لهم وأدخلهم فلما أضاء الفجر وطلعت الشمس دعا يوقنا بالمسلمين الخمسين رجلا وهم موثوقون بالحبال فقربهم الى موضع ينظرونهم المسلمون ويسمعون أصواتهم وهم يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله حتى قتلوا عن آخرهم فلما نظر أبو عبيدة الى ذلك أمر مناديا ينادى فى عسكره عزيمة من الله ورسوله ومن الامير أبى عبيدة على رجل وكل سرجه غيره وليكن كل رجل منكم حارس نفسه ولا يتكل بعضكم على بعض قال فأخذ القوم حذرهم وأعدوا حرسهم وأقبل يوقنا يدبر أمره فى مكيدة أخرى ليكيد بها المسلمين اذ علم انهم محاصرون ومع ذلك أن جواسيسه تأتيه بالاخبار فى الليل والنهار وكان أعظم جواسيسه من متنصرة العرب لانهم كانوا يحسنون لسان الرومية قال فبينما يوقنا ذات يوم جالس فى قلعته والبطارقة من حوله وقد أضر بهم الحصار واشتد ما كان عليهم أهل المدينة لا ينظرون الى رجل من أصحابه يعرفونه الا أخذوه وسلموه للمسلمين واذا بجاسوس قد أقبل وهو من عيونه

فقال له أيها السيد ان أردت أن تكيد العرب فهذا وقتك فقال له يوقنا وكيف ذلك وما الذى عندك من الخبر قال ان العلافة منهم قد خرجوا الى وادى بطنان وقد سألوا أهله وعلوفة العرب وميرتهم منه وقد رأيت لهم جمالا وبغالا ومعهم طائفة منهم وعليهم العرى والقمصان الخلقه وبأيديهم الرماح المشبعة وهم يقصدون القرى فى طلب الميرة وهم قليلون وليس هم فى كثرة فلما سمع يوقنا ذلك من جاسوسه اختار الفا من أصحابه وقال لهم اصلحوا شأنكم فوحق المسيح لاضيقن على العرب مسالكهم ولاقطعن عليهم طرقاتهم فلما أقبل الليل فتح لهم الباب وسار الجاسوس أمامهم حتى استقاموا على الجادة وجعلوا يسيرون تحت جنح الليل فبينما هم كذلك اذ هم براع ومعه سرح من البقر يريد بها بلده وقد خرج بها من بلد آخر وهو يسير بها سيرا عنيفا فلما نظروا اليه أسرعوا نحوه وقالوا أحسست بأحد من العرب قد عبر عليك قال نعم والشمس عند الغروب قد اصفرت وهم نحو من مائة رجل على خيول وهم مسرعون ومعهم جمال وبغال وهم يريدون الميرة من هذا الوادى الذين هم فى صلحهم ولسنا نخاف منهم وقال له المقدم عليهم الآن قد ألقيت علينا من صلح أهل هذا الوادى مالم يكن عندنا منه خبر فبحق المسيح اخبرنا بأى طريق ذهبت العرب فقال من ها هنا وأومأ بيده الى الشرق فسار البطريق بمن معه ولم يعرفوا صاحب البقر منهم حتى اذا قارب الصبح أشرفوا على خيل المسلمين وكان الامير عليها يقال له مناوش فلما علم مناوش الى خيل الروم قد أقبلت أقبل على أصحابه وقال يابنى العرب هذا بطريق من بطارقة الروم قد أقبل الينا فدونكم واياه والجهاد والصبر على الشدة لتنالوا الجنة ثم حمل وحملوا معه أصحابه فحملت عليهم الروم فثبت لهم المسلمون واقتتلوا اقتتالا شديدا وقتل مناوش بن الضحاك والغطريف بن ثابت ومنيع بن ثابت ومنيع بن عامر وكهلان بن مرة وقتل من المسلمين ثلاثون رجلا كلهم من طى وانهزم الباقون وملكت الروم ما كان مع المسلمين من الابل والبغال وعاد المسلمون منهزمين فعند ذلك أقبل البطريق على أصحابه وقال ارموا الاحمال عن هذه الاطوال واعقروها وسوقوا بقية الدواب بما عليها فانها النامية واطلبوا الجبل واختفوا عن أعين العرب والا ففى هذه الساعة تطلع علينا خيول العرب كالرياح تهزمكم فاكمنوا حتى اذا جاء الليل طلبنا القلعة واعتصمنا بها ففعلوا ذلك وقتلوا الجمال وساقوا الدواب والتجؤا فى الجبل الى قرية فأقاموا بقية يومهم يرقبون الليل ليرجعوا الى القلعة وأقاموا لهم ديدبان قال عوف بن صباح الطائى كنت فى الخيل لما قتل عمى مناوش ونحن فى قلة وقد دهمتنا خيل الروم فلما نظرنا الى كثرة الروم وشدة بأسهم مع قلتنا أخذنا لانفسنا وأتينا المسلمين فبادر الينا أبو عبيدة وقال لنا

ماوراءكم قلنا الحرب والطعان قتل منامنا أوش وقتل معه خلق كثير من فرساننا وأخذوا ما كان معنا من الزاد والدواب فقال أبو عبيدة ومن الذى دهاكم وقد حاصر الله الروم وما يجسر أحد أن يخرج منهم قالوا لا علم لنا غير أن رأينا بطريقا عظيما قد أشرف علينا وهو فى عدة حسنة وخيول كثيرة مستعدين للقتال لا نعلم عددهم ولا نعلم من أين أتى مددهم فهجموا علينا ونحن سائرون فأصيب أميرنا وقتل رجالنا وأخذوا ما كان معنا من الدواب والزاد فلما سمع أبو عبيدة ذلك دعا بخالد بن الوليد اليه وقال يا أبا سليمان أنت لها والمعد لمثلها وانى واثق بالله ثم بك مع انى أستخير الله فى جميع أمورى سر على بركة الله تعالى وخذ معك من المسلمين من أردت لعلك أن تقفوا القوم وتعاين موضع أثر الوقعة وتتبع آثارهم عسى الله أن يوقعنا بهم واطلبهم أينما كانوا وحيث ساروا والعلك تأخذ بثار المسلمين واعلم اننا صالحنا أهل الوادى واننا لا ننقض عهدنا ولا نحل عن قولنا الا أن يكون القوم قد مكروا بنا فنجد الى قتالهم من سبيل فاتق الله فيهم سر يرحمك الله قال فأسرع خالد الى خيمته ولبس سلاحه واستوى على متن جواده وهم بالمسير وحده فقال له أبو عبيدة الى أين يا أبا سليمان قال له أسارع الى ما أمرتنى به فقال له خذ من أردت معك من المسلمين فقال خالد أنا أمضى وحدى وما أريد أحدا فقال له أبو عبيدة كيف تمضى وحدك وعدوك فى عدد كثير قال خالد حتى يكونوا فى ألف أو ألفين ألقاهم بمعونة الله تعالى فقال له أبو عبيدة انك كذلك ولكن خذ معك رجالا قال فأخذ ضرارا وأمثاله وسار حتى أتى الى موضع الوقعة فرأى القتلى مطروحين ورأى حولهم أهل الوادى وهم يبكون خوفا من المسلمين على أنفسهم وذراريهم وان العرب تطالبهم بهم فلما طلع عليهم خالد ومن معه كأنهم شعلة نار فتصارخ القوم فى وجهه وألقوا أنفسهم بين يديه فقال لهم خالد من هؤلاء القوم الذين قتلوا أصحابنا قالوا نحن بريئون من دماء أصحابكم ونحن فى صلحكم فاستحلفهم خالد انهم لا يعلمون من قتلهم فحلفوا له فقال لهم من الذى وقع بأصحابى فقالوا بطريق بعثه يوقنا من القلعة ومعه ألف فارس من أشد قومه وان لهم فى عسكركم عيونا يخبرونه بما أنتم فيه كل ساعة فقال لهم وفى أى طريق قصدوا قالوا فى هذه الطريق فقال خالد أوما حلفتم أن ما عندكم علم بهم قالوا هذا الذى يخبرك من أهل حلب قد أتى يشترى طعاما ولولا أنك أقبلت فى هذه الساعة ما كنا عرفنا من قتلهم فقال له خالد على هذا الطريق أخذوا فقال له الرجل نعم ورأيتهم يطلبون الجبل فقال خالد لأصحابه ان القوم علموا انهم لا بد لهم من خيل تطلبهم وتتبعهم وقد تعالوا عن طريقنا حتى يهجم عليهم الليل فيرجعون الى قلعتهم فعولوا فى طلبهم ثم انهم أرخوا الأعنة وخالد يقدمهم وقد أخذ معه رجالا من المعاهدين

يقفون بهم أثر الطريق والقوم لما حصلوا في الطريق قال خالد لواحد من المعاهدين ألهم طريق الى قلعتهم غير هذا قال نعم ولكن اكمن ها هنا فانك تظفر بهم ان شاء الله تعالى فنزل خالد ومن معه في الوادي وهم يرقبون الطريق فلما مضى من الليل قليل اذ سمع وقع حوافر الخيل والبطريق أمامهم والخيل من ورائه وهو يزجرهم ويحثهم على المسير فلما توسطوهم صاح خالد صيحة شديدة ووثب خالد كأنه الاسد وخرج عليهم هو وأصحابه وما كان قصد خالد غير البطريق وظن انه يوقنا فضربه ضربة رماه نصفين وقد وضعوا السيف فيهم وجعلوا يطلبونهم وهم في الهرب فلم ينج منهم الا من أمال الله أجله وساروا جميع ما معهم وأتوا برأس البطريق الى أبي عبيدة على رأس رمح فوجدوه متلفتا الى قدومهم فلما أشرف خالد بمن معه من الاسارى والاسلاب والدواب هللوا وكبروا فأجابهم العسكر بالتهليل والتكبير قال وأتى خالد ومن معه بالرأس والاسلاب والاسارى فكانوا أزيد من ثلثمائة أسير ورؤس القتلى سبعمائة فأعرضوا عليهم الاسلام فأبوا فقالوا نحن نعطيك الفداء فقال خالد نضرب رقابهم قبال القلعة فيرون بذلك عدو الله قال فضربت رقابهم قبال القلعة فقال خالد اما كنا نظن انا محاصرون القوم واذا نحن بخلاف ذلك وهم يرقبون غفلتنا وينتظرون غفلتنا وغرتنا وقد قتلوا جمالنا والدواب والصواب نجعل عليهم حرسا في كل طريق يكمنا ولا يمكنهم أن يخرجوا من قلعتهم ونضيق عليهم ما استطعنا قال أبو عبيدة جزاك الله خيرا يا أبا سليمان ما أيمنك بالامر فلما كان من الغد صلى أبو عبيدة بالناس صلاة الفجر ودعا بعبد الرحمن بن أبي بكر وبضرار بن الازور وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وقيس بن هبيرة وميسرة بن مسروق ففرقهم حول القلعة ومعهم من اختاروا وأمرهم أن يمسكوا الطريق والمسالك على يوقنا حتى لو طار طائر منها أو اليها اقتنصوه وأقام القوم على ذلك مدة فلما طال عليهم ذلك ضجر أبو عبيدة لطول مقامه فأمر الناس بالرحيل عنهم وعزم أن يتباعد عنهم أي عن القلعة لعل أن يجد منهم غفلة فيتهزها قال فبعد عن المدينة ونزل بقرية بقرب منها يقال لها السيب وهو يريد حيلة يصل بها الى يوقنا قال ويوقنا لا ينزل من القلعة ولا يفتح بابها ففكر أبو عبيدة غاية الفكرة وقال لخالد يا أبا سليمان ان جواسيس عدو الله تكشف أخبارنا وتوصلها اليه وتعرفه فاني أقسم عليك يا أبا سليمان الا ما جعلت في عسكرنا جولة واختبرت أمر الناس فلعلك تقع بأحد من جواسيسه قال فركب خالد وأمر الناس أن يدوروا في عسكرهم وأن يقبضوا على كل من أنكروه قال فبينما خالد في طوافه اذ نظر الى رجل من العرب المتنصرة وبين يديه عباءة يقبلها فجعل خالد يراقبه فاستراب الرجل منه فناداه وقال له من أي الناس أنت

يا أخا العرب قال أنا رجل من اليمن قال من أيها قال فأراد أن يقول وينتمي الى غير قبيلته فجرى الحق على لسانه فقال أنا من غسان فلما سمع خالد كلامه قبض عليه وقال له يا عدو الله أنت عين علينا العدو قال ما أنا ومن صيروا أناه سلم فأتى به الى أبي عبيدة وقال أيها الامير قد رابني أمر هذا الانني ما رأيته قط الا يومي هذا وقد ذكر انه من غسان ولا شك انه من عباد الصليب فقال أبو عبيدة اختبره يا أبا سليمان قال وكيف اختبره قال اختبره بالقرآن والصلاة فان أجابك والا فهو كافر فقال له خالد قم فصل ركعتين واجهر بالقراءة فيهما فلم يدر ما يقول فقال له خالد أنت يا عدو الله عين علينا ثم استخبره عن شأنه فاخبره وأقر انه عين عليهم فقال له خالد أنت وحدك قال لا ولكننا ثلاثة انا أحدهم والاثنان قد ذهبوا الى القلعة ليخبروا يوقنا بخبركم وأنا قد تخلفت لانظر ما يكون من أمركم فقال له أبو عبيدة اخبرني أيما أحب اليك القتل أو الاسلام فليس بعدهما شيء فقال الغساني أنا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ثم رجع أبو عبيدة الى حلب ومازالت القلعة محاصرة أربعة أشهر وقيل خمسة أشهر وأبطأ خبر أبي عبيدة على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب الى أبي عبيدة يقول بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر الى عامله أبي عبيدة سلام عليك فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم واعلم يا أبا عبيدة لو علمت أن بانقطاع كتابك وابطاء خبرك يكثر قلقي ويضني جسدي على اخواني المسلمين ومالي ليل ولا نهار الا وقلبي عندكم ومعكم فاذا لم يأت منك خبر ولا رسول فان عقلي طائر وفكري حائر وكأنك لا تكتب الي الا بالفتح أو الغنيمة واعلم يا أبا عبيدة انني وان كنت نائي عنكم فان همتي عندكم واني داع لكم قلقا عليكم كقلق الوالدة الشفوقة على ولدها فاذا قرأت كتابي هذا فكن للاسلام والمسلمين عضدا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعث الكتاب الى أبي عبيدة فلما ورد عليه وقرأه عليهم قال معاشر المسلمين اذا كان أمير المؤمنين داعيا لكم وراضيا عنكم في فعالكم فان الله ينصركم على عدوكم ثم كتب جواب الكتاب يقول بسم الله الرحمن الرحيم الى أبي عبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من عامله بالشام أبي عبيدة سلام عليك واني أحمد الله تعالى وأصلي على نبيه وبعد يا أمير المؤمنين ان الله تعالى له الحمد قد فتح على أيدينا قنسرين وقد شننا الغارة على العواصم وقد فتح الله علينا مدينة حلب صلحا وقد عصت علينا قلعتها وبها خلق كثير مع بطريقها يوقنا وقد أكادنا مرارا وذكر له ما جرى له مع أخيه يوحنا وانه قتل منا رجالا ورزقهم الله الشهادة على يديه ثم انه ذكر له من قتل والله تعالى من ورائه بالمرصاد وقد أردنا الحيلة عليه فلم نقدر

وأردت الرحيل عنه وعن محاصرته الى البلاد التى بين حلب وانطاكية وأنا منتظر جوابك والسلام عليك وعلى جميع المسلمين وبعث الكتاب مع عبد الله بن قرط وجعدة بن جبير فسارا الى أن أخذا الى طريق هيشت العتيقة وجدا فى السير حتى قطعا أرض الجفار الى سكاسكة وهى حصن العرب قريبة من تيما فلما وصلا اليها عارضهما فارس على فرس وعليه درع سابغ وعلى رأسه بيضة تلمع وهو معتقل برمح كأنه قد برز الى عدوه أو قاصد الى قتال فلما نظرا اليهما قصدهما قال عبد الله بن قرط لجعدة بن جبير يا ويلك أما ترى هذا الفارس وقد عارضنا فى مثل هذا المكان على مثل هذه الحالة فقال له جعدة وما عسى أن نخوف من فرسان العرب وربما وليس فى هذا الموضع من رفع عمدا وضرب وتدا الا وأصبح معنا ودا خل تحت طاعتنا وفى شريعتنا فلما قرب الفارس منا سلم علينا وقال من أين أقبلتما والى أين قاصدين فقالا له رسولان من الامير أبى عبيدة الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فمن أنت أيها الرجل قال أنا هلال بن بدر الطائى فقالا له ما الذى نرى عليك آلة الحرب قال انى خرجت فى طوائف من قومى وجماعة من أصحابى نريد الشام للجهاد لكتاب ورد علينا من عمر بن الخطاب فلما رأيتكما فى بطن الوادى قصدتكما لانظر ما قصدكما ولى أصحاب من ورائى مقبلين ثم سلم عليهما وولى فركضا مطيتهما وساروا واذا بالخيل قد أشرفت والابل قد أقبلت تتبع هلال بن بدر وسار الابل يتبع بعضها بعضا الى أن لحقوه فاخبرهم بقصة صاحبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرحوا بذلك وساروا يريدون الشام وأما عبد الله بن قرط وجعدة بن جبير فانهما وصلا المدينة ودخلا المسجد وسلما على عمر بن الخطاب وعلى المسلمين ودفعوا اليه الكتاب فلما قرأه استبشر ورفع كفيه الى السماء وقال اللهم اكف الناس شره وشر كل ذى شر ثم أمر مناديا فنادى فى الناس الصلاة جامعة فلما اجتمع الناس قرأ عليهم كتاب أبى عبيدة فلما قرأه قدم عليه راكب من حضرموت وأقاصى اليمن من همدان ومدان وسبا ومارب يسالونه أن ينفذهم الى الشام فقال لهم عمر فى كم أنتم بارك الله فيكم قالوا نحن زهاء أربعمائة فارس وثلثمائة مطية مردفين ومعنا أناس يمشون على أقدامهم لاركاب لهم فان كان عند أمير المؤمنين ما يحملهم عليه حتى نصل الى عدونا فقال لهم عمر وكم مبلغ الرجال الذى معكم قالوا أربعين ومائة رجل فقال لهم عرب أم موالى قالوا عرب وموالى أذن لهم ساداتهم فى الجهاد والمسير الى الاعداء فعندها دعا عمر بعبد الله ابنه رضى الله تعالى عنهما وقال امض الى مال الصدقات فان القوم بسبعين راحلة ليتعقبوا عليها ويحملوا زادهم وميرتهم على ظهورها وأسرع عبد الله بن عمر وأتى بسبعين بعيرا وسلمها اليهم وقال لهم خذوا رحمكم الله

الى اخوانكم المسلمين وأسرعوا الى حرب عدوكم ثم كتب الى أبي عبيدة أما بعد فقد ورد على كتابك مع رسلك فسرني ما سمعت من الفتح والنصر على أعدائكم ومن قتل من الشهداء وأما ما ذكرته من انصرافك الى البلاد التي بين حلب وانطاكية وتترك القلعة ومن فيها هذا رأي غير صواب تترك رجلا قد دنوت من دياره وملكت مدينته ثم ترحل فيبلغ ذلك الى جميع النواحي انك لم تقدر عليه ولم تصل اليه فيضعف ذكرك ويعلو ذكره ويطمع من يطمع ويجترى عليك أجناد الروم خاصتهم وعامتهم وترجع اليه الجواسيس وتكاتب ملوكها في أمرك فاياك أن تبرح من مجاهدته حتى يقتله الله أو يسلم اليك ان شاء الله تعالى أو يحكم الله وهو خير الحاكمين وبث الخيل في السهل والوعر والضيق والسعة واكناف الجبال والاودية وبين المغارات الى حدود الغارات ومن صالحكم منهم فاقبل صلحه ومن سالمك فسالمه والله خليفتي عليك وعلى المسلمين وقد أنفذت كتابي اليك ومعه عصبة من حضرموت وغيرهم وأهل مشايخ اليمن ممن وهب نفسه لله تعالى ورغب في الجهاد في سبيل الله وهم عرب وموالى فرسان ورجال والمدد يأتيك متواترا ان شاء الله تعالى والسلام وختم الكتاب وسلمه لعبد الله بن قرط وجعدة وجعل القوم يجدون في سيرهم ومع ذلك يسألون عبد الله بن قرط وصاحبه عن بلاد الشام وفتح البلاد وقتل الروم الى أن سألوهما عن مستقر العسكر فقال لهم عبد الله أن جميع المسلمين وأميرهم محاصرون بقلعة حلب وفيها عظيم من عظماء الروم ومعه أعلاج من أصحابه وقد تحصنوا في رأس قلعته فقالوا له يا ابن قرط ما لهؤلاء لا يدخلون في جملة من صالح من أصحابهم فقال لهم يا معاشر العرب انا لم نر بعد وقعة اليرموك رجالا هم أشجع من هذا فلقد قتل رجالا وجندل أبطالا وأنه ليغار على أطراف العسكر في وقت صلاتهم فيقتل رجالهم وينهب أموالهم ويرجع الى قلعته وربما أنه يستتر في سواد الليل في طلب العلافة فيقع بهم فيأسرهم ويأخذ دوابهم وجميع زادهم وميرتهم ثم يعود الى قلعته ونحن لا نعلم به وذلك ان المسلمين له محاصرون ومنه خائفون حذرون قال وكان فيمن سمع كلامه وفهمه مولى من موالى بني طريف من ملوك كندة يقال له دامس ويكنى بأبي الاهوال مشهور باسمه وكنيته وكان أسود كثير السواد دعاص كأنه النخلة السحوق اذا ركب الفارس العالى من الخيل تخط رجلاه بالارض وان ركب البعير العالى تقارب ركبتاه رجلي أبي الهول وكان فارسا شجاعا قويا قد شاع ذكره ونما أمره وعلا قدره في بلاد كندة وأودية حضرموت وجبال مهرة وأرض الشحرة وقد أخاف البادية ونهب أموال الحاضرة وكان مع ذلك لا تدركه الخيل العتاق وكان اذا أدركته العرب في أبدانها تعجبت من صولته وشجاعته

وراعته فلما سمع دامس أبو الهول بذكر يوقنا وما فعل بالمسلمين كاد أن يتمزق غيظا وحنقا وقال لعبد الله بن قرط أبشر يا أخا العرب فوالله لأجتهدن في أن يخذله الله على يدي فلما سمع عبد الله كلامه جعل ينظر اليه شزرا وقال يا ابن السوداء لقد حدثتك نفسك آمالا تبلغها وأشياء لا تدركها يا ويلك ألم تعلم أن فرسان المسلمين وأبطال الموحدين بأجمعهم له معاصرون ولأصحابه محاربون ومع ذلك لا يقدر أحد له على شر وقد كاد ملوكا وقهرها فلما سمع دامس كلام عبد الله بن قرط غضب وقال والله يا عبد الله لولا ما يلزمني لك من أخوة الإسلام لبدأت بك قبله فاحذر أن تزدري بالرجال وان أحببت أن تعرفني وتسأل عني من حضر من أهلي وما قد تقدم من قبلي الذي من ذكره تطيش العقول وتضيق الصدور وكم من عساكر قتلتها وجموع فرقتها وعساكر بددتها وغارات شننتها ولا يضام لي جار ولا يلحقني عار ويعد الله فارس كرار غير فرار ثم تركه مغضبا وسار أمام الناس وأن قوما من العرب قالوا لعبد الله بن قرط يا أخا العرب ارفق بنفسك فانك وايم الله تخاطب رجلا يقرب اليه البعيد ويهون عليه الصعب الشديد وانه لجليد فريد لا تهوله الرجال ولا تفزعه الأبطال ان كان في حرب كان في أولها لا يدركه من طلب ولا يفوته من هرب فقال عبد الله لقد كثر وصفكم وأطنبتم في ذكركم وأرجو أن يجعل الله فيه خيرا وفرجا للمسلمين قال ثم أخذ القوم في جد السير حتى قدموا حلب الى عند أبي عبيدة وهو منازل أهل قلعة حلب ومحاصرها وقد أحاط المسلمون بالقلعة من كل جانب فلما أشرف القوم عليهم أخذوا في زينتهم وجردوا سيوفهم وأشهروا أسلحتهم ونشروا راياتهم وكبروا بأجمعهم وصلوا على نبيهم فأجابوهم أهل العسكر بالتكبير من كل جانب واستقبلهم أبو عبيدة وسلم عليهم وسلموا عليه وأنزل كل قوم عند بني عمهم وعشيرتهم ويوقنا ما زال في كل ليلة ينشط اليهم برجاله ويناوشهم وذلك أنه كان لا يقاتلهم الا ليلا ولا يظهر من القلعة نهارا أبدا وكان أكثر خروجه في وقت خروج الناس فلما بات المسلمون القادمون في تلك الليلة ونظرت طي وشنيس ونبهان وكندة وحضرموت الى شدة الحرس وعظم حرسهم وحذرهم أقبل دامس أبو الهول على أهله الذين نزل عليهم من طريف وكمدة فقال لهم دامس والله أنتم المحاصرون لا محالة فقالوا له وكيف ذلك قال لان العدو في رأس قلعته وأنتم في قصار العدو من الارض لقربكم ولا عسكر بازائكم تخافونه فما هذا الخوف قالوا يا أبانا يا أبا الهول ان صاحب هذا القلعة علج ميشوم يرتقب غفلتنا ويغير على أطرافنا ويأتينا من مأمننا فبينما دامس يخاطب القوم واذا بالضجة وقد وقعت في طرف عسكر المسلمين ولها جلبة عظيمة فوقف دامس متنبا حسامه منكبا جحفته وطلب الناحية

التي سمع منها الصوت حتى بلغ اليها واذا بيوقنا في خمسمائة رجل أبطال أنجاد وليوث شداد وقد وجد فرقة من القوم فلما نظر دامس الى الروم وقع في أواسطهم وجعل يقول

أنا أبو الهول واسمي دامس * أكر في جمعهم مراعس
ليث هزبر وبطل ممارس * أدعو كل عدو ناكس

قال وجعل يضرب في أعراضهم بسيفه ومعه طائفة من بني ظريف من شجعانهم وفرسانهم فلما نظر يوقنا ما نزل به تقهقر الى ورائه وقد قتل من رجاله مائتان ودامس يكر عليهم ويتبعهم الى رأس درب القلعة وكندة من ورائه فناداهم أبو عبيدة عزيمة مني عليكم أن لا يتبعهم منكم أحد في ظلمة هذا الليل فقال الناس يا أبا الهول ان الامير يعزم علينا وعليك بالرجوع فارجع رحمك الله فرجع دامس الى رحله وتراجع القوم الى رحالهم وقد أبلت كندة بلاء حسنا والناس قد خرجوا فلما أصبح الناس واجتمعوا للصلاة مع أبي عبيدة فلما قضيت الصلاة تفرقوا ولم يبق الا نفر يسير من أمراء المسلمين فجعلوا يذكرون ليلتهم فقال خالد أصلح الله الامير لقد رأيت كندة وقد أبلت بلاء حسنا وقد تقدمت رجالها وثبتت أبطالها وما زالت تضرب حتى أزالت عنا حامية الكفر والعدو فقال أبو عبيدة صدقت والله يا أبا سليمان والله لقد أسعدت الناس كندة بثباتها والله لقد سمعتهم يقولون أحسن دامس وأجاد أبو الهول فقام الى أبي عبيدة رجل من رؤساء كندة يقال له سراقة بن مرادس بن يكرب فقال أصلح الله الامير دامس هو أبو الهول وهو مولى ظريف قدم مع هذا الوفد الذي ورد بالامس وهو رجل يفجر وبهول الابطال ويفضح الشجعان ويذل الاقران لا يهوله جمع ولا يصعب عليه غارة فقال أبو عبيدة لخالد ما تسمع كلام سراقة في عبدهم دامس فقال خالد يوشك أن يكون صادقا في قوله ولقد سمعت بذكره وحديثه وشجاعته وبراعته ولقد أخبرني رجل يقال له النعمان بن عشيرة المهري ان دامس هذا أغار وحده وهم على ساحل البحر في سبعين رجلا من أهل مهره وكان دامس هذا يطلبهم لاجل ثار كان له عند القوم وكانوا يخافون منه ومن شره وبأسه فكانوا مع ذلك يعتدون بأموالهم ودوابهم الى أطراف الجبال وسواحل البحر حذرا منه وكان مع ذلك يسأل عن أخبارهم ويطلع على آثارهم فلما صح عنده نزولهم على ساحل البحر استصرخ قومه للغزو فتشاغلوا ولم ينفر منهم أحد معه وكان خبيرا بالبلاد سهلها ووعرها برها وبحرها فلما أيس من قومه دخل الى خبايته واحتمل رزمة على عاتقه أتاه أناس من قومه وقالوا له الى أين تريد وما هذا الذي معك فقال يا قوم أنا أريد الغارة على بني

الشعر وآخذ بالثار واكشف العار فقال له مشايخ الحي ما رأينا أعجب من أمرك وأنت تعلم أن بني الشعر سبعون فمن يريد أن يغار عليهم ومن يريد العار ويأخذ منه بالثار ما سمعنا بهذا أبدا وانا نراك أن تقصد جوادا هذه أمة لبني حياس من الحمارمة وكانت بقرية من قرى حضرموت يقال لها أسفل وكان دامس هذا يهواها وكلما يأخذه من الاموال والخيل والابل يدفعه اليها ولا يعظم عليه كثرته وكان لا يرضى لها بالقليل ولا يشبع لها بالكثير فظن القوم أنه مضى اليها وقصد نحوها بسمائه التي معه من رزمته فقال لهم وايم الله انه بطل ما تظنون وسوف تعلمون انما أفعله الحق واليقين قال فرجع قومه وتركوه وسار الى أن أتى الى مرعى قومه فأخذ راحلته من ابلهم ورحلها وأخذ سيفه وجحفته وجعل الرزمة تحته وسار بقية يومه وليلته حتى اذا كان آخر الليل عطف بالراحلة الى بعض الاودية فأبركها وحل رحلها وعقلها ودورها ترعى معقولة ثم انسرق من بين حجرين وكان قريبا من القوم ويخاف أن يدوروا به فلما مضى عليه نهاره وأقبل ليله أتى الى راحلته وأبركها وأرحلها واستوى في كورها وسار حتى أشرف على نار القوم فعدل بناقته حتى أشرف على الحي وكان في ذلك الشرف شجر من الطلح فأبرك ناقته وألزم شدقها الثلا ترعى فيسمع القوم رغاها ثم عمد الى رزمته فحلها واستخرج منها الثياب وأتى الى تلك الشجرة فجعل على عود منها مثل عمامة الرجل وياتى بالعود فينصبه ويسنده بالحجارة ويطرح عليه الازار ولم يزل حتى أقام أربعين عودا على هذه الصفة وجعل عليه حلة جزاء أرجوانية وهبط من ذلك الشرف الذى عليه الثياب وقصد الحي ودار حول بيوتهم وتفكر في أمره وكيف يحتال وقد مضى أكثر الليل ثم صبر الى أن طلع الفجر وسار نحو الساحل فلما قرب منهم صاح فيهم وقال دونكم أنا أبو الهول ولقد صبحتم بالويل وأخذتم من البر والبحر وجعل ينادي بالثار طريف يا آل طريف يا آل كندة فلما وقع صوته في أسماعهم زهلت رجالهم وتصارخت نساؤهم وفزع القوم بين يديه من البيوت هاربين والى الساحل نحو الجبل طالبين وهو من خلفهم فلما رأوه وحده شجع بعضهم بعضا ورجعوا اليه يقاتلوه وطمعوا فيه لما رأوه وحده ولم يروا أحدا من ورائه وأخذوا في طلبه فجعل يكف عليهم ويرجع عنهم ويقتل رجلا بعد رجل فلما نظروا الى شدة بأسه وعظم مراسه وهول جولاته وشدة حملاته أرادوا أن يسبقوه الى الشرف ليألوا اليه من ورائه ولما علم انهم قد قاربوا الاعواد التي عملها وعليها الثياب خاف أن ينظروا اليها ويعلموا ما فعله من المكر فسبقهم الى الشرف وسار أمامهم وأقبل على الاعواد يخاطبها كأنه يخاطب الرجال وهو يقول يا أهل كندة يا أهل طريف اياكم والقوم قد

أتتكم الرجال فلا تحملوا عليهم وأنا أفديكم بنفسي فان رأيتم على الحيف فاحملوا على القوم فمد القوم أبصارهم اليه فوجدوا عنده الثياب على الاعواد في انشقاق الفجر فلم يشكوا أنهم رجال فانقلبوا راجعين نحو البحر وجعل دامس ينادي ألا يا قوم أقسمت عليكم أن لا تبرحوا من أماكنكم وأنا أكفيكم مؤنة القوم وحدي فرجعت بني مهرة ناكسين على أعقابهم هذا قد أردف زوجته وهذا أولاده وهذا أمته وهذا أخذ ما قدر عليه من أثاثه ورجع أبو الهول الى الحي فلم يصادف فيه الا العبيد والصبيان والمشايخ والعجائز فأمر العبيد أن يقربوا الجمال وحملوها وكتفهم وساق الجميع قدامه وعادوا أخذ الثياب من عند الاعواد ولحقهم وأتى بهم ديار قومه فأعجبوا منه ومن فعاله فلما سمع أبو عبيدة ذلك من خالد أقبل على سراقة وقال له ادع لي عبدكم حتى أنظر اليه وأسمع كلامه فأتى به سراقة فقال له أبو عبيدة أنت دامس قال نعم أصلح الله الامير فقال له بلغني عنك عجائب وأنت وايم الله أهلها الا انك جزل من الرجال واعلم أنك وقومك تقاتلون في بلاد سهلة لا تؤتون الجبال ولا القلاع ولقد اقتحمت البارحة أثر القوم اقتحاما منكرا فارفق بنفسك واحذر من هذا البطريق يوقنا فقال له دامس أصلح الله الامير لقد غزوت مهرة وأخذت أموالها وان جبالها منيعة شامخة رفيعة ذات وعر وحجر وما هذه بأمنع من تلك الجبال فقال أبو عبيدة أنا أراك نجيبا فهل حدثتك نفسك من أمر هذه القلعة بشئ فقال دامس أصلح الله الامير اني لما قدمت عليك في هذا الوقت رأيت في طريقي رؤيا فقال أبو عبيدة وما الذي رأيت أراك الله الخير قال رأيت كأني سائر في وطأة من الارض واني مجد أطلب قومي فبينما أنا في مسيري اذ أشرفت عليهم وهم حائرون لا يتقدمون ولا يتأخرون فناديتهم يا قوم ما شأنكم وأي شئ عرض عليكم في طريقكم فقال لي القوم ما ترى هذا الجبل كيف تدعرض لنا في آخر هذا الطريق وليس لنا فيه مسلك ولا مطلع فقلت على رسلكم ألا ترون الى هذه الفجرة في هذا الجبل فقالوا هيهات ليس لنا فيه منفذ ولا مطلع فقلت ولم ذلك قالوا الان فيه ثعبانا عظيما لا يمر به أحد الا وأهلكه وقد قتل رجالا وجندل أبطالا فقلت يا قوم ألا تحملوا عليه بأجمعكم قالوا لا نقدر على ذلك لان النار تخرج من أنفاسه وليس لنا عليه من سبيل فقلت لهم فالتمسوا لكم طريقا من وراء ظهره فقالوا لا نقدر على ذلك من عظم جثته فتركتهم والتمست لي طريقا فلم أجد الا طريقا صعبا حرجا فاقتحمته فما سلكته الا بعد المشقة وأتيت الى الثعبان من ورائه فقتلته ثم أشرفت على قومي فاتبعوني فما وصلوا الا بعد جهد جهيد وهم آمنون من عدوهم ثم استيقظت فرحا مسرورا فقال أبو عبيدة خيرا رأيت وخيرا يكون يا دامس أما رؤياك هذه فانها

للمسلمين بشارة ولعدونا خسارة ثم قال له اجلس مكانك وأمر أبو عبيدة أن ينادى للمسلمين فحضر رؤساء المسلمين وأعيانهم فلما حضروا قال أبو عبيدة الله أكبر فتح الله ونصرو حيانا بالظفر وأخذل من كفر ثم قال يا معاشر المسلمين اسمعوا رؤيا أخيكم دامس فانها عبرة لمن اعتبر وموعظة لمن افتكر قال فأقبلوا يسمعون له فعندها قام أبو عبيدة على قدميه وقال الحمد لله وأثنى عليه وصلى الله على رسوله وسلم ثم قال معاشر الناس ان الله سبحانه وتعالى له الحمد قد وعدنا فى كتابه على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم الغلبة على أعدائنا والظفر بمرادنا وما كان الله ليخلف وعده وانى نذرت ان فتح الله هذه القلعة على يدى ان أصنع من البر ما استطعت والآن قد هجس فى نفسى و وقع فى قلبى انا ظافرون بهذه القلعة ومن فيها ان شاء الله تعالى ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم لانه قد دلنى على ذلك رؤيا هذا الغلام ثم قبض بكفه على زند أبى الهول وقال له رحمك الله حدث اخوانك بما رأيت فى منامك فقام دامس قائما وقال اعلموا انى رأيت فى منامى كذا وكذا وجعل يقص على الناس رؤياه من أولها الى آخرها فلما فرغ منها أقبل المسلمون على أبى عبيدة وقالوا له أيها الامير قد سمعنا قوله وحفظنا شرحه فما تأويل رؤياه قال أبو عبيدة اعلموا رحمكم الله ان الجبل الذى رآه عاليا شامخا شديد الامتناع بين الشعاب والقلاع فذلك دين الاسلام بلا شك وسنة محمد صلى الله عليه وسلم واما الثعبان الذى رآه وقد منع الناس وقد هجم عليه بسيفه فأمر انه يجب أن يفرج الله على يديه عن المسلمين ففرح الناس بتأويل أبى عبيدة وقالوا أيها الامير فما الذى تأمرنا به قال آمركم بتقوى الله سرا وجهرا ثم المكيدة على الاعداء طوعا وصبرا فارجعوا الى رحالكم حفظكم الله وأصلحوا شأنكم وآلة حربكم وما تحتاجون اليه فانى اقدمكم غداة غد الى أعاديكم الى أن يحدث لى رأى غير هذا فانى لست أدع الاجتهاد فى الرأى والمشاورة لمن اثق به وبرأيه من المسلمين فقالوا بأجمعهم وفق الله رأيك أيها الامير وظفرك الله بأعدائك انه سميع عليم فعال لما يريد ومضوا الى رحالهم فجعل هذا يحد سيفه وهذا يصلح آلة حربه وفرسه وهذا يتفقد درعه وهذا قوسه ونشابه وما زالوا كذلك باقية يومهم فلما أصبحوا دعا أبو عبيدة بدامس وقال له أيها الولد المبارك ماذا ترى فى أمر هذه القلعة وما عندك من الحيلة فقال دامس اعلم أيها الامير انها قلعة منيعة شامخة حصينة تقهر الوافد وتمنع القاصد فى اهلها محاصرة ولا تضيق صدورهم من قتال غير انى أفكر فى حيلة أحتالها أو بلية أعملها وأرجو من الله أن يتم ذلك عليهم فيكون ما فيه بدادهم وغلاك بمشيئة الله ديارهم ونقلع آثارهم فقال ابو عبيدة يا دامس وما هى فقال أصلح الله الامير أنت تعلم ما فى اذاعة الاسرار

من الشر والاضرار ومن كتم سره كانت الخيرة فى يديه ويقال ان دامس هذا أول من تكلم بهذه الكلمة فرت مثلا فقال أبو عبيدة فما الذى تشير اليه وما الذى تعتمد عليه قال تزحف بعسكرك وجملة من معك من أصحابك حتى تنزلوا بازاء القلعة ليظهر لهم منك الحرص والهيبة واعلم أنه فى ذلك من الحيل ما أرجو من الله أن يتمها ان شاء الله تعالى ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فأمر أبو عبيدة بعسكره بالرحيل فارتحلوا ونزلوا تحت القلعة وهللوا وكبروا وأظهروا اسلاحهم وأرهبوا أعداء الله تعالى قال فأشرف عليهم الروم ونظروا الى جميعهم فهابوهم وألقى الله الرعب فى قلوبهم حتى انهم اضطربوا فى قلعتهم وماجوا وجعل كبراؤهم يستشيرون فيما بينهم فقال قوم نقاتلهم وقال قوم بل نقعد فى قلعتنا فانهم لا يقدرون علينا ثم اجتمع رأيهم على القتال من فوق القلعة وقعدوا على الابراج والبدنات وجعلوا يرمون المسلمين بالحجارة والسهام وقد أقاموا على ذلك ليلا ونهارا ودامس مع ذلك يعمل حيلة فما يصل اليهم بسوء قال فلما كان بعد السبعة والاربعين يوما أقبل دامس على أبى عبيدة وقال له أيها الامير قد عجزت وأنا أعمل حيلا فما صعد من يدى فى حقهم شئ وقد افتكرت فى شئ وأرجو من الله أن يكون به الظفر والظهور على أعداء الله فقال أبو عبيدة وما الذى دبرت قال تضيف الى من صناديد الرجال ثلاثين رجلا وتأمرهم بالطاعة وترك المخالفة والاعتراض على فيما آمرهم به وأفعله وأراه فقال أبو عبيدة سأفعل ذلك ثم ضم اليه ثلاثين رجلا من الشجعان حتى اذا اجتمعوا قال لهم أبو عبيدة معاشر المسلمين انى قد أمرت دامس عليكم وأمرتكم بالطاعة والقبول لامره واعلموا رحمكم الله أنى ما أمرته عليكم لكونه أجل منكم حسبا ونسبا ولا أعظم موكبا ولا أشد بأسا ولا أكثر مراسا فلا يقل أحدكم انى قد أمرت عليكم عبدا احتقارا بكم وبالله أحلف مجتهد لولا ما يلزمنى من تدبير هذا العسكر لكنت أول من ينطلق معه فى جمعكم وأنا أرجو من الله أن يفتح على أيديكم قال وأقبلوا عليه بجمعهم وقالوا أصلح الله الامير ما نشك فى اعظامك لنا ومعرفتك بسابقتنا ولقد كان كلامك الاول أثر فى نفوسنا وها نحن لك وبين يديك لو أمرت علينا علجا أغلفا لم نخرج لك من أمر ولا رأى اذ علمنا أنك لا تريد الا نصحا للدين وحياطة لنا فالسمع والطاعة لله ثم لك ثم لمن وليته علينا من قبلك كائنا من الناس أجمعين قال ففرح أبو عبيدة بما قالوه ووثق بكلامهم وجزاهم خيرا وقال لهم اعلموا رحمكم الله تعالى ان نفسى تحدثنى أن الله تعالى يفتح هذه القلعة على يد هذا العبد المقبل لانه دقيق الحيلة حسن البصيرة فسيروا معه وثقوا بالله وتوكلوا عليه وقد تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولى فؤادا على سادات

العرب من المسلمين والاشراف من عشيرته ثم أقبل على دامس فقال له يا دامس ما الذى تحب بعد هذا قال ترحل أنت بجيشك من وقتك هذا فتكون منا على مسيرة فرسخ فتنزل بالعسكر وتأمرهم بقلة الحركة وأن يختفوا ما استطاعوا ويكون لك رجال تثق بشدتها ونصحها للمسلمين يتجسسون عن أخبارنا وآثارنا من غير أن يعلم بهم وبنا أحد ويكونون بغير سلاح سوى الخناجر فاذا عاينوا ما الظاهر على أعدائنا والظافر بهم يلحقوك ويبشروك بذلك فتلحق بنا ان شاء الله تعالى وليكونوا متفرقين ولا يكونوا فى موضع واحد فان ذلك أسلم لهم وأبلغ لما يريدون من أمورهم والله المستعان فى جميع الامور والاحوال فعلم أبو عبيدة انه نصيح من الرجال صاحب رأى وبصيرة ثم ان دامس أقبل على رفاقه الذين ولى عليهم وقال لهم يا فتيان العرب انهضوا سابارك الله فيكم حتى نكمن فى بعض هذا الوادى ما دام الناس عازمين على الرحيل وتشرف الروم ينظرون الى رحيلهم ولا يبقى لنا أن نطلب لنا مكمنا اذا أشرفوا من أعلا حصنهم وليكن مع كل رجل منكم سيفه وجحفته وخنجره حسب لا غير ففعلوا ذلك فلما تكاملوا لبس دامس لامة حربه وجعل خنجره تحت أثوابه وأخذ قرابه وخرج بهم حتى اذا فارق العسكر جعلوا يخفون آثارهم وأشخاصهم وهو سائر بهم حتى أتى بهم كهفا فى الجبل فأمرهم بالدخول اليه وجلس على بابه قال وأما أبو عبيدة فانه أمر الناس بالرحيل بعدما رتب الرجال كما وصاه أبو الهول فارتحل العسكر وأشرف عليهم أهل القلعة فرأوهم يرحلون ففرحوا بذلك وسروا سرورا عظيما وصاروا يصيحون على المسلمين من أعلا القلعة وفرحت أهل القلعة بذلك وقالوا لبطريقهم أيها السيد افتح لنا الباب حتى نخرج وراء العرب فلعل أن نقتل منهم أحدا أو نأسره فنهاهم عن ذلك قال وداموا بقية يومهم الى العشاء فقال دامس لاصحابه من فيكم ينهض الى تحت القلعة ويأتينا بخبر منها أو يقدر على رجل يأسره فيأتينا به فنأخذ منه خبرا فلم يجبه أحد فقال أنا أعلم ان ما فى هذه الجماعة الا من هو ضنين بنفسه كاره للموت وأنا لكم الفداء فانظروا كيف تكونون ثم تركهم دامس ومضى فغاب عنهم ساعة واذا به قد أتى ومعه علج وقال لهم يا فتيان العرب دونكم هذا فاسألوه فسألوه فلم يفقهوا قوله فقال على رسلكم وغاب غير بعيد وأتى بثلاثة أخر فلم يكن فيهم من يفهم بلغة العرب فقال دامس لعن الله هؤلاء ما أقطع لغتهم وأكثر طمطمتهم ثم أوثقهم كتافا وغاب الى أن مضى من الليل نصفه ولم يأت وقلق عليه أصحابه قلقا شديدا واغتموا عليه وقال بعضهم لبعض انا أقول ان دامس قد فطن به فقتل أو أسر وماجوا فى ذكره وهموا ان يرجعوا الى العسكر فبينما هم فى ذلك اذ دخل عليهم دامس

وهو يقود رجلا من الروم فتواثبوا اليه وقبلوا بين عينيه وسألوه عن ابطائه وقالوا له يا دامس لقد حدثتنا نفوسنا بالعظائم وصعب علينا ابطاؤك عنا فقال اعلموا رحمكم الله تعالى انى لما فارقتكم سرت الى قريب من سور القلعة وكنت لهم وهم يمرون على وهم يطمطمون بلغتهم وأنا لا أتعرض للقوم كل ذلك وأنا أطلب من يتعرض للعربية ويتكلم بها فلم أر أحدا حتى أيست وهممت بالرجوع نحا ئبا اذ سمعت هدة شديدة قد وقعت من أعلى السور فأسرعت اليها لانظر اليها ما هى فاذا أنا بهذا الرجل وقد ألقى نفسه من القلعة الى أسفل السور فبادرت اليه وأخذته وأتيت به اليكم فانظروا ما هو فدنوا اليه وخاطبوه فلم يكلمهم الا بلغته واذا به قد انفضت جبهته فقال لهم دامس اعلموا ان له شأنا وأى شأن وانى أظنه هاربا من القوم وليس فيكم من يفهم ما يقول ولكن على رسلكم فأنا آتيكم بمن يتكلم بلسانه وبالعربية ثم أسرع دامس من عندهم فلم يكن الا قليل واذا به قد عاد ومعه رجل قد نزل عمامته فى رقبته وهو يقوده حتى مثله عندنا فقالوا له من المدينة أنت أم من القلعة فقال له دامس من أنت أتكون من الروم أم من العرب المتنصرة قال لا ولكنى من العرب المتنصرة فقالوا يا هذا هل لك أن تطلعنا على عورات القلعة أو عورة من عوراتها ونحن نطلق سبيلك ولا يتعرض اليك أحد بسوء فقال يا هؤلاء لست أعرف لهذه القلعة عورة ولا طريقا ولو عرفت لما وسعنى فى دينى ولا رأيت ان أدلكم عليها وحق المسيح قال فاغتاظ منه دامس وقال له اسأل هؤلاء الاسارى هل فيهم أحد من أهل الربض فان بيننا وبينهم صلحا قال فسألهم فلم يجد فيهم أحدا من أهل الربض بل كلهم من أهل القلعة وأنا أعرفهم فقال له دامس فاسأل هذا الرجل لما طرح نفسه من السور وما دعاه الى ذلك فسأله فقال له أنه يقول ان الملك يوقنا غضب على أهل الربض لاجل صلحهم لكم وبعث يتعدهم فلما انصرفت العرب نزل يوقنا فجمع رؤساءهم وأصعدهم الى القلعة وأنا فى جملتهم وطلب منا من الاموال ما لا طاقة لنا به ولا نقدر عليه فلما رأيت ما قد نزل بنا هربت وألقيت نفسى من القلعة أطلب الفرج وأنجو من العقوبة فلم أشعر الا وأنت قد قبضت على وأنا من أهل الربض فان كنت من العرب فأنا فى ذمتكم وأمانكم فلا تنكشفوا ولا تغدروا وان كنتم من غيرهم فاطلبوا منى ما أردتم فداء فانى قد هربت من العقوبة فقال له دامس قل له نحن من العرب ولا بأس عليك ولا خوف ولا ينالك منا سوء وأراد دامس أن يورى للربضى ما يفعل بأعدائه فاخرج الروم والمتنصر وضرب رقابهم ولم يدع غير الربضى ثم أطلقه واستتروا الى الليل وعمد دامس الى مزودة فاستخرج منها جلدا ماعزا وألقاه على ظهره وأخرج كعكا يابسا وقال لاصحابه بسم الله

واستعينوا بالله وتوكلوا عليه واخفوا نفوسكم وتقدموا الحزم فى اموركم فانى معول على فتح هذه القلعة ان شاء الله تعالى فقالوا اسرع على بركة الله تعالى فقام واسرعين وتقدم دامس وبعث رجلين من أصحابه يعلمان أبا عبيدة بشأنهم و يقولان له ابعث الخيل عند طلوع الفجر قال فانطلق الرجلان وصعد دامس ومن معه تحت الظلام ودامس على المقدمة يمشى على أربعة والجلد على ظهره وكلما احس بشئ قرض فى الكعك كانه كلب يقرض عظما وهم من ورائه يقفون أثره وهم يستترون بين الاحجار فلا زالوا كذلك حتى لاصقوا السور وسمعوا أصوات الحرس وزعقات الرجال من أعلا القلعة والحرس شديد فلم يزل دامس دائرا بهم حول السور الى ان أتى الى مكان فلم يجد به حساوادا بحرسه قد ناموا وراء المكان ولم يروا فى السور أقرب منه فقال دامس لاصحابه أنتم ترون الى هذه القلعة وعلوها وتحصينها وليس فيها حيلة لشدة الحرس ويقظة القوم فما الذى ترون من الرأى أن نصنع بها وكيف الحيلة فى الصعود اليها الى أن نحصل فى وسطها فقالوا يادامس ان الامير أمرك علينا وانت أدرى منا وأجرأ جنانا ونحن لك وبين يديك فهما رأيت فيه الصلاح للمسلمين فلا نتاخر عنه والله ان قتل نفوسنا وذهاب أرواحنا أسهل علينا من الرجوع بغير فائدة فلك الامر ومنا السمع والطاعة وليس منا من يتأخر عنك ولا يموت الا تحت ظلال السيوف فى طاعة الله ونصرة دين الاسلام فقال دامس شكر الله فعلكم و رزقكم النصر على أعدائكم فان كان هذا نيتكم فالتصقوا الى هذا المكان قال وكانوا ثمانية وعشرين رجلا واثنان كانوا أرسلوهم الى الامير يعلماه بأن يأتى اليهم الصبح فقال لهم دامس أفيكم من يقدر على الصعود الى هذه القلعة فقلنا له ياأبا الهول وكيف لنا أن نرقى اليها وعلى أى شئ نصل الى أعلاها بغير سلم فقال على رسلكم ثم انه اختار منا سبعة رجال كالاسود الضوارى لو كلفوا حمل ذلك البرج على مناكبهم لما عظم ذلك عليهم ثم جلس على قرافيصه وقال لاحد السبعة اجلس على منكبى وادم محبالك الى الجدار واجلس كما أنا جالس ففعل الرجل ما أمر به وأمر آخر أن يفعل و يصعد على منكبى الآخر وأن يرمى بقوته على الجدار قال ففعل ثم انه لم يزل يصعد واحدا بعد واحد الى أن صعد الثامن وقوتهم على الجدار وهم متمسكون به فعند ذلك أمر الاعلى أن يقوم قائما وأن يطرح حبله على الجدار فقام الاول وقام الثانى ثم قام الثالث ثم قام الرابع والخامس والسادس وكل واحد منهم قد طرح نفسه على الجدار ثم قام دامس آخرهم فاذا الاعلى قد وصل الى شرافة السور وتعلق بها فاستوى على السور ونظر الى حارس ذلك المكان نائما وهو ثمل من الخمر فأخذ بيده ورجله ورماه فلما وصل الى الارض

قطعوه وأخفوا جسده ووجد أصحابه اثنين سكارى وهم رقود فذبحهم بخنجره ورفاعهم ثم أرخا عمامته لصاحبه ونشله اليه فاذا هو معه على السور وكان دامس قد أعطاه حبلا فبقوا ينشلون به بعضهم الى أن تكاملوا الى السور وأصعدوا من بقى معهم على الارض وكان آخر من صعد أبو الهول فقال لهم مكانكم حتى أقفو الخبر وأكشف لكم الاثر ثم انه أتى الى دار البطريق وهو فى وسط القلعة واذا عنده ساداته البطارقة وأكابرهم وهم جلوس وبين أيديهم بواطى الخمر ويوقنا جالس فى وسطهم على بساط من الديباج منسوج من الذهب وعليه بدنة من اللؤلؤ ومعصب بعصابة من الجوهر والقوم يشربون والمسك والبخور يفوح من عندهم فعاد دامس الى أصحابه وقال اعلموا أن القوم خلق كثير وان هجمنا عليهم فلا نأمن من الغلبة من كثرتهم ولكن ندعهم فيما هم فيه فاذا كان وقت السحر هجمنا على يوقنا ومن معه من الملوك نقتلهم بسيوفنا فاذا ظفرنا بهم واذلهم الله لنا وعلى أيدينا فهو الذى نريد وان كان غير ذلك فيكون الصباح قد قرب ولا شك ان الرجلين من أصحابنا قد اعلما خالد بن الوليد فينا تدا فقالوا ما نخالف لك أمرا ونحن قد جعلنا فى قلعة هؤلاء الاعداء وليس ينجينا الا صدق جهادنا والعزم والشدة من قوتنا فقال لهم مكانكم فلعل أن أفتح الباب قال وكان للقلعة بابان وبينهما دهليز والبوابين داخلهم والرجال تنام عندهم بالنوبة فلما وصل دامس الى الباب وجده مغلقا واذا بالقوم رقود من السكر فعاجلهم بالذبح ثم فتح البابين وتركهم مردودين ورجع الى أصحابه وقد قرب الفجر فقال لهم أبشروا فانى قد فتحت الابواب وقتلت من كان وراءهما فدونكم والباب فاسبقوهم اليه وخذوه عليهم فقد بقوا القوم حصيدا بأسياف المسلمين ان شاء الله تعالى قال وأرسل من يستعجل خالدا ويبشره بذلك ثم أرسل خمسة من أصحابه يمسكون الباب وأخذ الباقية ومشى نحو دار يوقنا فصاحوا عليه ووقع الصائح فى القلعة فرجعوا بأجمعهم الى الباب وأخذ كل واحد منهم مكانا يحميه فعندها جاءتهم الابطال وصاحت الروم ويلاه كيف تمت علينا هذه الحيلة وصرخ يوقنا بأصحابه فأتوا من كل جانب فعندها كبرت المسلمين ونادوا بلسان واحد الله أكبر فخيل للروم ملائكة منهم قال ابن أوس وقاتلت الروم قتالا شديدا وأما المسلمون فكانوا كالاسد الضارية فما رأيت أقوى بأسا ولا أشد مراسا من دامس أبى الهول فى ذلك اليوم فلقد عددنا فى بدنه بعدما انفصلنا ثلاثة وسبعين جرحا كلها فى مقدمة بدنه قال فبينما نحن فى أشد القتال ونحن نحمى بعضنا بعضا وقد بقى منا ثلاثة وعشرون وقتل منا أربعة وهم أوس بن عامر الخزرجى من بنى حزم وأبو حامد بن سراقة الحميرى والقارع بن مسيب التميمى وفزارة بن مراد العوفى (قال

الواقدى رحمه الله تعالى) لقد حدثنى نوفل بن سالم عن جده غريل بن حازم وكان ممن
صحب دامس فى قلعة حلب قال لما قتل من قتل منا وقد قتل أيضا ملاعب بن مقدام
ابن عروة الحضرمى وكان ممن حضر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديبية
وتبوك ومرارة بن ربيعة العامرى وهلال بن أمية وهو ابن أخى كعب الذى تخلف
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تبوك وأنزل الله فيه ما نزل قال وبقينا عشرين
رجلا وتكاثرت الروم علينا فى أزيد من خمسة آلاف وهم سد من حديد قال ونحن
قد آيسنا من الحياة اذ دخل علينا خالد بن الوليد ومعه جيش الزحف فوجدونا ونحن
فى أشد ما يكون من القتال فلما دخلوا عليه اصاح فيهم خالد فعلت الروم صائحا قال أوس
ولما رأيناهم كذلك وانفرج عنا ما كنا فيه اشتدت قلوبنا فعندها كبرت المسلمون
ودخل ضرار وأمثاله يضربون رقابهم فلما رأوا الروم ذلك علموا انهم لا طاقة لهم بما وقع
بهم فألقوا السلاح ونادوا الغوث الغوث وكفوا أنفسهم عن القتال فكفت المسلمون
أيديهم عنهم فبينما هم كذلك اذ أقبل أبو عبيدة ومعه عساكر الاسلام فأخبروه أن الروم
يطلبون الامان وان المسلمين قد رفعوا عنهم القتل الى أن تأتى وترى فيهم رأيك فقال
أبو عبيدة قد وثقوا وسددوا ثم أمر باحضار رجالهم ونسائهم فعرض عليهم الاسلام
فكان أول من أسلم بطريقهم يوقنا وجماعة من ساداتهم قال فرد عليهم أموالهم
وأهاليهم واستبقى منهم الفلاحين وعفى عنهم من القتل والاسر وأخذ عليهم العهود
ولا يكونوا الا مثل أهل الصلح والجزية وأخرجهم من القلعة قال ثم أخرج المسلمون
من الذهب والاوانى ما لا يقع عليه عدد فأخرج منها الخمس وقسم الباقى على المسلمين
وأخذ الناس فى حديث دامس وحيله وعجائبه وعالجوا جراحته حتى برئت قال
وأعطاه أبو عبيدة قسمين ثم ان أبا عبيدة طلب أمراء المسلمين وأكابرهم وشاورهم
فى الامر وقال انا لله وله الحمد قد فتح هذه القلعة على أيدى المسلمين وما بقى لنا موضع
نخافه فنقصد انطاكية وهى دار الملك وكرسى عزهم وفيها بقية ملوكهم مع هرقل
فما ترون من الرأى قال فعندها قام البطريق يوقنا وتكلم بلسان عربى فصيح وقال أيها
الامير ان الله تبارك وتعالى قد أيدكم وظفركم بعدوكم ونصركم وما ذاك الا ان دينكم
هو الدين القويم والصراط المستقيم ونبيكم هو المشهور فى الانجيل وهو لا محالة الذى
بشر به المسيح ولا شك فيه ولا مراء وهو الفاروق الذى يفرق به بين الحق والباطل وهو
النبى الكريم اليتيم الذى يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه فهل كان ذلك أم لا
أيها الامير فقال أبو عبيدة نعم هو نبينا صلى الله عليه وسلم وانى يا يوقنا قد حرت فى أمرك
وأنت بالامس تقاتلنا ومرادك تكسر عسكرنا وتقطع الطريق على علافتنا واليوم

تقول مثل هذا القول وقد بلغني انك لا تفهم بالعربية شيأ فمن أين لك حفظها فقال لا اله الا الله محمد رسول الله وأنت تعجب أيها الامير من هذا الامر قال نعم قال له اعلم أيها الامير انى كنت البارحة مفكرا فى أمركم وقدومكم الى قلعتنا ونصرتم علينا وانه لم يكن عندنا أمة اضعف منكم وتوسوست فى ذلك فلما نمت رأيت شخصا ابهى من القمر وأطيب رائحة من المسك الاذفر ومعه جماعة فسألت عنه فقيل لى هذا محمد رسول الله فكأنى أقول ان كان نبيا حقا فيسأل ربه ان يعلمنى العربية وكأنه يشير الى وهو يقول يا يوقنا أنا محمد الذى بشر بى المسيح وان لا نبى بعدى وان أردت فقل لا اله الا الله وأنى محمد رسول الله قال فأخذت يده فقبلتها وأسلمت على يديه واستيقظت وفى من تلك الليلة كالمسك الاذفر وأنا أتكلم بالعربية ثم انى قمت الى منزل أخى يوحنا وفتحت خزانة كتب فوجدت فى بعض الكتب صفة محمد صلى الله عليه وسلم وما يكون من أمره ووجدت كل العلائم صحيحة وان أبغض الخلق اليه اليهود أكان ذلك أيها الامير أم لا فقال أبو عبيدة نعم كانت اليهود تطلبنا أشد الطلب حتى نصرنا الله عليهم وأخذنا حصونهم وقتلنا أبطالهم قال يوقنا وجدت هذا فى سيرته وجملة أخباره وان الله تعالى كان يوصيه بأصحابه وبالمسلمين وبالايتام والمساكين أكان ذلك أم لا قال أبو عبيدة نعم أما وصيته من الله على أصحابه فقد قال الله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقال فى حق اليتيم والمسكين فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر فقال يوقنا كيف قال ووجدك ضالا فهدى فما معنى وصفه بالضلال وهو عند الله كريم فقال له معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه وجده ضالا فى تيه فى محبتنا فهديناك الى مشاهدتنا وأيضا يسهل لك الوصول الى سبل المكاشفة ووفقك للوقوف فى مقام المشاهدة ووجدك ضالا فى مجال الطلب على مركب الطلب فهداك الى سواحل الحق وقربك الى ظل حقائق الصدق أتكون بقلبك على عبده الاغيار وتهت فى قيعان الاختيار طائعا بعيون الاستتار متمنيا ساعات الوصول والتلاق وليس لك مناخبر ولا معك منا أثر ألحنا لك لوائح الرضى وكشفنا لك عن واضح القضا أما علمت يا يوقنا انه لا شئ عند المؤمن أوفى من العلم ولا أربح من الحلم ولا حسب أوضع من الدين ولا قرين أزين من العقل ولا رفيق أشر من الجهل ولا شئ أعز من التقوى ولا شئ أوفى من ترك الهوى ولا عمل أفضل من الفكر ولا حسنة أعلا من الصبر ولا سيئة أخزى من الكبر ولا دريء ألين من الرفق ولا داء أوجع من الخوف ولا رسول أعدل من الحق ولا دليل أنصح من الصدق ولا فقر أذل من الطمع ولا غنا أشقى من الجمع ولا حياة أحسن من الصحة ولا معيشة أهنى من العفة ولا عبادة أفضل من الخشوع

ولا زهد خير من القمع ولا حارس أحفظ من الصمت ولا غائب أقرب من الموت فلما سمع يوقنا هذا الكلام من معاذ تهلل وجهه وقال هكذا قرأته فى كتب أخى يوحنا وهو مذكور فى الانجيل والتوراة ثم خر ساجدا وقبل الارض شكرا وقال الحمد لله الذى هدانى الى هذا الدين والله لقد رسخ هذا الدين فى قلبى وعلمت انه الحق وسأقاتل فى الله كما كنت أقاتل فى طاعة الشيطان والله لا أنصرن هذا الدين حتى الحق بأخى يوحنا ثم انه بكى بكاء شديدا على ما فرط فى أمر أخيه فقال له أبو عبيدة قال الله فى حق اخوة يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين وقال له ان أخاك فى عليين مع الحور العين وأما أنت ساعة أسلمت خرجت من ذنوبك كيوم ولدتك أمك فبكى لذلك وقال أشهد على المسلمين انى كلما جاهدت وقتلت من المشركين فثوابه فى صحائف أخى يوحنا ولا بدان أقاتل فى سبيل الله وأمحو ما سلف من الفعال فقال أبو عبيدة يا عبد الله دلنا على أين نسير فقال يوقنا اعلم أيها الامير ان حصن اعزاز حصن مانع وهو قوى بالرجال والعدد والزاد وفيه ابن عم لى اسمه دارس بن جوقناس وهو ذو شدة وبأس وقوة ومراس جليد فى الحرب قوى عند الطعن والضرب وان أنتم تركتموه ومضيتم الى نحو انطاكية أغار على حلب وقنسرين وأذاقهم شرا فقال أبو عبيدة يا عبد الله قد أنطق الله على لسانك بالحق والصواب فما عندك من الحيلة فقال يوقنا عندى من الرأى أن اركب جوادى وتضم الى مائة فارس من المسلمين وليكن على زى الروم ولباسهم وانقدم بهم ثم يتقدم أمير من العرب ومعه ألف فارس على خفاف الخيل وأنا فى المقدمة بالمائة فارس على مقدار فرسخ كأننا هاربون منكم وأوائل الخيل الالف فى طلبنا فاذا أشرفنا على اعزاز نلقى الصوت فاذا نظر الينا صاحبها دارس لا بد ان ينزل الينا ويلقانا فاذا سألنى أخبرته انى أسلمت زورا ثم هربت فخرجت العرب فى طلبى فانه اذا سمع منى ذلك يصعد بنا الى حصنه وليكن مقدم الالف بالقرب منا فى قرية هناك فاذا كان نصف الليلة سرنا فى وسط الحصن ونضع السيف فى أعدائنا فاذا كان عند صلاة الفجر يأتينا أمير العرب بالالف الذى معه فلما سمع أبو عبيدة ذلك استنار وجهه واستشار خالدا ومعاذا فى ذلك فقالا يا أمين الامة رأى سديد ان لم يغدر هذا الرجل ويرجع الى دينه فقال أبو عبيدة ان ربك لبالمرصاد فقال يوقنا أنا والله ما رجعت عن دينى الى دينكم بعدما كنت أعظم من تلك الصور والصلبان وما بقى فى قلبى سوى محبة الرحمن ومحمد سيد ولد عدنان والجهاد عن أفضل الايمان والله على ما أقول وكيل وحق الذى لا اله الا هو وحق محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم الذى رأيته وعاينته فى المنام ان كنتم

تظنون فى غير ذلك فلا تتركونى أفعل شيأ مما ذكرته لكم فقال أبو عبيدة يا عبد الله ان أنت نصحت للمسلمين ولم تغدر بهم كان الله لك معينا فى كل ما تحاوله فاتبع الصدق تنجو به فان ديننا مبنى على الصدق واتبع سنن اخوانك المؤمنين واعلم ان المؤمن الصادق قوته ما وجد ولباسه ما ستر ومسكنه ما وجد فلا يحزنك ما تركت من ملكك وحكمك وأمر يتك فان الذى تركته فان والذى تطلبه باق لان نعمة الدنيا فانية والآخرة خير وأبقى واعلم انك فى يومك هذا عارى من الشرك واعلم ان الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر والمؤمن يتيقن أن القبر مضجعه والخلوة مجلسه والاعتبار فكره والقرآن حديثه والرب أنيسه والذكر رفيقه والزهد قرينه والحزن شأنه والحياء شعاره والجوع ادامه والحكمة كلامه والتراب فراشه والتقوى زاده والصمت غنيمته والصبر معتمده والتوكل حسبه والعقل دليله والعبادة حرفته والجنة داره واعلم يا يوقنا ان المسيح قال عجبت لمن ليله غافل وليس بمغفول عنه ومؤمل دنيا والموت يطلبه وبانى قصرا والقبر مسكنه وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم من أعطى أربعا اعطى أربعا وتفسير ذلك فى كتاب الله تعالى من أعطى الذكر ذكره الله عز وجل لان الله تعالى يقول اذكرونى أذكركم ومن أعطى الدعاء أعطى الاجابة لان الله تعالى يقول ادعونى استجب لكم ومن أعطى الشكر أعطى الزيادة لان الله يقول لئن شكرتم لأزيدنكم ومن أعطى الاستغفار اعطى المغفرة لان الله تعالى يقول استغفروا ربكم انه كان غفارا (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى عامر بن قبيصة اليشكرى قال حدثنى يونس بن عبد الأعلى قرأه عليه قال شهر بن حوشب عن جده عامر بن زيد قال كنت ممن شهد فتوح الشام وكنت فى فتوح نسر بن رحلب مع أبى عبيدة وكنت كثيرا ما أصحب الروم الذين دخلوا فى ديننا فلم ارمنهم أشد اجتهادا ولا اخلص اعتقادا ولا أعظم نية ولا أحسن فى الجهاد حمية ولا أبلغ فى قتال الروم من يوقنا ولقد نصح والله للمسلمين وجاهد فى الكافرين وارضى رب العالمين ولقد فعل فى الروم مالم يقدر أحد عليه من أبناء جنسه من بعد ما قاسى المسلمون منه على قلعة حلب وما تركهم ينامون ولا يقرون ليلا ولا نهارا وما قتل من المسلمين رضى الله تعالى عنهم أجمعين

(ذكر فتح اعزاز)

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) ورضى عنه لما وعظ أبو عبيدة يوقنا وفرغ من وعظه ضم اليه مائة فارس وألبسهم زى الروم قال وكان كل عشرة من قبيلة فالبعض من طى وفهر وخزاعة وشنيس ونمير والحضارمة وحمير وباجلة وتميم ومراد وجعل على كل

عشرة نقيبا فاما نقيب طى فخزعل بن عاصم وعلى فهر فهر بن مزاحم وعلى خزاعة سالم ابن عدى وعلى شيس مسروق بن سنان وعلى غير أسد بن حازم وعلى الحضارمة ماجد بن عميرة وعلى حمير ملكهم ذو الكلاع الحميرى وعلى باهلة سيف بن قادح وعلى تميم سعد بن حسن وعلى مراد مالك بن فياض فلما كملوا قال لهم أبو عبيدة اعلموا رحمكم الله انى مرسلكم مع هذا الرجل الذى وهب نفسه لله ورسوله وكل طائفة منكم عليها نقيب وقد وليته عليكم فاسمعوا له وأطيعوا ما دام فى مرضات الله عز وجل قال فلبسوا وركبوا وساروا معه فلما أبعدوا بفرسخ أرسل وراءهم ألف فارس وأمر عليهم مالك الاشتر النخعى وقال له سر فى أثر القوم وانظروا ما يكون من أمر هذا العبد الصالح فاذا قربت من هذا الحصن فاكمن الى وقت السحر ثم تظاهر لاخوانك سر وفقك الله وأرشدك فسار مالك يقدم قومه فساروا بقية يومهم فلما جن عليهم الليل أكمنوا فى قرية بالقرب من الحصن وهى خالية من السكان وأما ما كان من يوقنا فانه أخذ على غير طريق وسار طالبا اعزاز (قال الواقدى) حدثنى سليمان بن عبد الله اليشكرى حدثنى الشديد بن مازن عن جده خزعل بن عاصم قال كنت فى خيل يوقنا لما وجهنا أبو عبيدة معه قال لما اشارفنا اعزاز قال لنا يوقنا اعلموا يافتيان العرب انا قد شارفنا هذا العدو فاياكم أن يتكلم أحد منكم فان لغتكم لا تخفى على الروم وأنا المترجم عنكم وكونوا على يقظة من أمركم فاذا رأيتمونى وقد بطشت بصاحب الحصن فثوروا على اسم الله تعالى ثم سار وليس عنده خبر من تواتر القدر (قال الواقدى) حدثنى سليمان ابن عبد الله اليشكرى قال حدثنى عبد الرحمن المازنى وكان ممن يكتب فتوح الشام قال حدثنى الاكوع بن عباد المازنى قال كنت مع مالك الاشتر مع جملة الالف حين سرنا فى اثر يوقنا صاحب حلب حتى اذا كنا فى تلك القرية ونحن ننتظر الصباح واذا نحن بجيش من ورائنا من غربى القرية فسار مالك الاشتر وقصد الحس فغاب عنا غير بعيد وعاد ومعه رجل من العرب المتنصرة وقد أقبل به فلما صار بيننا قال يافتيان اسمعوا ما يقول هذا الرجل فقلنا وما الذى يقوله قال إسألوه فانه يخبركم فسألناه وقلنا من أى الناس أنت قال من غسان من بنى عم جبلة بن الايهم فقال له مالك ما اسمك قال اسمى طارق بن شيبان فقال له ياطارق بحق ذمة العرب لا تكتمنا أمرا تعرفه من أعدائنا قال والله لا أكتم أمرا أعرفه ولكن خذوا على أنفسكم قبل قدوم عدوكم قال مالك وكيف ذلك قال لان البارحة ورد علينا جاسوس من عندكم وهو منا اسمه عصمة بن عرفجة وكان يسمع ما تناجيتم به من الحيلة التى أرادها يوقنا على صاحب اعزاز فلما سمع الجاسوس منكم ذلك كتب رقعة وربطها تحت جناح طير كان معه

وأطلقه الى صاحب اعزاز فلما قرأها أرسلني الى صاحب الراونداث لوقا بن شاس يستنجده عليكم فمضيت اليه بالرسالة وهو قادم في خمسمائة فارس وكأنكم بهم وقد هجموا فخذوا حذركم (قال الواقدي) وأما ما كان من أمر يوقنا فانه سار حتى وصل الى الحصن فوجد صاحبه قد تجهز بنفسه ومعه أصحابه وهو خارج الحصن وكان اللعين يركب في ثلاثة آلاف فارس من الروم وألف من العرب المتنصرة غير من التجأ اليه من السواد فلما قدم عليه يوقنا لم يدر بهمه شئ من أمره بل استقبله وترجل اليه وأقبل كأنه يقبل ركابه وكان في يده سكين أمضى من القضاء فقطع بها حزام فرس يوقنا وجذبه اليه واذا به قد وقع على أم رأسه فاطبق الاربعة آلاف على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يمهلوهم حتى أخذوهم قبضا بالكف وشدوهم كتافا وبصق مارس في وجه يوقنا وقال له لقد غضب عليك المسيح والصليب اذ فارقت دينك ودخلت في دين أعدائه وحق المسيح لابد لي أن أبعثك الى الملك الرحيم هرقل يصلبك على باب انطاكية بعد ما أضرب رقاب هؤلاء العرب ثم انه أصعدهم الى الحصن (قال الواقدي رحمه الله تعالى) ومن خيرة الله للمسلمين ان الجاسوس لم يكتب لصاحب اعزاز في مكاتبته بسير مالك الاشتر قال وان مالك الاشتر لما سمع كلام المتنصر أيقظ أصحابه وربط المتنصر عنده وأقاموا ينتظرون صاحب الراونداث فلما راق الليل سمعوا حس حوافر الخيل فلم يكلمهم مالك حتى انهم توسطوا الكمين وأطبقوا عليهم فكل اثنين ربطوا واحدا من الروم وأخذوهم بالكف ولم ينفلت منهم أحد ولبسوا ثيابهم ورفعوا راياتهم وصلبانهم كما كانت ثم ان مالك الاشتر قال للمتنصر هل لك أن ترجع الى دين الله عز وجل ودين نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فيمحى عنك ما سلف من الكفر بالايمان وتبقى لنا من جملة الاخوان فقال ان قلبي ولبي عندكم فلا جزى الله من ألجأنا الى الدخول في هذا الدين خيرا وأنا والله من الطائفة التي هي أول من أسلم على يد عمر بن الخطاب وقد سمعنا عن محمد صلى الله عليه وسلم انه قال من بدل دينه فاقتلوه فقال له مالك لقد صدقت في قولك ولكن نسخ هذا الحديث بقول لا اله الا الله فقد قال الله تعالى الا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات الآية وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبة وحشي قاتل عمه حمزة فأنزل الله فيه الآيات فلما سمع الغساني ذلك فرح وقال أنا اشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله والآن والله يا مالك قد طاب قلبي وانجبر كسرى أخذ الله بيدك وأنقذك الله يوم القيامة قال ففرح مالك باسلامه وقال له وفقك الله وثبت ايمانك ثم قال له يا عبد الله اني أريد أن تمحو ما سلف منك بما تفعله فقال وما تريد

أيها الامير قال تمضي الى صاحب اعزاز وتبشره بقدوم صاحب الراوندات الى نصرته فقال أفعل ذلك ان شاء الله تعالى وان كنت في شك من أمري فارسل معي من تثق به حتى يسمع ما أقول فان الليل قد تنصف والحرس شديد وباب الحصن مقفول واما انا اطلبهم من شفير الخندق قال فارسل معه مالك ابن عم له يقال له راشد بن مقيس ووصاه أن يكون مستيقظا فسارا جميعا الى أن وصلا الى الحصن فوجدا الحرس شديدا والروم تضرب بوقاتها والصوت عال في وسط الحصن فقال طارق لابن عم مالك ما هذا وحق أبي الا قتال وضرب وحرب فنصتا فاذا هو كما قال طارق (قال الواقدي رحمه الله تعالى) وكان السبب في ذلك أن ابن صاحب اعزاز شاب شجاع يقال له لاون وكان أبوه دارس في كل وقت يرسله الى يوقنا بالهدايا والتحف لما بينهم من القرابة وكان يقيم عنده أشهرا في أعز ما كان وانه حضر عنده في بعض المرات في عيد الصليب في البيعة التي هي اليوم الجامع وكان يدخل في كل وقت فرأى يوما ابنة يوقنا وهي بين جواريها وخدمها وحشمها فوقع بقلبه حبها فكتم أمرها وعاد الى اعزاز وشكى حاله الى أمه وما كان لابيه ولد غيره وهي تحبه محبة عظيمة فقالت له أنا أخاطب أباك في ذلك وألزمه أن يرسل يخطبها من أبيها ويزوجك بها ويبذل له من المال ما أراده وطلبه واشتغل قلب الشاب بحب الجارية وفي أثناء ذلك جاءت العرب الى بلادهم واشتغلت خواطرهم فلما وقع يوقنا في يد أبيه وكان من أمره ما كان وقبض عليه وعلى المائة من المسلمين وحبسهم جميعا في دار ولده لاون ووصاه بحفظهم فقال لاون في نفسه وحق ديني ان ابن عمي يوقنا أعلم من أبي بالاديان ولولا أنه رأى الحق مع هؤلاء العرب ما تبعهم بعد ما قاتلهم أشد القتال وأيضا أن جيوش الملك ما ساوتهم وان الله قد نصرهم على عدوهم وأنا قلبي متعلق بابنته واني أرى من الرأي السديد أن أحل هؤلاء القوم من الوثاق وأرجع الى دينهم بعد أن أثق من ابن عمي أن يزوجني ابنته فانهم على الحق وأنال ما أطلب وبعدها أتزوج ابنته فلما حدثته نفسه بذلك أقبل الى يوقنا وجلس بين يديه وقال له يا عم اني عولت على أن أحل وثاقك أنت وأصحابك وقد اخترتك على أهلي وأبي وملكي وأنت تعلم أن فراق الاهل صعب واخترت الايمان على الكفر وقد علمت أن دين هؤلاء صحيح ولكن لي عليك شرط أن تزوجني ابنتك ومهرها اعتقك أنت وهؤلاء الناس الذين معك فقال يوقنا يا بني مالك الى زواجها من سبيل اذا كنت تدخل فيه لاجل غرض الدنيا ولكن ذخولك فيه خالصا من قلبك حتى ان الله يأجرك على ما تفعله وانا ان شاء الله تعالى أبلغك ما تريده وتنال عز الدنيا والآخرة فقال لاون أنا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ثم حل يوقنا من وثاقه وأعطاه سلاحه

وحل المائة وأعطاهم سلاحهم وقال لهم كونوا على أهبة وأنا أمضي الى ابي وهو ثمل من الخمر فاقتلوه وثوروا على بركة الله تعالى في رضى الله ثم رضاك فعندها قال يوقنا للمائة اشهدوا على أني زوجته ابنتي وجعلت صداقها عتقنا فقبل منه ومضى الى دار أبيه فوجد أباه مقطوع الرأس واخوته عنده فقال لهن من فعل هذا بأبي قالوا نحن قال ولم ذلك قالن أردنا بذلك وجه الله وقد سمعناك وما تحدثت به مع يوقنا وأصحابه فخفنا عليك أن لا يتم لك هذا الامر ويتكاثر الجمع على القوم ويبلغ أبانا خبرك فيقتلك فبطشنا به قبلك قال ففرح لاون بذلك ورجع الى يوقنا وأصحابه وأعلمهم بما جرى فخرجوا من دار لاون وتوسطوا الحصن ورفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير والسراج المنير ووضعوا السيف في الروم قال ووقع الصائح في الحصن كما وصفنا وتبادرت الروم لقتال المسلمين وفي تلك الساعة قدم طارق ورفيقه فسمعنا الاصوات فرجعنا الى مالك وأعلمناه بما سمعناه فقال مالك لاصحابه أركضوا الاصحابكم فركضوا خيولهم وخلف منهم مائة يحفظون الاسرى فلما قربوا من الحصن وكان يوقنا قد قال للاون ان نجدة من المسلمين تأتينا فأتى لاون فرأى المسلمين قد أتوا ففتح لهم باب الحصن من باب السر وأدخلهم فلما حصل مالك الاشتر في حصن أعزاز نادى هو ومن معه الله أكبر فتح الله ونصر وخذل من كفر فلما رأى أهل الحصن ذلك رموا سلاحهم ونادوا الغوث الغوث فرفعوا عنهم السلاح وأخذوهم أسارى وشكر واليوقنا ومن معه قال فحدث يوقنا مالك الاشتر حديث الغلام لاون فقال مالك اذا أراد الله أمرا هيأ أسبابه (قال الواقدي رحمه الله تعالى) حدثني قيس عن عقبة عن صفوان عن عمرو بن عبد الرحمن عن جبير عن أبيه قال سألت أبا لبابة بن المنذر وكان ممن حضر فتوح الشام كيف كان فتوح اعزاز وقتل دارس فان نفسي تأبى هذا وأريد صحته فقال لما وضعت الحرب أوزارها وجمع مالك الاشتر الاسارى والمال والثياب والذهب والفضة والآنية وأمر باخراج ذلك من الحصن ووكل به قيس بن سعد وكان ممن حضر وأصابه سهم فعوره وكذلك أبو لبابة بن المنذر وكلاهما حضر بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لم يبق أحد في أعزاز قام مالك يمشي في الحصن وتفقد دارس فوجده مقتولا فقال لك من قتل هذا اللعين فقال لاون قتله أخي لوقا وهو أكبر مني سنا فأمر مالك باحضاره وقال له لم قتلته وهو أبوك وما سمعنا ولم اقتل أباه من الروم سواك فقال حملني على ذلك محبة دينكم لان في بيعة هذا الحصن قس من المعمرين وكنا نقرأ عليه الانجيل ويعلمنا بعلم الروم واني كنت في بعض الايام في البيعة أنا وهو وليس عندنا أحد وكان اسمه أبو المنذر فقلت له يا أبا المنذر ألا ترى الى بلاد الشام كيف قد استولت

عليها العرب وملكوا أكثرها وجزموا جيوش الملك وما كنا نظن أن العرب تقدر على ذلك لانه ليس فى الامم أضعف منهم وان الله تعالى نصرهم على ضعفهم فهل قرأت ذلك فى كتب الروم أوملاحمهم أوملاحم اليونانية فقال يابنى نعم انى قرأت ذلك ولقد أخبرنا الملك هرقل بذلك قبل وقوع هذا الامر وجمع اليه الملوك والدساقفة والبطارقة وغيرهم وأخبرهم أن العرب لابد أن يملكوا ماتحت سريرى هذا ولقد بلغنا عن نبى القوم انه قال زويت لى الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى مازوى لى منها فقلت له ياأبانا فما تقول فى نبى القوم قال لى يابنى ان فى كتبنا ان الله تعالى يبعث نبيا بالحجاز وقد بشر به عيسى المسيح ابن مريم ولا ندرى أهو هذا أم لا فعلمت انه كتم عنى أمره مخافة أن أذيع سره فكتمت ماقال لى البارحة فلما رأيت يوقنا وأصحابه أسرى قلت هذا يوقنا قد قتل أخاه يوحنا وعاند العرب وقاتلهم ثم انه رجع الى دينهم وماذاك الا انه قد علم الحق معهم فقلت أنا لنفسى قم أنت واقتل أباك وخلص يوقنا وأصحابه وارجع الى دين هؤلاء فهو الدين الحق لاشك فيه فلما نام أبى بعد ماشرب الخمر وسكر قتلته وصرت الى خلاص يوقنا ومن معه فوجدت أخى لاون قد سبقنى الى ذلك قال له مالك ياغلام لم فعلت ذلك قال محبة فى دينكم وأنا أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقال لى مالك قبلك الله وفقلت ثم خرج مالك من الحصن وولاه لسعيد بن عمرو الغنوى وترك معه المائة الذين كانوا مع يوقنا وقدموا اليه صاحب الراوندات ومن معه فأعرض عليهم الاسلام فأبوا فضرب رقابهم (قال الواقدى) حدثنى عبد الملك بن محمد عن أبيه عن حسان بن كعب عن عبد الواحد عن عبد الله بن قرط الازدى ان فتح اعزاز كان هكذا والذى ذكر أن بنات دارس وزوجته قتلوه لم يصح والله أعلم ثم ان مالك الاشتر أراد أن يرحل فعرض عليه سبى اعزاز فكان ألف رجل من الشباب ومائتين وخمسة وأربعين رجلا من الشيوخ والرهبان وألفى امرأة من النساء والبنات وغيرهم ومائة وثمانين عجوزا ونظر الى شيخ من الرهبان مليح الشيبة واضح الهيبة فقال ان صدقت الفراسة فهذا القس الذى أخبرنى به لوقا وأخوه لاون ودعا بهما وقال هذا هو القس الذى أخبرنى به أخوك لوقا فقال نعم فقال له ياشيخ اذا كنت من علماء أهل الكتاب فكيف تكتم الحق عن مستحقيه فقال والله ما كتمت الحق عن مستحقيه ولكن خفت من الروم أن يقتلونى لان الحق ثقيل وقد قتلوا الابناء والاخوة وذلك لاجل الحق فكيف أنا فقال له مالك أفتدخل فى ديننا فقال لست أدخل فيه الا اذا سألتكم عن مسائل وجدتها فى الانجيل فقال له مالك هات ماعندك فلما أراد القس أن يتكلم وقع الصائح فى الحصن فارتاع الناس

ووثب مالك لينظر ما خبر الناس وظن أن الروم قد غدرت بهم واذا بأناس من المسلمين الذين بالحصن يقولون أيها الامير خذوا حذركم فانا نرى غبرة على طريق منبج وبزاعة ولا ندري ماهي فركب مالك ومن معه ووقفوا ينتظرون ماذاك واذا قد لاح من تحتها خيول الاسلام وهم يسوقون السبايا والاموال والرجال وهم مشدودون في الحبال ووراءهم ألف فارس من المسلمين وأميرهم الفضل بن العباس رضي الله عنه وكان قد أرسله أبو عبيدة حتى غار منبج والباب وبزاعة فوقع التكبير في الفريقين وسلم بعضهم على بعض وسأل الفضل مالك عن قصته فحدثه ان الله قد فتح اعزاز وأذل من فيها وحدثه بما كان من حديث يوقنا وانني ما منعني من الرحيل الا هذا القس وسؤاله فقال له الفضل أيها القس قل ما أنت قائل فقال القس اخبرني عن أي شيء خلقه الله تعالى قبل خلق السموات والارض فقال الفضل أوّل ما خلق الله اللوح والقلم ويقال العرش والكرسي ويقال الوقت والزمان ويقال العدد والحساب ويقال أوّل ما خلق الله جوهرة فنظر اليها فسارت ماء ثم خلق العرش ياقوتة وكان عرشه على الماء وقال خلق أوّلا العقل لانه أراد أن ينتفع به الخلق وانه نظر الى الماء فاضطرب وارتعد وصعد منه دخان فخلق الله منه السماء ثم خلق الارض وقيل أوّل ما خلق الله نور وظلمة ثم دعاهما الى القرار فانكرت الظلمة وأقر النور فخلق منه الجنة لرضائه عنه وخلق النار من الظلمة لسخطه عليها وخلق أرواح السعداء من النور وأرواح الاشقياء من الظلمة فلاجل ذلك كل منهم يرجع الى مستقره ويقال أوّل ما خلق نقطة فنظر اليها بالهيبة فتضعضعت وسالت ألفا فجعلها مبدأ كتابه العزيز فسبحان من ألف كتابه من نقطة وخلق خلقه من نقطة ثم يميتهم بقبضة ثم يحييهم بنفخة فلما سمع القس ذلك من كلام الفضل بن العباس قال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله هذا هو العلم الذي استأثر به أنبيائه فلما نظر أهل اعزاز الى قسهم وقد أسلم أسلموا عن آخرهم الا قليلا منهم والله أعلم

قد تم هذا الجزء في أوائل شهر ذي الحجة ختام سنة ١٢٧٨ ثمان وسبعين ومائتين بعد الالف من هجرة من له العز والشرف بمطبعة المتوكل على ربه المعين الشيخ محمد شاهين بمحروسة مصر وقاها الله من كل ضير وشر وكان تصحيحه بمعرفة الفقير الى رحمة ربه الدايم أحمد بن الشيخ قاسم الحسيني نسبا الشافعي مذهبا

ويليه الجزء الثاني

على يد رئيس تشغيله المتوكل على ربه المعين ❁ مصطفى شاهين